www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق المولى الميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي ثم النجفي

الجزء الثامن عشر

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران - شارع ناصر خسرو

بسم الله الرحمن الرحیم

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

فهرست ----- ۵
منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۱۳ ----- ۱۱
مشخصات کتاب ----- ۱۱
تتمه باب المختار من خطب أمیر المؤمنین علیه السلام و أوامره ----- ۱۲
اشاره ----- ۱۲
و من کلام له علیه السّلام عند دفن ----- ۱۳
اشاره ----- ۱۳
اللغه ----- ۱۴
الاعراب ----- ۱۵
المعنی ----- ۱۵
اشاره ----- ۱۵
تذنیب ----- ۲۷
خاتمه ----- ۴۲
تکمله ----- ۴۷
بیان ----- ۴۹
الترجمه ----- ۵۲
و من کلام له علیه السّلام و هو ----- ۵۳
اشاره ----- ۵۳
اللغه ----- ۵۳
الاعراب ----- ۵۳
المعنی ----- ۵۴
اشاره ----- ۵۴
تکمله ----- ۶۰
الترجمه ----- ۶۰

و من کلام له علیه السّلام کان کثیرا ما ینادی به ---- ۶۱
اشاره ---- ۶۱
اللغه ---- ۶۲
الاعراب ---- ۶۳
المعنی ---- ۶۳
اشاره ---- ۶۳
تکمله ---- ۶۸
الترجمه ---- ۶۹
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان ---- ۶۹
اشاره ---- ۶۹
اللغه ---- ۷۰
الاعراب ---- ۷۱
المعنی ---- ۷۲
اشاره ---- ۷۲
تکمله و تبصره ---- ۸۱
الترجمه ---- ۹۳
و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان ---- ۹۴
اشاره ---- ۹۴
اللغه ---- ۹۵
الاعراب ---- ۹۵
المعنی ---- ۹۶
اشاره ---- ۹۶
تکمله ---- ۱۰۷
الترجمه ---- ۱۰۸
و من کلام له علیه السّلام فی بعض ایام صفین و هو ---- ۱۰۸
اشاره ---- ۱۰۸

اللغه ---- ۱۰۸
الاعراب ---- ۱۰۹
المعنی ---- ۱۱۰
اشاره ---- ۱۱۰
تنبیه ---- ۱۱۱
اشاره ---- ۱۱۱
و هنا قصه لطیفه ---- ۱۱۷
تکمیل ---- ۱۱۸
الترجمه ---- ۱۲۹
و من کلام له علیه السّلام و هو ---- ۱۳۰
اشاره ---- ۱۳۰
اللغه ---- ۱۳۰
الاعراب ---- ۱۳۱
المعنی ---- ۱۳۱
الترجمه ---- ۱۳۳
و من کلام له علیه السّلام بالبصره و هو ---- ۱۳۳
اشاره ---- ۱۳۳
اللغه ---- ۱۳۴
الاعراب ---- ۱۳۵
المعنی ---- ۱۳۶
اشاره ---- ۱۳۶
تکمله ---- ۱۴۳
تنبیه ---- ۱۴۵
اشاره ---- ۱۴۵
المقام الاول فی وجه تسمیتهم بالصوفیه ---- ۱۴۸
المقام الثانی ---- ۱۵۱

المقام الثالث ---- ۱۵۴
أما العقائد ---- ۱۵۴
فمنها ---- ۱۵۴
اما الدليل العقلى على بطلانه ---- ۱۶۸
الاول ---- ۱۶۸
الثانى ---- ۱۶۹
الثالث ---- ۱۷۲
و أما الدليل النقلى ---- ۱۸۵
فمنه قوله عليه السّلام: فى الفصل السادس من المختار الأوّل: ---- ۱۸۵
و منه قوله عليه السّلام فى المختار الرابع و الستين: ---- ۱۸۶
و منه قوله عليه السّلام فى الفصل الثانى من المختار التّسعين: ---- ۱۸۶
و منه ---- ۱۹۲
أولها قوله: لا تحجبه السواتر اه ---- ۱۹۳
الوجه الثانى من وجوه الدّلاله قوله عليه السّلام: الظاهر لا برؤيه و الباطن لا بلطافه ---- ۲۰۱
الوجه الثالث من وجوه الدلاله قوله عليه السّلام: بان من الأشياء بالقهر لها و القدره ---- ۲۰۵
الوجه الرابع قوله عليه السّلام: من وصفه فقد حدّه إلى قوله: فقد أبطل أزله ---- ۲۰۵
و منه ---- ۲۰۵
فمنها قوله عليه السّلام فيها: حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانه له من شبهها ---- ۲۰۵
و منها قوله عليه السّلام فى الخطبه المذكوره أيضا: لا تقدّره الأوهام بالحدود ---- ۲۲۳
و منها قوله عليه السّلام فى الخطبه المذكوره أيضا: الظّاهر لا يقال ممّا و الباطن ---- ۲۲۵
و منه ---- ۲۲۵
و منه ---- ۲۲۷
و منه ---- ۲۲۹
فمن جمله هذه الفقرات قوله عليه السّلام: و لا حقيقته أصاب من مثله و لا ايّاه عنى ---- ۲۲۹
و منها قوله عليه السّلام: كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم فى سواه معلول ---- ۲۲۹
و منها قوله عليه السّلام: غنىّ لا باستفاده ---- ۲۳۰

و منها قوله علیه السّلام: یخبر لا بلسان و لهوات، و یسمع لا بخروق و أدوات، یقول ---- ۲۳۵
بیان ---- ۲۴۲
و منها ---- ۲۵۶
و منها ---- ۲۷۳
و منها ---- ۲۷۵
و أما الافعال و الاعمال ---- ۲۸۱
منها ---- ۲۸۱
و منها ---- ۲۸۳
و منها ---- ۲۹۱
تذییل ---- ۳۰۸
الاول ---- ۳۰۸
الثانی من اغلاط الغزالی ---- ۳۱۵
و منها ---- ۳۳۱
المقام الرابع ---- ۳۳۷
اشاره ---- ۳۳۷
فمنها ---- ۳۳۷
الواقعه الاولی ---- ۳۳۷
الواقعه الثانیه ---- ۳۳۹
الواقعه الثالثه ---- ۳۴۵
المقام الخامس ---- ۳۴۶
المقام السادس - فی منشا الکرامات و خوارق ---- ۳۶۹
اشاره ---- ۳۶۹
منها الشعبده ---- ۳۷۰
و منها التنجیم ---- ۳۷۰
و منها الکهانه ---- ۳۷۱
و منها السحر ---- ۳۷۱

و منها استخدام الجن و الشياطين ---- ۳۷۲
الاول سحر الكذابين ---- ۳۷۳
الاولى ---- ۳۷۳
و الثانيه ---- ۳۷۳
الفرقه الثالثه ---- ۳۷۳
القسم الثانى سحر أصحاب الأوهام و النفوس القوّيه ---- ۳۷۳
الثالث الاستعانه بالأرواح الأرضيّه و هى الجنّ ---- ۳۷۴
المقام السابع - فى مطاعن الصوفيه ---- ۳۷۹
اشاره ---- ۳۷۹
الفرقه الاولى الوحدتيّه ---- ۴۰۵
الفرقه الثانيه الواصليه ---- ۴۰۹
الفرقه الثالثه العشاقيه ---- ۴۱۰
الفرقه الرّابعه التلقيّه ---- ۴۱۱
الفرقه الخامسه الزّراقيّه ---- ۴۱۲
تنبيه و هدايه ---- ۴۲۸
درباره مركز ---- ۴۳۶

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی – فارسی) جلد ۱۳

مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

و من كلام له عليه السّلام عند دفن

اشاره

الزهراء سلام اللّه عليها و هو

المأتان و الواحد من المختار

فى باب الخطب

و هو مروى فى الكافى و فى كشف الغمه و فى البحار من أمالى الشيخ و مجالس المفيد باختلاف و زياده تطلع عليه انشاء اللّه ألسّلام عليك يا رسول اللّه عنّى و عن ابنتك النّازله فى جوارك، و السّريعه اللّحاق بك، قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى، و رقّ عنها تجلّدى، إلاّ أنّ لى فى التّأسّى بعظيم فرقتك، و فادح مصيبتك، موضع تعزّ، فلقد وسّدتك فى ملحوده قبرك، و فاضت بين نحرى و صدرى نفسك. إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعه، و أخذت الرّهينه، أمّا حزنى فسرمد، و أمّا ليلى فمسّهد، إلى أن يختار اللّه لى

دارک الّتی أنت بها مقیم، و ستنبّئک ابنتک بتظافر أمّتک علی هضمها، فأحفها السّؤال، و استخبرها الحال، هذا و لم یطل العهد، و لم یخل منک الذّکر، و السّلام علیکما سلام مودّع، لا قال و لا سئم، فإن أنصرف فلا عن ملاله، و إن أقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصّابرین.

اللغه

(التجلّد)تکلّف الجلاده، و هی القوّه و الشدّه کما فی القاموس و الکنز قال الشاعر:

بتجلّدی للشامتین اریهم إنّی لریب الدّهر لا أتضعضع

أو تکلّف الجلد، و هو الصبر قال الشاعر:

ما الاصطبار لسلمی أم لها جلد إذا الاقی الّذی لاقاه أمثالی

و أصل الجلد کما فی القاموس جلد البوء تحشی تماما و یخیّل للنّاقه فتعطف بذلک علی ولد غیرها أو جلد حوار یلبس حوارا آخر لترامه امّ المسلوخه، و علی ذلک فاطلاقه علی الصّبر مجاز لعلاقه السّببیّه.

و (الفرقه) بالضّم اسم من الافتراق و (عزّیته) تعزیه قلت له: أحسن اللّه عزاک أی رزقک الصّبر الحسن، و العزاء اسم من ذلک مثل سلّم سلاما و کلّم کلاما، و تعزّی هو تصبّر و شعاره أن یقول: إنا للّه و إنّا إلیه راجعون.

و (استرجعت) و (اخذت) بالبناء علی المجهول و (السهد) بالضّم الأرق و قد سهد سهدا من باب فرح، و السّهد بضمّتین القلیل النّوم، و سهّدته فهو مسهّد أی مورق و هو ذو سهده یقظه و (هضمه) هضما من باب ضرب دفعه عن موضعه فانهضم، و قیل: هضمه کسره و هضمه حقّه نقصه هکذا فی المصباح، و قال فی القاموس: هضم فلانا ظلمه و غصبه کاهتضمه و تهضّمه فهو هضیم.

و (الاحفاء) فی السؤال المبالغه فیه و الاستقصاء و (قلیت) الرّجل أقلیه من باب

رمی قلّی بالکسر و القصر و مقلیه ابغضه فأنا قال و (سئم) الشیء ساما و سأما و سامه ملّ منه فهو سؤم و سئم و (أقام) بالبلد إقامه اتّخذه وطنا فهو مقیم.

الاعراب

قوله: إلاّ أنّ لی استثناء منقطع، و موضع تعزّ بالنصب اسم أنّ و قدّم خبرها للتوسّع، و قوله، فی ملحوده قبرک، إضافه الملحوده إلی القبر من إضافه الصّفه إلی الموصوف لا بیانیّه کما توهّم، و التّأنیث باعتبار الخطّه و الحفره،و قوله:و أمّا لیلی فمسهّد، من المجاز العقلی من باب الاسناد إلی الزّمان کما فی قول الشاعر رحمه اللّه:

و بات و باتت له لیله کلیله ذی العائر الأرمد

و قوله: إلی أن یختار، ظرف لغو متعلّق بقوله مسهّد، و قوله: استخبرها الحال، قال الشّارح المعتزلی: أی عن الحال فحذف الجار، اه، و الأظهر أن یجعل الحال مفعولا به و الجار مخذوفا قبل الضّمیر أی استخبر عنها الحال، و قوله: هذا و لم یطل العهد، خبر هذا محذوف علی أنّه مبتدأ أو فاعل لفعل محذوف، و جمله و لم یطل فی محلّ النّصب علی الحال، و قوله: لا قال و لا سئم، صفه لمودّع.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام کما قال السیّد «ره» قد روی عنه علیه السّلام أنّه قاله عند دفن سیّده النساء فاطمه الزهراء علیها السلام إظهارا للتّفجّع بمصابها و التّوجع من ألم فراقها کالمناجی به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عند قبره، و ینبغی قبل الشروع فی شرح کلامه أن نذکر طرفا من الأخبار الوارده فی تسمیتها سلام اللّه علیها بفاطمه و فی تلقّبها بسیّده النساء و بالزّهراء.

أما تسمیتها بفاطمه.

ففی البحار من العیون بالاسناد إلی دارم قال: حدّثنا علیّ بن موسی الرّضا و محمّد بن علیّ علیهما السّلام قالا: سمعنا المأمون یحدّث عن الرّشید عن المهدی عن المنصور عن أبیه عن جدّه قال: قال ابن عبّاس لمعاویه: أ تدری لم سمّیت فاطمه فاطمه؟ قال: لا، قال: لأنّها فطمت هی و شیعتها من النّار، سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقوله.

و من العيون بالأسانيد الثلاثه عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّى سمّيت ابنتى فاطمه لأنّ اللّه عزّ و جلّ فطمها و فطم من أحبّها من النّار.

و من علل الشرائع بسنده عن يزيد بن عبد الملك عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لمّا ولدت فاطمه سلام اللّه عليها أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى ملك فانطق به لسان محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسمّاها فاطمه ثمّ قال: إنّى فطمتك بالعلم و فطمتك عن الطمث، ثمّ قال أبو جعفر عليه السّلام: و اللّه لقد فطمها اللّه تبارك و تعالى بالعلم و عن الطّمث فى الميثاق.

قال المحدّث العلامه المجلسى «قد» بعد نقله: فطمتك بالعلم أى أرضعتك بالعلم حتّى استغنيت و فطمت، أو قطعتك عن الجهل بسبب العلم، أو جعلت فطامك من اللبن مقرونا بالعلم كنايه عن كونها فى بدء فطرتها عالمه بالعلوم الرّبانيّه، و على التقادير كان الفاعل بمعنى المفعول كالدّافق بمعنى المدفوق، و يقرأ على بناء التفعيل أى جعلتك قاطعه النّاس من الجهل، أو المعنى لما فطمها من الجهل فهى تفطم النّاس منه، و الوجهان الأخيران يشكل إجراؤهما فى قوله فطمتك عن الطمث إلاّ بتكلف بأن يجعل الطمث كنايه عن الاخلاق و الأفعال الذّميمه.

و فى البحار من المناقب عن الصادق عليه السّلام قال: تدرى أىّ شىء تفسير فاطمه؟ قال: فطمت من الشرّ، و يقال إنّما سمّيت فاطمه لأنّها فطمت عن الطّمث.

و أما تلقّبها بسيّده النساء.

فقد روى فى البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن حذيفه أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: أتانى ملك فبشّرنى أنّ فاطمه سيّده نساء أهل الجنّه أو نساء امّتى.

و عن جابر بن سمره عن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى خبر أما أنها سيده النساء يوم القيامه.

و من الامالى بسنده عن الحسن بن زيد العطار قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: فاطمه سيده نساء أهل الجنه أسيّده نساء عالمها، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: تاك مريم و فاطمه سيّده نساء الجنّه من الأوّلين و الاخرين فقلت: فقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنه؟ قال: و اللّه هما سيدا شباب أهل الجنه من الأولين

و الاخرين.

و من معانى الأخبار باسناده عن المفضل قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: أخبرنى عن قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى فاطمه: انها سيّده نساء العالمين أهى سيّده نساء عالمها؟ فقال: ذاك لمريم كانت سيّده نساء عالمها و فاطمه سيّده نساء العالمين من الأوّلين و الاخرين.

و من الأمالى بسنده عن سعيد بن المسيّب عن ابن عبّاس قال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان جالسا ذات يوم و عنده علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين فقال: اللّهم إنك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتى و أكرم النّاس علىّ فاحبب من أحبّهم، و ابغض من أبغضهم، و وال من والاهم، و عاد من عاداهم، و أعن من أعانهم، و اجعلهم مطهّرين من كلّ دنس، معصومين من كلّ ذنب، و أيّدهم بروح القدس منك.

ثمّ قال: يا على أنت امام امّتى و خليفتى عليها بعدى، و أنت قائد المؤمنين إلى الجنّه، و كأنّى أنظر إلى ابنتى فاطمه قد أقبلت يوم القيامه على نجيب من نور عن يمينها سبعون ألف ملك، و بين يديها سبعون ألف ملك، و عن يسارها سبعون ألف ملك، و خلفها سبعون ألف ملك، تقود مؤمنات امّتى إلى الجنّه فأيما امرأه صلّت فى اليوم و اللّيله خمس صلاه، و صامت شهر رمضان، و حجّت بيت اللّه الحرام، و زكت مالها، و أطاعت زوجها، و والت عليّا بعدى دخلت الجنّه بشفاعه ابنتى فاطمه، و انّها لسيّده نساء العالمين من الأوّلين و الاخرين، و أنّها لتقوم فى محرابها فيسلّم عليها سبعون ألف ملك من الملائكه المقرّبين، و ينادونها بما نادت به الملائكه مريم فيقولون: يا فاطمه إنّ اللّه اصطفيك و طهّرك و اصطفيك على نساء العالمين.

ثمّ التفت إلى علىّ عليه السّلام و قال: يا على إنّ فاطمه بضعه منّى و هى نور عينى و ثمره فؤادى يسوؤنى من «ما» ساءها و يسرّنى من «ما» يسرّها، و أنّها أوّل من يلحقنى من أهل بيتى فأحسن إليها بعدى، و أما الحسن و الحسين فهما ابناى و ريحانتاى و هما سيّدا شباب أهل الجنّه فليكونا عليك كسمعك و بصرك.

ثمّ رفع يده إلى السّماء فقال: اللّهمّ إنّى اشهدك أنّى محبّ لمن أحبّهم،

و مبغض لمن أبغضهم، و سلم لمن سالمهم، و حرب لمن حاربهم، و عدوّ لمن عاداهم و وليّ لمن والاهم.

و أما تلقّبها بالزّهراء.

فقد روى فى البحار من معانى الأخبار، و علل الشرائع عن الطالقانى عن الجلودى عن الجوهرى عن ابن عماره عن أبيه قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن فاطمه لم سمّيت زهراء؟ قال: لأنها كانت إذا قامت فى محرابها ظهر نورها لأهل السّماء كما يظهر نور الكواكب لأهل الأرض.

و من العلل بسنده عن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قلت: لم سمّيت فاطمه الزهراء زهراء؟ فقال: لأنّ اللّه عزّ و جلّ خلقها من نور عظمته، فلّما أشرقت أضاءت السّماوات و الأرض بنورها، و غشيت أبصار الملائكه و خرّت الملائكه ساجدين للّه و قالوا: إلهنا و سيّدنا ما هذا النّور؟ فأوحى اللّه إليهم: هذا نور من نورى أسكنته فى سمائى خلقته من عظمتى اخرجه من صلب نبيّ من أنبيائى أفضّله على جميع الأنبياء و اخرج من ذلك النّور أئمّه يقومون بأمرى يهدون إلى حقّى «خلقى» و أجعلهم خلفائى فى أرضى بعد انقضاء وحيى.

و من المناقب عن أبى هاشم العسكر قال: سألت صاحب العسكر لم سمّيت فاطمه الزّهراء؟ فقال: كان وجهها يزهر لأمير المؤمنين عليه السّلام من أوّل النّهار كالشمس الضّاحيه، و عند الزّوال كالقمر المنير، و عند غروب الشّمس كالكوكب الدّرّى.

و من العلل بسنده عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: يا ابن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم سمّيت الزّهراء زهراء؟ قال: لأنّها تزهر لأمير المؤمنين فى النهار ثلاث مرّات بالنّور:

كان يزهر نور وجهها صلاه الغداه و النّاس فى فراشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينه فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيسألونه عمّار أوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمه فيأتون منزلها فيرونها قاعده فى محرابها تصلّى

و النّور يسطع من محرابها و من وجهها فيعلمون أن الّذى رأوه كان من نور فاطمه فاذا انتصف النّهار و ترتّبت(۱) للصلاه زهر نور وجها بالصّفره فتدخل الصّفره فى حجرات الناس فتصفر ثيابهم و ألوانهم فيأتون النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيسألونه عمّار أوا، فيرسلهم إلى منزل فاطمه عليها السلام فيرونها قائمه فى محرابها و ظهر نور وجهها صلوات اللّه عليها و على أبيها و بعلها و بنيها بالصّفره، فيعلمون أنّ الّذى رأوا كان من نور وجهها.

فاذا كان آخر النّهار و غربت الشمس احمرّ وجه فاطمه عليها السّلام و أشرق وجهها بالحمره فرحا و شكرا للّه عزّ و جلّ فكان تدخل حمره وجهها حجرات القوم و تحمرّ حيطانهم فيعجبون ذلك و يأتون النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمه فيرونها جالسه تسبّح اللّه و تمجّده و تحمده و نور وجهها يزهر بالحمره فيعلمون أنّ الّذى رأوا كان من نور وجه فاطمه.

فلم يزل ذلك النّور فى وجهها حتّى ولد الحسين فهو يتقلّب فى وجوهنا إلى يوم القيامه فى الأئمّه منّا أهل البيت إمام بعد إمام.

إذا عرفت ذلك فلنشرع فى شرح كلامه عليه السّلام فأقول:

بدء عليه السّلام بالسلام قبل الكلام رعايه لرسم الأدب و مواظبه على النّدب فقال:

(السلام عليك يا رسول اللّه عنّى و عن ابنتك النازله فى جوارك) أى فى البقيع كما روى عن ابن عباس فى حديث وفاتها قال: فلما أرادوا أن يدفنوها نودوا من بقعه من البقيع إلىّ إلىّ فقد رفع تربتها منّى، فنظر فاذا هى بقبر محفور، فحملوا السرير إليها فدفنوها، أو فى بيتها و هو المشهور.

روى فى البحار من المناقب قال: قال أبو جعفر الطوسى: الأصوب أنّها مدفونه فى دارها أو فى الرّوضه يؤيّد قوله قول النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: إنّ بين قبرى و منبرى روضه من رياض الجنّه، و فى البخارى بين بيتى و منبرى، قالوا: حدّ الروضه

۱- (۱) - اى ثبتت فى محرابها كما فى اللغه أو تهيأت من الترتيب العرفى بمعنى جعل كلّ شىء فى مرتبته، و يحتمل أن يكون تصحيف تزينت، بحار.

ما بين القبر إلى المنبر إلى الاساطين الّتى تلى صحن المسجد.

و عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر قال: سألت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام عن قبر فاطمه، فقال: دفنت فى بيتها فلمّا زادت بنو اميّه فى المسجد صارت فى المسجد و رواه أيضا فى الكافى عن علىّ بن محمّد و غيره عن سرى بن زياد عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر عن الرّضا عليه السّلام مثله.

(و السريعه اللحاق بك) وارده فى مقام التفجّع و التشكىّ من تواتر المحن و المصائب الموجبه لقصر عمرها و المعدّه لسرعه لحاقها به سلام اللّه عليها و على أبيها.

و روى فى البحار من المناقب عن البخارى و مسلم و الحليه و مسند أحمد بن حنبل عن عايشه أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دعا فاطمه فى شكواه الّذى قبض فيه فسارّها بشىء فبكت، ثم دعاها «سارّها ظ» فضحكت، فسألت عن ذلك فقالت: أخبرنى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله سلّم أنّه مقبوض فبكيت، ثمّ أخبرنى أنّى أول أهله لحوقا به فضحكت.

و من المناقب من كتاب ابن شاهين قالت امّ سلمه و عايشه: إنّها لمّا سئلت عن بكائها و ضحكها فقالت أخبرنى النّبى صلّى اللّه عليه و آله سلّم أنّه مقبوض فبكيت، ثمّ أخبر أنّ بنيه سيصيبهم بعدى شدّه فبكيت، ثمّ أخبرنى أنّى أوّل أهله لحوقا به.

و قد اختلف الأخبار جدّا فى مدّه بقائها بعد أبيها.

قال أبو الفرج فى مقاتل الطالبيّين: كانت وفاه فاطمه بعد وفاه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله سلّم بمدّه يختلف فى مبلغها، فالمكثر يقول: ثمانيه أشهر، و المقلّل يقول: أربعين يوما إلّا أنّ الثبت فى ذلك ما روى عن أبى جعفر محمّد بن علىّ عليهما السّلام أنّها توفّيت بعده بثلاثه أشهر، حدّثنى بذلك الحسن بن علىّ عن الحرث عن ابن سعد عن الواقدى عن عمرو بن دينار عن أبى جعفر محمّد بن علىّ.

و فى كشف الغمّه و نقلت من كتاب الذّريّه الطاهره للدّولابى فى وفاتها ما نقله عن رجاله قال: لبثت فاطمه عليها السلام بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله سلّم ثلاثه أشهر.

و قال ابن شهاب ستّه أشهر و قال الزّهرى ستّه أشهر و مثله عن عايشه و مثله عن عروه بن الزّبير.

و عن أبی جعفر محمّد بن علیّ علیهما السّلام خمسا و تسعین لیله فی سنه إحدی عشره و قال ابن قتیبه فی معارفه مأئه یوم و قیل ماتت فی سنه إحدی عشره لیله الثلثا لثلاث لیال من شهر رمضان المبارک و هی بنت تسع و عشرین سنه أو نحوها.

و فی البحار عن الکفعمی فی الثالث من جمادی الاخره.

و فی الکافی بسنده عن أبی عبیده عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: إنّ فاطمه مکثت بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله سلّم خمسه و سبعین یوما و کان دخلها حزن شدید علی أبیها و کان یأتیها جبرئیل فیحسن عزاها علی أبیها و یطیب نفسها و یخبرها عن أبیها و مکانه و یخبرها بما یکون بعدها فی ذرّیتها، و کان علیّ علیه السّلام یکتب ذلک.

کانت وفاه الصّدیقه سنه إحدی عشره.

قال فی البحار بعد نقله الأخبار علی کثره اختلافها:

أقول: لا یمکن التطبیق بین أکثر تواریخ الولاده و الوفاه و مدّه عمرها الشّریف، و لا بین تواریخ الوفاه و بین ما مرّ فی الخبر الصحیح أنّها عاشت بعد أبیها خمسه و سبعین یوما، إذ لو کان وفاه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله سلّم فی الثامن و العشرین من صفر کان علی هذا وفاتها فی أواسط جمادی الاولی، و لو کان فی ثانی عشر ربیع الأوّل کما ترویه العامه کان وفاتها فی أواخر جمادی الاولی، و ما رواه أبو الفرج عن الباقر علیه السّلام من کون مکثها بعده ثلاثه أشهر یمکن تطبیقه علی ما هو المشهور من کون وفاتها فی ثالث جمادی الاخره هذا.

و أما مدّه عمرها فالأخبار فیه أیضا مختلفه.

ففی الکافی ولدت فاطمه بعد مبعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بخمس سنین، و توفّیت و لها ثمان عشره سنه و خمسه و سبعون یوما، و بقیت بعد أبیها خمسه و سبعین یوما.

و نحوه فی البحار من عیون المعجزات للسید المرتضی قال: روی أنّ فاطمه علیها السّلام توفّت و لها ثمان عشره سنه و شهران و أقامت بعد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خمسه و سبعین یوما و روی أربعین یوما.

و فی البحار من بعض کتب المناقب القدیمه عن سیّد الحفاظ أبی منصور الدیلمی

باسناده انّ عبد اللّه بن الحسن دخل على هشام بن عبد الملك و عنده الكلبى فقال هشام لعبد اللّه بن الحسن: يا أبا محمّد كم بلغت فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من السّن؟ فقال: بلغت ثلاثين، فقال للكلبى: ما تقول؟ قال: بلغت خمسا و ثلاثين، فقال هشام لعبد اللّه: ألا تسمع ما يقول الكلبى؟ فقال عبد اللّه: يا أمير المؤمنين سلنى عن امّى فأنا أعلم بها و سل الكلبى عن امّها فهو أعلم بها.

و عن العاصمى باسناده عن محمّد بن عمر قال: توفّيت فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لثلاث ليال خلون من شهر رمضان و هى بنت تسع و عشرين أو نحوها و قال محمّد بن اسحاق توفّيت و لها ثمان و عشرون سنه و قيل: سبع و عشرون سنه.

و فى روايه أنّها ولدت على رأس سنه إحدى و أربعين من مولد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيكون سنّها على هذا ثلاثا و عشرين، و الأكثر على أنّها كانت بنت تسع و عشرين أو ثلاثين، و اللّه العالم بحقايق الوقايع.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد السلام على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شرع فى اظهار التفجّع و الأسف فقال:

(قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى) قال الشّارح المعتزلى اجلّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن أن يقول عن ابنتك فقال عن صفيّتك و هذا من لطايف عبارته و محاسن كنايته عليه السّلام أقول: و فيه مضافا إلى ذلك الاشاره إلى كونها صفيّه له مختاره عنده كما أنّها كانت صفيّه للّه حسبما عرفت فى روايه الامالى المتقدّمه فى وجه تسميتها بسيّده النّساء من أنّ الملائكه يسلّمون عليها و ينادونها بما نادت به الملائكه مريم فيقولون: يا فاطمه إنّ اللّه اصطفيك و طهّرك و اصطفيك على نساء العالمين.

و فى البحار من الخصال فيما أوصى به النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى علىّ عليه السّلام يا علىّ إنّ اللّه عزّ و جلّ أشرف على الدّنيا فاختارنى منها على رجال العالمين، ثمّ اطلع الثانيه فاختارك على رجال العالمين بعدى، ثمّ اطلع الثالثه فاختار الأئمه من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثمّ اطلع الرّابعه فاختار فاطمه على نساء العالمين و فيه الاشاره أيضا إلى ما كان له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حقّها من التبجيل و المحبّه

و الاعظام ما لم يكن فى حقّ غيره حتّى روى عن القرطبى فى كتاب إكمال الاكمال أنّ فاطمه «رض» أحبّ بناته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أكرمهنّ عنده و سيّده نساء الجنّه و كان إذا قدم من سفره بدء بالمسجد فيصلّى ركعتين ثمّ ببيت فاطمه «رض» فيسأل عنها ثمّ يدور على نسائه إكراما لفاطمه و اعتناء بها.

و فى البحار من الامالى بسنده عن عايشه بنت طلحه عن عايشه قالت:

ما رأيت أحدا من النّاس أشبه كلاما و حديثا برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من فاطمه كانت إذا دخلت عليه رحّب بها و قبّل يديها و أجلسها فى مجلسه، فاذا دخل عليها قامت إليه فرحّبت به و قبّلت يديه، الخبر.

و من المناقب من جامع الترمذى و ابانه العكبرى و اخبار فاطمه عن أبى علىّ الصّولى و تاريخ خراسان عن السّلامى مسندا أنّ جميعا التميمى قال: دخلت مع عمّتى على عايشه فقالت لها عمّتى: ما حملك على الخروج على علىّ؟ فقالت عايشه:

دعينا فو اللّه ما كان أحد من الرّجال أحبّ إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من علىّ، و لا من النساء أحبّ إليه من فاطمه و قوله (و رقّ عنها تجلّدى) أى ضعف عن فراقها تحملى للجلد و الصبر من عظم الرّزيه و شدّه المصيبه.

(إلّا أنّ لى فى التأسّى) و الاقتداء (بعظيم فرقتك و فادح مصيبتك موضع تعزّ) و هو وارد مورد التسليه لنفسه القدسيّه، فانّه لمّا ذكر عظم وجده فى افتقاد الصديقه سلام اللّه عليها و شدّه تأثيره فيه استدرك ذلك بأنّى قد اصبت قبل ذلك بعظيم فراقك و ثقيل مصابك فصبرت عليه مع كونه أعظم رزء و أشدّ تأثيرا فينبغى لى أن أقتدى فى الصّبر على تلك المصيبه الحادثه بالصبر على هذه المصيبه الماضيه لكونها سهلا عندها.

و بعباره أوضح فكأنّه يقول: إنّ صفيّتك و ان عظم بفراقها المصاب و قلّ عنها الصبر و التحمل إلّا أنّ فراقك قد كان أعظم و أجلّ، و مصابك أشدّ و أثقل فكما صبرت فى تلك الرّزيّه العظمى فلئن أصبر فى هذه المصيبه كان أولى و أحرى

ثمّ أكّد شدّه تأثّره بفراقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بشرح بعض حالاته معه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حين موته المفيده لمزيد اختصاصه به فانّ الاختصاص كلّما كان أزيد كان تأثير الفراق أشدّ فقال (فلقد وسّدتك فى ملحوده قبرك)أى اتّخذت لك وساده فيقبركالمعموله فيها اللّحد و هو كنايه عن دفنه له فيها بيده.

(و فاضت بين نحرى و صدرى نفسك) و قد مضى تحقيق معنى هذه الفقره و تفصيل الكلام فيها و فى سابقتها فى شرح الخطبه المأه و السادسه و التّسعين فليراجع هناك.

و المراد بهاتين الفقرتين حسبما أشرنا إليه إظهار مزيد تفجّعه بمصيبته به صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تجرّعه بغصص الفراق، فانّ أعظم المصائب و أشدّ الالام أن يخرج روح أحبّ الخلق إلى الرّجل و رأسه فى صدره و أن يدفنه بيده فى قبره.

ثمّ لمّا كان الاسترجاع موجبا للسّلوه و لجبران المصيبه مضافا إلى ما فيه من عظيم الأجر و الاستبشار بالنعمه الدّائمه استرجع و قال:

(إنّا للّه و إنّا إليه راجعون) أمّا الاستبشار فلقوله تعالى «وَ بَشِّرِ الصّابِرِينَ اَلَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » و أمّا السّلوه و الأجر العظيم:

فلما رواه فى الصّافى من مجمع البيان عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من استرجع عند المصيبه جبر اللّه مصيبته و أحسن عقباه، و جعل له خلفا صالحا يرضيه قال: و قال:

من اصيب بمصيبه فأحدث استرجاعا و إن تقادم عهدها كتب اللّه له من الأجر مثله يوم أصيب.

و فيه من الكافى عن الباقر عليه السّلام ما من عبد يصاب بمصيبه فيسترجع عند ذكر المصيبه إلاّ غفر اللّه له كلّ ذنب فيما بينهما.

و عن الصّادق عليه السّلام من ذكر مصيبه و لو بعد حين فقال: إنّا للّه و إنّا إليه راجعون و الحمد للّه ربّ العالمين اللّهمّ أجرنى على مصيبتى و اخلف علىّ أفضل منها، كان له من الأجر مثل ما كان له عند أوّل صدمته.

و قوله عليه السّلام(فلقد استرجعت الوديعه و أخذت الرّهينه)استعار عليه السّلام لفظ الوديعه و الرّهينه لتلك النفس الكريمه لأنّ الأرواح كالوديعه و الرّهن فى الأبدان أو لأنّ النّساء كالودايع و الرّهاين عند الأزواج يجب عليهم مراقبتهنّ و محافظتهنّ كما يجب على المستودع و المرتهن حفظ الودايع و الرّهاين.

ثمّ ذكر ما ناله من تلك المصيبه فقال:(أمّا حزنى فسرمد و أمّا ليلى فمسهّد إلى أن يختار اللّه لى دارك الّتى أنت بها مقيم)يريد أنّ حزنه دائم و أنّه يسهر ليله إلى انتقاله إلى الدّار الاخره و التحاقه برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مجلس القدس و محفل الانس.

و هذا كما قال الشّارح المعتزلى من باب المبالغه الّتى يستعملها الفصحاء و الشّعراء فى كلامهم و هو من محاسن البلاغه قال الشاعر:

قال لى كيف أنت قلت عليل سهر دائم و حزن طويل

و إنما قلنا: إنه من باب المبالغه لأنه ما سهر منذ ماتت فاطمه عليها السّلام إلى أن قتل و انما أسهر ليله أو شهرا أو سنه نعم دوام الحزن فهو على حقيقته فانه لم يزل حزينا اذا ذكرت فاطمه عليها السلام عنده.

ثمّ ساق الكلام مساق التشكّى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من سوء فعل الامه بعده فقال(و ستنبئك ابنتك بتظافر امّتك على هضمها)لا يخفى ما فى هذه العباره من حسن البيان مع بديع الايجاز فانّ التظافر بمادّته التى هى الظفر و هو الفوز على المطلوب يدلّ على أنّ هضمها كان مطلوبا لهم لكنهم لم يكونوا متمكّنين من الفوز به ما دام كونه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيا بين أظهرهم، فلما وجدوا العرصه خاليه من وجوده الشريف فازوا به.

و ان كان مأخوذا من أظفر الصقر الطائر من باب افتعل و تظافر أى أعلق عليه ظفره و أخذه برأسه فيدلّ على أنهم علقوا أظفارهم على هضمها قاصدين بذلك قتلها و إهلاكها.

ثمّ إنّ المعانى الخمسه المذكوره للهضم كلّها مناسبه للمقام.

أمـا المعنى الأـوّل فلأـنهم قـد تظافروا على رفعها عن محلّها و مقامها الـذى كان لها و حطّوها عن مرتبتها المقرّره و لم يراعوا فى حقّهـا مـا كـان لازمـا عليهم من التبجيـل و الاعظـام و التعظيم و الاكرام، بل عاملوا معها معامله الرّعيه و السوقه حتى ألجئوها إلى الخروج إلى مجامع الرّجال فى أمر فدك و غيره مثل ساير النسوه البرزه.

و على المعنى الثـانى فيكون إشاره إلى ما صـدر عنهم من كسـر ضـلعها و اسـقاط جنينها يوم اخراجه عليه السّـلام من البيت ملببا للبيعه.

و على الثالث فيكون إشاره إلى اجتماعهم على نقص حقّها المقرّر لها بقوله تعالى: «وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ ».

و مثله المعنى الخامس فيكون إشاره إلى غصب فدك.

و أمـا المعنى الرّابع فهو أولى بالاـراده لشـموله جميع مظالمهـا و ما وقع فى حقّها من الظلم و الجور، فالى اللّه المشـتكى من سوء عمل الامه و شنيع فعلهم بالعتره و ما أدرى

ما ذا يقولون إذ قال النبىّ لهمما ذا فعلتم و أنتم آخر الامم

بعترتى و بأهلى بعد مفتقديمنهم اسارى و منهم ضرّجوا بدم

ما كان هذا جزائى اذ نصحت لكمأن تخلفونى بسوء فى ذوى رحم

(فاحفها السّؤال) أى بالغ فى سؤالها و استقص فى مسألتها (و استخبرها الحال) أى حالها و حالى بعد ارتحالك و افتقادك.

(هذا) أى تظافر الامّه على الهضم كائن (و) الحال انّه (لم يطل العهد) أى عهدهم بك أو ما عاهدتهم عليه من المودّه فى القربى و المواظبه بالثّقلين (و لم يخل منك الذّكر) أى لم يرتفع ذكرك الجميل عن أفواههم.

و محصّـله انه لم يطل المـدّه من موتك حتى ينسوا وصاياك المتأكـده فى حقّ العتره أو يغفلوا من صـنايعك العظيمه فى حقّهم فيقابلوها بهذا الكفران العظيم.

و لما أراد الوداع ختم كلامه بالسلام كما بدء به جريا على مجارى عاده

الأحباب عند وداع بعضهم لبعض فقال (و السلام عليكما سلام مودّع) محبّ مشتاق مشفق (لا قال و لا سئم) أى لا مبغض لكما و لا ملول من طول صحبتكما و أوضح ذلك بقوله (فان أنصرف) عن زيارتكما (فلا عن ملاله و ان اقم) أى أقمت عند ضريحكما (فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصابرين) بقوله: «أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ».

تذنيب

ينبغى لنا أن نذكر شطرا من الأخبار فيما وقع عليها من الظلم و بكائها و حزنها و شكايتها فى مرضها و كيفيّه وفاتها و دفنها صلوات اللّه عليها و لعنه اللّه على غاصبى حقّها و ظالميها فأقول:

روى فى كشف الغمه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: البكّاؤون خمسه: آدم، و يعقوب و يوسف، و فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و علىّ بن الحسين عليهم السّلام.

فأما آدم فبكى على الجنه حتى صار فى خدّيه مثل الأوديه.

و أما يعقوب فبكى على يوسف حتى ذهب بصره و حتى قيل له: تاللّه تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين.

و أما يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السّجن فقالوا: إمّا أن تبكى بالنهار و تسكت باللّيل، و إمّا أن تبكى اللّيل و تسكت النّهار فصالحهم على واحد منهما.

و أمّا فاطمه فبكت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتّى تأذى بها أهل المدينه فقالوا لها قد آذيتنا بكثره بكائك فكانت تخرج إلى مقابر الشهداء فتبكى حتّى تقضى حاجتها و تنصرف.

و أمّا علىّ بن الحسين فبكى على الحسين عليه السّلام عشرين سنه أو أربعين و ما وضع بين يديه طعام قطّ إلّا بكى حتّى قال له عليه السّلام مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول اللّه إنّى أخاف عليك أن تكون من الهالكين قال: انّما أشكو بثّى و حزنى إلى اللّه و أعلم من اللّه ما لا تعلمون، إنّى لم أذكر مصرع بنى فاطمه إلّا خنقتنى

لذلک العبره.

و فی البحار من الأمالی عن الـدّقاق عن الأسدی عن النخعی عن النوفلی عن البطائی عن أبیه عن ابن جبیر عن ابن عباس فی خبر طویل أخبر فیه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بظلم أهل البیت قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

و أمـا ابنتی فاطمه فانها سیّده نساء العالمین من الأوّلین و الاخرین، و هی بضـعه منی، و هی نور عینی، و هی ثمره فؤادی، و هی روحی التی بین جنبی، و هی الحوراء الانسـیه متی ما قامت فی محرابها بین یدی ربّها جلّ جلاله زهر نورها لملائکه السـماء کما یزهر نور الکواکب لأهل الأرض و یقول اللّه عزّ و جلّ لملائکته: یا ملائکتی انظروا إلی أمتی فاطمه سـیده إمائی قائمه بین یـدی ترتعد فرائصها من خیفتی و قد أقبلت بقلبها علی عبادتی اشهدکم أنی قد امنت شیعتها من النار.

و انی لما رأیتها ذکرت ما یصنع بها بعدی کأنّی بها و قد دخل الذّلّ بیتها و انتهکت حرمتها و غصبت حقها و منعت ارثها و کسر جنبهـا و اسـقطت جنینهـا و هی تنـادی یا محمّـداه فلا تجاب و تسـتغیث فلا تغاث، فلا تزال بعـدی محزونه مکروبه باکیه تتـذکّر انقطاع الوحی عن بیتها مرّه و تتـذکّر فراقی اخری و تسـتوحش إذا جنّها اللّیل لفقـد صوتی الـذی کانت تسـتمع إلیه إذا تهجّدت بـالقرآن، ثمّ تری نفسـها ذلیله بعـد أن کانت أیام أبیها عزیزه، فعنـد ذلک یونسـها اللّه تعالی ذکره بالملائکه فنادتها بما نادت به مریم بنت عمران فتقول یا فاطمه إنّ اللّه اصـطفیک و طهّرک و اصـطفیک علی نساء العالمین یا فاطمه اقنتی لربک و اسـجدی و ارکعی مع الراکعین.

ثمّ یبتدء بها الوجع فتمرض فیبعث اللّه عزّ و جلّ إلیها مریم بنت عمران تمرّضـها و تونسها فی علّتها فتقول عند ذلک: یا ربّ إنّی قـد سـئمت الحیاه و تبرّمت بأهل الـدّنیا فألحقنی بأبی فتکون أوّل من یلحقنی من أهل بیتی، فتقـدم علیّ محزونه مکروبه مغموم مغصوبه مقتوله فأقول عنـد ذلک: اللهمّ العن من ظلمها و عاقب من غصـبها و ذلّل من أذلّها، و خلّـد فی نارک من ضـرب جنبیها حتّی ألقت ولدها فتقول الملائکه عند ذلک: آمین.

و من کتاب دلائل الامامه للطبری بالاسناد عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قبضت فاطمه فی جمادی الاخره یوم الثلثاء لثلاث خلون منه سنه إحدی عشر من الهجره، و کان سبب وفاتها أنّ قنفذ مولی عمر لکزها بنعل السیف بأمره فأسقطت محسنا و مرضت من ذلک مرضا شدیدا و لم تدع أحدا ممّن أذاها یدخل علیها.

و کان الرّجلان من أصحاب النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سألا أمیر المؤمنین أن یشفع لهما إلیها فسألها أمیر المؤمنین علیه السّلام فلما دخلا علیها قالا لها: کیف أنت یا بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟ قالت: بخیر بحمد اللّه، ثمّ قالت لهما: ما سمعتما النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: فاطمه بضعه منّی من آذاها فقد آذانی و من آذانی فقد آذی اللّه، قالا: بلی، قالت: فو اللّه لقد آذیتمانی، قال: فخرجا من عندها و هی ساخطه علیهما أقول: و قد تقدّم فی المقدّمه الثالثه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقیه بروایه سلیم بن قیس الهلالی تفصیل کیفیه دخول قنفذ اللعین بیت فاطمه و إحراق بابها و بعض مظالمها، و اورد هنا بعض ما تقدّم من روایه سلیم ملخصا و نضیف إلیه ما لم یتقدّم هناک بحسب اقتضاء المقام و ما اورده هنا أنقله من المجلد العاشر من البحار علی ما لخصّه أیضا فأقول:

قال المحدّث العلامه المجلسیّ: وجدت فی کتاب سلیم بن قیس الهلالی بروایه أبان بن أبی عیاش عنه عن سلمان و عبد اللّه بن العبّاس قالا: توفّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یوم توفّی فلم یوضع فی حفرته حتّی نکث النّاس و ارتدّوا و أجمعوا علی الخلاف و اشتغل علیّ علیه السّلام برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتّی فرغ من غسله و تکفینه و تحنیطه و وضعه فی حفرته، ثمّ أقبل علی تألیف القرآن و شغل عنهم بوصیّه رسول اللّه فقال عمر لأبی بکر: یا هذا إنّ النّاس أجمعین قد بایعوک ما خلا هذا الرّجل و أهل بیته فابعث إلیه، فبعث إلیه ابن عمّ لعمر یقال له: قنفذ، فقال: یا قنفذ انطلق إلی علیّ فقل له أجب خلیفه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فبعثا مرارا و أبی علیّ علیه السّلام أن یأتیهم فوثب عمر غضبانا و نادی خالد بن الولید و قنفذا فأمرهم أن یحملا حطبا و نارا

ثم أقبل حتّى انتهى إلى باب علىّ عليه السّلام و فاطمه عليها السلام قاعده خلف الباب قد عصبت رأسها و نحل جسمها فى وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأقبل عمر حتّى ضرب الباب ثمّ نادى يا ابن أبى طالب افتح الباب. فقالت فاطمه عليها السلام خلف الباب: يا عمر ما لنا و لك لا تدعنا و ما نحن فيه، قال: افتحى الباب و إلّا أحرقنا عليكم، فقالت يا عمر، أما تتّقى اللّه تدخل على بيتى و تهجم على دارى بغير اذنى فأبى أن ينصرف.

ثمّ دعا عمر بالنار فأضرمها فى الباب فأحرق الباب ثمّ دفعه عمر فدخل فاستقبلته فاطمه و صاحت يا أبتاه يا رسول اللّه، فرفع عمر السّيف و هو فى غمده فوجى به جنبها فصرخت يا أبتاه، فرفع السّوط فضرب به ذراعها و نادت يا رسول اللّه بئس ما خلفك أبو بكر و عمر.

فوثب علىّ بن أبى طالب عليه السّلام فأخذ بتلابيب عمر فصرعه و وجى أنفه و رقبته و همّ بقتله فذكر قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ما أوصاه به من الصبر و الطّاعه فقال: و الذى أكرم محمّدا بالنّبوه يا ابن صحاك لو لا كتاب من اللّه سبق لعلمت أنّك لا تدخل بيتى فأرسل عمر يستغيث فأقبل النّاس حتّى دخلوا الدّار فكاثروه و ألقوا فى عنقه حبلا فحالت بينهم و بينه فاطمه عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط فماتت حين ماتت و أن فى عضدها كمثل الدّملج من ضربته لعنه اللّه، فألجأها إلى عضاده بيتها و دفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنينا من بطنها، فلم تزل صاحبه فراش حتى ماتت صلّى اللّه عليها من ذلك شهيده - و ساق الحديث إلى أن قال - قال ابن عباس: ثمّ إنّ فاطمه بلغها أنّ أبا بكر قبض فدكا فخرجت فى نساء بنى هاشم حتى دخلت على أبى بكر فقال: يا أبا بكر أ تريد أن تأخذ منى أرضا جعلها لى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فدعا أبو بكر بدواه ليكتب به لها فدخل عمر لعنه اللّه فقال:

يا خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تكتب لها حتى تقيم البينه بما تدّعى، فقالت فاطمه:

علىّ و امّ أيمن يشهدان بذلك فقال عمر: لا نقبل شهاده امرأه أعجميّه لا تفصح و أما علىّ فيجرّ النار إلى قرصته، فرجعت فاطمه عليها السّلام مغتاظه فمرضت و كان علىّ عليه السّلام يصلّى فى المسجد الصلوات الخمس، فلمّا صلّى قال له أبو بكر و عمر

كيف بنت رسول اللّه إلى أن ثقلت فسألاـ عنهـا و قالا و قـد كان بيننا و بينها ما قـد علمت فان رأيت أن تأذن لنا لنعتـذر إليها من ذنبنا، قال: ذاك إليكما، فقام فجلسا فى الباب.

فدخل علىّ على فاطمه فقال: أيّتها الحرّه فلان و فلان فى الباب يريدان أن يسلّما عليك فما تريدين؟ قالت: البيت بيتك و الحرّه زوجتك و افعل ما تشاء، فقال: سدّى قناعك فسدّت قنّاعها و حوّلت وجهها إلى الحائط، فدخلا و سلّما و قالا ارضـى عنا رضى اللّه عنـك، فقـالت: مـا دعا إلى هـذا فقالا اعترفنا بالاساءه و رجونا أن تعفى عنا، فقالت إن كنتما صادقين فأخبرانى عما أسألكما عنه فـانى لاـ أسألكمـا عن أمر إلاّـ و أنـا عارفه بأنكما تعلمانه، فان صـدقتما علمت أنكما صادقان فى مجيئكما قالا: سل عما بـدا لك، قالت: نشدتكما باللّه هل سمعتما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول:

فـاطمه بضـعه منى فمن آذاهـا فقـد آذانى؟ قالا: نعم، قال: فرفعت يـدها إلى السـماء فقالت: اللهم إنهما قـد اذيانى فأنا أشـكوهما إليك و إلى رسولك لا و اللّه لا أرضـى عنكما أبـدا حتى ألقى أبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اخبره بما صـنعتما فيكون هو الحاكم فيكما قال: فعند ذلك دعى أبو بكر بالويل و الثبور و جزع جزعا شديدا فقال عمر له:

تجزع يا خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قول امرأه؟!.

قـال: فبقيت فاطمه بعـد وفاه أبيها أربعين ليله فلما اشـتدّ بها الأمر دعت عليها السّـلام عليا و قالت: يا ابن عمّ ما أرانى إلاّ لما بى و إنى اوصـيك أن تتزوّج بامـامه بنت اختى زينب يكون لولـدى مثلى، و اتّخـذ لى نعشا فانّى رأيت الملائكه يصـفونه لى، و أن لا يشهد أحد من أعداء اللّه جنازتى و لا دفنى و لا الصلاه علىّ.

قـال ابن عبـاس: فقبضت فاطمه عليها السـلام من يومها، فارتجّت المـدينه بالبكاء من الرّجال و النساء، و دهش الناس كيوم قبض فيه رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فأقبـل أبو بكر و عمر يعزّيـان عليـا عليه السّـلام و يقولاـن له: يـا أبـا الحسن لا تسـبقنا بالصلاه على ابنه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

فلما كان الليل دعا علىّ عليه السّلام العباس و الفضل و المقداد و سلمان و أبا ذر و عمارا

فقدّم العباس و صلّى عليها و دفنوها ليلا.

فلما أصبح الناس أقبل أبو بكر و عمر و الناس يريدون الصلاه على فاطمه عليها السّلام فقال المقداد: قد دفنّا فاطمه البارحه، فالتفت عمر إلى أبى بكر فقال: ألم أقل لك إنهم سيفعلون فقال العباس: إنها أوصت أن لا تصلّيا عليها، فقال عمر: لا تتركون يا بنى هاشم حسدكم القديم لنا أبدا إن هذه الضغائن الذى فى صدوركم لن تذهب و اللّه لقد هممت أن انبشها فأصلّى عليها، فقال علىّ عليه السّلام: و اللّه لو رمت ذلك يا ابن صهاك لا رجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفى لاغمدته دون إزهاق نفسك، فانكسر عمر و سكت و علم أنّ عليا عليه السّلام إذا حلف صدق.

ثمّ قال علىّ عليه السّلام يا عمر أ لست الذى همّ بك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أرسل إلىّ فجئت متقلّدا سيفى ثمّ أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل اللّه عزّ و جلّ «فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّما نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ».

و فى كشف الغمه روى أنها عليها السلام أوصت عليا و أسماء بنت عميس أن يغسلاها.

و عن ابن عباس قال: مرضت فاطمه مرضا شديدا فقالت لأسماء بنت عميس ألا ترين إلى ما بلغت(۱) فلا تحملينى على سرير ظاهر فقالت: لا لعمرى و لكن أصنع نعشا كما رأيت يصنع بالحبشه قالت: فأرنيها، فأرسلت إلى جرايد رطبه فقطعت من الأسواق ثمّ جعلت على السرير نعشا و هو أوّل ما كان النعش، فتبسّمت و ما رأيت متبسّمه إلّا يومئذ ثمّ حملناها و دفناها ليلا و صلّى عليها العباس بن عبد المطلب و نزل فى حفرتها هو و علىّ و الفضل بن العباس.

و عن أسماء بنت عميس أنّ فاطمه عليها السلام بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قالت انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأه الثوب فيصفها لمن رأى فقالت أسماء: يا بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنى أريك شيئا رأيته بأرض الحبشه قال:

فدعت بجريده رطبه فحسنتها ثمّ طرحت عليها ثوبا فقالت فاطمه: ما أحسن هذا و أجمله لا تعرف به المرأه من الرجل، قال: قالت فاطمه: فاذا متّ فاغسلينى أنت و لا يدخلنّ

۱- (۱) - اى من نحول الجسم و الضعف كما صرّح به فى روايه اخرى، منه.

علیّ أحد، فلما توفیت فاطمه جاءت عایشه تدخل علیها فقالت أسماء: لا تدخل فکلّمت عایشه أبا بکر فقالت: إن هذه الخثعمیّه تحول بیننا و بین ابنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد جعلت لها مثل هودج العروس، فقالت أسماء: أمرتنی أن لا یدخل علیها أحد و أریتها هذا الذی صنعت و هی حیّه فأمرتنی أن أصنع لها ذلک فقال أبو بکر: اصنعی ما أمرتک، فانصرف و غسلها علیّ و أسماء.

و قیل: قالت فاطمه لأسماء حین توضأت وضوءها للصلاه: هاتی طیبی الذی أ تطیّب به، و هاتی ثیابی الّتی اصلّی فیها، فتوضأت ثمّ وضعت رأسها فقالت لها:

اجلسی عند رأسی فاذا جاء وقت الصلاه فأقیمینی فان قمت و إلّا فأرسلی إلی علیّ فلما جاء وقت الصلاه قالت: الصلاه یا بنت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فاذا هی قد قبضت فجاء علیّ علیه السّلام فقالت له: قد قبضت ابنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال علیّ: متی؟ قالت: حین أرسلت إلیک، قال: فأمر أسماء فغسلتها و أمر الحسن و الحسین یدخلان الماء، و دفنها لیلا و سوّی قبرها فعوتب علی ذلک فقال: بذلک أمرتنی.

و فی البحار من مناقب ابن شهر آشوب عن ابن جبیر عن ابن عباس قال:

أوصت فاطمه علیها السلام أن لا یعلم إذا ماتت أبو بکر و لا عمر، و لا یصلّیا علیها قال: فدفنها علیّ لیلا و لم یعلمهما بذلک.

و عن الأصبغ بن نباته أنّه سأل أمیر المؤمنین علیه السّلام عن دفنها لیلا، فقال:

إنّها کانت ساخطه علی قوم کرهت حضورهم جنازتها و حرام علی من یتولّاهم أن یصلّی علی أحد من ولدها.

و روی أنّه علیه السّلام سوّی قبرها مع الأرض مستویا و قالوا سوّی حوالیها قبورا مزوره مقدار سبعه حتّی لا یعرف قبر لها.

و روی انّه رشّ أربعین قبرا حتی لا یبین قبرها من غیره من القبور، فیصلّوا علیها.

و فی البحار وجدت فی بعض الکتب خبرا فی وفاتها علیها السلام فأحببت ایراده و إن لم آخذه من أصل یعوّل علیه.

روی ورقه بن عبد اللّه الازدی قال: خرجت حاجّا إلی بیت اللّه الحرام راجیا لثواب اللّه ربّ العالمین فبینما أنا أطوف و إذا أنا بجاریه سمراء ملیحه الوجه عذبه الکلام و هی تنادی بفصاحه منطقها و تقول:

اللهمّ ربّ الکعبه الحرام و الحفظه الکرام و زمزم و المقام و المشاعر العظام و ربّ محمّد خیر الأنام البرره الکرام أن تحشرنی مع ساداتی الطّاهرین و أبنائهم الغرّ المحجلین المیامین، ألا فاشهدوا یا جماعه الحجّاج و المعتمرین إنّ موالیّ خیره الأخیار و صفوه الأبرار الذین علا قدرهم علی الأقدار و ارتفع ذکرهم فی سایر الأمصار المرتدین بالفخار.

قال ورقه بن عبد اللّه فقلت: یا جاریه إنی لأظنک من موالی أهل البیت، فقالت أجل قلت: و من أنت من موالیهم؟ قالت: أنا فضّه أمه فاطمه الزّهراء ابنه محمّد المصطفی صلّی اللّه علیها و علی أبیها و بعلها و بنیها، فقلت لها: مرحبا بک و أهلا و سهلا فلقد کنت مشتاقا إلی کلامک و منطقک فاریدمنک الساعه أن تجیبنی من مسأله أسألک فاذا أنت فرغت من الطواف قفی لی عند سوق الطعام حتی آتیک و أنت مثابه مأجوره فافترقنا فی الطواف.

فلما فرغت من الطواف و أردت الرجوع إلی منزلی جعلت طریقی علی سوق الطعام و إذا بها جالسه فی معزل عن الناس، فأقبلت إلیها و اعتزلت بها و أهدیت إلیها هدیه و لم أعتقد أنها صدقه ثمّ قلت لها: یا فضّه أخبرینی عن مولاتک فاطمه الزّهراء علیها السلام و ما الذی رأیت منها عند وفاتها بعد موت أبیها محمّد صلّی اللّه علیه و آله سلّم.

قال ورقه: فلما سمعت کلامی تغرغرت عیناه بالدّموع ثمّ انتحبت نادبه و قالت: یا ورقه بن عبد اللّه هیّجت علیّ حزنا ساکنا و أشجانا فی فؤادی کانت کامنه فاسمع الان ما شاهدت منها.

اعلم أنه لما قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم افتجع له الصغیر و الکبیر و کثر علیه البکاء و قلّ العزاء و عظم رزؤه علی الأقرباء و الأصحاب و الأولیاء و الأحباب و الغرباء و الأنساب، و لم تلق إلّا کلّ باک و باکیه و نادب و نادبه، و لم یکن فی أهل الأرض

و الأصحاب و الأقرباء أشدّ حزنا و أعظم بكاء و انتحابا من مولاتی فاطمه الزهراء، و كان حزنها يتجدّد و يزيد، و بكاؤها يشتدّ فجلست سبعه أيام لا يهدی لها أنين و لا يسكن منها حنين، و كلّ يوم جاء كان بكاؤها أكثر من اليوم الأول.

فلما كان فی اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن فلم تطق صبرا إذ خرجت و صرخت فكأنها من فم رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم تنطق، فتبادرت النسوان و خرجت الولايد و الولدان، و ضجّ الناس بالبكاء و النحيب، و جاء الناس من كلّ مكان، و اطفيت المصابيح لكيلا تتبيّن صفحات النساء، و خيّل إلی النسوان أنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم قد قام من قبره، و صار الناس فی دهشه و حيره لما قد رهقهم، و هی تنادی و تندب أباه وا أبتاه وا صفيّاه وا محمّداه وا أبا القاسماه و اربيع الأرامل و اليتامی اه من للقبله و المصلّی، و من لابنتك الوالهه الثكلی.

ثمّ أقبلت تعثر فی أذيالها و هی لا تبصر شيئا من عبرتها و من تواتر دمعتها حتی دنت من قبر أبيها محمّد صلّی اللّه عليه و آله و سلّم فلمّا نظرت إلی الحجره وقع طرفها علی المأذنه فقصر خطاها و دام نحيبها و بكاها إلی أن اغمی عليها، فتبادرت النسوان إليها فنضحن الماء عليها و علی صدرها و جبينها حتّی أفاقت و هی تقول:

رفعت قوّتی، و خاننی جلدی، و شمت بی عدوّی، و الكمد قاتلی، يا أبتاه بقيت و الهه وحيده و حيرانه فريده فقد انخمد صوتی، و انقطع ظهری، و تنغّص عيشی، و تكدّر دهری، فما أجد يا أبتاه بعدك أنيسا لوحشتی، و لا رادا لدمعتی و لا معينا لضعفی، فقد فنی بعدك محكم التنزيل، و مهبط جبرئيل، و محلّ ميكائيل انقلبت بعدك يا أبتاه الأسباب، و تغلّقت دونی الأبواب، فأنا للدّنيا بعدك قاليه، و عليك ما ترددت أنفاسی باكيه، لا ينفد شوقی إليك، و لا حزنی عليك.

ثمّ نادت: يا أبتاه و البّاه ثمّ قالت:

إنّ حزنی عليك حزن جديد و فؤادی و اللّه صبّ عنيد

كلّ يوم يزيد فيه شجونی وا كتئا بی عليك ليس يبيد

جلّ خطبی فبان عنّی عزائی فبكائی كلّ وقت جديد

إنّ قلبا عليك يألف صبرا أو عزاء فانّه لجليد

ثمّ نادت: يا أبتاه انقطعت بك الدّنيا بأنوارها، و زوت زهرتها و كانت ببهجتك زاهره فقد اسودّ نهارها، فكان يحكى حنادسها رطبها و يابسها، يا أبتاه لا زالت آسفه عليك إلى التّلاق، يا أبتاه زال غمصى منذ حقّ الفراق، يا أبتاه من للأرامل و المساكين، و من للأمّه إلى يوم الدّين، يا أبتاه أمسينا بعدك من المستضعفين، يا أبتاه أصبحت النّاس عنّا معرضين، و لقد كنّا بك معظّمين فى النّاس غير مستضعفين فأىّ دمعه لفراقك لا تنهمل، و أىّ حزن بعدك عليك لا يتّصل، و أىّ جفن بعدك بالنّوم يكتحل، و أنت ربيع الدين، و نور النبيين، فكيف للجبال لا- تمور، و للبحار بعدك لا تغور، و الأرض كيف لم تتزلزل، رميت يا أبتاه بالخطب الجليل، و لم يكن الرزيّه بالقليل، و طرقت يا أبتاه بالمصاب العظيم، و بالفادح المهول، بكتك يا أبتاه الأملا-ك، و وقفت الأفلا-ك فمنبرك بعدك مستوحش، و محرابك خال من مناجاتك، و قبرك فرح بمواراتك، و الجنّه مشتاقه إليك و إلى دعائك و صلاتك، يا أبتاه ما أعظم ظلمه مجالسك، فوا أسفا عليك إلى أن أقدم عاجلا عليك و اثكل أبو الحسن المؤتمن أبو ولديك الحسن و الحسين و أخوك و وليك و حبيبك و من ربّيته صغيرا و آخيته كبيرا و أحلى أحبابك و أصحابك من كان منهم سابقا و مهاجرا و ناصرا، و الثكل شاملنا، و البكاء قاتلنا، و الأسى لازمنا.

ثمّ زفرت زفره و أنّت أنّه كادت روحها أن تخرج ثمّ قالت:

قلّ صبرى و بان عنّى عزائى بعد فقدى لخاتم الأنبياء

عين يا عين اسكبى الدّمع سحّا ويك لا تبخلى بفيض الدّماء

يا رسول الا له يا خيره اللّه و كهف الأيتام و الضّعفاء

قد بكتك الجبال و الوحش جمعا و الطير و الأرض بعد بكى السماء

و بكاك الحجون و الركن و المشعر يا سيدى مع البطحاء

و بكاك المحراب و الدّرس للقرآن فى الصّبح معلنا و المساء

و بكاك الاسلام اذ صار فى النّاس غريبا من ساير الغرباء

لو ترى المنبر الذى كنت تعلوه علاه الظلام بعد الضّياء

يا إلهى عجّل وفاتى سريعا قد نغصت الحياه يا مولائى

قالت: ثمّ رجعت إلى منزلها و أخذت بالبكاء و العويل ليلها و نهارها و هى لا ترقى دمعتها، و لا تهدى زفرتها.

و اجتمع شيوخ أهل المدينه و اقبلوا إلى أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فقالوا له يا أبا الحسن إنّ فاطمه تبكى اللّيل و النّهار فلا أحد منّا يتهنأ بالنّوم فى اللّيل على فراشنا و لا بالنّهار قرار على أشغالنا و طلب معايشنا، و إنّا نخيّرك أن تسألها إمّا أن تبكى ليلا أو نهارا، فقال حبّا و كرامه.

فأقبل أمير المؤمنين حتّى دخل على فاطمه عليها السّلام و هى لا تفيق من البكاء، و لا ينفع فيها العزاء، فلمّا رأته سكتت هيمنه له فقال لها: يا بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ شيوخ المدينه يسألونى أن أسألك إمّا أن تبكين أباك ليلا و إمّا نهارا فقالت يا أبا الحسن ما أقلّ مكثى بينهم و ما أقرب مغيبتى من بين أظهرهم، فو اللّه لا أسكت ليلا و لا نهارا أو ألحق بأبى رسول اللّه، فقال لها علىّ: افعلى يا بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ما بدا لك ثمّ إنّه عليه السّلام بنى لها بيتا فى البقيع نازحا من المدينه يسمّى بيت الأحزان و كانت إذا أصبحت قدّمت الحسن و الحسين أمامها و خرجت إلى البقيع باكيه فلا تزال بين القبور باكيه، فاذا جاء اللّيل أقبل أمير المؤمنين إليها و ساقها بين يديه إلى منزلها.

و لم تزل على ذلك إلى أن مضى لها بعد أبيها سبعه و عشرون يوما و اعتلّت العلّه الّتى توفّيت فيها فبقيت إلى يوم الأربعين و قد صلّى أمير المؤمنين صلاه الظهر و أقبل يريد المنزل إذ استقبلته الجوارى باكيات حزينات فقال لهنّ: ما الخبر و ما لى أراكنّ متغيّرات الوجوه و الصّور، فقلن: يا أمير المؤمنين أدرك ابنه عمك الزّهراء و ما نظنّك تدركها.

فأقبل أمير المؤمنين مسرعا حتّى دخل عليها و إذا بها ملقاه على فراشها و هو

من قباطی مصر و هی تقبض یمینا و تمدّ شمالا، فألقی الرّداء عن عاتقه و العمامه عن رأسه و حل أزراره.

و أقبل حتّی أخذ رأسها و ترکه فی حجره و ناداها: یا زهراء، فلم تکلّمه، فنادها: یا بنت محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فلم تکلّمه، فناداها: یا بنت من حمل الزّکاه فی أطراف ردائه و بذلها علی الفقراء، فلم تکلّمه، فناداها: یا ابنه من صلّی بالملائکه فی السّماء مثنی مثنی، فلم تکلّمه فناداها: یا فاطمه کلّمینی فأنا ابن عمّک علیّ ابن أبی طالب.

قالت: ففتحت عینیها فی وجهه و نظرت إلیه و بکت و بکی، و قال: ما الّذی تجدینه فأنا ابن عمّک علیّ بن أبی طالب، فقالت: یا ابن العمّ إنّی أجد الموت الذی لا بدّ منه و لا محیص عنه و أنا أعلم أنّک بعدی لا تصبر علی قلّه التزویج، فان أنت تزوّجت امرأه اجعل لها یوما و لیله و اجعل لأولادی یوما و لیله، و لا تصح فی وجوههما فیصبحان یتیمین غریبین منکسرین فانّهما بالأمس فقد اجدّهما: و الیوم یفقدان امّهما، فالویل لامه تقتلهما و تبغضهما ثمّ أنشأت تقول:

ابکنی إن بکیت یا خیر هادی و اسبل الدّمع فهو یوم الفراق

یا قرین البتول اوصیک بالنّسل فقد أصبحا حلیف الاشتیاق

ابکنی و ابک للیتامی و لا تنس قتیل العدی بطفّ العراق

فارقوا فاصبحوا یتامی حیاری یخلف اللّه فهو یوم الفراق

قالت فقال علیّ: من أین لک یا بنت رسول اللّه هذا الخبر و الوحی قد انقطع عنّا؟ فقالت: یا أبا الحسن رقدت السّاعه فرأیت حبیبی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی قصر من الدّرّ الأبیض فلمّا رآنی قال: هلمّی إلیّ یا بتیّه فانّی إلیک مشتاق، فقلت:

و اللّه إنّی لأشدّ شوقا منک إلی لقائک، فقال: أنت اللّیله عندی و هو الصّادق لما وعد و الموفی لما عاهد فاذا أنت قرأت یس فاعلم أنّی قد قضیت نحبی، فغسّلنی و لا تکشف عنّی فانّی طاهره مطهّره، و لیصلّ علیّ معک من أهلی الأدنی فالأدنی و من رزق اجری و ادفنّی لیلا فی قبری، بهذا أخبرنی حبیبی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

فقال علیّ علیه السّلام و اللّه لقد أخذت فی أمرها و غسلتها فی قمیصها و لم اکشفه عنها فو اللّه لقد کانت میمونه طاهره مطهّره، ثمّ حنّطتها من فضله حنوط رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و کفنتها و أدرجتها فی أکفانها.

فلمّا هممت أن أعقد الرّداء ناديت یا امّ کلثوم یا زینب یا سکینه یا فضّه یا حسن یا حسین هلمّوا تزوّدوا من امّکم فهذا الفراق و اللّقاء فی الجنّه، فأقبل الحسن و الحسین و هما یناديان وا حسرتاه لا ننطفی أبدا من فقد جدّنا محمّد المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و امّنا فاطمه الزّهراء، یا امّ الحسن یا امّ الحسین إذا لقیت جدّنا محمّد المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاقرئیه منّا السّلام و قولی له: إنّا قد بقینا بعدک یتیمین فی دار الدّنیا.

فقال أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام: إنی اشهد اللّه أنّها قد حنّت و أنّت و مدّت یدیها و ضمّتهما إلی صدرها ملیا و إذا بهاتف من السماء ینادی یا أبا الحسن ارفعهما عنها فلقد أبکیا و اللّه ملائکه السماوات، فقد اشتاق الحبیب إلی المحبوب.

قال: فرفعتهما من صدرها و جعلت أعقد الرداء و أنا انشد بهذه الأبیات:

فراقک أعظم الأشیاء عندی و فقدک فاطم أدهی الثکول

سأبکی حسره و أنوح شجوا علی خلّ مضی أسنا سبیل

ثمّ حملها علی یده و أقبل بها إلی قبر أبیها و نادی:

السلام علیک یا رسول اللّه، السلام علیک یا حبیب اللّه، السلام علیک یا نور اللّه السلام علیک یا صفوه اللّه منّی السلام علیک و التحیه منّی واصله إلیک و لدیک، و من ابنتک النازله علیک بفنائک، و إنّ الودیعه قد استردّت، و الرهینه قد اخذت، فوا حزناه علی الرّسول، ثمّ من بعده علی البتول، و لقد اسودّت علیّ الغبراء، و بعدت عنّی الخضراء، فوا حزناه ثمّ وا أسفاه.

ثمّ عدل بها علی الرّوضه فصلّی علیها فی أهله و أصحابه و مواليه و أحبّائه و طائفه من المهاجرین و الأنصار، فلما واراها و ألحدها فی لحدها أنشأ بهذه الأبیات یقوله:

أرى علل الدّنيا علىّ كثيره و صاحبها حتى الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقه و إنّ بقائى عندكم لقليل

و انّ افتقادى فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

أقول: و فى الدّيوان المنسوب إليه عليه الصلاه و السلام أنه أنشد عند وفاه فاطمه صلوات اللّه و سلامه عليها بهذه الأبيات:

ألا هل إلى طول الحيات سبيل و أنّى و هذا الموت ليس يحول

و إنّى و إن أصبحت بالموت موقنا فلا أمل من دون ذاك طويل

و للدّهر ألوان تروح و تغتدى و إنّ نفوسا بينهنّ تسيل

و منزل حقّ لا معرّج دونه لكلّ امرء منها إليه سبيل

قطعت بأيّام التعزّز ذكره و كلّ عزيز ما هناك ذليل

أرى علل الدّنيا علىّ كثيره و صاحبها حتّى الممات عليل

و انّى لمشتاق إلى من أحبّه فهل لى إلى من قد هويت سبيل

و انّى و إن شطت بى الدّهر نازحا و قد مات قبلى بالفراق جميل

فقد قال فى الأمثال فى البين قائل أضرّ به يوم الفراق رحيل

لكلّ اجتماع من خليلين فرقه و كلّ الذى دون الفراق قليل

و انّ افتقادى فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل

و كيف هناك العيش من بعد فقدهم لعمرك شىء ما إليه سبيل

سيعرض عن ذكرى و تنسى مودّتى و يظهر بعدى للخليل عديل

و ليس خليلى بالملول و لا الذى إذا غبت يرضاه سواى بديل

و لكن خليلى من يدوم وصاله و يحفظ سرّى قلبه و دخيل

إذا انقطعت يوما من العيش مدّتى فانّ بكاء الباكيات قليل

يريد الفتى أن لا يموت حبيبه و ليس إلى ما يبتغيه سبيل

و ليس جليلا رزء مال و فقده و لكنّ رزء الأكرمين جليل

ص:۲۹

لذلک جنبی لا یواتیه مضجع و فی القلب من حرّ الفراق غلیل(۱)

خاتمه

نذکر فیها بعض الأخبار الوارده فی کیفیّه مجیئها سلام اللّه علیها إلی المحشر و تظلّمها یوم القیامه و عقاب ظالمیها.

و إنّما أوردت هذه الأخبار لأنّ الأخبار السّالفه المتضمّنه لما جری علیها بعد وفاه أبیها سلام اللّه علیه و علیها من البغی و العدوان و الظلم و الطغیان لا سیّما ما تضمّنت أنینها و حنینها و بکائها و مظلومیّتها و وحدتها و غربتها حاله وفاتها، قد ملأت قلبی قیحا و شحنت صدری قرحه، و جرّعتنی نعب التّهمام أنفاسا، فسرت عند روایتها لا أضبط دمعتی، و لا أملک کمدی و لوعتی، و کانت الدّمعات من عظم مصیبتها جاریه، و حرقات القلب مشتعله.

فأحببت ایراد هذه الأخبار تسلیه لبعض همومی و هموم سایر الموالین، لعن اللّه ظالمیها و ظالمی بعلها و بنیها فلقد أوغلوا فی العداوه و الطغیان، و بالغوا فی التعدیه و العدوان، و شمّروا فی استیصال أهل البیت الشّریف بالفعل و اللّسان، و أبانوا عن دناءه أصلهم بقبح فعلهم و فعل الأعوان، و رکبوا مرکبا وعرا أجابوا فیه دعوه ولیّهم الشّیطان.

فلیتهم أخزاهم اللّه إذ لم یکفّوا عن غصب فدک و الخلافه، کفّوا عن إحراق باب بیت العصمه و الطهاره، و لیتهم قنعوا بتلبیب سیّد الأولیاء، و أمسکوا عن ضرب السّوط و اسقاط جنین سیّده النساء.

نعم نسبهم الخبیث و أصلهم الدنیّ قد نفی عنهم الغیره و المروّه و أقامهم علی

۱- (۱) - قوله (علیه السلام): و أنی، اسم استفهام خبره محذوف أی کیف سبیل إلی طول الحیاه و منزل عطف علی ألوان، و المعرج محل الاقامه، و شطت الدار و نزحت بعدت و الباء للتعدیه و التضریب مبالغه فی الضرب، و البین الفراق أی أضرب المثل الذی قاله القائل فی یوم الفراق الذی هو رحیل، و المثل قوله: لکلّ اجتماع، و فاطم مرخم فاطمه، و البدیل البدل، و دخیل الرجل الذی یداخل فی اموره و یختصّ به، لا یواتیه ای لا یوافقه و الغلیل العطش منه «».

دعوى الجاهليّه لأنّ الاناء ينضح بما فيه، و الولد سرّ أبيه.

روى فى البحار من تفسير العيّاشى عن أبى بصير قال: يؤتى بجهنم لها سبعه أبواب: الأوّل للظالم و هو زريق، و بابها الثّانى لحبتر، و الباب الثالث للثالث و الباب الرّابع لمعاويه، و الباب الخامس لعبد الملك، و الباب السّادس لعسكر بن هوسر، و الباب السابع لأبى سلامه، فهم أبواب لمن اتّبعهم.

قال المحدّث العلامه المجلسى: عسكر اسم جمل عايشه فيكون كنايه عن عايشه و صاحبيها، و يحتمل كنايه عن بعض ولاه بنى اميّه كأبى سلامه، و يحتمل أن يكون أبو سلامه كنايه عن أبى مسلم إشاره إلى من سلّطهم من بنى العبّاس.

و من العيّاشى عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّه إذا كان يوم القيامه يؤتى بابليس فى سبعين غلا و سبعين كبلا(۱) ، فينظر الأوّل إلى زفر فى عشرين و مأئه كبل و عشرين و مأئه غلّ فينظر إبليس فيقول: من هذا الذى أضعفه اللّه العذاب و أنا أغويت هذا و الخلق جميعا؟ فيقال: هذا زفر، فيقول: بما جدّد له هذا العذب؟ فيقال: ببغيه على علىّ عليه السّلام فيقول له إبليس: ويل لك و ثبور لك أما علمت أنّ اللّه أمرنى بالسجود لادم فعصيته و سألته أن يجعل لى سلطانا على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أهل بيته عليهم السّلام و شيعته فلم يجبنى إلى ذلك، و قال «إِنَّ عِبادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ » و ما عرفتهم حين استثناهم إذ قلت «وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ » فمنيت به نفسك غرورا.

فيوقف بين يدى الخلايق فيقال له: ما الذى كان منك إلى علىّ و إلى الخلق الذين اتّبعوك على الخلاف؟ فيقول الشّيطان و هو زفر لابليس: أنت أمرتنى بذلك فيقول له إبليس: فلم عصيت ربّك و أطعتنى؟ فيردّ عليه زفر ما قال اللّه «إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ ما كانَ لِى عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ » إلى آخر الايه.

قال العلاّمه المجلسىّ «قد»: قوله عليه السّلام: فيردّ زفر عليه ظاهر السياق أن يكون قوله: انّ اللّه وعدكم، كلام إبليس فيكون كلام زفر ما ذكر

۱- (۱) - الكبل القيد الضخم يقال كبلت الاسير و كبلته اذا قيدته فهو مكبول و مكبل، الصحاح

قبل تلك الايه من قوله «إِنّا كُنّا لَكَمْ تَبعاً » و ترک اختصارا.

و من کتاب سلیم بن قیس الهلالی عن أبان بن أبی عیّاش عن سلیم قال:

سمعت سلمان الفارسی یقول: إذا کان یوم القیامه یؤتی إبلیس مزموما بزمام من نار و یؤتی بزفر مزموما بزمامین من نار، فینطلق إلیه إبلیس فیصرخ و یقول: ثکلتک امّک من أنت أنا الذی فتنت الأوّلین و الاخرین و أنا مزموم بزمام واحد و أنت مزموم بزمامین، فیقول: أنا الذی امرت فاطعت و أمر اللّه فعصی.

و فی عقاب الأعمال عن حنان بن سدیر قال: حدثنی رجل من أصحاب أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سمعته یقول: إنّ أشدّ النّاس عذابا یوم القیامه لسبعه نفر:

أوّلهم ابن آدم الذی قتل أخاه، و نمرود الذی حاجّ إبراهیم فی ربّه، و اثنان فی بنی إسرائیل هوّدا قومهما و نصّراهما، و فرعون الذی قال: أنا ربّکم الأعلی، و اثنان من هذه الامّه أحدهما شرّهما فی تابوت من قوارير تحت الفلق فی بحار من نار.

و فیه عن أبی الجارود قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام «أخبرنی ظ» بأوّل من یدخل النّار قال: إبلیس، و رجل عن یمینه، و رجل عن یساره.

و فیه عن إسحاق بن عمّار الصّیرفی عن أبی الحسن الماضی علیه السّلام قال: قلت جعلت فداک حدّثنی فیهما بحدیث فقد سمعت عن أبیک فیهما أحادیث عدّه، قال فقال لی: یا إسحاق الأوّل بمنزله العجل، و الثّانی بمنزله السّامری.

قال: قلت: جعلت فداک زدنی فیهما، قال: هما و اللّه هوّدا و نصّرا و مجّسا فلا غفر اللّه ذلک لهما.

قال: قلت: جعلت فداک زدنی فیهما، قال، ثلاثه لا ینظر اللّه إلیهم و لا یزکّیهم و لهم عذاب ألیم، قال: قلت: جعلت فداک فمن هم؟ قال رجل ادّعی إماما من غیر اللّه، و آخر طغی فی إمام من اللّه، و آخر زعم أنّ لهما نصیبا فی الاسلام.

قال: قلت: جعلت فداک زدنی فیهما، قال: ما ابالی یا إسحاق محوت المحکم من کتاب، أو جحدت محمّدا النّبوه، أو زعمت أن لیس فی السّماء إلها، أو

تقدّمت على علیّ بن أبی طالب علیه السّلام.

قال: قلت: جعلت فداک زدنی، قال علیه السّلام: إنّ فی النّار لواديا يقال له:

محیط لو طلع منها شراره لأحرق من علی وجه الأرض و إنّ أهل النّار يتعوّذون أهل ذلک الوادی من حرّ ذلک الجبل و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و انّ فی ذلک الجبل لشعبا يتعوّذ جميع أهل ذلک الجبل من حرّ ذلک الشّعب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و إنّ فی ذلک الشّعب لقليبا يتعوّذ «أهل ظ» ذلک الشّعب من حرّ ذلک القليب و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و إنّ فی ذلک القليب لحيّه يتعوّذ جميع أهل ذلک القليب من خبث تلک الحيّه و نتنها و قذرها و ما أعدّ اللّه عزّ و جلّ فی أنيابها من السمّ لأهلها، و إنّ فی جوف تلک الحيّه لسبع صناديق فيها خمسه من الامم السّالفه و اثنان من هذه الامّه.

قال: قلت: جعلت فداک و من الخمسه؟ و من الاثنان؟ قال: أمّا الخمسه فقابيل الّذی قتل هابيل، و نمرود الّذی حاجّ إبراهيم فی ربّه قال أنا احيی و اميت و فرعون الذی قال أنا ربّكم الأعلی، و يهود الذی هوّد اليهود، و يولس الّذی نصّر النّصاری، و من هذه الامه الأعرابيان.

أقول: الأعرابيان أبو بكر و عمر عبّر عنهما بذلک إشاره إلی كفرهما كما قال تعالی: «اَلْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً».

و فيه عن أبی خديجه عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال: يؤتی يوم القيامه بابليس مع مضلّ هذه الامّه فی زمامين غلظهما مثل جبل أحد، فيسحبان علی وجوههما فيسدّ بهما باب من أبواب النّار.

و فيه عن شريک يرفعه قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: إذا كان يوم القيامه جاءت فاطمه فی لمه(۱) من نسائها فيقال لها: ادخلی الجنّه، فتقول: لا أدخل حتّی أعلم ما صنع بولدی من بعدی، فيقال لها: انظری فی قلب القيامه، فتنظر إلی الحسين عليه السّلام قائما و ليس عليه رأس فتصرخ صرخه و أصرخ لصراخها و تصرخ الملائكه

۱- (۱) - لمه بضم اللام و فتح الميم المخففه الجماعه (منه)

لصراخنا، فيغضب اللّه لنا عند ذلك فيأمر نارا يقال لها هبهب قد أوقد عليها ألف عام حتّى اسودّت لا يدخلها روح أبدا و لا يخرج منها غمّ أبدا، فيقال لها: التقطى قتله الحسين و حمله القرآن(۱) ، فتلقطهم فاذا صاروا فى حوصلتها صهلت و صهلوا بها و شهقت و شهقوا بها و زفرت و زفروا بها، فينطقون بألسنه زلقه طلقه: يا ربّنا بما أوجبت النّار لنا قبل عبده الأوثان؟ فيأتيهم الجواب عن اللّه عزّ و جلّ إنّ من علم ليس كمن لا يعلم.

و فيه عن محمّد بن سنان عن بعض أصحابه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا كان يوم القيامه نصب لفاطمه قبّه من نور و أقبل الحسين عليه السّلام رأسه على يده، فاذا رأته شهقت شهقه لا يبقى فى الجمع ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل و لا عبد مؤمن إلاّ بكى لها، فيمثل اللّه عزّ و جلّ رجلا لها فى أحسن صوره و هو يخاصم قتلته بلا رأس، فيجمع اللّه قتلته و المجهّزين عليه و من شرك فى قتله فيقتلهم حتّى اتى على آخرهم، ثمّ ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السّلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السّلام، ثمّ ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السّلام، ثمّ ينشرون فلا يبقى من ذرّيتنا أحد إلاّ فيقتلهم قتله، فعند ذلك يكشف اللّه الغيظ و ينسى الحزن، ثمّ قال أبو عبد اللّه عليه السّلام رحم اللّه شيعتنا، شيعتنا و اللّه هم المؤمنون فقد و اللّه شركونا فى المصيبه بطول الحزن و الحسره.

و فى البحار من مجالس الشيخ عن أبان بن عثمان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:

إذا كان يوم القيامه جمع اللّه الأوّلين و الاخرين فى صعيد واحد فينادى مناد:

غضّوا أبصاركم و نكسّوا رؤوسكم حتّى تجوز فاطمه بنت محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الصّراط.

قال: فتغضّ الخلايق أبصارهم فتأتى فاطمه سلام اللّه عليها على نجيب من نجب الجنّه يشيّعها سبعون ألف ملك، فتقف موقفا شريفا من مواقف القيامه، ثمّ تنزل من نجيبها فتأخذ قميص الحسين بن علىّ عليهما الصّلاه و السّلام بيدها مضمخا بدمه، و تقول: يا ربّ هذا قميص ولدى الحسين و قد علمت ما صنع به، فيأتيها النّداء من قبل اللّه عزّ و جلّ: يا فاطمه لك عندى الرّضا، فتقول: يا ربّ انتصر لى

۱- (۱) - المراد بحمله القرآن الذين ضيّعوه و حرقوه (منه) أقول تفسير حمله القرآن على الذين ضيوه و حرقوه عجيب بل الظاهر أن المراد: التقطى قتله الحسين و قتله حمله القرآن. المصحح.

عن قاتله، فيأمر اللّه تعالى عنقا من النار فتخرج من جهنّم، فتلتقط قتله الحسين بن علىّ صلوات اللّه و سلامه عليهما كما يلتقط الطّير الحبّ، ثمّ يعود العنق بهم إلى النّار، فيعذّبون فيها بأنواع العذاب.

ثمّ تركب فاطمه سلام اللّه عليها نجيبها حتّى تدخل الجنّه و معها الملائكه المشيّعون لها و ذرّيتها بين يديها و أولياؤهم من النّاس عن يمينها و شمالها.

أقول: و لقد أجاد من قال مضمنا لمضمون هذه الأخبار:

كأنّنى بالبتول الطّهر واقفه فى الحشر تشكو إلى الرّحمن باريها

تأتى و قد ضمخت ثوب الحسين دما فيض النحور البحارى ويل مجريها

تدعو ألا أين مسمومى و يا أسفا على ذبيحى و اسرى من ذراريها

تقول و احزنى بل آه وا حسنى هذا حسينى قتيل فى فيا فيها

هذا حسينى رضيض الجسم منجدلا تسفى على جسمه العارى سوا فيها

آه على جثث بالطف قد قطعت رؤوسها و هجير السّيف يصليها

آه على جثث فيها القنى لعبت و اركضت ماضيات فى تراقيها

يا فتيه ذبحت فى كربلا و ثوت على الوجوه عرايا فى صحاريها

بنتم فبان لكم سلوان فاطمه و لا عج الوجد بالوجدان يشجيها

ألا لعنه اللّه على القوم الظالمين، و سيعلم الذين ظلموا آل محمّد صلى اللّه عليه و عليهم حقّهم أىّ منقلب ينقلبون.

تكمله

قد أشرنا إلى أنّ هذا الكلام مروىّ فى عدّه من اصول معتمده على اختلاف و زياده أحببت روايه ما فيها على مجرى عادتنا فأقول:

روى ثقه الاسلام محمّد بن يعقوب الكلينى عن أحمد بن مهران و عن أحمد بن إدريس عن محمّد بن عبد الجبّار الشّيبانى قال: حدّثنى القاسم بن محمّد الرّازى قال:

حدّثنى علىّ بن محمّد الهرمزانى عن أبى عبد اللّه الحسين بن علىّ عليهما السّلام قال:

لمّا قبضت فاطمه سلام اللّه عليها دفنها أمير المؤمنين عليه السّلام سرّا و عفى على موضع

ص:۳۵

قبر ها ثمّ قام فحوّل وجهه إلى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:

السّلام عليك يا رسول اللّه عنّى و السلام عليك عن ابنتك و زائرتك و البائته فى الثّرى ببقعتك، و المختار اللّه لها سرعه اللّحاق بك، قلّ يا رسول اللّه عن صفيّتك صبرى، و عفى عن سيّده نساء العالمين تجلّدى، إلّا أنّ فى التّأسّى لى بسنّتك فى فرقتك موضع تعزّ فلقد وسّدتك فى ملحوده قبرك، و فاضت نفسك بين نحرى و صدرى، بلى و فى كتاب اللّه لى انعم القبول إنّا للّه و إنّا اليه راجعون، قد استرجعت الوديعه و اخذت الرّهينه، و اخلست «اختلست» الزّهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول اللّه أمّا حزنى فسرمد و أمّا ليلى فمسهّد، و همّ لا يبرح من قلبى أو يختار اللّه لى دارك الّتى أنت فيها مقيم، كمد مقيّح، و همّ مهيّج، سرعان ما فرق بيننا، و الى اللّه أشكو، و ستنبئك ابنتك بتظافر امّتك على هضمها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلا و ستقول و يحكم اللّه و هو خير الحاكمين سلام مودّع لا قال و لا سئم فان أنصرف فلا عن ملاله، و ان اقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصابرين واه واها و الصبر أيمن و أجمل، و لو لا غلبه المستولين لجعلت المقام و اللّبث لزاما معكوفا، و لأعولت إعوال الثكلى على جليل الرّزيه، فبعين اللّه تدفن ابنتك سرّا و تهضم حقّها و تمنع إرثها، و لم يتباعد العهد و لم يخلق منك الذكر، و إلى اللّه يا رسول اللّه المشتكى، و فيك يا رسول اللّه أحسن العزاء، صلّى اللّه عليك، و عليها السلام و الرّضوان.

بيان

«العفو» المحو و الانمحاء و «المختار اللّه» من إضافه الصفه إلى فاعلها و «سرعه اللّحاق» مفعوله أى التى اختار اللّه لها سرعه لحاقها بك.

قوله «و فى كتاب اللّه لى أنعم القبول» أى فيه ما يصير سببا لقبول المصائب أحسن القبول و أطيبه و «أخلسته» و اختلسته استلبته، و الخلسه ما يؤخذ سلبا و مكابره.

قوله «و كمد مقيّح» الكمد محرّكه و بالفتح الحزن الشّديد و مرض القلب

و المقيّح بتشديد الياء من القيح أى حزنى حزن شديد يورث فى القلب قيحا و «سرعان» اسم فعل مبنىّ على الفتح بمعنى سرع و قرب مع تعجّب أى ما أسرع ما فرق و «ما» كنايه عن الموت و «ستنبئك» من باب الافعال و التّفعيل من النبأ و هو الخبر و «الغليل» حراره الجوف و «اعتلجت» الأمواج التطمت.

و قوله «سلام مودّع» منصوب على المصدر محذوف العامل مطردا و قوله «واه واها» و فى بعض النّسخ واها واها يقال: واها لك و يترك تنوينه كلمه تعجّب من طيب شىء و كلمه ملهف و التكرير للتّأكيد كما قال الشّاعر:

واها لريّا ثمّ واها واها هى المنا لو أنّنا نلناها

و «معكوفا» أى محبوسا و «العويل» رفع الصّوت بالبكاء و الصّياح و قوله «فبعين اللّه» آه أى تدفن ابنتك سرّا بحفظ اللّه أو بحضوره و شهوده «و لم يخلق» من الخلق و هو البالى أى لم يبل و لم يندرس ذكرك و قوله «و فيك» أى فى اطاعه أمرك «أحسن العزاء» و فى البحار من المجالس و أمالى المفيد عن الصّدوق عن أبيه عن أحمد ابن إدريس عن محمّد بن عبد الجبّار عن القاسم بن محمّد الرّازى عن علىّ بن محمّد الهروى عن علىّ بن الحسين عن أبيه الحسين عليه السّلام قال:

لمّا مرضت فاطمه بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وصّت إلى علىّ بن أبى طالب أن يكتم أمرها و يخفى خبرها و لا يؤذن أحدا بمرضها، ففعل ذلك و كان يمرّضها بنفسه و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك كما وصّت به.

فلمّا حضرتها الوفاه وصّت أمير المؤمنين عليه السّلام أن يتولّى أمرها و يدفنها ليلا و يعفى قبرها. فتولّى ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام و دفنها و عفى موضع قبرها، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن فأرسل دموعه على خدّيه و حوّل وجهه إلى قبر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال:

السلام عليك يا رسول اللّه، السلام عليك من ابنتك و حبيبتك و قرّه عينك و زائرتك و البائته فى الثرى ببقيعك، المختار اللّه لها سرعه اللحاق بك، قلّ يا

رسول اللّه عن صفيّتک صبری، و ضعف عن سيده النساء تجلّدی، إلّا أنّ فی التأسّی لی بسنتک و الحزن الذی حلّ بی لفراقک موضع التعزّی، و لقد وسّدتک فی ملحود قبرک بعد أن فاضت نفسک علی صدری، و غمضتک بيدی، و تولّيت أمرک بنفسی نعم و فی کتاب اللّه أنعم القبول إنّا للّه و إنّا إليه راجعون، قد استرجعت الوديعه، و أخذت الرّهينه، و اختلست الزّهراء، فما أقبح الخضراء و الغبراء يا رسول اللّه أما حزنی فسرمد، و أما ليلی فمسهّد، لا يبرح الحزن من قلبی أو يختار اللّه لی دارک التی فيها أنت مقيم، کمد مقيّح، و حزن مهيّج، سرعان ما فرّق اللّه بيننا، و إلی اللّه أشکو، و ستنبئک ابنتک بتظاهر امتک علیّ و علی هضمها حقّها فاستخبرها الحال فکم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلی بثّه سبيلا، و ستقول و يحکم اللّه و هو خير الحاکمين، سلام عليک يا رسول اللّه سلام مودّع، لا سام و لا قال، فان أنصرف فلا عن ملاله و إن اقم فلا عن سوء ظنی بما وعد اللّه الصابرين، الصبر أيمن و أجمل و لو لا غلبه المستولين علينا لجعلت المقام عند قبرک لزاما، و التلبّث عنده معکوفا و لأعولت إعوال الثکلی علی جليل الرّزيه، فبعين اللّه تدفن بنتک سرّا، و يهتضم حقها قهرا و يمنع إرثها جهرا و لم يطل العهد و لم يخلق منک الذکر، فالی اللّه يا رسول اللّه المشتکی، و فيک أجمل العزاء فصلوات اللّه عليها و عليک و رحمه اللّه و برکاته.

و رواه فی کشف الغمه مثل ما رواه السيّد فی المتن إلی قوله: بما وعد اللّه الصابرين، ثمّ قال: و فی روايه اخری زياده علی قول علیّ عليه السّلام عند موتها:

أمّا حزنی فسرمد، و أمّا ليلی فمسهّد، و لا نبرح أو يختار اللّه لی دارک التی أنت فيها مقيم، سرعان ما فرّق بيننا، و إلی اللّه أشکو، و ستنبئک ابنتک بتظافر امتک علی هضمها حقّها، فأحفها السؤال، و استخبرها الحال، فکم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلی بثّه سبيلا، فستقول و يحکم اللّه و هو خير الحاکمين، و السلام عليکما سلام مودّع، لا قال و لا سئم، فان أنصرف فلا عن ملاله، و إن اقم فلا عن سوء ظنّ بما وعد اللّه الصابرين، فالصبر أيمن و أجمل، فبعين اللّه تدفن ابنتک صبرا، و تهتضم

حقّها، و تمنع إرثها، و لم يبعد العهد، فالى اللّه المشتكى يا رسول اللّه و فيك يا رسول اللّه أحسن العزاء صلوات اللّه عليك و عليها معك.

الترجمه

از جملهٔ کلام آن امام است که روایت کرده اند از او که گفته این کلام را در وقت دفن کردن حضرت سیّدهٔ زنان فاطمهٔ زهرا سلام اللّه علیها گویا مناجات می نمود با این کلام با حضرت رسالتماب صلوات اللّه علیه و آله و عرض می نمود:

السّلام علیک یا رسول اللّه سلام باد بر تو أی پیغمبر خدا أز طرف من و از طرف دخترت که نازل شد در همسایگی تو، و زود لاحق شد بتو، کم شد یا رسول اللّه از دختر پسندیدهٔ تو صبر من، و ضعیف شد از فراق او تحمّل و قوّت من، لکن مراست در پیروی نمودن جدائی بزرگ تو و مصیبت سنگین تو محلّ تسلی، پس بتحقیق خواباندم ترا در قبر لحد دار تو، و سیلان نمود میان گلو و سینه من روح تو.

و إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون، پس بتحقیق که باز یافت شد أمانت، و پس گرفته شد گرو - کنایه است از حضرت فاطمه که بمنزله أمانت و رهن بود در نزد شوهرش -.

أمّا حزن و اندوه من پس همیشگی است، و أمّا شب من پس بی خوابیست تا آنکه اختیار نماید خدای تعالی از برای من خانهٔ را که تو در آنجا اقامت کردهٔ و بزودی خبر می دهد ترا دختر تو باجتماع امّت ستمکار تو بر ظلم و ستم آن مظلومه پس درست سؤال کن از آن، و بپرس از آن حال من و او را.

بود این ظلم ظالمان در حالتی که عهد ایشان با تو طول نیافته بود، و ذکر خیر تو از زبان خلق نرفته بود، و سلام باد بر تو یا رسول اللّه و بر دختر تو، مانند سلام وداع کنندهٔ مهربان که صاحب خشم و ملال نباشد أز صحبت شما، پس اگر مراجعت نمایم از نزد شما نه از جهت ملالست، و اگر اقامت کنم در نزد قبر شمانه از جهت سوء ظنّ و بدگمانیست به آن چه که وعده فرموده است خداوند تبارک و تعالی در حق صبر کنندگان.

و من كلام له عليه السّلام و هو

اشاره

المأتان و الثانى من المختار

فى باب الخطب

و رواه فى الارشاد و فى البحار من أمالى الصّدوق بتفاوت يسير مع زياده حسبما تعرفه فى التكمله الاتيه إنشاء اللّه.

أيّها النّاس إنّما الدّنيا دار مجاز، و الاخره دار قرار، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم و أخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، و لغيرها خلقتم، إنّ المرء إذا هلك قال النّاس ما ترك، و قالت الملائكه ما قدّم، للّه آباءكم فقدّموا بعضا يكن لكم، و لا تخلّفوا كلّا فيكون عليكم.

اللغه

(المجاز) مصدر ميمىّ من جاز المكان يجوزه جوزا و جوازا إذا سار فيه و عبره و (القرار) اسم من قرّ الشىء قرّا من باب ضرب استقرّ بالمكان و (لا تخلّفوا كلّا) مضارع خلّف الرّجل الشىء بالتّشديد تركه بعده.

الاعراب

من فى قوله: من ممرّكم نشويه و قوله: للّه آباءكم، جمله اسميّه تستعمل فى مقام التعجّب و الاستعظام كقولهم: للّه أبوك و للّه درّك و تسمّى هذه اللاّم بلام التّعجب.

قال نجم الأئمّه: أمّا معنى قولهم: للّه درّك، فالدّر فى الأصل ما يدرّ أى ينزل من الضّرع من اللبن و من الغيم من المطر، و هو ههنا كنايه عن فعل الممدوح الصّادر عنه، و إنّما نسب فعله إليه تعالى قصدا للتّعجب، لأنّ اللّه منشىء العجائب، فكلّ شىء عظيم يريدون التعجّب منه ينسبون إليه تعالى و يضيفونه نحو قولهم: للّه أبوك و للّه أنت فمعنى للّه درّه ما أعجب فعله، و قد تقدّم مزيد تفصيل فيه فى شرح المختار المأه و التّاسع و السبعين

المعنى

اشاره

اعلم أنّ الغرض من هذا الكلام التّنفير من الدّنيا و الترغيب فى الاخره و الأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد و بالاستعداد للموت قبل حلول الفوت، و صدّر الكلام بحرف النّداء و التنبيه ايقاظا للمخاطبين من نوم الغفله فقال:

(أيّها النّاس إنّما الدّنيا دار مجاز و الاخره دار قرار) يعنى أنّ الاولى دار عبور و الاخرى دار استقرار، و الاتيان بكلمه إنّما المفيده للحصر تأكيدا للغرض المسوق له الكلام، و تنبيها على أنّ وجود الدّنيا نفس حدوثها و بقاءها عين زوالها، فلا صلاحيّه لها إلّا لأن تكون مجازا و معبرا بمنزله قنطره يتجاوز منها إلى المقرّ و المأوى، فمن نوى البقاء فيها و القرار فقد جهل و ضلّ و خبط خبطا عظيما و خسر خسرانا مبينا، و إذا كان شأنها ذلك:

(فخذوا من ممرّكم لمقرّكم) أى خذوا فى الدّنيا من الخيرات و الحسنات و الباقيات الصّالحات الّتى هى زاد الاخره، لتنالوا بها حسن الثواب فيها و تحصّلوا النّعمه الدّائمه.

(و لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم) أى لا تجاهروا بالمعصيه و العدوان عند من لا يخفى عليه شىء من السّرّ و الاعلان، بل يعلم ما أنتم مقترفون فى ليلكم و نهاركم، لطف به خبرا و أحاط به علما، أعضاؤكم شهوده، و الحفظه جنوده، و ضمائركم عيونه، و خلواتكم عيانه كما قال عزّ من قائل «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ وَ نَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ».

(و اخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن يخرج منها أبدانكم) و هو أمر بالزهد فى الدّنيا و الاعراض عنها و حذف محبّتها عن ساحه القلب و الاستعداد للموت قبل حلوله، لأنّ من كانت الدّنيا همّته و أشرب محبّتها قلبه اشتدّت عند مفارقتها حسرته.

روى فى البحار من الأمالى قال: قيل لأمير المؤمنين عليه السّلام ما الاستعداد للموت؟ قال: أداء الفرائض و اجتناب المحارم و الاشتمال على المكارم ثمّ لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، و اللّه ما يبالى ابن أبى طالب أوقع على الموت أم وقع الموت عليه.

و فيه من الخصال و معانى الأخبار بسنده عن عبد اللّه بن بكر المرادى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن علىّ بن الحسين عليهم السّلام قال: بينا أمير المؤمنين عليه السّلام ذات يوم جالس مع أصحابه يعبيهم للحرب إذ أتاه شيخ عليه شحّه السّفر فقال: أين أمير المؤمنين؟ فقيل: هو ذا، فسلّم ثمّ قال: يا أمير المؤمنين إنّى أتيتك من ناحيه الشّام و أنا شيخ كبير قد سمعت فيك من الفضل ما لا احصى، و أنّى أظنّك ستقتال فعلّمنى ممّا علّمك اللّه.

قال: نعم يا شيخ من اعتدل يوماه فهو مغبون، و من كانت الدّنيا همّته اشتدّت حسرته عند فراقها، و من كانت غده شرّ يوميه فهو محروم، و ساق الرّوايه إلى أن قال:

فقال: يا شيخ إنّ اللّه عزّ و جلّ خلق خلقا ضيّق الدّنيا عليهم نظرا لهم فزهدهم فيها و فى حطامها، فرغبوا فى دار السلام الذى دعاهم إليه و صبروا على ضيق المعيشه و صبروا على المكروه و اشتاقوا إلى ما عند اللّه من الكرامه، و بذلوا أنفسهم ابتغاء رضوان اللّه و كانت خاتمه أعمالهم الشّهاده، فلقوا اللّه و هو عنهم راض و علموا أنّ الموت سبيل من مضى و بقى فتزوّدوا لاخرتهم غير الذّهب و الفضّه و لبسوا الخشن و صبروا على القوت، و قدّموا الفضل و أحبّوا فى اللّه و أبغضوا فى اللّه عزّ و جلّ اولئك المصابيح و أهل النّعيم فى الاخره و السّلام.

(ففيها اختبرتم و لغيرها خلقتم) يعنى أنّه سبحانه خلقكم فى الدّنيا لا لأجل الدّنيا و البقاء فيها و الرّكون إليها، بل لأجل الاخره و تحصيل النّعمه الدّائمه، و إنّما خلقكم فى الدّنيا لمحض الابتلاء و الامتحان كما قال تعالى:

«وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنا تُرْجَعُونَ ».

و قد مضى تحقيق معنى الابتلاء فى شرح الخطبه الثّانيه و السّتين، و بيّنا هناك أنّ اللّازم على الانسان قصر همّته فى محصّلات السّعاده الاخرويه ليخلص من قالب الامتحان، و ليستحقّ القرار فى غرفات الجنان، و يدرك مرتبه الرّضوان الذى هو أعظم السّعادات و أشرف اللذات و أكبر البهجات.

(انّ المرء إذا هلك قال النّاس ما ترك و قالت الملائكه ما قدّم) و هو تأكيد لما سبق فانّه عليه السّلام لمّا أمر بالأخذ من الممرّ للمقرّ و بالزّهد فى الدّنيا و الاعراض عن قنياتها و زخارفها، و نبّه على أنّ الغرض الأصلى من الخلقه هو العباده و الطاعه و تحصيل السّعاده الاخرويه.

أكّده بأنّ المرء إذا مات قال أبناء الدّنيا من عشاير الميّت و الأقرباء و الاخوان و القرناء المصروف هممهم بها و المشغولين بها عن التّوجّه إلى الاخرى:

ما ترك، أى يسأل بعضهم بعضا عمّا خلّفه الميّت من متاع الدّنيا و ما تركه من الأولاد و الأموال.

و قالت الملائكه الّذين نظرهم إلى محصلات القرب و الزّلفى لديه تعالى فقط:

ما قدّم الميّت لنفسه و ادّخره ليوم فاقته و مقام حاجته، فينبغى على ذلك ترجيح مسئول الملائكه على مسئول النّاس، و تقديم محصّلات الزّلفى على قنيات الدّنيا قال الشّارح البحرانى: و فى لفظ ما ترك و ما قدّم لطف تنبيه على أنّ متاع الدّنيا مفارق متروك و الأعمال الصّالحه مقدّمه باقيه نافعه للمرء فى معاده، فينبغى أن تكون العنايه بها دون المفارق المتروك.

(للّه آبائكم) استعظمهم بنسبه آبائهم إلى اللّه حيث ولدوا مثل هؤلاء الأولاد و قوله:(فقدّموا بعضا يكن لكم و لا تخلّفوا كلّا فيكون عليكم)تفريع على

ما تقدّم، فانه لما صدّر الكلام بالأمر بالأخذ من الممرّ للمقرّ و أكّده بأنّ سؤال الملائكه و فحصهم عن المقدّم دون المؤخّر، رتب عليه هذه الجمله تنبيها على مقدار ما يؤخذ و يقدّم.

و لا- يخفى ما فى هاتين القرينتين من حسن المقابله، و هو مقابله الأربعه بالأربعه حيث جعل القرينه الأولى موجبه و الثانيه سالبه، ثمّ قابل بين التقديم و التخليف و بين البعض و الكلّ و بين لكم و عليكم.

و فى بعض النسخ فقدّموا بعضا يكن لكم قرضا، و لا تخلّفوا كلّا فيكون عليكم كلّا فتكون من مقابله الخمسه بالخمسه.

أى خذوا من ممرّكم لمقرّكم بعض أموالكم، و قدّموه و أنفقوه فى سبيل اللّه يكن لكم قرضا على اللّه تستحقّون بأخذ مثله من اللّه فى مقام الحاجه و موطن الفاقه بل يضاعفه لكم أضعافا مضاعفه كما قال تعالى «مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » «و قد مرّ معناه فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و الثمانين و قال أيضا: «وَ آتُوا الزَّكاهَ وَ أَقْرِضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً وَ ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً ».

و لا- تتركوا جميع أموالكم فيكون عليكم كلاّ- أى ثقيلا لا خير فيه أو وزرا و ثقلا أى يكون عبؤه لكم و مهناؤه لغيركم روى فى الوسائل عن الصدوق فى قول اللّه عزّ و جل «كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ » قال: هو الرجل يدع ماله لا ينفقه فى طاعه اللّه عزّ و جلّ بخلا- ثم يموت فيدعه لمن يعمل فيه بطاعه اللّه أو بمعصيه اللّه، فان عمل فيه بطاعه اللّه رآه فى ميزان غيره فرآه حسره و قد كان المال له، و ان كان عمل به فى معصيه اللّه قويه بذلك المال حتى عمل به فى معصيه اللّه عزّ و جلّ.

قال: و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ما محق الاسلام محق الشحّ شىء، ثمّ قال:

إنّ لهذا الشحّ دبيبا كدبيب النمل و شعبا كشعب الشرك.

و فى الكافى باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: ليس يتبع

الرجل بعد موته من الأجر إلّا ثلاث خصال: صدقه أجراها فی حیاته فهی تجری بعد موته، و سنه هدی سنّها فهی یعمل بها بعد موته، و ولد صالح یدعو له.

و فیه عن أبی کهمس عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سته یلحق المؤمن بعد وفاته:

ولد یستغفر له، و مصحف یخلفه، و غرس یغرسه، و قلیب یحفره، و صدقه یجریها، و سنّه یؤخذ من بعده.

ثمّ إنّ قوله علیه السّلام: فقدّموا بعضا آه یدلّ بمنطوقه علی مطلوبیّه تقدیم البعض و بمفهومه علی عدم مطلوبیه تقدیم الکلّ کما أنّ قوله: و لا تخلّفوا کلاّ آه یدلّ بمنطوقه علی مبغوضیّه تخلیف الکلّ و بمفهومه علی عدم مبغوضیّه تخلیف البعض، فیکون محصّل مفاد القضیتین تقدیم البعض و تخلیف البعض و علی ذلک:

فان ارید بالأمر أعنی قوله: قدّموا معناه الحقیقی الذی هو الوجوب، فالمراد بالبعض الذی یجب تقدیمه هو الحقوق الماليه الواجبه من الخمس و الزکاه و مصارف الحجّ و نفقه من یجب نفقته علیه و نحوها.

و إن ارید به الأعمّ من معنی الحقیقی أی الرّجحان المطلق فیعمّ البعض حینئذ للحقوق الواجبه و المندوبه من وجوه البرّ و صنایع المعروف و الحقّ المعلوم للسّائل و المحروم و نحوها، و هذا هو الأظهر.

فینبغی علی الانسان أن یقدّم البعض لنفسه و یخلّف البعض لوارثه و لا یجوز أن یخلّف الکلّ فیحرم و لا أن یقدّم الکلّ فیحرم الوارث و یظلم.

و یدلّ علی ذلک ما رواه فی الکافی مرسلا قال: و قد روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لرجل من الانصار اعتق ممالک له لم یکن له غیرهم فعابه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:

ترک صبیه صغارا یتکفّفون النّاس، و رواه فی الوسایل عن الصدوق باسناده عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبیه علیهما السّلام.

و یدلّ علیه أیضا الأخبار الداله علی عدم جواز الجور فی الوصیّه و الحیف فیها بتجاوز الثلث و وجوب ردّها إلی العدل و المعروف.

مثل ما رواه فی الوسائل عن الشیخ باسناده عن علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی نجران عن عاصم بن حمید عن محمّد بن قیس عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قضی أمیر المؤمنین علیه السّلام فی رجل توفّی و أوصی بماله کلّه أو أکثره فقال: إنّ الوصیّه تردّ إلی المعروف و یترک لأهل المیراث میراثهم.

و فی الوسائل عن الشیخ باسناده عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبیه علیهما السّلام قال: من عدل فی وصیّته کان کمن تصدّق بها فی حیاته و من جار فی وصیّته لقی اللّه عزّ و جلّ یوم القیامه و هو عنه معرض.

و فیه عن الشّیخ باسناده عن علیّ بن یقطین قال: سألت أبا الحسن علیه السّلام ما للرّجل من ماله عند موته؟ قال: الثلث و الثلث کثیر.

و فیه من مجمع البیان قال: جاء فی الحدیث إنّ الضرار فی الوصیّه من الکبایر و فیه عن الصدوق باسناده عن السّکونی عن جعفر بن محمّد عن أبیه عن آبائه علیهم السّلام قال: قال علیّ علیه السّلام: الوصیّه بالخمس لأنّ اللّه عزّ و جلّ قد رضی لنفسه بالخمس و قال: الخمس اقتصاد، و الرّبع جهد، و الثلث حیف.

و فیه من قرب الاسناد عن هارون بن مسلم عن مسعده بن صدقه عن أبی جعفر عن أبیه عن علیّ علیهم السّلام قال: لئن اوصی بالخمس أحبّ إلیّ من أن اوصی بالرّبع و لئن اوصی بالرّبع أحبّ إلیّ من أن اوصی بالثّلث، و من اوصی بالثلث فلم یترک شیئا.

و رواه فی الکافی باسناده عن محمّد بن قیس عن أبی جعفر علیه السّلام قال: کان أمیر المؤمنین علیه السّلام یقول: لئن اوصی بخمس مالی أحبّ إلیّ من أن اوصی بالرّبع و لئن اوصی بالرّبع أحبّ إلیّ من أن اوصی بالثلث، و من اوصی بالثلث فلم یترک و قد بالغ الغایه إلی أن قال: و یترک لأهل المیراث میراثهم، و قال: من اوصی بثلث ماله فلم یترک و قد بلغ المدی، ثمّ قال: لئن اوصی بخمس مالی أحبّ إلیّ من أن اوصی بالرّبع و الأخبار فی هذا المعنی کثیره و لا حاجه إلی الاطاله، و لنختم بما هو أحری بأن یختم به المقام.

و هو ما رواه فی الوسائل عن الصّدوق باسناده عن جابر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام

قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من ختم له بلا إله إلاّ اللّه دخل الجنّه، و من ختم له بصيام يوم دخل الجنّه، و من ختم له بصدقه يريد بها وجه اللّه دخل الجنّه.

و من اللّه أسأل أن يجعل خاتمه امورنا خيرا بجاه محمّد و آله و سلّم الأبرار، سلام اللّه عليهم ما تعاقب اللّيل و النّهار.

تكمله

روى فى البحار من الأمالى للصّدوق قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى بعض خطبه:

أيّها النّاس إنّ الدّنيا دار فناء، و الاخره دار بقاء، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم، و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، و اخرجوا من الدّنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففى الدّنيا حييتم، و للاخره خلقتم، إنّما الدّنيا كالسّم يأكله من لا يعرفه، إنّ العبد إذا مات قالت الملائكه ما قدّم، و قال النّاس ما أخّر، فقدّموا فضلا لكم يكن لكم، و لا تؤخّروا كلّا يكن عليكم فانّ المحروم من حرم خير ماله، و المغبوط من ثقل بالصّدقات و الخيرات موازينه، و أحسن فى الجنّه بها مهاده، و طيب على الصّراط بها مسلكه و فى الارشاد من كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى الحكمه و الموعظه:

خذوا رحمكم اللّه من ممرّكم لمقرّكم، و لا تهتكوا أستاركم عند من لا يخفى عليه أسراركم، و اخرجوا من الدّنيا قلوبكم قبل أن يخرج منها أبدانكم فللاخره خلقتم، و فى الدّنيا حبستم إنّ المرء إذا هلك قالت الملائكه ما قدّم، و قال النّاس ما خلّف، فللّه آباؤكم قدّموا بعضا يكن لكم، و لا تخلّفوا كلّا فيكون عليكم، فانّما مثل الدّنيا مثل السّمّ يأكله من لا يعرفه.

الترجمه

از جملهٔ كلام حكمت نظام آن امام است در تنفير از دنياى فانى مى فرمايد:

أی مردمان بدرستی که دنیا خانهٔ تجاوز و عبور است و آخرت خانهٔ برقراری پس أخذ نمائید از گذرگاه خودتان برای قرارگاه خودتان، و بر ندرید پردهای خودتان را در نزد خداوندی که می داند سرّهای شما را، و بیرون کنید از دنیا قلبهای خود پیش از این که خارج شود از آن بدنهای شما، پس در دنیا امتحان شده اید، و از برای غیر دنیا یعنی آخرت خلق شده اید، بدرستی که مرد هر گاه هلاک شود و بمیرد گویند مردمان که ترکهٔ آن مرده چه بوده است، و گویند ملائکه که او از برای خود چه پیش فرستاده است، از برای خداست پدران شما یعنی خدا رحمت کند پدران شما را، پس پیش بفرستید بعض مال خود را تا آنکه دریابید منفعت آنرا، و باقی نگذارید همه را پس برسد بشما ضرر آن.

و من کلام له علیه السّلام کان کثیرا ما ینادی به

اشاره

أصحابه و هو المأتان و الثالث من

المختار فی باب الخطب

و هو مرویّ فی البحار من أمالی الصّدوق باختلاف کثیر تطلع علیه تجهّزوا رحمکم اللّه فقد نودی فیکم بالرّحیل، و أقلّوا العرجه علی الدّنیا، و انقلبوا بصالح ما بحضرتکم من الزّاد، فإنّ أمامکم عقبه کئودا، و منازل مخوفه مهوله، لا بدّ من الورود علیها، و الوقوف عندها، و اعلموا أنّ ملاحظ المنیّه نحوکم دائبه، و کأنّکم بمخالبها و قد نشبت فیکم، و قد دهمتکم منها مفظعات الأمور، و معضلات المحذور، فقطّعوا علایق الدّنیا، و استظهروا بزاد التّقوی

قال السّيّد «ره»: و قد مضى شيء من هذا الكلام فيما تقدّم بخلاف هذه الرّوايه أقول: الأشبه أن يكون مراده به ما تقدّم فى الخطبه الرّابعه و الثّمانين.

اللغه

(جهاز) المسافر ما يحتاج إليه فى قطع المسافه و هو بالفتح و به قرء السّبعه فى قوله تعالى «فَلَمّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ » و الكسر لغه قليله، و جهاز العروس و الميّت باللغتين أيضا ما يحتاجان إليه و جهّزته تجهيزا هيّأت جهازه فتجهّزو (العرجه) بالضمّ الاقامه من عرّج تعريجا و تعرّج تعرّجا أى أقام و حبس المطيّه على المنزل و (عقبه كئود) ككفور و كأداء أى صعبه شاقّه من تكأدّنى الأمر شقّ علىّ و (هاله) الأمر هولا- أفزعه، و الهول المخافه و الجمع أهوال و هول هائل و مهول كمصون تاكيد و (الملاحظ) جمع الملحظ مصدر ميمىّ بمعنى اللحظ يقال لحظه و إليه لحظا من باب منع و لحظانا بالتّحريك نظر بمؤخّر عينيه قال الشّاعر:

و أسرار الملاحظ أين تخفى و قد يقرأ بذى اللّحظ الظّنون

قال الفيروزآبادى: اللّحظ أشدّ التفاتا من الشّزر و (دئب) فى الأمر دئبا جدّ و تعب، و فى بعض النسخ دانيه بدل دائبه من الدنوّ بمعنى القرب و (المخلب) من السّباع كالظّفر من غيرها و (نشب) نشبا من باب تعب علق و (المعضلات) الشّدايد من أعضل به الأمر اشتدّ.

و فى نسخه الشارح المعتزلى مضلعات المحذور و فسّرها بالخطوب التى تضلع أى تجعل الانسان ضلعا أى معوجا.

أقول: لعلّه أخذه من ضلع السيف ضلعا من باب فرح اعوجّ، و لا قيمنّ ضلعك بالتحريك و بالسكون أيضا و هو الاعوجاج خلقه و لكن الأظهر أن يكون مأخوذا من أضلعه الدّين أثقله حتى يميل صاحبه عن الاستواء و حمل مضلع وزان محسن أى ثقيل و ان كان مرجعه أيضا إلى الأول.

و روى مظلعات المحذور بالظاء المشاله، قال الشارح المعتزلى: أراد الامور التى تجعل الانسان ظالعا أى يغمر فى مشيه لثقلها عليه و الماضى ظلع بالفتح يظلع

ظلعا فهو ظالع، و فی القاموس ظلع البعیر کمنع غمز فی مشیه، و الظالع المائل و الظلاع کغراب داء فی قوائم الدابه لا من سیر و لا تعب

الاعراب

قول السید: کثیرا ما ینادی، کثیرا منصوب علی الظرفیه المجازیه مفعول لقوله ینادی قدّم علیه لتضمّنه معنی الظرف أی ینادی حینا کثیرا أی فی کثیر من الأوقات، و نحوکم منصوب بنزع الخافض متعلّق بقوله دائبه،و قوله:و کأنکم بمخالبها،کأنّ للتشبیه و الظرف متعلق بفعل محذوف بقرینه المقام أی کأنکم تبصرون بمخالبها علی حدّ قوله تعالی «فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ » و الجمله خبر کأنّ و جمله و قد نشبت فی محلّ النّصب حال من مخالبها لکونه مفعولا بالواسطه و قوله و قد دهمتکم جمله مستأنفه، و الفاء فی قوله: فقطعوا فصیحه.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الکلام حسبما أشار إلیه السیّد کان علیه السّلام کثیرا ما ینادی به أصحابه بعد صلاه العشاء الاخره کما صرح به فی روایه الامالی الاتیه ایقاظا لهم عن نوم الغفله و إزعاجا من الاغترار بالدّنیا ینادیهم بحیث یسمع من فی المسجد.

(تجهّزوا رحمکم اللّه) أی خذوا جهاز الموت و هیئوا ما تحتاجون إلیه فی طیّ منازل الاخره و الوصول إلی حضرت ربّ العزّه.

(فقد نودی فیکم بالرّحیل) أی بالارتحال و المسافره إلی العقبی، و المراد بالمنادی إما توارد الالام و الأسقام و تراکم الأسباب المعدّه للمزاج للفساد، أو الملک المأمور من اللّه تبارک و تعالی بالنداء یقول: لدوا للموت و ابنوا للخراب أو طروّ المشیب و الهرم کما قال علیه السّلام فی الدّیوان المنسوب إلیه:

الشیب عنوان المنیّه و هو تاریخ الکبر

و بیاض شعرک موت شعرک ثم أنت علی الاثر

و إذا رأیت الشیب عمّ الرأس فالحذر الحذر

و یحتمل أن یکون المراد بالرّحیل الازعاج من الدّنیا و التوجّه إلی الاخره

و السفر إلى اللّه بالرّياضيات الكامله، فالمراد بالنداء حينئذ ما نطق به الكتاب العزيز و جرى على ألسنه الأنبياء و الرّسل و الأئمه من الأوامر الوارده بالزّهد كما قال عليه السّلام موتوا قبل أن تموتوا، أو أنّ المراد به اخبارهم بأنهم يرتحلون و لا يبقون كما قال تعالى «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » و «أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ » و نحو ذلك، و قد مرّ نظير هذه الفقره فى الخطبه الثالثه و الستّين و هو قوله: ترحّلوا فقد جدّ بكم، فليراجع ثمّه.

(و أقلّوا العرجه على الدّنيا) أى الاقامه عليها و حبّ البقاء فيها، و المراد به الأمر بقصر الأمل و عدم تطويله، لأنّ طول الأمل ينسى الاخره.

كما قال عليه السّلام فى المختار الثانى و الأربعين: إنّ أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتّباع الهوى و طول الأمل، فأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحقّ، و أما طول الأمل فينسى الاخره، و مضى فى شرحه مطالب نافعه و أخبار نفيسه.

و قال عليه السّلام فى المختار الثامن و العشرين: ألا و إنكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزاد، و إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتّباع الهوى و طول الأمل، و مضى فى شرحه أيضا مطالب و أخبار شريفه و روينا هناك عن أبى يعفور قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: من تعلّق قلبه بالدّنيا تعلّق بثلاث خصال: همّ لا يفنى، و أمل لا يدرك، و رجاء لا تنال.

و محصّل المراد من إقلال الاقامه على الدّنيا الزّهد فيها و القناعه على القدر الضرورى من العيش و ارتقاب الموت و لنعم ما قال عليه السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه

إنما الدّنيا فناء ليس للدّنيا ثبوتإنما الدّنيا كبيت نسجته العنكبوت

و لقد يكفيك منها أيها الطالب قوتو لعمرى عن قليل كلّ من فيها يموت

و قال أيضا:

أ لم تر أنّ الدّهر يوم و ليله يكرّان من سبت جديد إلى سبت

فقل لجديد الثوب لابدّ من بلى و قل لاجتماع الشمل لا بدّ من شتّ

و قال أيضا:

بيت و يوم و قوت يوم يكفى لمن فى غد يموت

و ربما مات نصف يوم و النصف من قوته يفوت

و فيه أيضا

بيت يوارى الفتى و ثوبيستر من عوره و قوت

هذا بلاغ لمن تحسيو ذا كثير لمن يموت

(و انقلبوا بصالح ما بحضرتكم من الزاد) أى انصرفوا إلى وطنكم الأصلى الّذى منه خرجتم و هو الدّار الاخره و الجنّه و ذلك باعتبار كونهم ذرّا فى صلب أبيهم آدم منه خرج و إليه عاد أو المراد انصرافهم إلى الحقّ الأوّل عزّ و جلّ فانّه تعالى منه البداء و إليه الانتهاء، و هو غايه مراد المريدين، و منتهى سير السّايرين، و مرجع الرّاجعين كما قال تعالى «ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهادَهِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » و قال «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ».

و على أىّ تقدير فلا يخفى ما فى التعبير بلفظ الانقلاب من حسن التّقرير و بديع الصّناعه، و محصّل المراد الأمر بتحصيل صالح الزاد ليوم المعاد و أراد به التقوى كما قال عزّ و علا «وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى ».

و علّل شدّه الحاجه إلى أخذ الزاد بقوله (فانّ أمامكم عقبه كئودا) أى صعبه شاقّه المصاعد.

(و منازل مخوفه مهوله لابدّ من الورود عليها و الوقوف عندها) أشار بها إلى شدايد الموت و مشاق البرزخ و منازل الاخره و مواقف القيامه و أهاويلها و أخاويفها و أفزاعها «يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَهٍ عَمّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وَ تَرَى النّاسَ سُكارى وَ ما هُمْ بِسُكارى وَ لكِنَّ عَذابَ اللّهِ شَدِيدٌ ».

روى فى البحار من أمالى المفيد عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد اللّه جعفر ابن محمّد عليهما السّلام: ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا فانّ فى القيامه خمسين موقفا كلّ موقف كألف سنه ممّا تعدّون ثمّ تلا هذه الايه «فِى يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَهٍ ».

و من تفسير علىّ بن إبراهيم فى هذه الايه قال عليه السّلام: إنّ فى القيامه خمسين

موقفا لكلّ موقف ألف سنه.

و قال الصّدوق فی عقایده، اعتقادنا فی العقبات التی علی طریق المحشر أنّ کلّ عقبه منها اسم فرض و أمر و نهی، فمتی انتهی الانسان إلی عقبه اسمها فرض و کان قد قصر فی ذلک الفرض حبس عندها و طولب بحقّ اللّه فیها.

فان خرج منه بعمل صالح قدّمه أو برحمه تدارکه نجی منها إلی عقبه اخری فلا یزال من عقبه إلی عقبه و یحبس عند کلّ عقبه فیسأل عمّا قصر فیه من معنی اسمها فان سلم من جمیعها انتهی إلی دار البقاء فیحیی حیاه لا موت فیها أبدا و سعد سعاده لا شقاوه معها أبدا و سکن فی جوار اللّه مع أنبیائه و حججه و الصّدیقین و الشهداء و الصالحین من عباده.

و إن حبس علی عقبه فطولب بحقّ قصّر فیه و لم ینجه عمل صالح قدّمه و لا أدرکته من اللّه عزّ و جلّ رحمه زلّت به قدمه عن العقبه فهوی فی جهنّم، نعوذ باللّه منها.

و هذه العقبات کلّها علی الصّراط اسم عقبه منها الولایه یوقف جمیع الخلایق عندها فیسألون عن ولایه أمیر المؤمنین علیه السّلام و الأئمه من بعده فمن أتی بها نجا و جاز و من لم یأت بها بقی فهوی و ذلک قول اللّه عزّ و جلّ «وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ ».

و أهمّ عقبه منها المرصاد و هو قول اللّه عزّ و جلّ «إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصادِ » و یقول اللّه عزّ و جلّ: و عزّتی و جلالی لا یجوزنی ظلم ظالم، و اسم عقبه منها الرّحم، و اسم عقبه منها الأمانه، و اسم عقبه منها الصّلاه و باسم کلّ فرض و أمر و نهی عقبه و یحبس عندها العبد فیسأل.

و قال الشّیخ المفید فی شرحه: العقبات عباره عن الأعمال الواجبه و المسائله عنها و المواقفه علیها، و لیس المراد بها جبال فی الأرض یقطع، و إنّما هی الأعمال شبّهت بالعقبات، و جعل الوصف لما یلحق الانسان فی تخلّصه من تقصیره فی طاعه اللّه تعالی، کالعقبه الّتی یجهده صعودها و قطعها قال اللّه تعالی «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَهَ »

. «وَ ما أَدْراکَ مَا الْعَقَبَهُ فَکّ رَقَبَهٍ » فسمّی اللّه سبحانه الأعمال التی کلّفها العبد عقبات تشبیها بالعقبات و الجبال لما یلحق الانسان فی أدائها من المشاق کما یلحقه فی صعود العقبات و قطعها.

و قال أمیر المؤمنین علیه السّلام انّ أمامکم عقبه کئودا و منازل مهوله لا بدّ من الممرّ بها و الوقوف علیها، فاما برحمه اللّه نجوتم و إما بهلکه لیس بعدها انجبار.

أراد علیه السّلام بالعقبه تخلص الانسان من العقبات التی علیه، و لیس کما ظنّه الحشویه من أنّ فی الاخره جبالا و عقبات یحتاج الانسان إلی قطعها ماشیا و راکبا و ذلک لا معنی له فیما توجبه الحکمه من الجزاء و لا وجه لخلق عقبات تسمّی بالصلاه و الزکاه و الصیام و الحجّ و غیرها من الفرائض یلزم الانسان أن یصعدها فان کان مقصّرا فی طاعه اللّه حال ذلک بینه و بین صعودها.

إذ کان الغرض فی القیامه المواقفه علی الأعمال و الجزاء علیها بالثواب و العقاب و ذلک غیر مفتقر إلی تسمیته عقبات و خلق جبال و تکلیف قطع ذلک و تصعیبه و تسهیله مع أنه لم یرد خبر صحیح بذلک علی التفصیل فیعتمد علیه و تخرج له الوجوه، و إذا لم یثبت بذلک خبر کان الأمر فیه ما ذکرناه، انتهی کلامه رفع مقامه.

و اعترض علیه المحدّث العلامه المجلسیّ فی البحار بعد نقله له بقوله: إن تأویل ظواهر الاخبار بمحض الاستبعاد بعید عن الرّشاد، و للّه الخیره فی معاقبه العاصین من عباده بأیّ وجه أراد، و قد مضی الأخبار فی ذلک و سیأتی بعضها و اللّه الموفّق للخیر و السّداد، هذا.

و لمّا حذّر من عقبات الاخره و مواقفها المهوله المقتضیه لأخذ الزّاد لها، عقّبه بالاشاره إلی قرب الموت المعقّب لهذه الأهاویل و العقبات و کونه بالرّصد و التّرقّب و الاخترام تنبیها به علی وجوب المبادره بأخذ الزّاد لقرب الحاجه إلیه و علی عدم التّوانی و التّسویف فیه بتوهّم بعد زمان الاحتیاج فقال:

(و اعلموا أنّ ملاحظ المنیّه نحوکم دائبه) أی مجدّه یعنی أنّها تنظر الیکم باللّحظ و الشّرز أی بمؤخّر عینها نظر الغضبان مجدّه فیه قصدا لاخترامکم.

(و كأنّكم بمخالبها و قد نشبت فيكم) شبّهها بالسّبع الفتاك الضّارى على طريق الاستعاره المكنيّه و أثبت لها المخالب و النّشوب تخييلا و ترشيحا، يريد قرب أخذها لهم و انتشاب مخالبها فيهم و الى هذا ينظر قوله عليه السّلام فى الدّيوان المنسوب إليه:

يا مؤثر الدّنيا على دينه و التائه الحيران عن قصده

أصبحت ترجو الخلد فيها و قد أبرز ناب الموت عن حدّه

هيهات إنّ الموت ذو أسهم من يرمه يوما بها يرده

(و قدد همتكم منها مفظعات الامور) أى غشيتكم من المنيّه الامور الشّنيعه البالغه فى الشّناعه الغايه (و معضلات المحذور) أى الافزاع و الدّواهى الشّديده الّتى تحذر منها و تحترز، و على روايه مضلعات المحذور فالمراد المحاذير الّتى توجب انحناء ظهر الانسان لثقلها و شدّتها من سكره ملهثه و غمره كارثه و جذبه متعبه و سوقه مكربه و نحوها من أفزاع الموت.

(فقطّعوا علايق الدّنيا) و أميطوا محبّتها عن قلوبكم (و استظهروا ب) خير الزّاد (زاد التقوى) لتقووا به إلى قطع منازل الاخره و الوصول إلى حضرت الرّب الأعلى.

نسأل اللّه سبحانه أن يجعلنا من المستظهرين به، و الواصلين إلى مقام القرب و الزّلفى لديه بمحمّد و آله سلام اللّه عليه و عليهم.

تكمله

روى فى البحار من الأمالى عن أبيه عن سعد عن ابن هاشم عن ابن أبى نجران عن ابن حميد عن محمّد بن قيس عن أبى جعفر قال: كان أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفه إذا صلّى العشاء الاخره ينادى النّاس ثلاث مرّات حتّى يسمع أهل المسجد:

أيّها الناس تجهّزوا رحمكم اللّه فقد نودى فيكم بالرّحيل فما التّعرّج على الدّنيا بعد النّداء فيها بالرّحيل، تجهّزوا رحمكم اللّه و انتقلوا بأفضل ما بحضرتكم من الزّاد و هو التقوى، و اعلموا أنّ طريقكم إلى المعاد، و ممرّكم على الصراط

و الهول الأعظم أمامكم على طريقكم عقبه كئوده، و منازل مهوله مخوفه، لا بدّ لكم من الممرّ عليها، و الوقوف بها فإمّا برحمه من اللّه فنجاه من هولها و عظم خطرها و فظاعه منظرها و شدّه مختبرها، و إمّا بهلكه ليس بعدها انجبار.

الترجمه

از جمله كلام بلاغت نظام آن امام است كه اكثر أوقات ندا ميكرد بان اصحاب خود را می فرمود:

ضروريات سفر آخرت را مهيا نمائيد خدا رحمت كند بشما، پس بتحقيق ندا كرده شد در ميان شما به كوچ كردن، و كم نمائيد اقامت در دنيا را، و رجوع نمائيد بسوی آخرت با بهترين چيزی كه نزد شماست از توشۀ آخرت، پس بدرستی كه پيش شماست عقبۀ سخت و منزلهای خوفناك و خطرناك لابد هستيد از آمدن آن منزلها و از توقف نمودن در نزد آنها، و بدانيد كه نظرهای تند و غضبناك مرگ بسوی شما متوجه است، و گويا می بينيد كه چنگال های آن سبع قتال بشما بند شده، و بتحقيق كه احاطه كرده شما را از آن مرگ امورات قبيحۀ بی نهايت، و محذورات شديده بغايت شدت، پس ببرّيد علايق دنيا را، و طلب اعانت نمائيد با توشۀ تقوی و پرهيزكاری.

و من كلام له عليه السّلام و هو المأتان

اشاره

و الرابع من المختار فی باب الخطب

و رواه الشارح المعتزلی فی شرح المختار الحادی و التّسعين من كتاب نقض كتاب العثمانيه لأبی جعفر الاسكافی باختلاف كثير تعرفه إن شاء اللّه.

قال السيد: كلّم به طلحه و الزّبير بعد بيعته بالخلافه و قد عتبا عليه من ترك مشورتهما و الاستعانه فی الامور بهما.

لقد نقمتما يسيرا، و أرجأتما كثيرا، أ لا تخبرانی أیّ شیء لكما

فیه حقّ دفعتکما عنه، و أیّ قسم استأثرت علیکما به، أم أیّ حقّ رفعه إلیّ أحد من المسلمین ضعفت عنه، أمّ جهلته أم أخطأت بابه، و اللّه ما کانت لی فی الخلافه رغبه، و لا فی الولایه إربه، و لکنّکم دعوتمونی إلیها، و حملتمونی علیها، فلمّا أفضت إلیّ نظرت إلی کتاب اللّه و ما وضع لنا و أمرنا بالحکم به فاتّبعته، و ما استنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فاقتدیته، فلم أحتج فی ذلک إلی رأیکما، و لا رأی غیرکما، و لا وقع حکم جهلته فأستشیرکما و إخوانی من المسلمین، و لو کان ذلک لم أرغب عنکما و لا عن غیرکما. و أمّا ما ذکرتما من أمر الاسوه فإنّ ذلک أمر لم أحکم أنا فیه برأیی، و لا ولّیته هوی منّی، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد فرغ منه، فلم أحتج إلیکما فیما قد فرغ اللّه من قسمه، و أمضی فیه حکمه، فلیس لکما و اللّه عندی و لا لغیرکما فی هذا عتبی، أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبکم إلی الحقّ، و ألهمنا و إیّاکم الصّبر. ثمّ قال علیه السّلام: رحم اللّه رجلا رأی حقّا فأعان علیه، أو رأی جورا فردّه، و کان عونا بالحقّ علی صاحبه.

اللغه

(نقمت) علیه أمره و نقمت منه نقما من باب ضرب و نقمت أنقم من باب

تعب لغه إذا عبته و كرهته أشدّ الكراهه بسوء فعله و اللغه الأولى هى الفصيحه و بهما قرء قوله تعالى «وَ ما تَنْقِمُ مِنّا » أى و ما تطعن فينا و تقدح، و قيل: ليس لنا عندك ذنب و لا ركبنا مكروها و (أرجأته) بالهمزه أخّرته (و قسمته) قسما من باب ضرب فرزته أجزاء فانقسم و القسم بالكسر اسم منه، ثمّ اطلق على الحصّه و النّصيب فيقال: هذا قسمى و الجمع أقسام مثل حمل و أحمال.

و (استأثر) بالشىء استبدّ به أى انفرد به من غير مشارك له فيه و (حمله) على الأمر يحمله فانحمل أغراه به و (الاسوه) بالضمّ و الكسر القدوه (و لا وليّته هوى منّى) فى أكثر النسخ بتشديد اللاّم يقال ولّيته توليه أى جعلته واليا، و فى بعضها بالتّخفيف و هو الأظهر من وليه إذا قام به و منه وليّ الصغير أى القائم بأمره و (عتب) عليه عتبا من باب ضرب و قتل لامه فى تسخّط، و أعتبنى الهمزه للسلب أى أزال الشكوى و العتاب، و العتبى وزان فعلى اسم من الاعتاب.

الاعراب

قوله: بعد بيعته بالخلافه من إضافه المصدر إلى المفعول، و يسيرا و كثيرا منصوبان على المفعول به، و قوله: ألا تخبرانى أىّ شىء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه أىّ اسم استفهام مرفوع على الابتداء و جمله دفعتكما عنه خبره، و جمله لكما فيه حقّ صفه لشىء، و لكما ظرف لغو متعلّق بحقّ، و فيه ظرف مستقرّ متعلّق بمقدّر خبر مقدّم، و حقّ مبتدأ و يحتمل أن يجعل الأوّل ظرف مستقرّ و الثانى ظرف لغو، و جمله أىّ شىء اه منصوبه المحلّ مفعول لتخبرانى اه.

و قوله: أم أىّ قسم فى بعض النسخ أو بدل أم و كذلك فى قوله أم جهلته و قوله: و لاوليّته هوى منّى، على روايه وليّته بالتشديد يكون هوى مفعولا به أى لم أجعل هواى واليا فى هذا الأمر. و على روايه التخفيف فهو مفعول له أى ما قمت به لأجل هوى نفسى، و جمله قد فرغ منه بالبناء على الفاعل حال من رسول اللّه، و فى بعض النسخ بالبناء على المفعول فتكون حالا من ما جاء به، و الفاء فى قوله:

فليس فصيحه، و جمله رحم اللّه رجلا اه، دعائيّه لا محلّ لها من الاعراب.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه الرّضىّ رضى اللّه عنه:(كلّم به طلحه و الزّبير بعد بيعتهما له بالخلافه و قد عتبا من ترك مشورتهما و الاستعانه فى الامور بهما) و من ترك تفضيلهما فى العطاء على غيرهما.

قال الشّارح المعتزلى إنّهما قالا: ما نراه يستشيرنا فى أمر و لا يفاوضنا فى رأى و يقطع الأمر دوننا و كانا يرجوان غير ذلك، و أراد طلحه أن يوليه البصره و أراد الزّبير أن يوليه الكوفه.

فلمّا شاهدا صلابته فى الدّين و قوّته فى العزم، و هجره الادهان و المراقبه و رفضه المدالسه و المواريه، و سلوكه فى جميع مسالكه منهج الكتاب و السّنّه، و قد كانا يعلمان ذلك قديما من طبعه و سجيّته، و كان عمر قال لهما و لغيرهما: إنّ الأجلح أى الأنزع إن وليها ليحملنّكم على المحجّه البيضاء و الصراط المستقيم، و كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال من قبل: و إن تولّوها عليّا تجدوه هاديا مهدّيا، إلاّ انّه ليس الخبر كالعيان، و لا القول كالفعل، و لا الوعد كالانجاز حالا(۱) عنه و تنكّرا له، و وقعا فيه، و عاباه تطلّبا له العلل و التأويلات، و تنقما عليه الاستبداد و ترك المشاوره، و انتقلا من ذلك إلى الوقيعه فيه بمساوات الناس فى قسمه الأموال، و أثنيا على عمر و حمدا سيرته و صوّبا رأيه، و قالا: إنّه كان يفضّل أهل السوابق، و ضلّلا عليّا فيما رآه و قالا: إنّه أخطاء، و إنّه خالف سيره عمر، و استنجدا عليه بالرّؤساء من المسلمين كان عمر يفضّلهم فى القسم على غيرهم.

و الناس أبناء الدّنيا و يحبّون المال حبّا جمّا فتنكّرت على أمير المؤمنين بتنكّرهما قلوب كثيره.

و كان عمر منع قريشا و المهاجرين و ذوى السوابق من الخروج من المدينه و نهاهم عن مخالطه الناس، و نهى الناس عن مخالطتهم و رأى أنّ ذلك اسّ

۱- (۱) - حالا عنه أى تغيّرا من الاستواء الى العوج، منه.

الفساد فی الأرض، و أنّ الفتوح و الغنایم قد أبطرت المسلمین، و متی بعد الرءوس و الکبراء منهم عن دار الهجره و انفردوا بأنفسهم و خالطهم الناس فی البلاد البعیده لم یؤمن أن یحسنوا لهم الوثوب و طلب الاماره و مفارقه الجماعه و حلّ نظام الالفه و لکنّه نقض هذا الرّای السّدید بما فعله بعد طعن أبی لؤلؤه له من الشّوری فانّ ذلک کان سبب کلّ فتنه وقع و یقع إلی أن تنقضی الدّنیا.

قال: و قد قدّمنا ذکّر ذلک و شرحنا ما أدّی إلیه أمر الشوری من الفساد بما حصل فی نفس کلّ من السته من ترشیحه للخلافه إلی أن قال: إنّ طلحه و الزبیر لما آیسا من جهه علیّ علیه السّلام و من حصول الدّنیا من قبله قلبا له ظهر المجنّ، فکاشفاه و عاتباه قبل المفارقه عتابا لاذعا(۱) قال: روی أبو عثمان الجاحظ قال:

أرسل طلحه و الزّبیر إلی علیّ علیه السّلام قبل خروجهما إلی مکّه محمّد بن طلحه و قالا:

لا تقل له یا أمیر المؤمنین و لکن قل له: یا أبا الحسن لقد فال «أی اخطأ» فیک رأینا و خاب ظننا أصلحنا لک الأمر و وطدنا لک الامره و أجلبنا علی عثمان حتّی قتل فلما طلبک الناس لأمرهم أسرعنا إلیک و بایعناک و قدنا إلیک أعناق العرب و وطأ المهاجرون و الأنصار أعقابنا فی بیعتک حتّی إذا ملکت عنانک استبددت برأیک عنّا و رفضتنا رفض التّریکه(۲) و أذلتنا إذاله الاماء(۳) و ملکت أمرک الاشتر و حکیم بن جبله و غیرهما من الأعراب فلما جاء محمّد بن طلحه أبلغه ذاک فقال: اذهب إلیهما فقل لهما فما الذی یرضیکما؟ فذهب و جاء و قال: إنّهما یقولان ولّ أحدنا البصره و آخرنا الکوفه.

فقال: لا هاء اللّه إذا یحلم(۴) الأدیم، و یستشری الفساد، و تنتقض علیّ

۱- (۱) - لذع النار الشیء لفحه، منه.

۲- (۲) - التریکه کسفینه امرأه تترک لا تتزوّج، منه.

۳- (۳) - ای أهنتا إهانه الاماء یقال أذلته أهنته و لم أحسن القیام علیه، منه.

۴- (۴) - حلم الجلد من باب فرح وقع منه الحلم و هی دوده تقع فی الجلد فتأکله منه.

البلاد من أقطارها، و اللّه انّی لا آمنهما و هما عندی بالمدینه فکیف آمنهما و قد ولّیتهما العراقین اذهب إلیهما فقل أیّها الشیخان احذرا من اللّه و نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی امّته و لا تبغی(۱) المسلمین غایله و کیدا و قد سمعتما قول اللّه تعالی «تِلْکَ الدّارُ الْآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذِینَ لا یُرِیدُونَ عُلُوًّا فِی الْأَرْضِ وَ لا فَساداً وَ الْعاقِبَهُ لِلْمُتَّقِینَ ».

فقام محمّد بن طلحه فأتا إلیهما و لم یعدا له و تأخّرا عنه أیّاما ثمّ جاءاه فاستأذنا فی الخروج إلی مکّه للعمره فأذن لهما بعد أن أحلفهما أن لا ینقضا بیعته و لا یغدرا به و لا یشقّا عصا المسلمین و لا یوقعا الفرقه بینهم و أن یعودا بعد العمره إلی بیوتهما بالمدینه، فحلفا علی ذلک کلّه ثمّ خرجا ففعلا ما فعلا قال: و روی الطبری فی التاریخ قال: لمّا بایع الناس علیّا و تمّ الأمر له قال طلحه للزّبیر: ما أری أنّ لنا من هذا الأمر إلّا ککشحه أنف الکلب فقد ظهر لک من ذلک و یظهر أیضا ممّا نرویه من الاسکافی أنّ علّه نقم طلحه و الزّبیر منه علیه السّلام إنّما کانت ترک استشارتهما و مداخلتهما فی أمر الخلافه و عدم بذل مأمولهما فی تولیه العراقین و التسویه بینهما و بین غیرهما فی القسم و لمّا نقما علیه بذلک أجاب لهما بقوله:

(لقد نقمتما یسیرا و أرجأتما کثیرا) أی طعنتما و عتبتما علیّ شیئا یسیرا و هو ترک الاستشاره و أمر التسویه حسبما عرفت مع عدم کونهما مورد طعن و عیب فی الحقیقه و أخرتما شیئا کثیرا من رعایه حقوقی الواجبه و السعی فیما یعود إلی صلاح حال المسلمین و انتظام أمر الدّین و اتّساق حبل الالفه و الجماعه.

و قال الشّارح المعتزلی: أی نقمتما من أحوالی الیسیر، و ترکتما الکثیر الّذی لیس لکما و لا لغیرکما فیه طعن فلم تذکراه فهلا اغتفرتما الیسیر الکثیر.

و قال الشّارح البحرانی: یحتمل أن یریدان الّذی أبدیاه و نقماه بعض ممّا فی أنفسهما و قد دلّ ذلک علی أنّ فی أنفسهما أشیاء کثیره وراء ما ذکراه.

أقول: یعنی قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفی صدورهم أکبر،

۱- (۱) - هکذا فی النسخه و الظاهر أنها تصحیف و الصحیح لا تبغیا بصیغه التثنیه، منه.

و الأظهر ما قلناه.

ثمّ استخبر عمّا نقماه و استفهم عن وجوه النّقم المتصوّره فی المقام استفهاما انکاریا إبطالیّا تنبیها به علی بطلان تلک الوجوه جمیعا و علی کذب مدّعیها فقال:

(ألا تخبرانی أیّ شیء لکما فیه حقّ) مالیّ أو غیر مالیّ (دفعتکما عنه) و ظلمتکما فیه.

و بطلان هذا الوجه مع کونه معصوما واضح، و یزیده وضوحا قوله الاتی فی الکلام المأتین و العشرین: و کیف أظلم أحدا لنفس یسرع إلی البلی قفولها و یطول فی الثری حلولها، و قوله فیه أیضا. و اللّه لو اعطیت الأقالیم السّبعه بما تحت أفلاکها علی أن أعصی اللّه فی نمله أسلبها جلب شعیره ما فعلته، و من هذا حاله کیف یتصوّر فی حقّه الظلم؟!.

(و أیّ قسم استأثرت علیکما به) أی أیّ سهم و نصیب أخذت من بیت المال و تفرّدت به و لم اشارککم.

و بطلانه أیضا واضح ممّا مر و یزیده توضیحا ما مرّ فی الکلام المأه و السادس و العشرین من قوله: لو کان المال لی لسوّیت بینهم فکیف و المال مال اللّه، و ما یأتی فی باب المختار من کتبه فی کتابه إلی عثمان بن حنیف الأنصاری من قوله: و إنّ إمامکم قد اکتفی من دنیاه بطمریه و من طعمه بقرصیه، و من هذا شأنه کیف یحیف الغیر و یذهب بحقّه و غیره؟! و بما ذکرته علم الفرق بین هذا الوجه و الوجه الأوّل، فانّ الأوّل أعم من الحقّ المالی و غیره، و هذا مخصوص بالمالی، و أیضا دفع الحقّ عنهما أعمّ من أن یصیر إلیه أو إلی غیره أو لم یصر إلی أحد بل یبقی فی بیت المال و الاستیثار علیهما به هو أن یأخذ حقّهما لنفسه.

(أم أیّ حقّ رفعه إلیّ أحد من المسلمین ضعفت عنه) و کنت محتاجا فیه إلی المعاون و المعین.

و بطلان هذا الوجه أيضا لا ريب فيه لما قد عرف من بأسه و شجاعته و أنه لو لا سيفه لما قام للاسلام عمود و لا اخضرّ للدّين عود، و قد قال فى الكلام السّابع و الثلاثين و استبددت برهانها كالجبل لا تحرّكه القواصف و لا تزيله العواصف لم يكن لأحد فىّ مهمز و لا لقائل فىّ مغمز الذّليل عندى عزيز حتى آخذ الحقّ له، و القوّى عندى ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه، و قال فى الكلام المأه و السّادسه و الثلاثين: و ايم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظالمه و لأقودنّ الظالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ و إن كان كارها (أم جهلته أم أخطأت بابه) و كنت محتاجا إلى التعليم و التنبيه و الفرق بين الجهل و الخطاء فى الباب الأوّل أن يكون اللّه سبحانه قد حكم بحرمه شىء مثلا فأحلّه الامام و الثّانى أن يصيب فى الحكم و يخطىء فى طريقه و الاستدلال عليه، أو أنّ الأوّل أن يجهل الحكم و يتحيّر فيه و لا يدرى كيف يحكم، و الثانى أن يحكم بخلاف الواقع و على أىّ تقدير فتوهّم أحد الأمرين فى حقّه عليه السّلام، مع علمه بما كان و ما يكون و ما هو كائن و كونه أعلم بطرق السّماء من طرق الأرض و كونه باب مدينه العلم و الحكمه و كونه أقضى الامه على ما صدر عن صدر النّبوه و عرفته فى تضاعيف الشّرح غير مرّه أوضح البطلان و فساده غنّى عن البرهان، هذا و لما أشار عليه السّلام إلى بطلان وجوه النّقم المتصوّره إجمالا أراد إبطال ما نقما به عليه تصريحا و هو ترك الاستشاره و أمر الاسوه و أجاب عن النّقم بهما تفصيلا.

و قبل الشروع فى الجواب مهّد مقدّمه لطيفه دفعا بها توهّم كون نهوضه بالخلافه من حبّ الملك و الرّياسه و محبّه السلطنه و الولايه المقتضيه للمماشاه و المشاوره مع الحاشيه و البطانه كما كان فى المتخلّفين الثلاثه و رفعا بها منّتهما عنه عليه السّلام حيث منّا عليه بأنّا أصلحنا الأمر و وطدنا لك الامره و بايعناك و قدنا إليك أعناق العرب على ما مرّ فى روايه أبى عثمان الجاحظ.

و تلك المقدّمه قوله عليه السّلام (و اللّه ما كانت لى فى الخلافه رغبه و لا فى

الولایه اربه) و حاجه أمّا عدم احتیاجه إلیها فواضح، و أمّا عدم رغبته فیها فلکراهته لها طبعا و إن کان یحبّها شرعا أو کراهته لها من حیث الملک و السلطنه فلا تنافی رغبته من حیث التّمکن من إعلاء لواء الشرع و إقامه المعروف و إزاحه المنکر أو أنّ عدم الرّغبه حین عدم تحقّق الشرائط.

کما یشعر بذلک قوله علیه السّلام فی الخطبه الثالثه المعروفه بالشّقشقیّه: أما و الذی فلق الحبّه و برء النّسمه لو لا حضور الحاضر و قیام الحجّه بوجود الناصر و ما أخذ اللّه علی العلماء ألّا یقارّوا علی کظّه ظالم و لا سغب مظلوم لألقیت حبلها علی غاربها و لألقیتم دنیاکم هذه أزهد عندی من عفطه عنز.

و یشعر به أیضا قوله علیه السّلام فی الکلام الحادی و التّسعین: دعونی و التمسوا غیری، و مضی هناک أخبار مناسبه للمقام.

(و لکنکم دعوتمونی إلیها) علی رغبه منکم (و حملتمونی علیها) علی کراهه منّی کما أوضحه علیه السّلام فی المختار المأتین و الخامسه و العشرین حیث قال هناک: و بسطتم یدی فکففتها و مددتموها فقبضتها ثمّ تداککتم علیّ تداکّ الابل الهیم علی حیاضها یوم ورودها حتّی انقطعت النّعل و سقطت الرّداء و وطیء الضّعیف و بلغ من سرور الناس ببیعتهم إیّای أن ابتهج بها الصغیر و هدج إلیها الکبیر.

و لمّا مهّد المقدّمه الشریفه المنبئه عن عدم رغبته فی الولایه و الخلافه و رفع بها منّتهما علیه فی المبایعه رتّب علیها الجواب عن نقمهما الأوّل أعنی مسأله المشاوره و قال:

(فلمّا أفضت) أی وصلت الخلافه (إلیّ نظرت إلی کتاب اللّه) عزّ و جلّ (و) إلی (ما وضع لنا) أی ما وظفه لنا و ألزمه علینا معاشر الأئمه من الأمر بالمعروف و النهی عن المنکر و الحکم بین الناس بالعدل حیث قال «کُنْتُمْ خَیْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْکَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ».

روی فی البحار عن العیاشی عن حماد بن عیسی عن بعض أصحابه عن أبی

عبد اللّه عليه السّلام قال: فى قراءه علىّ عليه السّلام «كنتم خير أئمّه أخرجت للناس» قال: هم آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و عن العياشى عن أبى بصير عنه عليه السّلام، قال: إنما انزلت هذه الايه على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه و فى الأوصياء خاصّه فقال «أنتم خير أئمه «امه خ» اخرجت للناس تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر» هكذا و اللّه نزل بها جبرئيل و ما عنى بها إلّا محمّدا و أوصياءه صلوات اللّه عليهم.

و قال تعالى أيضا «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً » فانّ هذه الايه أيضا خطاب لخصوص ولاه الامر، و على كونها خطابا للعموم فيدخل فيه ولاه الأمر، و على أىّ تقدير فقد بيّن اللّه وظيفتهم فيها.

قال فى مجمع البيان: قيل فى معنى هذه الايه أقوال:

أحدها أنّها فى كلّ من اؤتمن أمانه من الأمانات و أمانات اللّه أوامره و نواهيه و أمانات عباده فيما يأتمن بعضهم بعضا من المال و غيره، و هو المروىّ عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام.

و ثانيها أنّ المراد به ولاه الأمر أمرهم اللّه أن يقوموا برعايه الرّعيه و حملهم على موجب الدّين و الشّريعه و رواه أصحابنا عن أبى جعفر الباقر و أبى عبد اللّه الصّادق عليهما السّلام قالا: أمر اللّه كلّ واحد من الأئمه أن يسلم الأمر إلى من بعده، و يعضده أنّه أمر الرّعيه بعد هذا بطاعه ولاه الأمر.

و روى عنهم عليهم السّلام انّهم قالوا: آيتان إحداهما لنا و الاخرى لكم قال اللّه «إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها » الايه و قال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ » الايه.

و هذا القول داخل فى القول الأوّل لأنّه من جمله ما ائتمن اللّه عليه الأئمه الصّادقين عليهم السّلام و لذلك قال أبو جعفر عليه السّلام إنّ الصّلاه و الزكاه و الصّوم و الحجّ من الأمانه و يكون من جملتها الأمر لولاه الأمر بقسم الصدقات و الغنايم و غير ذلك

ممّا يتعلّق به حقّ الرعيه، و قد عظم اللّه أمر الامانه بقوله «يَعْلَمُ خائِنَهَ الْأَعْيُنِ » و قوله «لا تَخُونُوا اللّهَ وَ الرَّسُولَ » و قوله «وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ».

(و) إلى ما (أمرنا بالحكم به فاتبعته) أراد به الحكم بما أنزل اللّه فى كتابه دون غيره من أحكام الجاهليّه و الأحكام الصّادره عن الاستحسانات العقليّه كما صدرت عن المتخلّفين الثلاثه و قد قال تعالى «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ » «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » «وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ » و قال «وَ أَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ وَ لا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ وَ احْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ ما أَنْزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّما يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَ إِنَّ كَثِيراً مِنَ النّاسِ لَفاسِقُونَ أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّهِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ».

فانّ هذه الايات كما ترى صريحه فى وجوب الأخذ بحكم الكتاب، و الايه الأخيره و إن كانت خاصه بالنبىّ إلّا أنّها تعمّ الائمه القائمين مقامه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بل تعمّ ساير أحكام الشرع بمقتضى أدله الشركه فى التكاليف.

و غير خفىّ على الفطن العارف حسن انطباق مفاد الايه الأخيره بالمقام فانّ اللّه سبحانه أمر نبيّه فيها فى الحكم بين أهل الكتاب بما أنزل اللّه و نهاه عن اتّباع هواهم و حذّره من تفتينهم و أشار إلى توليهم عن حكم اللّه و إلى ابتغائهم حكم الجاهليه، و كذلك كان حال أمير المؤمنين عليه السّلام مع طلحه و الزّبير اللذين هما تاليا أهل الكتاب فقد كان مراده أن يحكم بحكم اللّه و بالأخذ بسيره الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كان مرادهما أن يداخلهما فى الأمر و يشاورهما و يتابع هواهما و يسير فيهما و فى غيرهما بسيره عمر، و كان غرضهما تفتينه و تغييره حكم اللّه إلى حكم الجاهليه، إذ حكم الجاهليه لم يكن منحصرا فى أحكام أيام الفتره بل كلّ حكم خالف الكتاب و السنه كما روى فى الكافى عن الصادق عن أمير المؤمنين عليه السّلام الحكم حكمان: حكم اللّه و حكم الجاهليه فمن أخطأ حكم اللّه حكم بحكم الجاهليّه.

و قال الطبرسى فى قوله «أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّهِ يَبْغُونَ » قيل: المراد به كلّ من

طلب غير حكم اللّه فانه يخرج منه إلى حكم الجاهليّه و كفى بذلك أن يحكم بما يوجبه الجهل دون ما يوجبه العلم.

فقد علم بذلك أنّ تكليف الأئمه عليهم السّلام اتّباع أمر اللّه و الأخذ بحكم اللّه لا الحكم بالرأى و الأهواء كما فى أئمّه الجور.

روى فى البحار من تفسير علىّ بن إبراهيم عن حميد بن زياد عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن يحيى عن طلحه بن زيد عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام قال: الأئمه فى كتاب اللّه إمامان قال اللّه «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا » لا بأمر الناس يقدّمون أمر اللّه قبل أمرهم و حكم اللّه قبل حكمهم، قال «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ » يقدّمون أمرهم قبل أمر اللّه و حكمهم قبل حكم اللّه و يأخذون بأهوائهم خلافا لما فى كتاب اللّه.

و كيف كان فمحصّل مفاد قوله عليه السّلام إنّى نظرت إلى كتاب اللّه جلّ شأنه و إلى ما عيّن لنا فيه من التكاليف و الأحكام فاتّبعته.

(و) نظرت إلى (ما استنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) و شرعه (فاقتديته) و تابعته (فلم) يبق الكتاب و السنه شيئا من الأحكام الشرعيه (احتج فى ذلك إلى رأيكما و لا رأى غيركما) من الاراء الباطله و الاستحسانات الفاسده.

(و لا وقع حكم جهلته) و هذا أحد الوجوه المتقدّمه التى أنكرها سابقا على سبيل الاستفهام و نفاه هنا صريحا أى لم يقع حكم شرعى لا أعلم به فأحتاج إلى التعلّم و المشاوره (فأستشير كما و اخوانى من المسلمين) فيه و أتعلّمه منكم (و لو كان ذلك) أى لو وقع حكم كذلك (لم أرغب عنكما و لا عن غيركما).

و لما أجاب عن نقمهما الأوّل شرع فى الجواب عن نقمهما الثانى فقال:

(و أما ما ذكرتما من أمر الاسوه) أى القدوه و اقتدائكما بغيركما فى النصيب و القسمه (فانّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيى) و من تلقاء نفسى (و لا وليته هوى منى) أى ما جعلت هواى واليا أوما باشرته بهواى (بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) من القسم بالسويه و العدل فى الرّعيه و الحال أنه (قد فرغ منه)

و أكمل و لم يبق مجال للكلام (فلم احتج إليكما) و لا إلى غيركما (فيما قد فرغ اللّه من قسمه و أمضى فيه حكمه) نسبه الفراغ أولا إلى الرّسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ثانيا إلى اللّه تنبيها على اتّحاد حكمهما لعدم كونه ناطقا عن الهوى إن هو إلّا وحى يوحى و المراد أنه لا حاجه لى إلى الغير فى مال قد فرغ اللّه من تقسيمه و حكم فيه بالحكم النافذ الالزامى بأن يقسم بالسويه لا بالتفاوت.

(فليس لكما و اللّه عندى و لا لغيركما فى هذا) القسم بالسويه (عتبى) أى ليس لكما و لا لغيركما علىّ أن ارضيكم و ازيل شكواكم عنى.

ثمّ دعا لنفسه و لهما بقوله (أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ) أى صرفها إليه (و ألهمنا و اياكم الصبر) أى ألهمنى الصبر على مشاق الخلافه و مقاساه المكاره و المساوى من الرعيه و ألهمكم الصبر على ما تكرهه نفوسكم الاماره من القسم بالسويه و نحوه ممّا مر.

(ثمّ قال عليه السّلام رحم اللّه رجلا رأى حقا) و عدلا (فأعان عليه) و على العمل به (أو رأى جورا) و ظلما (فردّه) و دفعه (و كان عونا بالحقّ على صاحبه) أى على صاحب الجور.

و المراد به الجذب إلى طاعته و إعانته و الصرف عن مخالفته و اعانه ظالميه، لأنه عليه الصلاه و السلام مع الحقّ و الحقّ معه عليه السلام و الصّلاه يدور معه حيثما دار هو عليه التحيه و الثناء، فالمعين له عليه الصلاه و السلام معين للحقّ، و المعاند له عليه السّلام معاند للحقّ و معين للجور و الباطل.

تكمله و تبصره

روى فى البحار من الامالى أمالى الشيخ عن أحمد بن محمّد بن موسى بن الصلت عن أحمد بن عقده قال: حدّثنا الحسن بن صالح من كتابه فى ربيع الأول سنه ثمان و سبعين و أحمد بن يحيى عن محمّد بن عمرو عن عبد الكريم عن القاسم بن أحمد عن أبى الصّلت الهروى و قال ابن عقده و حدثناه القاسم بن الحسن الحسينى عن أبى الصلت عن علىّ بن عبد اللّه بن النّعجه عن أبى سهيل بن مالك عن مالك بن اوس بن

الحدثان قال:

لمّا ولی علیّ بن أبی طالب أسرع النّاس إلی بیعه المهاجرین و الأنصار و جماعه الناس لم یتخلّف عنه من أهل الفضل إلاّ نفر یسیر خذلوا و بایع الناس، و کان عثمان قد عود قریشا و الصحابه کلّهم، و صبّت علیهم الدّنیا صبا، و آثر بعضهم علی بعض، و خصّ أهل بیته من بنی امیه و جعل لهم البلاد و خوّلهم العباد فأظهروا فی الأرض الفساد و حمل أهل الجاهلیه و المؤلفه قلوبهم علی رقاب الناس حتی غلبوه علی أمره فأنکر الناس ما رأوا من ذلک فعاتبوه فلم یعتبهم، و راجعوه فلم یسمع منهم، و حملهم علی رقاب النّاس حتّی انتهی إلی أن ضرب بعضا و نفی بعضا و حرّم بعضا.

فرأی أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یدفعوه و قالوا: إنّما بایعناه علی کتاب اللّه و سنّه نبیّه و العمل بهما، فحیث لم یفعل ذلک لم تکن له علیهم طاعه فافترق النّاس فی أمره علی خاذل و قاتل.

فأمّا من قاتل فرأی أنّه حیث خالف الکتاب و السّنّه و استأثر بالفیء و استعمل من لا یستأهل رأوا أنّ جهاده جهاد.

و أمّا من خذله فانّه رأی أنّه یستحقّ الخذلان و لم یستوجب النصره بترک أمر اللّه حتّی قتل.

و اجتمعوا علی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فبایعوه فقام و حمد اللّه و اثنی علیه بما هو أهله و صلّی علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و آله ثمّ قال:

أما بعد فانی قد کنت کارها لهذه الولایه یعلم اللّه فی سماواته و فوق عرشه علی امّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتّی اجتمعتم علی ذلک فدخلت فیه، و ذلک أنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: أیّما وال ولی أمر امتی من بعدی اقیم یوم القیامه علی الصراط و نشرت الملائکه صحیفته، فان نجی فبعدله، و إن جار انتفض به الصراط انتفاضه تزیل ما بین مفاصله حتی یکون بین کلّ عضو و عضو من أعضائه مسیره مأئه عام یحرق به الصراط (۱)، فأوّل ما یلقی به النار أنفه و حرّ وجهه، و لکنی لما اجتمعتم

۱- (۱) - من الاعوام التی یحرق بها الصراط ای یقطع، بحار.

علیّ نظرت فلم یسعنی ردّکم حیث اجتمعتم أقول ما سمعتم و أستغفر اللّه لی و لکم.

فقام إلیه الناس فبایعوه فأوّل من قام فبایعه طلحه و الزّبیر، ثمّ قام المهاجرون و الأنصار و سائر الناس حتی بایعه الناس و کان الذی یأخذ علیهم البیعه عمار بن یاسر و أبو الهیثم بن التیهان و هما یقولان: نبایعکم علی طاعه اللّه و سنه رسوله و إن لم نف لکم فلا طاعه لنا علیکم و لا بیعه فی أعناقکم و القرآن أمامنا و أمامکم ثمّ التفت علیّ علیه السّلام عن یمینه و عن شماله و هو علی المنبر و هو یقول:

ألا لا یقولنّ رجال منکم غدا قد غمرتهم الدّنیا فاتخذوا العقار، و فجّروا الأنهار، و رکبوا الخیول الفارهه، و اتّخذوا الوصائف الرّدقه، فصار ذلک علیهم عارا و شنارا ان لم یغفر لهم الغفّار إذا منعوا ما کانوا فیه، و صیروا إلی حقوقهم التی یعلمون یقولون حرمنا علیّ بن أبی طالب و ظلمنا حقوقنا و نستعین باللّه و نستغفره، و أما من کان له فضل و سابقه منکم فانما أجره فیه علی اللّه، فمن استجاب للّه و لرسوله و دخل فی دیننا و استقبل قبلتنا و أکل ذبیحتنا فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فأنتم أیها الناس عباد اللّه المسلمون و المال مال اللّه یقسم بینکم بالسویه و لیس لأحد علی أحد فضل إلّا بالتقوی، و للمتقین عند اللّه خیر الجزاء و أفضل الثواب، لم یجعل اللّه الدّنیا للمتقین جزاء و ما عند اللّه خیر للأبرار، إذا کان غدا فاغدوا فانّ عندنا مالا اجتمع فلا یتخلّفن أحد کان فی عطاء أو لم یکن إذا کان مسلما حرّا، احضروا رحمکم اللّه.

فاجتمعوا من الغد و لم یتخلّف عنه أحد، فقسم بینهم ثلاثه دنانیر لکلّ إنسان الشریف و الوضیع و الأحمر و الأسود و لم یفضّل أحدا و لم یتخلّف عنه أحد إلّا هؤلاء الرّهط طلحه و الزبیر و عبد اللّه بن عمر و سعید بن العاص و مروان بن الحکم و ناس معهم، فسمع عبید اللّه بن أبی رافع و هو کاتب علیّ بن أبی طالب علیه السّلام عبد اللّه بن الزبیر و هو یقول للزبیر و طلحه و سعید بن العاص لقد التفت إلی زید بن ثابت فقلت له: ایاک اعنی و اسمعی یا جاره فقال عبید اللّه یا سعید بن العاص و عبد اللّه بن الزّبیر إنّ اللّه یقول فی کتابه «وَ أَکْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ کارِهُونَ » قال عبید اللّه فأخبرت علیا علیه السّلام فقال

علیه السّلام لان سلمت لهم لأحملنهم علی الطریق قاتل اللّه ابن العاص لقد علم فی کلامی أنی اریده و أصحابه بکلامی و اللّه المستعان.

قال مالک بن الأوس: و کان علیّ بن أبی طالب اکثر ما یسکن القناه، فبینا نحن فی المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبیر و طلحه فجلسا ناحیه عن علیّ، ثمّ طلع مروان و سعید و عبد اللّه بن الزّبیر و المسور بن محزمه، فجلسوا و کان علیّ علیه السّلام جعل عمار بن یاسر علی الخیل، فقال لأبی الهیثم بن التیهان و الخالد بن زید أبی أیّوب و لأبی حیه و لرفاعه بن رافع فی رجال من اصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قوموا إلی هؤلاء القوم فانه بلغنا عنهم ما نکره من خلاف أمیر المؤمنین امامهم و الطعن علیه و قد دخل معهم قوم من أهل الجفاء و العداوه فانّهم سیحملونهم علی ما لیس من رأیهم فقال، فقاموا و قمنا معهم حتّی جلسوا إلیهم.

فتکلّم أبو الهیثم بن التیهان فقال: إنّ لکم لقدما فی الاسلام و سابقه و قرابه من أمیر المؤمنین علیه السّلام و قد بلغنا عنکم طعن و سخط لأمیر المؤمنین فان یکن أمر لکما خاصّه فکاتبا ابن عمّتکما و امامکما، و إن کان نصیحه للمسلمین فلا تؤخّراه عنه و نحن عون لکما فقد علمتما أنّ بنی امیّه لن تنصحکما و قد عرفتما و قال أحمد عرفتم عداوتهم لکما و قد شرکتما فی دم عثمان و مالأتما.

فسکت الزبیر و تکلّم طلحه فقال:

افرغوا جمیعا ممّا تقولون، فانّی قد عرفت أنّ فی کلّ واحد منکم خطبه فتکلّم عمّار بن یاسر رحمه اللّه فحمد اللّه و أثنی علیه و صلّی علی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:

أنتما صاحبا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قد اعطیتما إمامکم الطاعه و المناصحه و المیثاق علی العمل بطاعه اللّه و طاعه رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أن یجعل کتاب اللّه اماما.

قال أحمد و جعل کتاب اللّه اماما ففیم السخط و الغضب علی علیّ بن أبی طالب فغضب الرّجال للحق انصرا نصرکما اللّه.

فتکلّم عبد اللّه بن الزبیر، فقال: لقد تهدّدت یا أبا الیقظان.

فقال عمار: ما لک تتعلق فی مثل هذا یا أعبس ثمّ أمر به فاخرج.

فقام الزّبیر فقال: أعجلت یا أبا الیقظان علی ابن أخیک رحمک اللّه.

فقال عمار: یا أبا عبد اللّه انشدک اللّه أن تسمع قول من رأیت فانکم معشر المهاجرین لم یهلک من هلک منکم حتی استدخل فی أمره المؤلفه قلوبهم.

فقال الزبیر: معاذ اللّه أن نسمع منهم.

فقال عمار: و اللّه یا أبا عبد اللّه لو لم یبق أحد إلّا خالف علیّ بن أبی طالب لما خالفته و لا زالت یدی مع یده، و ذلک لأنّ علیا لم یزل مع الحقّ منذ بعث اللّه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فانی أشهد أنه لا ینبغی لأحد أن یفضل علیه أحدا.

فاجتمع عمار بن یاسر و أبو الهیثم و رفاعه و أبو أیوب و سهل بن حنیف فتشاوروا أن یرکبوا إلی علیّ علیه السّلام بالقناه فتخبروه بخبر القوم، فرکبوا إلیه فأخبروه باجتماع القوم و ما هم فیه من إظهار الشکوی و التعظیم لقتل عثمان، و قال له أبو الهیثم: یا أمیر المؤمنین انظر فی هذا الأمر.

فرکب بغله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و دخل المدینه و صعد المنبر فحمد اللّه و أثنی علیه و اجتمع أهل الخیر و الفضل من الصحابه و المهاجرین فقالوا لعلیّ: إنهم قد کرهوا الاسوه و طلبوا الاثره و سخطوا لذلک، فقال علیّ علیه السّلام: لیس لأحد فضل فی هذا المال، و هذا کتاب اللّه بیننا و بینکم و نبیکم محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و سیرته.

ثمّ صاح بأعلی صوته: یا معشر الأنصار أتمنّون علیّ باسلامکم أنا أبو الحسن القرم(۱) و نزل عن المنبر و جلس ناحیه المسجد و بعث إلی طلحه و الزبیر فدعاهما ثمّ قال لهما: ألم یأتیانی و تبایعانی طائعین غیر مکرهین فما أنکرتم أجور فی حکم أو استیثار فی فیء؟ قالا: لا.

۱- (۱) - القرم أی المقدم فی الرأی، و القرم فحل الابل، أی أنا فیهم بمنزله الفحل فی الابل، بحار

قال: أو فى أمر دعوتمانى إليه فى أمر المسلمين فقصرت عنه؟ قالا: معاذ اللّه.

قال: فما الذى كرهتما فى أمرى حتى رأيتما خلافى؟ قالا: خلافك لعمر بن الخطاب فى القسم و انتقاصنا حقنا من الفىء، جعلت حظنا فى الاسلام كحظّ غيرنا مما أفاء اللّه علينا بسيوفنا ممّن هو لنا فىء، فسوّيت بيننا و بينهم.

فقال علىّ: اللّه أكبر اللّهمّ إنى اشهدك و اشهد من حضر عليهما أما ما ذكرتما من الاستيثار فو اللّه ما كانت لى فى الولايه رغبه و لا لى فيها محبّه، و لكنكم دعوتمونى إليها و حملتمونى عليها فكرهت خلافكم، فلما أفضت إلىّ نظرت إلى كتاب اللّه و ما وضع و امر فيه بالحكم و قسّم و سنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأمضيته و لم احتج فيه إلى رأيكما و دخولكما معى و لا غيركما و لم يقع أمر جهلته فأتقوّى فيه برأيكما و مشورتكما، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما إذا لم يكن فى كتاب اللّه و لا فى سنّه نبيّنا، فأما ما كان فلا يحتاج فيه إلى أحد.

و أما ما ذكرتما من أمر الأسوه فانّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه و وجدت أنا و أنتما ما قد جاء به محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من كتاب اللّه فلم أحتج فيه إليكما قد فرغ من قسمه كتاب اللّه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد و أما قولكما جعلتنا فيه كمن ضربناه بأسيافنا و أفاء اللّه علينا و قد سبق رجال رجالا فلم يضرّهم و لم يستأثر عليهم من سبقهم لم يضرّهم حتّى استجابوا لرّبهم، و اللّه ما لكم و لا لغيركم إلّا ذلك ألهمنا اللّه و إيّاكم الصبر عليه.

فذهب عبد اللّه بن الزّبير يتكلّم فامر به فوجئت عنقه و اخرج من المسجد و هو يصيح و يقول: ردّوا إليه بيعته.

فقال علىّ عليه السّلام: لست مخرجكما من أمر دخلتما فيه و لا مدخلكما فى أمر خرجتما منه.

فقاما عنه فقالا: أما انّه ليس عندنا أمر إلّا الوفاء، قال:

فقال علیه السّلام: رحم اللّه عبدا رأی حقّا فأعان علیه أو رأی جورا فردّه و کان عونا للحقّ علی من خالفه.

و روی الشّارح المعتزلی فی شرح الخطبه الحادی و التسعین عن أبی جعفر الاسکافی من کتابه الذی نقض به کتاب العثمانیه للجاحظ قال:

قال أبو جعفر: لما اجتمعت الصّحابه فی مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد قتل عثمان للنظر فی أمر الامامه أشار أبو الهیثم بن التیهان و رفاعه بن رافع و مالک بن العجلان و أبو أیّوب الأنصاری و عمّار بن یاسر بعلیّ علیه السّلام و ذکروا فضله و سابقته و جهاده و قرابته، فأجابهم النّاس إلیه فقام کلّ واحد منهم خطیبا بذکر فضل علیّ علیه السّلام، فمنهم من فضّله علی أهل عصره خاصّه، و منهم من فضّله علی المسلمین کلّهم کافه، ثمّ بویع فصعد المنبر فی الیوم الثانی من یوم البیعه و هو یوم السّبت لاحدی عشر لیله بقین من ذی الحجه، فحمد اللّه و أثنی علیه و ذکر محمّدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فصلّی علیه، ثمّ ذکر نعمه اللّه علی أهل الاسلام، ثمّ ذکر الدّنیا فزهّدهم فیها و ذکر الاخره فرغّبهم إلیها ثمّ قال:

أما بعد فانّه لمّا قبض رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم استخلف النّاس أبا بکر، ثمّ استخلف أبو بکر عمر، فعمل بطریقه ثمّ جعلها شوری بین ستّه فأفضی الأمر منهم إلی عثمان فعمل ما أنکرتم و عرفتم ثمّ حصر و قتل، ثمّ جئتمونی فطلبتم إلیّ و إنّما أنا رجل منکم لی ما لکم و علیّ ما علیکم، و قد فتح اللّه الباب بینکم و بین أهل القبله، و أقبلت الفتن کقطع اللّیل المظلم و لا یحمل هذا الأمر إلاّ أهل الصّبر و النصر و العلم بمواقع الأمر، و إنی حاملکم علی منهج نبیّکم، و منفذ فیکم ما أمرت به، إن استقمتم لی و باللّه المستعان ألا إنّ موضعی من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد وفاته کموضعی منه أیام حیاته، فامضوا لما تؤمرون و قفوا عند ما تنهون عنه، و لا تعجلوا فی أمر حتّی نبیّنه لکم، فانّ لنا عن کلّ أمر تنکرونه عذرا، ألا و إنّ اللّه عالم من فوق سمائه و عرشه أنی کنت کارها للولایه علی امه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتی اجتمع رأیکم علی ذلک لأنی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول: أیّما وال ولی الامر من بعدی

اقيم على حدّ الصراط و نشرت الملائكه صحيفته، فان كان عادلا أنجاه اللّه بعدله و إن كان جائرا انتقض به الصراط حتى تتزايل مفاصله ثمّ يهوى إلى النار، فيكون أوّل ما يتّقيها به أنفه و حرّ وجهه، و لكنى لما اجتمع رأيكم لم يسعنى تركككم.

ثمّ التفت يمينا و شمالا فقال:

ألا- لا- يقولنّ رجال منكم غدا قد غمرتهم الدّنيا فاتّخذوا العقار و فجّروا الأنهار و ركبوا الخيول الفارهه و اتّخذوا الوصايف الرّدقه، فصار ذلك عليهم عارا و شنارا إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه و اصرتهم إلى حقوقهم التى يعلمون فينقمون ذلك و يستنكرون و يقولون: حرّمنا ابن أبى طالب حقوقنا، ألا و أيّما رجل من المهاجرين و الأنصار من أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته فانّ له الفضل النيّر غدا عند اللّه و ثوابه و أجره على اللّه، و أيما رجل استجاب للّه و للرسول فصدّق ملّتنا و دخل فى ديننا و استقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام و حدوده فأنتم عباد اللّه و المال مال اللّه يقسم بينكم بالسويه لا فضل فيه لأحد على أحد و للمتّقين غدا عند اللّه أحسن الجزاء و أفضل الثواب، لم يجعل اللّه الدّنيا للمتقين أجرا و لا ثوابا، و ما عند اللّه خير للأبرار، و إذا كان غدا إنشاء اللّه فاغدوا علينا فانّ عندنا مالا نقسمه فيكم و لا يتخلّفنّ أحد منكم عربىّ و لا- عجمىّ كان من أهل العطاء أو لم يكن إذا كان مسلما حرّا، أقول قولى هذا و أستغفر اللّه لى و لكم، ثمّ نزل.

قال أبو جعفر: و كان هذا أوّل ما أنكروه من كلامه عليه السّلام و أورثهم الضّغن عليه و كرهوا اعطاءه و قسمه بالسّويه فلمّا كان من الغد غدا و غدا النّاس لقبض المال، فقال لعبيد اللّه بن أبى رافع كاتبه: ابدء بالمهاجرين فنادهم و أعط كلّ رجل ممّن حضر ثلاثه دنانير ثمّ ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، و من يحضر من الناس كلّهم الأحمر و الأسود فافعل به مثل ذلك.

فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين هذا غلامى و قد اعتقته اليوم.

فقال: نعطيه كما نعطيك فأعطى كلّ واحد منهم ثلاثه دنانير، و لم يفضّل أحدا على أحد، و تخلّف عن هذا القسم يومئذ طلحه و الزبير و عبد اللّه بن عمر و سعيد ابن العاص و مروان بن الحكم و رجال من قريش و غيرها.

قال: و سمع عبيد اللّه بن أبى رافع عبد اللّه بن الزبير يقول لأبيه و طلحه و مروان و سعيد ما خفى علينا أمس من كلام علىّ عليه السّلام ما يريد، فقال سعيد بن العاص و التفت إلى زيد بن ثابت: إيّاك أعنى و اسمعى يا جاره.

فقال عبيد اللّه بن أبى رافع لسعيد و عبد اللّه بن الزبير: إنّ اللّه يقول فى كتابه «وَ لكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كارِهُونَ ».

ثمّ إنّ عبيد اللّه بن أبى رافع أخبر عليا عليه السّلام بذلك فقال عليه السّلام إن بقيت و سلمت لهم لاقيمنّهم على المحجّه البيضاء و الطريق الواضح، قاتل اللّه بنى العاص لقد عرف من كلامى و نظرى إليه امس أنّى اريده و أصحابه ممّن هلك فيمن هلك.

قال: فبينا الناس فى المسجد بعد الصّبح إذ طلع الزبير و طلحه فجلسا ناحيه عن علىّ عليه السّلام ثمّ طلع مروان و سعيد و عبد اللّه بن الزبير فجلسوا إليهما، ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم فتحدّثوا نجيا ساعه.

ثمّ قام الوليد بن عقبه بن أبى معط فجاء إلى علىّ عليه السّلام فقال: يا أبا الحسن قد و ترتنا جميعا أمّا أنا فقتلت أبى يوم بدر صبرا و خذلت أخى يوم الدار بالأمس، و أمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر فى الحرب و كان ثور قريش، و أما مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمّه إليه و نحن اخوتك و نظراؤك من بنى عبد مناف، و نحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال فى أيّام عثمان، و أن تقتل قتلته و أنا إن خفناك تركنا و التحقنا بالشام.

فقال عليه السّلام: أما ما ذكرتم من وترى إياكم فالحقّ وتركم، و أما وضعى عنكم ما أصبتم فليس لى أن أضع حقّ اللّه عنكم و لا عن غيركم، و أما قتلى قتله عثمان فلو لزمنى قتلهم اليوم لقتلتهم أمس و لكن لكم علىّ إن خفتمونى أن اؤمنكم و إن خفتكم أن اسيركم فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم و افترقوا على إظهار العداوه و إشاعه الخلاف فلمّا ظهر ذلك من أمرهم قال عمار بن ياسر لأصحابه: قوموا بنا إلى هؤلاء النفر من إخوانكم فانه قد بلغنا عنهم و رأينا منهم ما نكره من خلاف و طعن على إمامهم و قد دخل أهل الجفا بينهم و بين الزّبير، و الاعسر العاق يعنى طلحه.

فقام أبو الهيثم و عمّار و أبو أيّوب و سهل بن حنيف و جماعه معهم على علىّ

فقالوا يا أمير المؤمنين انظر فى أمرك و عاتب قومك هذا الحىّ من قريش فانّهم قد نقضوا عهدك و أخلفوا وعدك و قد دعونا فى السرّ إلى رفضك هداك اللّه لرشدك، و ذاك لأنهم كرهوا الاسوه و فقدوا الاثره و لمّا آسيت بينهم و بين الأعاجم أنكروا و استأثروا عدوّك و أعظموه و أظهروا الطلب بدم عثمان فرقه للجماعه و تألّفا لأهل الضلاله فرأيك.

فخرج علىّ عليه السّلام فدخل المسجد و صعد المنبر مرتديا بطاق مؤتزرا ببرد قطرى(۱) متقلّدا سيفا متوكّئا على قوس فقال:

أمّا بعد فانّا نحمد اللّه ربّنا و إلهنا و وليّنا و ولىّ النعم علينا الذى أصبحت نعمه علينا ظاهره و باطنه امتنانا منه بغير حول منّا و لا قوّه ليبلونا أنشكر أم نكفر فمن شكر زاده و من كفر عذّبه، فأفضل النّاس عند اللّه منزله و أقربهم من اللّه وسيله أطوعهم لأمره و أحملهم «أعملهم خ» بطاعته و أتبعهم لسنّه رسوله و أحياهم لكتابه، ليس لأحد عندنا فضل إلاّ بطاعه اللّه و طاعه الرّسول، هذا كتاب اللّه بين أظهرنا و عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سيرته فينا لا يجهل ذلك إلاّ جاهل عاند عن الحقّ منكر قال اللّه تعالى «يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ » ثمّ صاح بأعلى صوته: أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول فان تولّيتم فانّ اللّه لا يحبّ الكافرين، ثمّ قال: يا معشر المهاجرين و الأنصار أتمنّون على اللّه و رسوله باسلامكم بل اللّه يمنّ عليكم أن هديكم للايمان إن كنتم صادقين ثمّ قال: أنا أبو الحسن - و كان يقولها إذا غضب -.

ثمّ قال: ألا إنّ هذه الدّنيا الّتى أصبحتم تتمنّونها و ترغبون فيها و أصبحت تغضبكم و ترضيكم ليست بداركم و لا منزلكم الّذى خلقتم له، فلا تغرّنّكم فقد حذّرتموها و استتمّوا نعم اللّه عليكم بالصّبر لأنفسكم على طاعه اللّه و الذّلّ لحكمه جلّ ثناؤه، فأمّا هذا الفى، فليس لأحد على أحد فيه اثره، فقد فرغ اللّه من قسمته فهو

۱- (۱) - الطاق ضرب من الثياب و القطر ضرب من البرد و يقال لها القطريه، منه

مال اللّه و أنتم عباد اللّه المسلمون، و هذا كتاب اللّه به أقررنا و إليه أسلمنا و عهد نبيّنا بين أظهرنا فمن لم يرض فليتولّ كيف شاء، فانّ العامل بطاعه اللّه و الحاكم بحكم اللّه لا وحشه عليه.

ثمّ نزل عن المنبر فصلّى ركعتين ثمّ بعث بعمّار بن ياسر و عبد اللّه بن خلّ القرشى إلى طلحه و الزبير و هما فى ناحيه المسجد، فأتياهما فدعواهما فقاما حتى جلسا إليه فقال لهما:

نشدتكما اللّه هل جئتما طائعين للبيعه و دعوتمانى إليها و أنا كاره لها؟ قالا: نعم.

فقال: غير مجبرين و لا مقسورين فأسلمتما لى بيعتكما و أعطيتمانى عهدكما قالا: نعم.

قال: فما دعاكما إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضى الامور و لا تقطعها دوننا، و أن تستشيرنا فى كلّ أمر و لا تستبدّ بذلك علينا و لنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم و تقطع الأمر و تمضى الحكم بغير مشاورتنا و لا علمنا.

فقال عليه السّلام: لقد نقمتما يسيرا و أرجاتما كثيرا فاستغفرا اللّه يغفر كما ألا تخبراننى أدفعتكما عن حقّ وجب لكما فظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ اللّه.

قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسى بشى؟ قالا: معاذ اللّه.

قال: فوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالا:

معاذ اللّه.

قال: فما الذى كرهتما من أمرى حتّى رأيتما خلافى؟ قالا خلافك عمر بن الخطاب فى القسم إنّك جعلت حقنا فى القسم كحقّ غيرنا و سوّيت بيننا و بين من لا يماثلنا فيما أفاءه اللّه تعالى علينا بأسيافنا و رماحنا و أو جفنا عليه بخيلنا و ظهرت عليه دعوتنا و أخذناه قسرا قهرا ممن لا يرى الاسلام إلّا كرها فقال: أما ما ذكرتماه من أمر الاستشاره فو اللّه ما كانت لى فى الولايه رغبه،

و لكنّكم دعوتمونى إليها و جعلتمونى عليها فخفت أن أردّكم فتختلف الامّه فلمّا افضت إلىّ نظرت فى كتاب اللّه و سنّه رسوله فأمضيت ما ولاّنى عليه و اتّبعته و لم احتج إلى رأيكما فيه و لا رأى غيركما، و لو وقع حكم ليس فى كتاب اللّه بيانه و لا فى السنه برهانه و احتيج إلى المشاوره فيه لشاورتكما فيه.

و أمّا القسم و الاسوه فانّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادىء بدء، قد وجدت أنا و أنتما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يحكم بذلك و كتاب اللّه ناطق به و هو الكتاب الّذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

و أمّا قولكما جعلت فيئنا و ما أفاءه سيوفنا و رماحنا سواء بيننا و بين غيرنا فقديما سبق إلى الاسلام قوم و نصروه بسيوفهم و رماحهم فلا فضّ لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى القسم و لا آثرهم بالسّبق و اللّه سبحانه موفّ السّابق و المجاهد يوم القيامه أعمالهم و ليس لكما و اللّه عندى و لا لغيركما إلاّ هذا، أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ و ألهمنا و ايّاكم الصّبر – ثمّ قال – رحم اللّه امرء رأى حقّا فأعان عليه و رأى جورا فردّه و كان عونا للحقّ على من خالفه.

قال أبو جعفر: و قد روى أنّهما قالا له عليه السّلام وقت البيعه: نبايعك على أنّا شركاؤك فى هذا الأمر.

فقال: و لكنّكما شريكاى فى الفىء لا أستأثر عليكما و لا على عبد حبشى مجدّع بدرهم فما دونه، لا أنا و لا ولداى هذان، فان أبيتم إلاّ لفظ الشّركه فأنتما عونان لى عند العجز و الفاقه لا عند القوّه و الاستقامه.

قال أبو جعفر: فاشترطا ما لا يجوز فى عقد الامامه و شرط عليه السّلام لهما ما يجب فى الدّين و الشريعه.

قال الشّارح المعتزلى بعد نقله هذا الكلام من الاسكافى:

فان قلت: فانّ أبا بكر قسّم بالسويّه كما قسّمه أمير المؤمنين و لم ينكروا ذلك كما أنكروه أيام أمير المؤمنين فما الفرق بين الحالتين؟ قلت: إنّ أبا بكر قسّم محتذيا لقسم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلمّا ولى عمر الخلافه

و فضّل قوما على قوم ألفوا ذلك و نسوا تلك القسمه الاولى و طالت أيّام عمر و اشربت قلوبهم كثره العطاء و حبّ المال، و أمّا الذين اهتضموا فقنعوا و مرّنوا على القناعه و لم يخطر لأحد من الفريقين أنّ هذه الحال تنتقض أو تتغيّر بوجه ما.

فلمّا ولى عثمان أجرى الأمر على ما كان عمر يجريه، فازداد وثوق القوم بذلك و من ألف أمرا شقّ عليه فراقه و ترك العاده فيه.

فلمّا ولى أمير المؤمنين أراد أن يردّ الأمر إلى ما كان فى أيّام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أبى بكر و قد نسى ذلك و رفض و تخلل بين الزّمانين اثنتان و عشرون سنه فشقّ ذلك عليهم و أكبروه حتّى حدث ما حدث من نقض البيعه و مفارقه الطّاعه، و للّه أمر هو بالغه.

الترجمه

از جملهٔ كلام نصيحت انجام آن امام است كه خطاب فرموده طلحه و زبير را بعد از آنكه بيعت كردند با او بخلافت او و عتاب كردند مر او را بجهت ترك نمودن آن بزرگوار مشاورهٔ ايشان را و نخواستن اعانت از ايشان را در امور خلافت می فرمايد:

بتحقيق ايراد نموديد چيز مختصری را و تأخير انداختيد چيز زياد را، چرا خبر نمی دهيد بمن كدام چيزی كه شما را در آن حق بوده است من مانع از حقّ شما شده ام؟ و كدام سهم و حصّه از بيت المال من علاوه از شما برداشته و بشما نداده ام يا كدام حقّی كه يك نفر مسلمان نزد من آورده از اجراء آن ضعيف بوده ام يا بحكم آن جاهل شده يا در دليل آن خطا نموده؟ قسم بخدای تعالى نبود مرا در خلافت هيچ رغبت و نه در ولايت هيچ حاجتی و ليكن شما خوانديد مرا بسوی آن و الزام نموديد مرا بر آن، پس هنگامی كه رسيد بمن نظر نمودم در كتاب عزيز خداوند و بچيزی كه واجب فرموده بما و أمر نموده ما را بحكم كردن آن، پس تبعيت نمودم بان و نظر نمودم بچيزی

کـه پیغمـبر خـدا صـلوات اللّه و سـلامه علیـه و آله سنّت خـود قرار داده، پس متـابعت کردم آن را پس محتـاج نبـودم در این خصوص برأی و تدبیر شما، و نه برأی و تدبیر غیر شما، و اتفاق نیفتاده حکمی که جاهل باشم بان تا مشاوره نمایم با شما، یا با سایر برادران خود از مسلمانان، و اگر همچنین حکمی اتفاق می افتاد إعراض نمی کردم از شما و نه از غیر شما.

و أمّا آن چیزی که اظهار نمودیـد آن را از أمر اسوه یعنی برابری شـما با سایرین در قسـمت، پس بدرستی که این چیزیست من خود سـر با رأی خود در آن حکم ننموده و با هوای نفس خود مباشـر آن نبوده، بلکه یافتم من و شما چیزی را که آورد آن را حضـرت رسالت ماب صـلوات اللّه و سلامه علیه و آله از قسمت بالسّویّه در حالتی که فارغ شده بود از آن، پس احتیاج نداشتم من بشـما در چیزی که خدا از قسـمت آن فارغ بوده و امضای حکم خود را در آن فرموده، پس نیست شما را بحق خدا در نزد من و نه غیر شما را این که ترضیهٔ خواطر و ازالهٔ شکایت شما را نمایم، برگرداند خداوند قلبهای ما و قلبهای شما را بسوی حق، و الهام فرماید بما و شما صبر را.

پس از آن فرمود: رحمت کند خدا مردی را که بیند حق را پس اعانت نماید بان، یا بیند ظلم و ستم را پس رفع نماید آن را، و باشد معین بحق بر ضرر صاحب جور و ظلم.

و من کلام له علیه السّلام و هو المأتان

اشاره

و الخامس من المختار فی باب الخطب

و رواه الشّارح المعتزلی من کتاب نصـر بن مزاحم فی شرح المختار السادس و الأربعین باختلاف تطلع علیه إنشاء اللّه و قد سمع قوما من أصحابه یسبّون أهل الشّام أیّام حربهم بصفّین -

إنّی أکره لکم أن تکونوا سبّابین، و لکنّکم لو وصفتم أعمالهم، و ذکرتم حالهم، کان أصوب فی القول، و أبلغ فی العذر، و قلتم مکان سبّکم إیّاهم: أللّهمّ احقن دمائنا و دمائهم، و أصلح ذات بیننا و بینهم، و اهدهم من ضلالتهم حتّی یعرف الحقّ من جهله، و یرعوی عن الغیّ و العدوان من لهج به.

اللغه

(السب) الشتم کالسّباب بکسر السّین و تخفیف الباء من سبّه یسبّه من باب نصر، و رجل مسبّ بکسر المیم و سبّ و سبّاب کثیر السبّ، و التسابّ التشاتم و رجل سبّه بالضمّ أی یکثر النّاس سبّه و سببه کهمزه أی کثیر السّب للنّاس و السبّابه الأصبع التی تلی الابهام لأنّها یشار بها عند السبّ.

و (حقنت) الماء فی السّقاء حقنا من باب نصر جمعته فیه و حقنت دمه خلاف هدرته أی منعته أن یسفک.

و (البین) بالفتح من الأضداد یطلق علی الفرقه و الوصل قال تعالی «لَقَدْ تَقَطَّعَ بَیْنَکُمْ » أی وصلکم و یکون اسما و ظرفا متمکّنا قال الفیومی: البین یطلق علی الوصل و علی الفرقه و منه ذات البین للعداوه و البغضاء و قولهم لاصلاح ذات البین أی لاصلاح الفساد بین القوم، و المراد إسکان النائره و بین ظرف مبهم لا یتبیّن معناه إلاّ بالاضافه إلی اثنین فصاعدا أو ما یقوم مقام ذلک کقوله تعالی «عَوانٌ بَیْنَ ذلِکَ ».

و (ارعوی) عن القبیح ارتدع عنه و رجع و (الغیّ) الضلال و روی العمی بدله و (لهج) بالشیء لهجا من باب تعب أولع به.

الاعراب

قوله: و قلتم عطف علی قوله: وصفتم فتدخل علیه لو و حذف جوابها بدلاله الجواب السّابق علیه أی و لو قلتم مکان سبّکم هذا الدّعاء لکان أحسن و أصوب.

و قوله:ذات بيننا و بينهمباضافه ذات إلى بين، و بينهم على ما رأيناه فى عدّه من النّسخ بالنصب عطف على ذات، و الأصوب أن يكون بالجرّ عطفا على بيننا.

و ذات إمّا بمعنى صاحبه كما فى قوله تعالى«وَ تَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها » فتكون كنايه عن نائره العداوه و البغضاء، و بيننا و بينهم على هذا ظرف مكان أى اصلح ما بيننا و بينهم من البغضاء و العداوه، و لمّا كانت العداوه مصاحبه البين و ملابسه له اضيفت إليه كما أنّ الضمائر لمّا كانت ملابسه للصدور قيل: ذات الصّدور.

و إمّا بمعنى نفس الشىء و حقيقته كما فى قولهم: ذات يوم و ذات ليله، و قد فسّر بهما قوله تعالى «وَ اللّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ » أى عليم بما فى الصّدور من الضّماير أو عليم بنفس الصّدور و بواطنها، و بين على هذا المعنى الثانى يجوز أن يكون ظرفا، و أن يكون اسما بمعنى الفرقه و الوصل حسبما تعرف فى بيان المعنى

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام كما قاله الرّضىّ و يأتى فى روايه الطبرسىّ أيضا خاطب به أصحابه (و) ذلك أنّه (قد سمع قوما من أصحابه يسبّون أهل الشّام أيّام حربهم بصفين) فمنعهم بهذا الكلام من باب التأديب و الارشاد إلى القول الصّواب و كرايم الأخلاق المطلوبه فى كلّ باب.

و قبل الشروع فى شرح كلامه ينبغى أن نمهّد مقدّمه فقهيّه فى جواز السبّ و عدم جوازه مطلقا أو فى الجمله تحقيقا للمقام و توضيحا لمرام الامام عليه السّلام.

فأقول و باللّه التوفيق:

السبّ لغه هو الشّتم كقولك يا شارب الخمر، يا آكل الرّبا، يا ملعون، يا خائن، يا فاجر، يا فاسق، يا حمار، يا كلب، يا ابن الكلب و نحو ذلك، أو يا أعور يا أعمى يا أجذم، يا أبرص، و نحوها، و يشمل القذف أيضا مثل يا ابن الزانيه، يا ابن الحرام، و يا ديّوث، و يا قوّاد، و مثل ذلك.

و هو إما فى حقّ المؤمن، أو فى حقّ غيره من المنافق و الكافر و النّاصب.

أمّا المؤمن فسبّه حرام مطلقا، سواء كان متضمّنا للقذف أم لا و يدلّ عليه الأخبار المستفيضه المتقدّمه جمله منها فی شرح المختار المأه و الثّانی و التسعین خصوصا و عموم الأخبار الكثيره الدّالّه على حرمه اهانه المؤمن و استحقاره و استذلاله.

مثل ما رواه فی الكافی بسنده عن معاويه عن أبی عبد اللّه عليه السّلام فی حديث قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال اللّه لی: يا محمّد من أذلّ لی وليّا فقد أرصدنی بالمحاربه و من حاربنی حاربته، فقلت: يا ربّ و من وليّك هذا فقد علمت أنّ من حاربك حاربته، قال: ذاك من أخذت ميثاقه لك و لوصيّك و لذرّيتكما بالولايه.

و فيه عن المعلّى قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قال اللّه عزّ و جلّ: قد نابذنی من أذلّ عبدی المؤمن.

و عن المعلّى عن أبی عبد اللّه عليه السّلام قال قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال اللّه عزّ و جلّ:

من استذلّ عبدی فقد بارزنی بالمحاربه، و نحوها أخبار اخر.

و كما يحرم سبّه يحرم لعنه أيضا، و معناه الطّرد و الابعاد من رحمه اللّه بل هو نوع من السّب فيدلّ على حرمته ما دلّ على حرمه السّب مضافا إلى خصوص الأخبار النّاهيه عنه.

مثل ما رواه فی الكافی عن علیّ بن أبی حمزه عن أحدهما عليهما السّلام قال: سمعته يقول: إنّ اللّعنه إذا خرجت عن فیّ صاحبها تردّدت فان وجدت مساغا و إلّا رجعت على صاحبها.

و فيه عن أبی حمزه الثمالی قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يقول: إنّ اللّعنه إذا خرجت من فیّ صاحبها تردّدت بينهما فان وجدت مساغا و إلّا رجعت على صاحبها.

و عن معلّى عن أحمد بن غسّال عن سماعه قال: دخلت على أبی عبد اللّه عليه السّلام فقال لی مبتدأ: يا سماعه ما هذا الّذی بينك و بين جمّالك إيّاك أن تكون فحّاشا أو سخّابا أو لعّانا، فقلت: و اللّه لقد كان ذلك إنّه ظلمنی، فقال: إن كان ظلمك لقد

أربيت عليه إنّ هذا ليس من فعالى و لا آمر به شيعتى استغفر ربّك و لا تعد، قلت:

أستغفر اللّه و لا أعود.

ثمّ المراد بالمؤمن الذى قلنا بعدم جواز سبّه و لعنه هل هو مطلق المؤمن أو خصوص من لم يستحق الاستخفاف، ظاهر الأخبار الاطلاق لكنّ المستفاد من بعض الأخبار و كلمات علمائنا الأبرار هو الاختصاص فيجوز سبّ المستحق إذا لم يكن متضمّنا للقذف.

قال فى البحار بعد ما روى من الكافى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

قال: سباب المؤمن فسوق، و قتاله كفر، و أكل لحمه معصيه، و حرمه ماله كحرمه دمه: ما عبارته:

السّباب هنا بالكسر مصدر باب المفاعله، و هو إمّا بمعنى السّب أو المبالغه فى السبّ أو على بابه من الطرفين و الاضافه إلى المفعول أو الفاعل، و الأوّل أظهر فيدلّ على أنّه لا بأس بسبّ غير المؤمن إذا لم يكن قذفا.

بل يمكن أن يكون المراد بالمؤمن من لا يتظاهر بارتكاب الكبائر و لا يكون مبتدعا مستحقّا للاستخفاف.

قال المحقّق فى الشّرايع: كلّ تعريض بما يكرهه المواجه و لم يوضع للقذف لغه و لا عرفا يثبت به التعزير إلى قوله: و لو كان المقول له مستحقّا للاستخفاف فلا حدّ و لا تعزير، و كذا كلّ ما يوجب أذى كقوله: يا أجذم أو يا أبرص.

و قال الشّهيد الثّانى فى شرحه: لمّا كان أذى المؤمن الغير المستحقّ للاستخفاف محرّما فكلّ كلمه تقال له و يحصل له بها الأذى و لم تكن موضوعه للقذف بالزّنا و ما فى حكمه لغه و لا عرفا يجب بها التّعزير بفعل المحرم كغيره من المحرّمات و منه التّعبير بالأمراض.

و فى صحيحه عبد الرّحمن بن أبى عبد اللّه قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن رجل سبّ رجلا بغير قذف يعرّض به هل يجلّد؟ قال: عليه التعزير.

و المراد بكون المقول له مستحقّا للاستخفاف أن يكون فاسقا متظاهرا بفسقه

فانّه لا حرمه له حينئذ.

لما روى عن الصّادق عليه السّلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمه له، و لا غيبه قال: و فى بعض الأخبار: من تمام العباده الوقيعه فى أهل الرّيب.

و فى الصّحيح عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا رأيتم أهل البدع و الرّيب من بعدى فأظهروا البراءه منهم و أكثروا من سبّهم و القول فيهم و الوقيعه و باهتوهم لئلا يطمعوا فى الفساد فى الاسلام و يحذّرهم النّاس و لا يتعلّمون من بدعهم يكتب اللّه لكم بذلك الحسنات، و يرفع لكم به الدّرجات «فى الاخره» انتهى.

و أمّا غير المؤمن من الكافر و المنافق و المبغض لاهل محمّد صلوات اللّه و سلامه عليه و عليهم، فلا ريب فى جواز لعنهم و وجوب معاداتهم و البراءه منهم، و آيات الكتاب و روايات الأئمّه الأطياب مشحونه به، قال تعالى «إِنَّ اللّهَ لَعَنَ الْكافِرِينَ وَ أَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً » و قال «أُولئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ ».

و فى البحار من العيون باسناد التميمى عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من تولّى غير مواليه فعليه لعنه اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين قال الصّدوق فى عقايده: اعتقادنا فى الظالمين انّهم ملعونون و البراءه منهم واجبه قال اللّه عزّ و جلّ «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أُولئِكَ يُعْرَضُونَ عَلى رَبِّهِمْ وَ يَقُولُ الْأَشْهادُ هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ وَ يَبْغُونَها عِوَجاً وَ هُمْ بِالْآخِرَهِ هُمْ كافِرُونَ ».

و قال ابن عباس فى تفسير هذه الايه: سبيل اللّه عزّ و جلّ فى هذا الموضع علىّ بن أبى طالب، و الأئمه فى كتاب اللّه عزّ و جلّ: إمامان: إمام هدى، و إمام ضلاله قال اللّه جلّ ثناؤه: «وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّهً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا » و قال عزّ و جلّ فى أئمه الضلال «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ لا يُنْصَرُونَ وَ أَتْبَعْناهُمْ فِى هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَهً وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ».

و لمّا نزلت هذه الايه «وَ اتَّقُوا فِتْنَهً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خاصَّهً » قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من ظلم عليّا مقعدى هذا بعد وفاتى فكأنّما جحد نبوّتى

و نبوّه الأنبياء من قبلى، و من تولّى ظالما فهو ظالم قال اللّه عزّ و جلّ «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَ إِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ » و قال اللّه عزّ و جلّ «لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ » و قال عزّ و جلّ «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ » و قال عزّ و جلّ «وَ لا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النّارُ » و الظلم هو وضع الشىء فى غير موضعه، فمن ادّعى الامامه و ليس بامام فهو الظالم الملعون، و من وضع الامامه فى غير أهلها فهو ظالم ملعون، انتهى كلامه رفع مقامه.

و أما سبّ هؤلاء و شتمهم فالظاهر جوازه أيضا كما ظهر من المحدّث العلامه المجلسى، بل هو ظاهر عباره الشهيد الثانى أيضا لعدم الرّيب فى فسقهم الموجب للاستخفاف بأىّ نحو كان.

و يدل على ذلك صريحا ما فى تفسير علىّ بن إبراهيم القمّى فى تفسير سوره الأحزاب فى اقتصاص غزوه بنى قريظه قال: فجاء أمير المؤمنين عليه السّلام فأحاط بحصنهم فأشرف عليهم كعب بن أسيد من الحصن يشتمهم و يشتم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأقبل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على حمار فاستقبله أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: بأبى و امّى يا رسول اللّه لا تدن من الحصن، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا علىّ لعلّهم شتمونى انهم لو رأونى لأذلّهم اللّه، ثمّ دنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من حصنهم فقال: يا اخوه القرده و الخنازير و عبده الطاغوت أ تشتمونى إنا إذا نزلنا بساحه قوم فساء صباحهم، فأشرف عليهم كعب بن اسيد من الحصن فقال: يا أبا القاسم ما كنت جهولا، فاستحى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى سقط الرّداء من ظهره حياء مما قاله الحديث.

و يدل عليه أيضا ما قاله أمير المؤمنين عليه السّلام فى المختار التاسع عشر للاشعث ابن قيس: عليك لعنه اللّه و لعنه اللاعنين حائك بن حائك منافق بن كافر، و ما قاله فى المختار المأه و الخامس و الثلاثين للمغيره بن الأخنس يا ابن اللّعين الأبتر و الشجره التى لا أصل لها و لا فرع، و الأخبار فى هذا المعنى كثيره كما هو غير خفىّ

على المتتبّع الخبير.

هذا كله إذا لم يتضمّن سبّهم للقذف، و أمّا إن تضمّن ذلك فلا كالمؤمن.

و يدل على ذلك ما رواه فى الكافى باسناده عن عمرو بن النعمان الجعفى قال:

كان لأبى عبد اللّه عليه السّلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكانا فبينما هو يمشى معه فى الحذائين(۱) و معه غلام سندى له يمشى خلفهما إذا التفت الرّجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلما نظر فى الرابعه قال: يا ابن الفاعله أين كنت؟ قال:

فرفع أبو عبد اللّه عليه السّلام يده فصكّ بها جبهه نفسه ثمّ قال عليه السّلام: سبحان اللّه تقذف امّه قد كنت أرى أنّ لك ورعا فاذا ليس لك ورع، فقال: جعلت فداك إنّ امّه سنديّه مشركه فقال عليه السّلام: أما علمت أنّ لكلّ امه نكاحا تنحّ عنى، قال: فما رأيته يمشى معه حتى فرّق الموت بينهما، قال: و فى روايه اخرى انّ لكلّ امه نكاحا يحتجزون به عن الزّنا.

و فى الوسائل من الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن أبى الحسن الحذا قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فسألنى رجل ما فعل غريمك قلت:

ذاك ابن الفاعله، فنظر إلىّ أبو عبد اللّه عليه السّلام نظرا شديدا قال: فقلت: جعلت فداك إنه مجوسىّ امه اخته، فقال عليه السّلام: أ و ليس ذلك فى دينهم نكاحا.

و إذا تمهّد لك هذه المقدّمه الشريفه و عرفت جواز سبّ غير المؤمن و لعنه و طعنه و الوقيعه فيه فلنرجع إلى شرح المتن و نبيّن وجه منعه عليه السّلام لأصحابه عن سبّ أهل الشام كما يستفاد من قوله عليه السّلام:

(إنى أكره لكم أن تكونوا سبّابين) و لعلّ النكته فى ذلك أنه عليه السّلام لما كان غرضه الأصلى و مقصوده بالذّات فى جميع حروبه هدايه الانام و إعلاء كلمه الاسلام و انقاذهم من ورطات الجهاله و الضلاله لا القتل و الغاره و الملك و السلطنه بالاصاله كما أشار إلى ذلك فى المختار الرّابع و الخمسين بقوله عليه السّلام حين استبطاء أصحابه اذنه لهم فى القتال بصفين: و أما قولكم شكا فى أهل الشام فو اللّه ما دفعت الحرب يوما

۱- (۱) - الحذّاء وزان شدّاد صانع الحذاء و هو النعل، منه.

إلاّ ـ و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه فتهتدى بى و تعشو إلى ضوئى، و ذلك أحبّ إلىّ من أن اقتلها على ضلالها و إن كانت تبوء باثامها، و كان حصول هذا الغرض بالرّفق و المداراه و الحلم و كظم الغيظ لا بالغلظه و الخشونه و السّبّ و اللّعنه، لا جرم منعهم من السبّ لئلاّ يبعث على شدّه العناد و مزيد العداوه.

و الى ذلك يومى ما رواه فى الكافى عن أبى بصير عن أبى جعفر عليه السّلام قال:

إنّ رجلا من بنى تميم أتى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: اوصنى، فكان فيما أوصاه أن قال:

لا تسبّوا الناس فتكسبوا العداوه بينهم.

و يدل على ذلك صريحا قوله تعالى فى سوره بنى إسرائيل «وَ قُلْ لِعِبادِی يَقُولُوا الَّتِی هِیَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطانَ كانَ لِلْإِنْسانِ عَدُوًّا مُبِيناً » أى انّ الشيطان يفسد بينهم و يغرى بعضهم ببعض و يلقى بينهم العداوه.

قال فى الصافى فى تفسير الايه: قل لعبادى يعنى المؤمنين يقولوا للمشركين الكلمه التى هى أحسن و لا يخاطبوهم بما يغيظهم و يغضبهم إنّ الشيطان يهيج بينهم المراء و الشرّ، فلعلّ المخاشنه بهم يفضى إلى العناد و ازدياد الفساد.

و قال تعالى أيضا فى سوره السجده «لا تَسْتَوِی الْحَسَنَهُ وَ لاَ السَّيِّئَهُ ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِی بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَهٌ كَأَنَّهُ وَلِیٌّ حَمِيمٌ وَ ما يُلَقّاها إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَ ما يُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » قال فى مجمع البيان: لا تستوى الخصله الحسنه و السيئه، فلا يستوى الصبر و الغضب و الحلم و المداراه و الغلظه و العفو و الاسائه، ثمّ بيّن سبحانه ما يلزم على الدّاعى من الرّفق بالمدعوّ فقال: ادفع بالتى هى أحسن، خاطب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فقال: ادفع بحقك باطلهم و بحلمك جهلهم و بعفوك اسائتهم، فانك إذا دفعت خصومك بلين و رفق و مداراه صار عدوّك الذى يعاديك فى الدّين بصوره وليّك القريب فكأنه وليّك فى الدّين و حميمك فى النسب، و ما يلقّيها أى ما يلقّى هذه الفعله و هذه الحاله التى هى دفع السيئه بالحسنه إلاّ الذين صبروا على كظم الغيظ و احتمال المكروه، و ما يلقّيها أى هذه الخصله الاّ ذو نصيب وافر من العقل و الرّأى.

و قال تعالى أيضا فى سوره الشورى «وَ الَّذِينَ إِذا أَصابَهُمُ الْبَغْیُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ »

«وَ جَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النّاسَ وَ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ وَ لَمَنْ صَبَرَ وَ غَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

قال أمين الاسلام الطبرسى: الذين إذا أصابهم البغى من غيرهم هم ينتصرون ممّن بغى عليهم، فمن انتصر و أخذ بحقّه و لم يجاوز فى ذلك ما حدّ اللّه فهو مطيع للّه و من أطاع اللّه فهو محمود.

ثمّ ذكر حدّ الانتصار فقال: و جزاء سيئه سيئه مثلها، قيل: هو جواب القبيح إذا قال أخزاك اللّه قال أخزاك اللّه، و سمّى الثانيه سيئه للمشاكله و كونها فى مقابله الأولى.

ثمّ ذكر سبحانه العفو فقال: فمن عفى و أصلح فأجره على اللّه أى فمن عفى عمّاله المؤاخذه به و أصلح أمره بينه و بين ربّه فثوابه على اللّه إنه لا يحبّ الظالمين بيّن سبحانه انّه لم يرغب المظلوم فى العفو عن الظالم لميله إلى الظالم أو لحبّه إيّاه و لكنّه ليعرّضه بذلك لجزيل الثواب و لحبّه الاحسان و الفضل.

ثمّ ذكر سبحانه المنتصر فقال: و لمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل معناه من انتصر لنفسه و انتصف من ظالمه بعد ظلمه أى بعد أن ظلم و تعدّى عليه فالمنتصرون ما عليهم من اثم و عقوبه و ذّم إنّما السّبيل أى الاثم و العقاب على الذين يظلمون النّاس ابتداء و يبغون فى الأرض بغير الحقّ اولئك لهم عذاب أليم و لمن صبر و تحمّل المشقّه فى رضاء اللّه و غفر فلم ينتصر فانّ ذلك الصّبر و التجاوز لمن عزم الامور.

فقد علم بما ذكرنا كلّه أنّ استكراهه عليه السّلام لسبّ أهل الشّام لم يكن لتحريمه كما توهّمه الشّارح البحرانى، بل لا يراثه ازدياد الفساد و مزيد العداوه و العناد المنافى لغرضه عليه السّلام، مع أنّ فى الرّفق و المداراه و العفو و الصّفح من المصالح الدّنيويه و الاخرويّه ما لا تحصى حسبما اشيرت اليها فى الايات الشريفه و الأخبار

الّتی لا تستقصی.

و لکون هذه الخصال من مکارم الأخلاق و مزایا الخصال واظب علیها فی نفسه کما حثّ علیها أصحابه.

فقد روی فی البحار من کتاب صفّین لنصر بن مزاحم عن رجل عن منازل الجهنی عن زید بن وهب أنّ علیا مرّ علی جماعه من أهل الشّام فیهم الولید بن عقبه و هم یشتمونه فأخبروه بذلک فوقف فی ناس من إخوانه فقال:

انهدوا(۱) إلیهم و علیکم بالسّکینه و سیماء السّالکین و وقار السلام و اللّه لاقرب قوم من الجهل باللّه عزّ و جلّ قوم قائدهم و مؤدّبهم معاویه و ابن النابغه و ابن الأعور السّلمی و ابن أبی معیط شارب الحرام و المجلود حدا فی الاسلام، و هم اولی یقومون فیقصبونی(۲) و یشتمونی و قبل الیوم ما قاتلونی و شتمونی و أنا إذ ذاک أدعوهم إلی الاسلام و هم یدعونی إلی عباده الأصنام، الحمد للّه و لا إله إلاّ اللّه و قدیما ما عادنی الفاسقون إنّ هذا هو الخطب الجلیل إنّ فسّاقا کانوا عندنا غیر مرضیّین، و علی الاسلام و أهله متخوّفین، حتّی خدعوا شطر هذه الامّه و اشربوا قلوبهم حبّ الفتنه و استمالوا أهواءهم بالافک و البهتان، و قد نصبوا لنا الحرب، و جدّوا فی اطفاء نور اللّه، و اللّه متمّ نوره و لو کره الکافرون، اللّهمّ إنّهم قد ردّوا الحقّ فافضض جمعهم، و شتّت کلمتهم، و ابسلهم بخطایاهم، فانّه لا یذلّ من والیت، و لا یعزّ من عادیت.

فانظر إلی کریم خلقه و شرفه و سوددہ و حلمه، فانّه مع سماعه لشتمهم لعنهم اللّه کیف کفّ و حلم و صفح و أمر أصحابه بالنهد إلیهم و أوصاهم بالسّکینه و الوقار و لزوم سیماء الصّالحین، و لعمری إنّه علیه السّلام المصداق الحقّ لقوله تعالی «وَ ما یُلَقّاها إِلَّا الَّذِینَ صَبَرُوا وَ ما یُلَقّاها إِلاّ ذُو حَظٍّ عَظِیمٍ » هذا.

و یحتمل أن یکون السرّ فی المنع من سبّ أهل الشّام التحرّز من سبّهم له،

۱- (۱) - نهد لعدوّه صمد الیه، ق

۲- (۲) - قصبه عابه، ق

فیکون السّبّ لهم و الحال ذلک حراما، و یراد بالکراهه الحرمه لا معناها المعروف فی مصطلح المتشرّعه.

فیکون مساقه مساق قوله تعالی «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ فَیَسُبُّوا اللّهَ عَدْواً بِغَیْرِ عِلْمٍ » قال قتاده: کان المسلمون یسبّون أصنام الکفار فنهاهم عن ذلک لئلا یسبّوا اللّه فانّهم قوم جهله.

و فی مجمع البیان نهی اللّه المؤمنین أن یسبّوا الأصنام، لما فی ذلک من المفسده فقال: «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ »، أی لا تخرجوا من دعوه الکفّار و محاجّتهم إلی أن تسبّوا ما یعبدون، فانّ ذلک لیس من الحجاج فی شیء فیسبّوا اللّه عدوا أی ظلما بغیر علم و أنتم الیوم غیر قادرین علی معاقبتهم بما یستحقّون، فیدلّ علی وجوب کفّ اللّسان عن المخالفین و عن أئمتهم فی مقام عدم التمکن.

و فی تفسیر علیّ بن إبراهیم قال: حدّثنی أبی عن مسعده بن صدقه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سئل عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ الشّرک أخفی من دبیب النّمل علی صفاء سوداء فی لیله ظلماء، قال علیه السّلام: کان المؤمنون یسبّون ما یعبد المشرکون من دون اللّه، فکان المشرکون یسبّون ما یعبد المؤمنون، فنهی اللّه المؤمنین عن سبّ آلهتهم لکیلا یسبّوا الکفّار إله المؤمنین فیکون المؤمنون قد أشرکوا باللّه من حیث لا یعلمون فقال: «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ » الایه.

و فی الصّافی من الکافی عن الصّادق علیه السّلام فی حدیث: إیّاکم و سبّ أعداء اللّه حیث یسمعونکم فیسبّوا اللّه عدوا بغیر علم.

بل المستفاد من بعض الأخبار أنّ المقصود بالایه النّهی عن سبّهم لئلا یسبّوا ولیّ اللّه فیکون المراد بالایه و المراد بکلام الامام شیئا واحدا.

فقد روی فی الصّافی عن العیاشی عن الصّادق علیه السّلام انّه سئل عن هذه الایه فقال علیه السّلام: أرایت أحدا یسبّ اللّه؟ فقیل: لا و کیف؟ قال: من سبّ ولیّ اللّه فقد سبّ اللّه.

قال فی الصّافی: و فی الاعتقادات عنه علیه السّلام إنه قیل له: إنا نری فی المسجد رجلا یطعن بسبّ أعدائکم و یسبّهم، فقال: ما له لعنه اللّه تعرّض بنا قال اللّه «وَ لا تَسُبُّوا الَّذِینَ یَدْعُونَ » الایه.

قال و قال الصّادق عليه السّلام فى تفسير هذه الايه: لا تسبّوهم فانهم يسبّون عليّكم، قال: و من سبّ وليّ اللّه فقد سبّ اللّه قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لعليّ عليه السّلام: من سبّك فقد سبّنى و من سبّنى فقد سبّ اللّه و من سبّ اللّه فقد كبّه اللّه فى منخريه فى نار جهنم فقد تحصّل مما ذكرنا أنّ سبّ أعداء اللّه و لعنهم و طعنهم مندوب مرغوب شرعا عند التمكن و القدره، و الكفّ عنهم و الصفح و الاعراض واجب عند عدم الاستطاعه كما قال تعالى «فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا حَتّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ » و قال «خُذِ الْعَفْوَ وَ أْمُرْ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ » هذا.

و لما منعهم من السب رغّبهم بأحسن القول و أصوبه الذى لا يهيج الفساد فقال (و لكنكم لو وصفتم أعمالهم و ذكرتم حالهم) بدل السباب لهم و شرحتم ما هم عليه من البغى و الظلم و العدوان و اتباع الهوى و الانحراف عن قصد السبيل من باب النصح و الارشاد و التنبيه على الخطاء (كان أصوب فى القول) لأنه من باب الدفع و الجدال بالتى هى أحسن المأمور بهما فى قوله تعالى «اِدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِما يَصِفُونَ » أى أدفع باطلهم ببيان الحجج على ألطف الوجوه و أوضحها و أقربها إلى الاجابه و القبول نحن أعلم بما يكذبون و يقولون و نجازيهم بما يستحقّون و فى قوله تعالى «اُدْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » قال الطبرسى: أى ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته بالحكمه و الموعظه الحسن و هو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب فى تركه و التزهيد فى فعله، و فى ذلك تليين القلوب بما توجب الخشوع، و جادلهم بالكلمه التى هى أحسن و المعنى اقتلوا المشركين و اصرفهم عماهم عليه بالرّفق و السكينه و لين الجانب فى النصيحه ليكونوا أقرب إلى الاجابه فانّ الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج (و) كان (أبلغ فى العذر) إن مسّت الحاجه إلى الاعتذار مثل أن لو اعترض عليكم معترض منهم فى قتلهم و قتالهم كان لكم أن تجيبوهم و تعتذروا إليهم بأنا قد ذكّرناكم فلم تتذكروا، و نصحناكم فلم تنتصحوا، و وعظناكم فلم تقبلوا، فليس لكم

عندنا عتبى (و) لو (قلتم مكان سبّكم إياهم اللّهمّ احقن دمائنا و دمائهم) أى احفظها و أمسكها من السفك (و اصلح ذات بيننا و بينهم) أى العداوه التى بيننا و بينهم أو أصلح حقيقه فرقتنا و بينونتنا و بدّلها بالايتلاف و الاجتماع (و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق) و يفىء إليه (من جهله و يرعوى) أى يرتدع (عن الغىّ) و الضلال (و العدوان من لهج) و أولع (به) لكان أحسن القول و أجمله.

تكمله

هذا كلام رواه الشارح المعتزلى فى شرح المختار السادس و الأربعين من كتاب صفين لنصر بن مزاحم باختلاف و زياده احببت نقله.

قال: قال نصر: حدثنا عمر بن سعد عن الحرث بن حصين عن عبد اللّه ابن شريك قال:

خرج حجر بن عدى و عمرو بن الحمق يظهر ان البراءه من أهل الشام، فأرسل علىّ عليه السّلام إليهما أن كفّا عمّا لا ينبغى عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين ألسنا محقّين؟ قال: بلى، قالا: أو ليسوا مبطلين؟ قال: بلى، قالا: فلم منعتنا من شتمهم؟ قال:

كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين تشتمون و تبرون و لكن لو وصفتم مساوى أعمالهم فقلتم من سيرتهم كذا و كذا و من أعمالهم كذا و كذا كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر، و قلتم مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم: اللهمّ احقن دماءهم و دماءنا و أصلح ذات بينهم و بيننا و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقّ منهم من جهله و يرعوى عن الغىّ و العدوان منهم من لهج به، لكان أحبّ إلىّ و خيرا لكم، فقالا يا أمير المؤمنين نقبل عظتك و نتأدّب بأدبك.

و يظهر من هذه الروايه انه عليه السّلام كما كان يكره منهم الشتم كذلك يكره اللعن و البراءه للنكته التى قدّمناها، فما قاله الشارح المعتزلى فى شرح المقام:

من أنّ الذى كرهه عليه السّلام منهم أنهم كانوا يشتمون أهل الشام و لم يكن يكره منهم لعنهم إياهم و البراءه منهم ليس بوجيه.

الترجمه

از جملهٔ کلام نصیحت انجام آن بزرگوار است در حالتی که شنید جماعتی را از اصحاب خود که فحش می دادند شامیان را در ایام جنگ صفین:

بدرستی که من ناخوش دارم برای شما این که فحاش بشوید، و لیکن اگر تعریف نمائید عملهای ایشان را و ذکر نمائید حالهای ایشان را مقرون بصواب باشد در گفتار، و مقرون بکمال باشد در مقام اعتذار، و اگر بگوئید بجای فحش دادن شما ایشان را: بار پروردگارا نگه بدار خونهای ما و خونهای ایشان را از ریخته شدن، و اصلاح بفرما عداوت و دشمنی میان ما و میان ایشان را، و هدایت کن ایشان را از گمراهی خودشان تا این که بشناسد حق را کسی که جاهل بوده است بان و برگردد از گمراهی و تعدی کسی که حریص و مهیج باشد بان هر آینه این بهتر خواهد شد، اللهمّ وفقنا للطاعه.

و من کلام له علیه السّلام فی بعض ایام صفین و هو

اشاره

المأتان و السادس من المختار فی باب الخطب

و قد رأی الحسن علیه السّلام ابنه یتسرّع إلی الحرب:

أملکوا عنّی هذا الغلام لا یهدّنی، فإنّی أنفس بهذین - یعنی الحسن و الحسین علیهما السّلام - علی الموت، لئلّا ینقطع بهما نسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

قال الرضی أبو الحسن «ره»: قوله: املکوا عنی هذا الغلام من أعلی الکلام و أفصحه.

اللغه

(ملکه) یملکه من باب ضرب ملکا بتثلیث المیم احتواه قادرا علی الاستبداد به، فهو مالک و ذاک مملوک و عبد مملکه مثلّثه اللام إذا سبی و ملک و لم یملک أبواه

و ملـك على النّـاس أمرهم إذا تولى السـلطنه فهو ملـك بكسـر اللاـم، و أملكه الشـيء و ملّكه من بـاب الافعال و التفعيل بمعنى واحـد، و ملكت العجين ملكا من باب ضـرب شـددته و قوّيته و أنعمت عجنه، و ملك نفسه منعها من السّـقوط فى شـهواتها و ما تمالك أن فعل أى لم يقدر على حبس نفسه.

و لفظ أملكوا فى أكثر النّسخ حسبما صرّح به العلامه المجلسى أيضا بفتح الألف من باب الافعال.

و ضبطه الشّارح المعتزلى بصيغه الثلاثى مجردا قال: الألف فى املكوا وصل لأنّ الماضى ثلاثى من ملكت الفرس و الدّار و العبد أملك بالكسر أى احجروا عليه كما يحجر المالك على مملوكه، قال: و عن متعلّقه بمحذوف تقديره استولوا عليه و أبعدوه،و لمّا كان الملك سبب الهجر على مملوكه عبّر بالسّبب عن المسبّب، انتهى.

و على النسخ المشهوره فلا بدّ من جعل المزيد بمعنى المجرّد كما يستعمل المتعدّى مورد اللازم فى نحو كبّه فأكبّ.

و قـال الرّاونـدى فى محكى كلاـمه: املكوا أى أمسـكوه لأـجلى يقـال مـا تمالـك أن قـال، أى ما تماسك و قيل: إنّه من ملكت العجين أى خذوه بالشدّه.

و قال البحرانى: أملكوه شـدّوه و اضـبطوه و (الهدّ) الهدم بشدّه و الكسـر و (نفس) به من باب فرح ضنّ و بخل و (انسل) الولد و نسل نسلا من باب ضرب كثر نسله و تناسلوا توالدوا أى ولد بعضهم من بعض.

الاعراب

حرف عن فى قوله أملكوا عنّى على قول الشّارح المعتزلى و البحرانى بمعناها الأصلى أعنى المجاوزه، أو بمعنى من كما فى قوله «هُوَ الَّذِى يَقْبَـلُ التَّوْبَهَ عَنْ عِبـادِهِ » و على قول الرّاونـدى فهى بمعنى اللام للتّعليل كما فى قوله تعالى: «وَ ما كانَ اسْـتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاّ عَنْ مَوْعِدَهٍ » و الأظهر عندى أنّها بمعنى البدل و العوض

كما فی قوله تعالی «وَ اتَّقُوا يَوْماً لا تَجْزِی نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ».

و قوله لا يهدّنی فی بعض النّسخ بالنّصب علی اضمار أن أی لئلّا يهدّنی، و فی بعضها بالرّفع علی الغاء ان المضمره عن العمل كما فی قولهم: و تسمع بالمعيدی خير من أن تراه علی روايه الرّفع، و قد روی بالوجهين أيضا قول طرفه:

ألا ايّهذا الزّاجری احضر الوغی و ان اشهد اللذات هل أنت مخلد

قال علماء الأدب: و انتصاب المضارع فی هذا الشّعر بأن شاذّ لعدم وقوعه فی جواب أحد الأشياء السّته.

و يحتمل أن يكون انتصاب يهدّنی بلفظه كی مضمره إن جوّزنا إضمارها كما نصبت مظهره فی قوله تعالی «لِكَیْ لا يَكُونَ عَلَی الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ » و قوله «لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلی ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ » و قوله «كَیْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِياءِ » و «لِكَیْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً » و نحوها.

المعنی

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه الرّضی قد خاطب به أصحابه فی بعض أيّام صفين و قد رأی الامام الهمام أبا محمّد الحسن عليه السّلام ابنه يتسرّع أی يتعجّل إلی الحرب فقال لهم:

(أملكوا عنّی هذا الغلام) أراد به منعهم له من التسرّع إليه و حفظهم إياه بدلا منه.

قال الشارح المعتزلی فی وجه علوّ هذا الكلام و فصاحته علی ما أشار إليه السّيد: إنّه لمّا كان فی أملكوا معنی العبد أعقبه بعن، و ذلك أنهم لا يملكونه دون أمير المؤمنين عليه السّلام إلا و قد أبعدوه عنه ألا ترى أنك إذا حجرت علی زيد دون عمرو فقد باعدت زيدا عن عمرو، فلذلك قال: املكوا عنّی، انتهی.

و لا بأس به إلّا انه انما يحسن لو كان الحسن فی تسرّعه إلی الحرب متابعا لأبيه عليه السّلام معاقبا له فيستحسن حينئذ أن يقول عليه السّلام: ابعدوه عنی، و لكن الرّوايه لا دلاله فيها علی ذلك.

و الأوجه عندی انه علیه السّلام لما شاهد من ابنه مسارعته إلی الحرب و کان بنفسه غیر متمکن من حفظه و ممانعته لمکان اشتغاله بکریهه الحرب و القتل و القتال أمر أصحابه بمحافظته علیه السّلام بأحسن تعبیر و ألطف عباره و قال لهم: أملکوا أی أملکوه من التسرّع، فعدل عن التعبیر بلفظ المنع و الضبط و الحفظ و المراقبه و الامساک و ما ضاهاها إلی التعبیر بلفظ الملک، لما فیه من الدلاله علی التسلط و الاستیلاء و التمکّن من التصرف و القدره علی الممانعه و الحفظ بأیّ وجه أمکن و أیّ نحو شاء و أراد المالک ما لیس فی غیره من الألفاظ المذکوره، یعنی امنعوه و احفظوه منع المالک لملکه و حفظه إیاه.

ثمّ أکّد ذلک بقوله عنّی یعنی أنی کما لو کان ممکنا لی لکنت أملکه و اراقبه غایه المراقبه، فحیث إنه لا یمکن لی ذلک فکونوا مالکین له مراقبین علیه بدلا منّی و راقبوه مثل مراقبتی غیر متوانین و لا مقصّرین.

فقد علم بذلک أنّ فی هذه العباره من الدّلاله علی تأکید المنع و المحافظه ما لیس فی غیرها.

و علل علیه السّلام ذلک بقوله (لا یهدّنی) أی لئلا یکسرنی لأنّ التسرّع إلی الحرب مظنه القتل و الهلاک و موت الولد الصالح المعین خصوصا مثل أبی محمّد الحسن علیه السّلام موجب لانک «کذا» ظهر الوالد و ذهاب قوّه قلبه و نور بصره.

ثمّ علل علیه السّلام بعله ثانیه و قال (فانی أنفس) أی أبخل (بهذین - یعنی الحسن و الحسین علیهما السّلام - علی الموت لئلا ینقطع بهما نسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم).

تنبیه

اشاره

قال الشارح المعتزلی:

فان قلت: یجوز أن یقال للحسن و الحسین و ولدهما أبناء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ولد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ذرّیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و نسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟ قلت: نعم لأنّ اللّه تعالی سماهم ابناه فی قوله «نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ » و انما عنی الحسن و الحسین و لو أوصی لولد فلان بمال دخل فیه أولاد البنات و سمّی اللّه تعالی

عیسی ذرّیه إبراهیم فی قوله تعالی «وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ » إلی أن قال «وَ یَحْیی وَ عِیسی » و لم یختلف أهل اللغه فی أنّ ولد البنات من نسل الرّجل.

فان قلت: فما تصنع بقوله تعالی «ما کانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِکُمْ »؟ قلت: أسألک عن ابوّته لابراهیم بن ماریه فکلّ ما تجیب به عن ذلک فهو جوابی عن الحسن و الحسین علیهما السّلام و الجواب الشامل للجمیع أنه عنی زید بن حارثه لأنّ العرب کانت تقول: زید بن محمّد علی عادتهم فی تبنّی العبد، فأبطل اللّه ذلک و نهی عن سنه الجاهلیه و قال: إنّ محمّدا لیس أبا لواحد من الرّجال الباغین المعروفین بینکم لیفتری إلیه بالنبوّه، و ذلک لا ینفی کونه أبا لأطفال لم یطلق علیهم لفظه الرّجال کابراهیم و حسن و حسین علیهم السّلام.

فان قلت: أتقول إنّ ابن البنت ابن علی الحقیقه الأصلیه أم علی سبیل المجاز؟ قلت: لذاهب أن یذهب إلی أنّه حقیقه أصلیه لأنّ الأصل فی الاستعمال الحقیقه، و قد یکون اللفظ مشترکا بین مفهومین و هو فی أحدهما أشهر و لا یلزم من کونه أشهر فی أحدهما أن لا یکون حقیقه فی الاخر، و لذاهب أن یذهب إلی أنّه حقیقه عرفیّه، و لذاهب إلی کونه مجازا قد استعمله الشّارع، فجاز إطلاقه فی کلّ حال و استعماله کسایر المجازات المستعمله.

قال: و ما یدلّ علی اختصاص ولد فاطمه علیهما السّلام دون بنی هاشم کافه بالنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه ما کان یحلّ له علیه السّلام أن ینکح بنات الحسن و الحسین علیهما السّلام و لا بنات ذرّیتهما و إن بعدت و طال الزّمان، و یحلّ له نکاح بنات غیرهم من بنی هاشم من الطالبیّین و غیرهم و هذا یدلّ علی مزید الأقربیّه و هی کونهم أولاده فان قلت: فقد قال الشّاعر:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعد

و قال حکیم العرب أکثم الصّیفی فی البنات یذّمهنّ: إنّهنّ یلدن الأعداء و یورّثن البعداء.

قلت: إنّما قال الشّاعر ما قاله علی المفهوم الأشهر، و لیس فی قول أکثم

ما يدلّ على نفى بنوّتهم و إنّما ذكر أنّهن يلدن الأعداء و قد يكون ولد الرّجل لصلبه عدوّا قال اللّه تعالى «إِنَّ مِنْ أَزْواجِكُمْ وَ أَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ » و لا ينفى كونه عدوّا كونه ابنا، انتهى.

اقول: ما حقّقه الشّارح هو الحقّ الموافق للتحقيق، و هو مأخوذ من أخبار أهل بيت العصمه و الطهاره حسبما نشير إلى بعضها و ان شئت مزيدا على ذلك فأقول:

لا شكّ إنّ نسبه الابن و البنت إلى الأب و الامّ من حيث التّكوين و الخلقه نسبه واحده لكونهما مخلوقين من نطفتهما قال تعالى «إِنّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشاجٍ » أى أخلاط لأنّ ماء الرّجل يختلط بماء المرأه و دمها يكون مشيجا أربعين ليله، و قال أيضا «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ ماءٍ دافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ » أى صلب الرّجل و ترائب المرأه أى صدرها، لأنّ منيّها يخرج منه و من أجل اتّحاد نسبتهما إليهما فى التّكوّن صحّ إضافتهما إلى كلّ منهما فى مقام التلفّظ و التعبير من دون تفاوت، فيقال ابن فلان و ابنه فلان و ابن فلانه و ابنه فلانه، و لم يخالف فى صحّه هذه الاضافه أحد من أهل العرف و اللغه أصلا و قد قال تعالى فى كتابه العزيز «وَ آتَيْنا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّناتِ » و قال «وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرانَ الَّتِى أَحْصَنَتْ فَرْجَها ».

فاذا صحّ إضافه الابن إلى الامّ و الامّ إلى أبيها و هكذا إضافته إلى الأب و الأب إلى أبيه بلا خلاف فلتصحّ اضافته إلى أب الامّ كما تصحّ إلى أب الأب، لعدم مانع يتصوّر إلّا الشّعر المتقدّم أعنى قوله:

بنونا بنو أبنائنا و بناتنا بنوهنّ أبناء الرّجال الأباعد

و هو لا يصلح للمانعيّه.

إما لما قاله الشّارح المعتزلى: من ابتنائه على كون اطلاق الأبن على ابن الابن أشهر و أغلب من اطلاقه على ابن البنت، و الشّهره فى الاطلاق لا تدلّ على كونه حقيقه فيه فقط و مجازا فى غيره كما برهن فى الاصول.

أو لابتنائه على مجرى عاده العرب من إسقاطهم البنات مع كونهنّ أولادا

حقیقه من درجه الأولاد من أجل الاستنکاف و الالفه و النّخوه العربیّه و حمیّه الجاهلیّه کما شرح اللّه حالهم فی قوله «وَ إِذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثی ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ کَظِیمٌ یَتَوارى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ ما بُشِّرَ بِهِ أَ یُمْسِکُهُ عَلی هُونٍ أَمْ یَدُسُّهُ فِی التُّرابِ أَلا ساءَ ما یَحْکُمُونَ » و قد بلغوا فی الاستنکاف منهنّ إلی أن جرت عادتهم علی الوئد و القتل حتّی نهاهم اللّه عن ذلک و عاتبهم علیه فی قوله «وَ لا تَقْتُلُوا أَوْلادَکُمْ مِنْ إِمْلاقٍ » و قوله «وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ بِأَیِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ » حسبما عرفت تفصیل ذلک فی شرح الفصل السّادس من الخطبه المأه و الحادیه و التّسعین المعروفه بالقاصعه.

أو لما قاله ابن إدریس فی محکی کلامه من السّرائر: من أنّ الشاعر انما أراد بقوله بنونا بنو أبنائنا آه الانتساب بمعنی أنّ أولاد البنت لا ینسبون إلی امّهم و انّما ینسبون إلی آبائهم و لیس کلامنا فیه بل فی الولاده و هی متحقّقه من جهه الامّ من غیر خلاف و الذکر و الانثی فیه سواء.

و قد وافقنا علی ذلک غیر واحد من الأصحاب منهم المرتضی و ابن إدریس و صاحب الجواهر فی غیر موضع منه، و قد بسط الکلام فی ذلک کلّ البسط فی کتاب الخمس منه، و قال بعد اختیاره موافقه المرتضی فی کونه ابنه حقیقه: إنّه یظهر ذلک من جماعه من الأصحاب فی غیر المقام، بل قد یظهر من المحکیّ عن ابن إدریس فی کتاب المواریث الاجماع علیه کما عن المرتضی فیه أیضا نفی الخلاف فیه، بل و کذا المحکیّ عن خلاف الشیخ فی باب الوقف و المیراث، بل ظاهره فیهما اجماع الامّه علی ذلک.

ثمّ ساق الأدله فی ذلک، و أجاب عن الشّعر المتقدّم بأنّه مضافا إلی أنّه قول اعرابیّ جاهل لا یعارض الکتاب و السنّه محتمل لاراده المتعارف المعتاد فی جلب المنافع الدّنیویّه و المضار بالأولاد و أولادهم دون أولاد البنات، فکانوا کالأباعد بالنّسبه إلی ذلک، بل لعلّ ظهور اراده هذا الشاعر المجاز و المبالغه فی النّفی

شاهده على العكس، اذ من البعيد ارادته بيان الوضع و اللغه فتأمّل، انتهى كلامه رفع مقامه.

و الحاصل انا نرى أنهم يستعملون لفظ الابن و الولد فى ابن البنت و ولدها كاستعمالهم لهما فى ابن الابن و ولده مع عدم صحه السّلب، فيكونان حقيقه فيهما و لا دليل على المصير إلى المجاز.

و إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد أطلق على الحسنين عليهما السّلام لفظ الابن فى غير واحد من الأخبار فيكونان ابنيه حقيقه.

و من جمله هذه الأخبار الحديث المشهور انّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال فيهما: هذان ابناى إمامان.

و فى البحار من المناقب عن فردوس الدّيلمى عن سلمان قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

سمّى هارون ابنيه شبرا و شبيرا، و انّنى سمّيت ابنىّ الحسن و الحسين.

و عن الدّار قطنى بالاسناد عن ابن عمر قال: قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ابناى هذان سيدا شباب أهل الجنّه و أبوهما خير منهما.

و عن الرّاغب عن أبى هريره و بريده رأيت النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخطب على المنبر ينظر إلى الناس مرّه و إلى الحسن مرّه و قال: إنّ ابنى هذا سيصلح اللّه به بين فئتين من المسلمين.

و عن عبد الرّحمن بن أبى ليلى قال: كنّا جلوسا عند النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ أقبل الحسين عليه السّلام فجعل ينزو على ظهر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و على بطنه فبال و قال عليه السّلام دعوه، قال أبو عبيد فى غريب الحديث إنّه قال: لا تزرموا ابنى أى لا تقطعوا عليه بوله ثمّ دعا بماء فصبّه على بوله.

و عن الطبرى عن طاوس اليمانى عن ابن عبّاس قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: رأيت فى الجنّه قصرا من درّه بيضاء لا صدع فيها و لا وصل، فقلت: حبيبى جبرئيل لمن هذا القصر؟ قال: للحسين ابنك، ثمّ تقدّمت أمامه فاذا أنا بتفّاح فأخذت تفّاحه ففلقتها فخرجت منها حوراء كان مقاريم النّسور أشفار عينيها فقلت: لمن أنت؟ فبكت

ثمّ قالت: لابنک الحسین، إلی غیر هذه ممّا لا نطیل بروایتها.

فقد ظهر ممّا ذکرنا و اتّضح کلّ الوضوح أنّه لا شکّ فی کونهما علیهما السّلام ابنیه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حقیقه فلا یستریب فیه إلّا جاهل متعنّت أو جاحد متعصّب، و قد احتجّ علی ذلک الأئمه علیهم السّلام و غیرهم أیضا فی مجالس المخالفین و غیرها بأحکم بیّنه و برهان.

فقد روی فی البحار من تفسیر علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ظریف بن ناصح عن عبد الصمد بن بشیر عن أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام قال:

قال لی أبو جعفر علیه السّلام: یا أبا الجارود ما یقولون فی الحسن و الحسین علیهما السّلام قلت: ینکرون علینا أنّهما ابنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال علیه السّلام: فبأیّ شیء احتججتم علیهم؟ قلت: بقول اللّه عزّ و جلّ فی عیسی بن مریم «وَ مِنْ ذُرِّیَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَیْمانَ » إلی قوله «وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ » فجعل عیسی من ذرّیه إبراهیم قال علیه السّلام:

فأیّ شیء قالوا لکم؟ قلت: قالوا: قد یکون ولد الابنه من الولد و لا یکون من الصّلب قال علیه السّلام: فأیّ شیء احتججتم علیهم؟ قلت: احتججنا علیهم بقول اللّه عزّ و جلّ «فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَ أَبْناءَکُمْ وَ نِساءَنا وَ نِساءَکُمْ » الایه قال علیه السّلام: فأیّ شیء قالوا لکم؟ قلت: قالوا: قد یکون فی کلام العرب ابنی رجل واحد فیقول أبنائنا و انّما هما ابن واحد قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام: و اللّه یا أبا الجارود لأعطینّکها من کتاب اللّه تسمّی بصلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا یردّها إلّا الکافر، قال: قلت: جعلت فداک و أین؟ قال: حیث قال اللّه تعالی «حُرِّمَتْ عَلَیْکُمْ أُمَّهاتُکُمْ وَ بَناتُکُمْ » إلی أن ینتهی إلی قوله تعالی «وَ حَلائِلُ أَبْنائِکُمُ الَّذِینَ مِنْ أَصْلابِکُمْ » فسلهم یا أبا الجارود هل حلّ لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نکاح حلیلتهما فان قالوا: نعم فکذبوا و اللّه و فجروا، و إن قالوا: لا فهما و اللّه ابناه للصّلب و ما حرمتا علیه إلّا للصلب.

قال المحدّث العلامه المجلسیّ: وجه الاحتجاج بالایه الأخیره هو اتّفاقهم علی دخول ولد البنت فی هذه الایه و الأصل فی الاستعمال الحقیقه أو أنّهم یستدلّون بهذه الایه علی حرمه حلیله الولد و لا یتمّ إلّا بکونه ولدا حقیقه للصّلب

و هنا قصه لطيفه

و فی البحار وجدت فی بعض کتب المناقب مرسلا عن عامر الشّعبی أنّه قال:

بعث إلیّ الحجّاج ذات لیله فخشیت فقمت فتوضأت و أوصیت ثمّ دخلت علیه فنظرت فاذا نطع منشور و السّیف مسلول، فسلّمت علیه فردّ علیّ السّلام فقال:

لا تخف فقد امنتک اللّیله و غدا إلی الظهر، و أجلسنی عنده.

ثمّ أشار فاتی برجل مقیّد بالکبول و الأغلال فوضعوه بین یدیه فقال: إنّ هذا الشّیخ یقول: إنّ الحسن و الحسین کانا ابنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیأتینّی بحجّه من القرآن و إلاّ لأضربنّ عنقه، فقلت: یجب أن تحلّ قیده فانّه إذا احتجّ فانّه لا محاله یذهب و ان لم یحتج فانّ السّیف لا یقطع هذا الحدید، فخلّوا قیوده و کبوله فنظرت فاذا هو سعید بن جبیر فحزنت بذلک و قلت: کیف یجد حجّه علی ذلک من القرآن، فقال له الحجاج: ائتنی بحجّه من القرآن علی ما ادّعیت و إلاّ أضرب عنقک، فقال له: انتظر، فسکت ساعه ثمّ قال له مثل ذلک، فقال انتظر، فسکت ساعه ثمّ قال له مثل ذلک، فقال: أعوذ باللّه من الشّیطان الرّجیم بسم اللّه الرّحمن الرّحیم ثمّ قال «وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ » إلی قوله «وَ کَذلِکَ نَجْزِی الْمُحْسِنِینَ » ثمّ سکت، و قال للحجّاج اقرء ما بعده، فقرأ «وَ زَکَرِیّا وَ یَحْیی وَ عِیسی » فقال سعید: کیف یلیق ههنا عیسی؟ قال: إنّه کان من ذرّیته قال: إن کان عیسی من ذریّه إبراهیم و لم یکن له أب بل کان ابن ابنته فنسب إلیه مع بعده فالحسن و الحسین أولی أن ینسبا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مع قربهما منه، فأمر له بعشره آلاف دینار، و أمر بأن یحملوها معه إلی داره و أذن له فی الرّجوع.

قال الشّعبی: فلمّا أصبحت قلت فی نفسی قد وجب علیّ أن آتی هذا الشیخ فأتعلّم منه معانی القرآن لأنّی کنت أظنّ أنی أعرفها فأتیته فاذا هو فی المسجد و تلک الدّنانیر بین یدیه یفرّقها عشرا عشرا و یتصدّق بها، ثمّ قال: هذا کلّه ببرکه الحسن و الحسین علیهما السّلام لئن کنّا أغممنا واحدا لقد أفرحنا ألفا و أرضینّ

اللّه و رسوله.

فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّه حصل لهما عليهما السّلام من النّسب ما لم يحصل لغيرهما فانّهما ابنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سبطاه و ولداه و ذرّيتاه و سيّدا شباب أهل الجنّه، فجدّهما رسول ربّ العالمين، و أبوهما أمير المؤمنين، و امّهما سيّده نساء العالمين و هذا هو النّسب الذى تتضائل عنده الأنساب، و الشّرف الذى اسجل بصحّته الاثر و الكتاب.

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نورا و من فلق الصباح عمودا

فهما عليهما السّلام دوحتا النّبوه التّى طابت فرعا و أصلا، و شعبتا الفتوّه التى سمت رفعه و نبلا، و إنسانا عينى السّياده و الفخار، و سليلا الشّرف الذى أظهر الخيلاء فى مضر و نزار، قد اكتنفهما العزّ و الشّرف، فما له عنهما منصرف، و أحاط بهما المجد من طرفيهما، و تصوّرا من الجلاله فكادت أن تقطر من عطفيهما، و تكوّنا من الاريحيه فهى تلوح على شمائلهما، تبدو كما يبدو النّهار على مخائلهما، وفاقا فى طيب الاعراق و طهاره الاخلاق رتبه الأواخر و الأوائل، فعلت سماء فضلهما حتّى قيل: أين الثريا من يد المتناول، نسبهما يتّصل بمحمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قبل الامّ بغير فصل، و من قبل الأب يجتمع فى عبد المطلب فأعجب لطيب فرع و ذكاء أصل.

أنتم ذوو النسب القصير و طولكم باد على الكبراء و الأشراف

الخمر إن قيل ابنه العنب اكتفت بأب من الألقاب و الأوصاف

تكميل

قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و السادسه و التسعين و بعض الخطب المتضمّنه لذكر النبىّ جمله من مناقبه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و تقدّم فى غير موضع من تضاعيف الشرح فصل واف من مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام و كراماته و فضائله، و فى شرح المختار الواحد و المأتين جمله من مناقب الصدّيقه الكبرى سيده النساء سلام اللّه عليها فأحببت أن أذكر هنا شطرا من مناقب الامامين الهمامين السبطين الزّكيين أبى محمّد الحسن و أبى عبد اللّه الحسين عليهما السلام تيمّنا بذكر فضايل جميع الخمسه من آل العباء عليهم التحيه و الثناء، راجيا بذلك مزيد الأجر و الذخر يوم الجزاء،

و إن كان مناقبهم الجميله لا تعدّ و لا تحصى، و ماثرهم الجليله لا تحدّ و لا تستقصى، إلّا أن الميسور لا يسقط بالمعسور، و عسى أن يدرك المرجوّ بالمقدور.

رويدك إن أحببت نيل المطالب فلا تعد عن ترتيل آى المناقب

مناقب أصحاب الكساء قدوه الورى بهم يبتغى مطلوبه كلّ طالب

مناقب تجلى سافرات وجوهها و يجلو سناها مدلهما الغياهب

عليك بها سرّا وجه را فانها تحلّل عند اللّه أعلى المراتب

وجد عند ما يتلو لسانك آينا بدعوه قلب حاضر غير غائب

لمن قام فى تأليفها و اعتنى به ليقضى من مفروضهم كلّ واجب

عسى دعوه تزكو بها حسناته فيحظى من الحسنى بأسنى المواهب

فأقول: روى فى كشف الغمه من كتاب معالم العتره الطاهره للجنابذى عن بريده قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخطب فأقبل الحسن و الحسين عليهما السلام و عليهما قميصان أحمران يعثران و يقومان، فلما رآهما فنزل فأخذهما ثمّ صعد فوضعهما فى حجره ثمّ قال: صدق اللّه «أَنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ » رأيت هذين فلم أصبر حتى أخذتهما.

و عن فاطمه عليهما السلام بنت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنها أتت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و معها الحسن و الحسين عليهما السّلام فى مرضه الذى توفّى فيه قالت: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إنّ هذين لم تورّثهما شيئا قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: أمّا الحسن فله هيبتى و أمّا الحسين فله جرأتى و جودى.

و عن عبد اللّه بن عباس قال: بينما نحن عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ أقبلت فاطمه تبكى، فقال لها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم. ما يبكيك؟ قالت: يا رسول اللّه إنّ الحسن و الحسين خرجا فو اللّه ما أدرى أين سلكا.

فقال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لا تبكين فداك أبوك فانّ اللّه عزّ و جلّ خلقهما و هو أرحم بهما اللهمّ إن كانا قد أخذا فى برّ فاحفظهما، و إن كانا قد أخذا فى بحر فسلّمهما فهبط جبرئيل عليه السّلام فقال: يا أحمد لا تغتم و لا تحزن هما فاضلان فى الدّنيا

فاضلان فی الاخره و أبوهما خیر منهما و هما فی حظیره بنی النجار نائمین، و قد وکّل اللّه بهما ملکا یحفظهما.

قال ابن عباس: فقام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قمنا معه حتی أتینا معه حظیره بنی النجار فاذا الحسن معانق الحسین و إذا الملک قد غطاهما بأحد جناحیه.

قال: فحمل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الحسن و أخذ الحسین الملک و الناس یرون أنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حاملهما فقال أبو بکر و أبو أیوب الأنصاری: یا رسول اللّه ألا نخفّف عنک بأحد الصبیّین فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: دعاهما فانهما فاضلان فی الدّنیا فاضلان فی الاخره و أبوهما خیر منهما ثمّ قال و اللّه لاشرّفنهما الیوم بما شرّفهما اللّه فخطب فقال:

یا أیها الناس ألا اخبرکم بخیر الناس جدّا و جدّه؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه، قال: الحسن و الحسین جدّهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و جدّتهما خدیجه بنت خویلد.

ألا اخبرکم بخیر الناس أبا و أما؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه قال: الحسن و الحسین أبوهما علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و امّهما فاطمه بنت محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ألا اخبرکم أیها الناس بخیر الناس عما و عمه؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه: قال:

الحسن و الحسین عمّهما جعفر بن أبی طالب و عمّتهما امّ هانی بنت أبی طالب.

أیها الناس ألا اخبرکم بخیر الناس خالا و خاله؟ قالوا: بلی یا رسول اللّه قال: الحسن و الحسین خالهما القاسم بن محمّد و خالتهما زینب بنت محمّد ألا إنّ أباهما فی الجنّه و امهما فی الجنّه و جدّهما فی الجنّه و جدّتهما فی الجنّه و خالهما فی الجنّه و خالتهما فی الجنّه و عمّهما فی الجنّه و عمّتهما فی الجنّه و هما فی الجنّه و من أحبّهما فی الجنّه و من أحبّ من أحبّهما فی الجنّه.

و فی البحار من بعض کتب المناقب القدیمه عن محمّد بن أحمد بن علیّ بن شاذان باسناده عن ابن عباس قال:

کنت جالسا بین یدی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ذات یوم و بین یدیه علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السّلام إذ هبط جبرئیل و معه تفّاحه، فحیّا بها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و حیّا بها علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فتحیّا بها علیّ و قبلها و ردّها إلی رسول اللّه، فتحیّا بها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم

و حيّا بها الحسن و تحيّا بها الحسن و قبّلها و ردّها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فتحيّا بها رسول اللّه و حيّا بها الحسين و تحيّا بها الحسين و قبّلها و ردّها إلى رسول اللّه فتحيّا بها و حيّا بها فاطمه فتحيّت بها و قبّلتها و ردّتها إلى النبيّ، فتحيّا بها الرابعه و حيّا بها عليّ بن أبى طالب فلما همّ أن يردّها إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم سقطت التفاحه من بين أنامله فانفلقت بنصفين فسطع منها نور حتى بلغ إلى السماء الدّنيا فاذا عليها سطران مكتوبان: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم تحيّه من اللّه إلى محمّد المصطفى و عليّ المرتضى و فاطمه الزّهراء و الحسن و الحسين سبطى رسول اللّه و أمان لمحبّيهما يوم القيامه من النار.

و عن ابن شاذان عن زاذان عن سلمان قال:

أتيت النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فسلّمت عليه ثمّ دخلت على فاطمه عليهما السّلام فقال يا عبد اللّه هذان الحسن و الحسين جائعان يبكيان فخذ بأيديهما فاخرج بهما إلى جدّهما فأخذت بأيديهما و حملتهما حتى أتيت بهما إلى النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ما لكما يا حسناى؟ قالا: نشتهى طعاما يا رسول اللّه، فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اللّهم أطعمهما ثلاثا قال:

فنظرت فاذا سفرجله فى يد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم شبيهه بقلّه من حجر أشد بياضا من الثلج و أحلى من العسل و ألين من الزبد، فعركها بابهامه فصيرها نصفين ثمّ دفع إلى الحسن نصفها و إلى الحسين نصفها، فجعلت أنظر إلى النصفين فى أيديهما و أنا أشتهيها قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا سلمان هذا طعام من الجنّه لا يأكله أحد حتّى ينجو من الحساب.

و باسناده عن الطبرانى باسناده عن سلمان قال:

كنا حول النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فجاءت أم أيمن فقالت: يا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لقد ضلّ الحسن و الحسين و ذلك عند ارتفاع النهار، فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: قوموا فاطلبوا ابنيّ، فأخذ كل رجل تجاه وجهه و أخذت نحو النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم يزل حتى أتى صفح الجبل و إذا الحسن و الحسين عليهما السّلام ملتزق كلّ واحد منهما بصاحبه، و إذا شجاع قائم على ذنبه يخرج من فيه شبه النار فأسرع لى «إليه» رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فالتفت مخاطبا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ثم انساب فدخل بعض الأجحره، ثمّ أتاهما فافرق بينهما و مسح

وجوههما و قال بأبی و امّی أنتما ما أکرمکما علی اللّه، ثمّ حمل أحدهما علی عاتقه الأیمن و الاخر علی عاتقه الأیسر فقلت: طوبی کما نعم المطیه مطیتکما فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: و نعم الراکبان هما و أبوهما خیر منهما.

و روی فی المراسیل:

أنّ الحسن و الحسین علیهما السّلام کانا یبکیان، فقال الحسن للحسین علیه السّلام: خطّی أحسن، و قال الحسین: لا بل خطّی أحسن من خطّک، فقال لفاطمه علیهما السّلام حکمی بیننا فکرهت فاطمه علیها السّلام أن تؤذی أحدهما، فقالت لهما: سلا أباکما، فسألاه فکره أن یؤذی أحدهما فقال: سلاجدّ کما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: لا أحکم بینکما حتّی أسأل جبرئیل فلما جاء جبرئیل قال: لا أحکم بینهما و لکن اسرافیل یحکم بینهما فقال اسرافیل: لا أحکم بینهما و لکن اسأل اللّه أن یحکم بینهما، فسأل اللّه ذلک فقال تعالی: لا أحکم بینهما و لکن امّهما فاطمه تحکم بینهما، فقالت فاطمه:

احکم بینهما یا ربّ و کانت لها قلاده فقالت: أنا أنثر بینکما جواهر هذه القلاده فمن أخذ منها أکثر فخطّه أحسن، فنثرها و کان جبرئیل وقتئذ عند قائمه العرش، فأمره اللّه تعالی أن یهبط إلی الأرض و ینصف الجواهر بینهما کیلا یتأذّی أحدهما ففعل ذلک جبرئیل إکراما لهما و تعظیما.

و روی رکن الأئمه عبد الحمید بن میکائیل عن یوسف بن منصور السّاوی عن عبد اللّه بن محمّد الأزدی عن سهل بن عثمان عن منصور بن محمّد النسفی عن عبد اللّه ابن عمرو عن الحسن موسی عن صعدان عن مالک بن سلیمان عن ابن جریح عن عطا عن عایشه قالت:

کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم جایعا لا یقدر علی ما یأکل، فقال لی: هاتی ردائی، فقلت أین ترید؟ قال: إلی ابنتی فأنظر إلی الحسن و الحسین فیذهب بعض ما بی من الجوع، فخرج حتّی دخل علی فاطمه علیها السّلام فقال: یا فاطمه أین ابنای؟ فقالت:

يا رسول اللّه خرجا من الجوع و هما يبكيان، فخرج النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى طلبهما فرأى أبا الدّرداء فقال: يا عويمر هل رأيت ابنيّ؟ قال: نعم يا رسول اللّه هما نائمان فى ظلّ حائلى بنى جذعان، فانطلق النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فضمّهما و هما يبكيان و هو يمسح الدّموع عنهما، فقال له أبو الدّرداء: دعنى أحملهما فقال يا أبا الدّرداء دعنى أمسح الدّموع عنهما فو الذى بعثنى بالحقّ نبيا لو قطرت قطره فى الأرض لبقيت المجاعه فى امتى إلى يوم القيامه ثمّ حملهما و هما يبكيان و هو يبكى فجاء جبرئيل عليه السّلام فقال: السلام عليك يا محمّد ربّ العزّه جلّ جلاله يقرؤك السلام و يقول: ما هذا الجزع؟ فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يا جبرئيل ما أبكى جزعا بل أبكى من ذلّ الدّنيا، فقال جبرئيل:

إنّ اللّه تعالى يقول: أيسرّك أن أحوّل لك احدا ذهبا و لا ينقص مما عندى شىء؟ قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا، قال: لم؟ قال: لأنّ اللّه تعالى لم يحبّ الدّنيا و لو أحبّها لما جعلها للكافر أكملها فقال جبرئيل: ادع بالجفنه المنكوبه التى فى ناحيه البيت، قال: فدعا بها، فلما حملت فاذا فيها ثريد و لحم كثير، فقال: كل يا محمّد و أطعم ابنيك و أهل بيتك، قال: فأكلوا و شبعوا قال: ثمّ أرسل بها إلىّ فأكلوا و شبعوا و هو على حالها، قال ما رأيت جفنه أعظم بركه منها فرفعت عنهم فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الذى بعثنى بالحقّ لو سكتّ لتداولها فقراء امتى إلى يوم القيامه.

و فى البحار وجدت فى بعض مؤلفات أصحابنا أنه روى مرسلا من جماعه من الصحابه قالوا:

دخل النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دار فاطمه فقال: يا فاطمه إنّ أباك اليوم ضيفك، فقالت يا أبت إن الحسن و الحسين يطالبانى بشىء من الزاد فلم أجد لهما شيئا يقتاتان به ثمّ إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم دخل و جلس مع علىّ و الحسن و الحسين و فاطمه عليهم السّلام و فاطمه عليها السّلام متحيّره ما تدرى كيف تصنع، ثمّ إنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نظر إلى السماء ساعه و اذا بجبرئيل قد نزل و قال: يا محمّد العلىّ الأعلى يقرؤك السلام و يخصّك بالتحيّه و الاكرام و يقول لك: قل لعلىّ و فاطمه و الحسن و الحسين أىّ شىء يشتهون من

فواکه الجنّه؟ فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: یا علیّ و یا فاطمه و یا حسن و یا حسین إنّ ربّ العزّه علم أنّکم جیاع فأیّ شیء تشتهون من فواکه الجنّه؟ فأمسکوا عن الکلام و لم یردّوا جوابا حیاء من النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

فقال الحسین: عن إذنک یا أبتا یا أمیر المؤمنین و عن إذنک یا أماه یا سیّده نساء العالمین و عن إذنک یا أخاه الحسن الزّکی أختار لکم شیئا من فواکه الجنّه.

فقالوا جمیعا: قل یا حسین ما شئت فقد رضینا بما تختاره لنا، فقال: یا رسول اللّه قل لجبرئیل: إنّا نشتهی رطبا جنیّا فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: قد علم اللّه ذلک ثمّ قال:

یا فاطمه قومی و ادخلی البیت و احضری إلینا ما فیه، فدخلت فرأت فیه طبقا من البلّور مغطی بمندیل من السندس الأخضر و فیه رطب جنیّ فی غیر أوانه فقال النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: یا فاطمه أنّی لک هذا قالت: هو من عند اللّه إنّ اللّه یرزق من یشاء بغیر حساب کما قالت مریم بنت عمران.

فقام النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تناوله و قدّمه بین أیدیهم ثمّ قال: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم ثمّ أخذ رطبه واحده فوضعها فی فم الحسین علیه السّلام فقال هنیئا مریئا لک یا حسین، ثمّ أخذ رطبه فوضعها فی فم الحسن علیه السّلام و قال هنیئا مریئا لک یا حسن، ثمّ أخذ رطبه ثالثه فوضعها فی فم فاطمه الزّهراء علیها السّلام و قال هنیئا مرئیا لک یا فاطمه الزهراء، ثمّ أخذ رطبه رابعه فوضعها فی فم علیّ علیه السّلام و قال هنیئا مریئا لک یا علیّ، ثمّ ناول علیّا رطبه اخری ثمّ رطبه اخری و النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقول له هنیئا مریئا لک، ثمّ وثب النبیّ قائما ثمّ جلس ثمّ أکلوا جمیعا عن ذلک الرّطب.

فلمّا اکتفوا و اشبعوا ارتفعت المائده إلی السّماء باذن اللّه تعالی.

فقالت فاطمه: یا أبت لقد رأیت الیوم منک عجبا.

فقال: یا فاطمه أمّا الرّطبه الاولی الّتی وضعتها فی فم الحسین و قلت له هنیئا یا حسین فانّی سمعت میکائیل و اسرافیل یقولان هنیئا یا حسین فقلت أیضا موافقا لهما فی القول، ثمّ أخذت الثانیه فوضعتها فی فم الحسن فسمعت جبرئیل و میکائیل یقولان هنیئا لک یا حسن فقلت أنا موافقا لهما فی القول، ثمّ أخذت الثالثه فوضعتها

فی فمک یا فاطمه فسمعت الحور العین مسرورین مشرفین علینا من الجنان یقلن هنیئا لک یا فاطمه فقلت موافقا لهنّ بالقول، و لمّا أخذت الرّابعه فوضعتها فی فم علیّ علیه السّلام سمعت النّداء من قبل الحقّ یقول هنیئا مریئا لک یا علیّ فقلت موافقا لقول اللّه عزّ و جلّ، ثمّ ناولت علیّا رطبه اخری ثمّ اخری و أنا أسمع صوت الحقّ سبحانه یقول هنیئا مریئا لک یا علیّ فقلت موافقا لقول اللّه، ثمّ قمت إجلالا لربّ العزّه جلّ جلاله فسمعته یقول یا محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و عزّتی و جلالی لو ناولت علیّا من هذه الساعه إلی یوم القیامه رطبه رطبه لقلت هنیئا مریئا بعد بلا انقطاع و روی فی بعض الأخبار:

أنّ أعرابیا أتی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال له: یا رسول اللّه لقد صدت خشفه غزاله و أتیت بها إلیک هدیه لولدیک الحسن و الحسین، فقبلها النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و دعا له بالخیر فاذا الحسن واقف عند جدّه فرغب إلیها فأعطاه إیّاها، فما مضی ساعه إلاّ و الحسین قد أقبل فرأی الخشفه عند أخیه یلعب بها فقال: یا أخی من أین لک هذه الخشفه؟ فقال الحسن: أعطانیها جدّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، فسار الحسین مسرعا إلی جدّه فقال: یا جدّاه أعطیت أخی خشفه و لم تعطنی مثلها و جعل یکرّر القول علی جدّه و هو ساکت لکنّه یسلّی خواطره و یلاطفه بشیء من الکلام حتّی أفضی من أمر الحسین علیه السّلام إلی أن همّ یبکی.

فبینما هو کذلک إذ نحن بصیاح قد ارتفع من باب المسجد، فنظرنا فاذا ظبیه و معها خشفها و من خلفها ذئبه تسوقها إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تضربها بأحد أطرافها حتّی أتت بها النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ثمّ نطقت الغزاله بلسان فصیح فقالت: یا رسول اللّه قد کانت لی خشفتان إحداهما صادها الصیاد و أتی بها إلیک، و بقیت لی هذه الاخری و أنا بها مسروره و إنّی کنت الان ارضعها فسمعت قائلا یقول: اسرعی اسرعی یا غزاله بخشفک إلی النبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اوصلیه سریعا لأنّ الحسین واقف بین یدی جدّه و قد همّ أن یبکی

و الملائکه بأجمعهم قد رفعوا رؤوسهم من صوامع العباده، و لو بکی الحسین لبکت الملائکه المقرّبون لبکائه، و سمعت أیضا قائلا یقول: اسرعی یا غزاله قبل جریان الدموع علی خدّ الحسین فان لم تفعلی سلّطت علیک هذه الذئبه تأکلک مع خشفک فأتیت بخشفی إلیک یا رسول اللّه و قطعت مسافه بعیده و لکن طویت لی الأرض حتّی أتیتک سریعه و أنا أحمد اللّه ربّی علی أن جئتک قبل جریان دموع الحسین علی خدّه، فارتفع التّهلیل و التکبیر من الأصحاب و دعا النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الغزاله بالخیر و البرکه و أخذ الحسین الخشفه و أتی بها إلی امه الزّهراء فسرّت بذلک سرورا عظیما و روی عن سلمان الفارسی قال:

اهدی إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قطف من العنب فی غیر أوانه فقال لی: یا سلمان ایتنی بولدیّ الحسن و الحسین لیأکلا معی من هذا العنب، قال سلمان الفارسی: فذهبت أطرق علیهما منزل امّهما فلم أرهما، فأتیت منزل اختهما امّ کلثوم فلم أرهما.

فخبّرت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بذلک فاضطرب و وثب قائما و هو یقول: وا ولداه و اقرّه عیناه من یرشدنی علیهما فله علی اللّه الجنّه، فنزل جبرئیل من السماء و قال: یا محمّد علی م هذا الانزعاج؟ فقال: علی ولدیّ الحسن و الحسین فانی خائف علیهما من کید الیهود، فقال جبرئیل: یا محمّد بل خف علیهما من کید المنافقین، فانّ کیدهم أشدّ من کید الیهود اعلم یا محمّد أنّ ابنیک الحسن و الحسین نائمان فی حدیقه أبی الدّحداح.

فسار النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من وقته و ساعته إلی الحدیقه و أنا معه حتّی دخلنا الحدیقه و إذا هما نائمان و قد اعتنق أحدهما الاخر و ثعبان فی فیه طاقه ریحان یروّح بها وجهیهما.

فلّما رأی الثّعبان النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ألقی ما کان فی فیه فقال: السّلام علیک یا رسول اللّه لست أنا ثعبانا و لکنّی ملک من ملائکه الکرّ و بیّین غفلت عن ذکر ربّی طرفه عین فغضب علیّ ربّی و مسخنی ثعبانا کما تری و طردنی من السماء إلی

الأرض ولی منذ سنین کثیره أقصد کریما إلی اللّه فأسأله أن یشفع لی عند ربّی عسی أن یرحمنی و یعیدنی ملکا کما کنت أوّلا إنّه علی کلّ شیء قدیر قال: فجاء النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقبّلهما حتّی استیقظا فجلسا علی رکبتی النّبی.

فقال لهما النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: انظرا یا ولدّی هذا ملک من ملائکه اللّه الکرّوبیین قد غفل عن ذکر ربّه طرفه عین فجعله اللّه هکذا و أنا مستشفع بکما إلی اللّه فاشفعا له فوثب الحسن و الحسین علیهما السّلام فأسبغا الوضوء و صلّیا رکعتین و قالا: اللّهمّ بحقّ جدّنا الجلیل الحبیب محمّد المصطفی، و بأبینا علیّ المرتضی، و بامّنا فاطمه الزّهراء إلّا ما رددته إلی حالته الأولی.

قال فما استتمّ دعاؤهما فاذا بجبرئیل نزل من السماء فی رهط من الملائکه و بشّر ذلک الملک برضی اللّه عنه و بردّه إلی سیرته الأولی ثمّ ارتفعوا إلی السماء و هم یسبّحون اللّه تعالی.

ثمّ رجع جبرئیل إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو متبسّم، و قال یا رسول اللّه إنّ ذلک الملک یفتخر علی الملائکه السّبع السماوات و یقول لهم: من مثلی و أنا فی شفاعه السیدین السّبطین الحسن و الحسین علیهما السّلام.

و قال حکی عن عروه البارقی قال:

حججت فی بعض السّنین فدخلت مسجد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فوجدت رسول اللّه جالسا و حوله غلامان یافعان و هو یقبّل هذا مرّه و هذا اخری، فاذا رآه النّاس یفعل ذلک أمسکوا عن کلامه حتّی یقضی منهما و ما یعرفون لأیّ سبب حبّه ایّاهما.

فجئته و هو یفعل ذلک بهما فقلت: یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هذان ابناک؟ فقال:

انّهما ابنا ابنتی و ابنا أخی و ابن عمّی و أحبّ الرّجال إلیّ و من هو سمعی و بصری و من نفسه نفسی و نفسی نفسه و من أحزن لحزنه و یحزن لحزنی.

فقلت له: قد عجبت یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من فعلک بهما و حبّک لهما.

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم له: أحدّثک أیّها الرّجل إنّی لمّا عرج بی إلی السماء و دخلت

الجنّه انتهيت إلى شجره فى رياض الجنّه فعجبت من طيب رايحتها فقال لى جبرئيل:

يا محمّد تعجب من هذه الشجره فثمرها أطيب من ريحها، فجعل جبرئيل يتحفنى من ثمرها و يطعمنى من فاكهتها و أنا لا أملّ منها، ثمّ مررنا بشجره اخرى فقال لى جبرئيل: يا محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كل من هذه الشجره فانّها تشبه الشجره الّتى أكلت منها الثمر فهى أطيب طعما و أزكا رايحه.

قال: فجعل جبرئيل يتحفنى بثمرها و يشمّنى من رايحتها و أنا لا أملّ منها، فقلت: يا أخى جبرئيل ما رأيت فى الأشجار أطيب و لا أحسن من هاتين الشّجرتين، فقال لى: يا محمّد أ تدرى ما اسم هاتين الشّجرتين؟ فقلت: لا أدرى، فقال: إحداهما الحسن و الاخرى الحسين، فاذا هبطت يا محمّد إلى الأرض من فورك فأت زوجتك خديجه و واقعها من وقتك و ساعتك فانّه يخرج منك طيب رايحه الثمر الّذى أكلته من هاتين الشّجرتين فتلد لك فاطمه الزّهراء، ثمّ زوّجها أخاك عليّا فتلد له ابنين فسمّ أحدهما الحسن و الاخر الحسين.

قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ففعلت ما أمرنى أخى جبرئيل فكان الأمر ما كان، فنزل إلىّ جبرئيل بعد ما ولد الحسن و الحسين فقلت له: يا جبرئيل ما أشوقنى إلى تينك الشّجرتين فقال لى: يا محمّد إذا اشتقت إلى الأكل من ثمره تينك الشّجرتين فشمّ الحسن و الحسين.

قال: فجعل النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلّما اشتاق إلى الشّجرتين يشمّ الحسن و الحسين عليهما الصلاه و السّلام و يلثمهما و هو يقول: صدق أخى جبرئيل، ثمّ يقبّل الحسن و الحسين عليهما السّلام و يقول: يا أصحابى انّى أودّ أنّى اقاسمهما حياتى لحبّى لهما و هما ريحانتاى من الدّنيا، فتعجّب الرّجل وصف النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للحسن و الحسين عليهما السّلام.

و فى كشف الغمّه قال البغوى يرفعه إلى يعلى قال:

جاء الحسن و الحسين يسعيان إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخذ أحدهما فضمّه إلى ابطه و أخذ الاخر فضّمه إلى ابطه الاخرى فقال: هذان ريحانتاى من الدّنيا من أحبّنى فليحبّهما.

و فیه عن أبی هریره قال:

خرج علینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و معه حسن و حسین علیهما السّلام هذا علی عاتقه و هذا علی عاتقه و هو یلثم هذا مرّه و هذا مرّه حتّی انتهی إلینا، فقال له رجل: یا رسول اللّه إنّک تحبّهما فقال: من أحبّهما فقد أحبّنی و من أبغضهما فقد أبغضنی.

أقول: هذه الأخبار أنموذج من مناقب أخبار السّبطین سلام اللّه علیهما و علی جدّهما و أبیهما و امّهما و ظهر منها کیفیّه عنایه اللّه تعالی و عنایه رسوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و إکرامهما فی حقّهما کما ظهر فرط محبّه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و محبّه أمیر المؤمنین إیّاهما إلی مرتبه یودّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یقاسمهما حیاته کما مرّ فی آخر روایات البحار و یرضی أمیر المؤمنین علیه السّلام بأن یخوض بنفسه الشّریف فی غمرات الحرب و یضنّ بهما ذلک حذرا من انقطاع نسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حسبما مرّ فی هذا الکلام الّذی نحن فی شرحه.

فلعن اللّه امه بلغوا الغایه فی العصیان، و وصلوا إلی النّهایه فی إرضاء الشیطان و أقدموا علی أمر عظیم من إسخاط الرّحمن، کیف سعوا فی إطفاء نور اللّه و جدّوا فی قطع نسل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و بدّلوا ما وصّاهم اللّه به من مودّه القربی بالعداوه و البغضاء، و ما أوصاهم به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من محبّه العتره بالشقاوه و الشقاء.

فشوها لتلک الوجوه الّتی شوّهها الکفر و الفسوق و العصیان، و سوأه لهذه الامّه الّتی لم تبق شیئا من مراتب العداوه و العناد و الطغیان، فکیف لو شاهدهم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مع ما أقدموا علیه فی حقّ الال من سفک الدّماء و قتل الرجال و سبی الحریم و ذبح الأطفال، اولئک علیهم لعنه اللّه و الملائکه و الناس أجمعین و سیعلم الذین ظلموا أیّ منقلب ینقلبون.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در بعض أیّام جنگ صفین در حالتی که دید پسرش امام حسن علیه السّلام را می شتابد بسوی جنگ فرمود بأصحاب خود:

مالک شوید و ممانعت نمائید بعوض من این جوان را تا آنکه نشکند بنیهٔ

بدن مرا، پس بدرستی که من بخیل ترم باین دو جوان که حسن و حسین علیهما السّلام باشند بر مرگ، مبادا بریده شود بجهت موت ایشان نسل بر گزیدهٔ پیغمبر آن رسول خدا صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

سیّد رضی رحمه اللّه علیه گفته که: فرمایش آن حضرت که فرموده مالک شوید بعوض من از جمله کلام عالی مقام او و متضمّن غایت فصاحتست.

و من کلام له علیه السّلام و هو

اشاره

المأتان و السابع من المختار

فی باب الخطب

و قد رویناه فی شرح الخطبه الخامسه و الثلاثین من کتاب صفین لنصر بن مزاحم باختلاف یسیر عرفته. قاله لمّا اضطرب علیه علیه السّلام أصحابه فی أمر الحکومه.

أیّها النّاس إنّه لم یزل أمری معکم علی ما أحبّ، حتّی نهکتکم الحرب، و قد و اللّه أخذت منکم و ترکت، و هی لعدوّکم أنهک، لقد کنت أمس أمیرا، فأصبحت الیوم مأمورا، و کنت أمس ناهیا، فأصبحت الیوم منهیّا، و قد أحببتم البقاء، و لیس لی أن أحملکم علی ما تکرهون.

اللغه

(نهکته) الحمّی نهکاً من باب منع و تعب هزلته، و نهکه السلطان عقوبه بالغ فیه، و نهکت الثّوب لبسته حتّی خلق و بلی (و الحرب) مؤنّث سماعیّ و قد تذکر ذهابا إلی معنی القتال فیقال حرب شدید

الاعراب

قوله عليه السّلام: و قد و اللّه أخذت، جمله القسم معترضه بين قد و مدخولها جيئت بها لتأكيد الكلام.

المعنى

اعلم أنّه قد تقدّم فى شرح الخطبه الخامسه و الثلاثين تفصيل قصّه الحكومه و عرفت هناك أنّ أهل الشام لمّا ضعفوا عن مقاومه أهل العراق و عجزوا عن مقاتلتهم و رأوا علوّ كلمه الحقّ و أيقنوا بالهلاك و العطب، عدلوا عن القراع إلى الخداع فرفعوا المصاحف على الرّماح بتدبير ابن النابغه عمرو بن العاص اللّعين على وجه الخديعه و المكيده.

و لمّا رأى أهل العراق منهم ذلك كفّوا أيديهم عن القتال و اجتمعوا عليه عليه السّلام و طالبوه بالكفّ عنهم و كانوا فى ذلك على أقسام.

فمنهم من دخلت عليه الشّبهه برفع المصاحف و اعتقدوا أنّهم لم يرفعوها خديعه و حيله بل حقا و عملا بموجب الكتاب و تسليما للدّين الحقّ فرأى أنّ الاستسلام للحجّه أولى من الاصرار على الحرب.

و منهم من قد كان ملّ من الحرب بطول المدّه، فلمّا رأى شبهه ما يسوغ التعلّق بها فى رفض المحاربه و حبّ العافيه أخلد إليها.

و منهم من كان يبغض أمير المؤمنين عليه السّلام بالباطن و يطيعه بالظاهر كما يطيع كثير من النّاس السلطان ظاهرا أو يبغضه باطنا فلمّا وجد طريقا إلى خذلانه و ترك نصرته أسرع إليها.

فاجتمع جمهور عسكره إليه عليه السّلام و طالبوه الكفّ فامتنع امتناع عالم بالمكيده و عرّفهم أنّها خدعه و حيله و قال لهم: إنّى أعرف بالقوم منكم و أعلم أنّهم ليسوا بأهل دين و لا قرآن فلا تغترّوا برفعهم للمصاحف و انهدوا إليهم و لم يبق منهم إلّا آخر نفسهم، فأبوا عليه و لجّوا و أصرّوا على القعود و الخذلان و طلبوا أن ينفذ إلى الأشتر و ساير المحاربين أن يكفّوا عن الحرب و يرجعوا.

فأرسل إلى الأشتر و أمره بالرّجوع، فقال الأشتر: و كيف أرجع و قد لاحت

أمارات الظفر و قال له: ليمهلنى ساعه واحده و لم يكن عالما بصوره الحال، فلمّا عاد إليه الرّسول بذلك غضبوا و شغبوا و قالوا: أنفذت إلى الأشتر سرّا تأمره بالجدّ و تنهاه عن الكفّ و إن لم يعد قتلناك كما قتلنا عثمان.

فرجعت الرّسل إلى الاشتر فقالوا له: أ تحبّ أن تظفر بالعدوّ و أمير المؤمنين قد سلّت عليه خمسون ألف سيف، فقال: ما الخبر؟ قالوا: إنّ الجيش بأسره قد أحدقوا به و هو جالس بينهم على الأرض تحته نطع و هو مطرق و البارقه تلمع على رأسه يقولون: لئن لم يرجع الأشتر قتلناك.

فرجع فوجد أمير المؤمنين تحت الخطر قد ردّوه أصحابه بين الأمرين إن لم يكفّ عن الحرب إمّا أن يسلّموه إلى معاويه أو يقتلوه و لا ناصر له منهم إلّا ولداه و ابن عمّه و نفر قليل لا يبلغ عشره.

فلمّا رآهم الأشتر شتمهم و شتموه و أبوا و قالوا: المصاحف المصاحف و الرّجوع إليها لا نرى غير ذلك، فأجابهم أمير المؤمنين إلى ذلك كرها دفعا للأفسد بالفاسد و قال لهم:

(أيّها الناس إنه لم يزل أمرى معكم على ما احبّ) من قتال أهل البغى و العدوان و استيصال القاسطين من حزب الشّيطان (حتّى) عاد طاعتكم لى إلى المخالفه و نصرتكم إلى الخذلان و المنابذه فأبيتم إباء المخالفين الجفاه و المنابذين العصاه بما (نهكتكم) و هزلتكم (الحرب) بطول مدّتها و ثقل أوزارها.

و نبّه على خطائهم فى القعود عنها بقوله (و قد و اللّه أخذت منكم) طائفه (و تركت) طائفه فلم تستأصلكم بالمرّه بل بقيت منكم بقيّه (و هى لعدوّكم) أنكى و (أنهك) إذ لم يبق منهم إلّا حشاشه ضعيفه فانّ القتل فى أهل الشام كان أشدّ استحرارا و الوهن فيهم أظهر، و لو لا فساد أهل العراق لاستوصل الشّام و خلص إلى معاويه فأخذه بعنقه، و لم يكن قد بقى من قوّه أهل الشام إلّا حركه المذبوح و مثل حركه ذنب الوزغه عند قتلها يضطرب يمينا و شمالا.

ثمّ أخذ فى التّشكّى منهم بسوء فعلهم فقال(لقد كنت أمس أميرا فأصبحت

اليوم مأمورا) لا يخفى حسن المقابله بين القرينتين و هو من مقابله الثلاثه بالثلاثه.

و كذا فى قوله(و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منهيّا) ثمّ ساق الكلام مساق التّعريض و التقريع فقال (و قد أحببتم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون) من القتال و القتل، و عدم حمله لهم على ذلك إمّا لعدم القدره أو لعدم اقتضاء المصلحه ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا.

الترجمه

از جمله كلام معجز نظام آن امام أنام عليه الصلاه و السلام است كه فرموده آن را هنگامى كه مضطرب شدند و اغتشاش نمودند أصحاب او بر او در أمر حكومت حكمين پس فرمود آن بزرگوار بايشان:

اى مردمان بدرستى كه ثابت بود أمر من و شما بر چيزى كه دوست مى داشتم تا اين كه لاغر و ضعيف نمود شما را حرب و كارزار و حال آنكه قسم بخدا آن حرب بعض شما را فرا گرفت و بعضى را فرو گذاشت، و از براى دشمن زيادتر موجب لاغرى آنها شد، بتحقيق بودم ديروز أمير شما پس گرديدم امروز مأمور، و بودم ديروز نهى كننده و گرديم امروز نهى شده، و بتحقيق دوست داشتيد زندگانى را و نيست مرا كه الزام نمايم شما را بر چيزى كه مكروه طبع شماست.

و من كلام له عليه السّلام بالبصره و هو

اشاره

المأتان و الثامن من المختار فى باب الخطب

و هو مروىّ فى شرح المعتزلى باختلاف تعرفه إنشاء اللّه، و روى بعض فقراته فى الكافى أيضا مسندا بسند نذكره فى التّكمله الاتيه.

قال الرضىّ رضى اللّه عنه: و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى و هو من أصحابه يعوده فلمّا رأى سعه داره قال عليه السّلام:

ما كنت تصنع بسعه هذه الدّار فى الدّنيا، أما أنت إليها فى الاخره

كنت أحوج، و بلى إن شئت بلغت بها الاخره تقرى فيها الضّيف، و تصل فيها الرّحم، و تطلع منها الحقوق مطالعها، فإذا أنت قد بلغت بها الاخره. فقال له عليه السّلام العلاء يا أمير المؤمنين أشكو إليك أخى عاصم بن زياد قال عليه السّلام: و ما له؟ قال: لبس العباء و تخلّى من الدّنيا، قال عليه السّلام: علىّ به فلمّا جاء قال:

يا عدىّ نفسه، لقد استهام بك الخبيث، أ ما رحمت أهلك و ولدك، أ ترى اللّه أحلّ لك الطّيّبات و هو يكره أن تأخذها، أنت أهون على اللّه من ذلك، قال: يا أمير المؤمنين هذا أنت فى خشونه ملبسك و جشوبه مأكلك، قال عليه السّلام: ويحك إنّى لست كأنت، إنّ اللّه تعالى فرض على أئمّه الحقّ أن يقدروا أنفسهم بضعفه النّاس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره.

اللغه

(وسع) المكان القوم و وسع المكان يسع أى اتّسع يتعدّى و لا يتعدّى و المصدر سعه بفتح السّين و به قرء السبعه فى قوله تعالى «وَ لَمْ يُؤْتَ سَعَهً مِنَ الْمالِ » و كسرها لغه و به قرء بعض التابعين قال الفيومى قيل: الأصل فى المضارع الكسر و لهذا حذفت الواو لوقوعها بين ياء مفتوحه و كسره ثمّ فتحت بعد الحذف لمكان حرف الحلق، و مثله يهب و يقع و يدع و يلغ و يطأ و يضع، و الحذف فى يسع و يطأ ممّا ماضيه مكسور شاذّ لأنّهم قالوا: فعل بالكسر مضارعه يفعل بالفتح

و استثنوا أفعالا ليست هذه منها.

(و قريت) الضّعيف أقريه من باب رمى و (عدىّ نفسه) تصغير عدو و أصله عديو و فحذفت إحدى الواوين و قلبت الثّانيه ياء تخفيفا ثمّ ادغمت ياء التصغير فيها و (هام) يهيم خرج على وجهه لا يدرى أين يتوجّه فهو هائم و استهام بك أى جعلك هائما، و قال الشارح البحرانى: اى أذهبك لوجهك و زيّن لك الهيام و هو الذّهاب فى التّيه.

و (الملبس) و (المأكل) مصدران بمعنى المفعول، و طعام (جشب) و مجشوب غليظ و قيل الّذى لا ادام معه و (أئمّه الحقّ) فى بعض النسخ أئمّه العدل بدله و (يقدروا) أنفسهم فى بعض النسخ بالتخفيف مضارع قدر من باب ضرب و فى بعضها بالتثقيل و المعنى واحد مأخوذان من القدر بمعنى التضييق قال تعالى «اَللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ وَ يَقْدِرُ » له أو بمعنى قياس الشىء بالشّىء و يقال أيضا هذا قدر هذا و قدره أى مماثله و (البيغ) ثوران الدّم و تبيغ عليه الأمر اختلط و الدّم هاج و غلب.

الاعراب

قوله: ما كنت تصنع، كان هنا زايده كما فى قوله تعالى «كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا » و قوله: أما أنت اه أما حرف استفتاح يبدء بها الكلام و فايدتها المعنويّه توكيد مضمون الجمله الّتى بعدها قال نجم الأئمّه: و كأنها مركبه من همزه الانكار و حرف النّفى و الانكار نفى و نفى النّفى إثبات ركب الحرفان لافاده الاثبات و التّحقيق و فايدتها اللّفظيّه كون الكلام بعدها مبتدأ به، و فى بعض النّسخ ما أنت بدل أما أنت و عليه فتكون ما موصوله بدلا من الدّار أو من سعه و الأوّل أظهر.

و قوله إليها متعلق بقوله أحوج، و كذا قوله: فى الاخره، و قوله: و بلى استدراك عن الجمله السّابقه قال الفرّاء أصلها بل زيدت عليها الألف للوقف، و قال نجم الأئمّه: لفظه بل التى تليها الجمل للانتقال من جمله إلى اخرى أهمّ من الاولى، قال: و تجىء بعد الاستفهام أيضا كقوله: «أَ تَأْتُونَ الذُّكْرانَ » إلى قوله «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ ».

أقول: و يكون بلى هنا بمعنى الاستدراك ادخلت عليها الواو كما تدخل على لكن، و يجوز جعلها عاطفه للجمله على الجمله و لكن جعلها اعتراضيّه أظهر من حيث المعنى.

و جمله تقرى فيها الضّيف يجوز أن تكون حالا من قوله بها، و يجوز أن تكون استينافا بيانيّا فانّه عليه السّلام لمّا قال له: إن شئت بلغت بها، فكأنه سئل عن كيفيّه البلاغ فقال: تقرى فيها.

و قوله: عليّ به، اسم فعل أى ايتونى به قال نجم الأئمه: يقال عليك زيدا أى خذه كأنّ الأصل عليك أخذه و أمّا عليّ بمعنى ادلّنى فهو مخالف للقياس من وجه آخر إذ هو أمر لكن الضمير المجرور به فى معنى المفعول يقال عليّ زيدا أى قرّ بنيه و القياس أن يكون المجرور فاعلا و قوله: يا عدىّ نفسه يحتمل أن يكون التصغير للتحقير، و أن يكون للتعظيم كما فى قول الشاعر:

و ديهيه تصفرّ منها الأنامل

و جمله: لقد استهام بك، جواب قسم مقدّر و الباء زايده، و أما رحمت، حرف تنديم و أ ترى اللّه استفهام توبيخى، و قوله هذا أنت فى خشونه ملبسك الظرف حال من أنت لأنه فى المعنى مفعول لمدلول هذا أى اشير إليك حال كونك فى خشونه اه و مثل ذلك قوله تعالى «هذا بَعْلِي شَيْخاً » أى انبّه عليه أو اشير إليه شيخا.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام قاله بالبصره و قد دخل على العلاء بن زياد الحارثى و هو من أصحابه يعوده و يتفقّد حاله لمرضه فلمّا رأى عليه السّلام سعه داره قال:

(ما كنت تصنع بسعه هذه الدّار فى الدّنيا) استفهام وارد معرض التوبيخ و الانكار لما صنعه لمنافاته الزّهد المطلوب و لمّا نبه على ذلك أردفه بقوله (أما أنت إليها فى الاخره كنت أحوج) تنبيها له على كون السعه محتاجا إليها فى الاخره مزيد الاحتياج، و ذلك لكون الدنيا دار فناء و انقطاع و الاخره دار قرار و بقاء، و معلوم أنّ إصلاح المقرّ أولى من الممرّ، و الحاجه إليه فيه أزيد و أشدّ.

ثمّ استدرک بقوله (و بلی إن شئت بلغت بها الاخره) یعنی أنّک بعد ما فرطت فی توسعتها و بنائها یمکن لک تدارک ذلک بأن تجعلها بلاغا و وصله و وسیله إلی اتّساع الدّار الاخره بأن (تقری فیها الضّیف و تصل فیها الرّحم) و القرابه (و تطلع منها الحقوق مطالعها) أی تخرج فیها الحقوق الماليّه الواجبه و المندوبه من الخمس و الزّکاه و الصّدقات و صنایع المعروف و الحقّ المعلوم للسائل و المحروم و ساير وجوه البرّ المقرّبه إلی اللّه سبحانه و تضعها فی مواضعها اللایقه و تصرفها فی مصارفها المستحقّه.

و قال الشارح البحرانی: مطالع الحقوق وجوهها الشرعیّه المتعلّقه به کالزّکاه و الصّدقه و غیرهما، و الأظهر بل الأولی ما ذکرناه.

و کیف کان فالمراد أنّک إن أتیت فیها بالقربات و الحسنات و أقمت باخراج الحقوق المفروضات و المندوبات (فاذا أنت قد بلغت بها الاخره) و احملت «جمعت ظ» بینها و بین الدّنیا (فقال له العلاء یا أمیر المؤمنین أشکو إلیک أخی عاصم بن زیاد قال و ما له قال لبس العباء و تخلّی من الدّنیا).

قیل: المراد بلبس العباء جعلها شعارا أو ترک القطن و نحوه و الاکتفاء بلبسها فی الصّیف و الشّتاء و فی وصیّه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأبی ذر: یکون فی آخر الزّمان قوم یلبسون الصوف فی صیفهم و شتائهم یرون لهم بذلک الفضل علی غیرهم اولئک یلعنهم ملائکه السماوات و الأرض، انتهی.

أقول: و الأظهر أنّ المراد أنّه اقتصر بلبس العباء و ترک الدّنیا بالمرّه و لم یأخذ منها سواها.

(قال علیه السّلام علیّ به) أی ائتونی به و احضروه لدیّ (فلمّا جاء قال علیه السّلام یا عدّی نفسه).

قال الشارح البحرانی: صغّره استصغارا له باعتبار أنّ شیطانه لم یقده إلی کبیره بل قاده إلی أمر و إن کان خارجا به عن الشریعه إلّا أنّه قریب من السلامه و دخل علیه بالخدعه فی رأی الصّالحین، و قیل: بل صغّره من جهه حقاره فعله ذلک

لكونه عن جهل منه، انتهى.

و الأظهر أن يكون التصغير للتّعظيم، و الغرض منه استعظامه لعداوته لها باعتبار ظلمه عليها، و ذلك لأن لنفسه و لكلّ من جوارحه عليه حقّا و قد روينا فى شرح الخطبه التّاسعه و الثمانين فى ضمن أخبار محاسبه النفس من الوسايل من الخصال و معانى الأخبار عن عطا عن أبى ذر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث قال: و على العاقل ما لم يكن مغلوبا أن تكون له ساعات: ساعه يناجى فيها ربّه، و ساعه يحاسب فيها نفسه، و ساعه يتفكّر فيها صنع اللّه إليه، و ساعه يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال فانّ هذه السّاعه معينه لتلك السّاعات، و استجمام للقلوب و تفريغ لها.

و فى البحار من كتاب تنبيه الخاطر قيل: إنّ سلمان رضى اللّه عنه جاء زائرا لأبى الدّرداء فوجد امّ الدّرداء مبتذله، فقال: ما شأنك؟ قالت: إنّ أخاك ليست له حاجه فى شىء من أمر الدّنيا، قال: فلمّا جاء أبو الدّرداء رحّب لسلمان و قرّب إليه طعاما فقال لسلمان اطعم فقال: إنّى صائم، قال: أقسمت عليك إلاّ ما اطعمت، فقال: ما أنا باكل حتّى تأكل، قال: و بات عنده فلمّا جاء الليل قام أبو الدّرداء فحبسه سلمان فقال: يا أبا الدّرداء إنّ لربّك عليك حقّا، و لجسدك عليك حقّا، و لأهلك عليك حقّا، فصم و افطر و صلّ و نم و أعط كلّ ذى حقّ حقّه، فأتى أبو الدّرداء النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فأخبره بما قال سلمان فقال عليه السّلام مثل قول سلمان.

و قوله (لقد استهام بك الخبيث) أى جعلك هائما متحيّرا لا تدرى ما تفعل و أين تذهب، و فيه تنبيه على أنّ تركه للدّنيا لم يكن عن خالص العقل، بل كان بمداخله الشيطان و شوب الهوى، و ذلك بما كان فى فعله ذلك من الاخلال بجمله من الحقوق الواجبه شرعا عليه من حقّ الأهل و الأولاد كما أشار إليه بقوله:

(أ ما رحمت أهلك و ولدك) استفهام فى معرض التّوبيخ و الانكار، لاعراضه عنهم و تركه لهم و عدم ترحّمه عليهم، و قد جعل اللّه تعالى عليه حقّا.

كما يدلّ عليه ما رواه فى البحار من كتاب تحف العقول فى رساله علىّ بن

الحسين عليه السّلام المعروفه برساله الحقوق قال عليه السّلام:

و أمّا حقّ أهل بيتك عامّه، فاضمار السلامه، و نشر جناح الرّحمه، و الرّفق بمسيئهم، و شكر محسنهم إلى نفسه و إليك فانّ إحسانه إلى نفسه إحسانه إليك إذا كفّ عنك أذاه و كفاه مؤنته و حبس عنك نفسه. فعمّهم جميعا بدعوتك و انصرهم جميعا بنصرتك، و أنزلهم جميعا منك منازلهم، كبيرهم بمنزله الوالد، و صغيرهم بمنزله الولد، و أوسطهم بمنزله الأخ.

و فى هذه الرّساله أيضا و أمّا حقّ ولدك فتعلم أنّه منك و مضاف إليك فى عاجل الدّنيا بخيره و شرّه و انك مسئول عمّا ولّيته من حسن الأدب و الدلاله على ربّه و المعونه له على طاعته فيك و فى نفسه فمثاب على ذلك و معاقب فاعمل فى أمره عمل المتزّين بحسن أثره عليه فى عاجل الدّنيا المعذر إلى ربّه فيما بينك و بينه بحسن القيام عليه و الأخذ له منه و لا قوّه إلاّ باللّه.

و فى البحار من الفقه الرّضوى أروى عن العالم عليه السّلام، أنّه قال لرجل:

ألك والدان؟ فقال: لا، فقال: أ لك ولد؟ قال: نعم، قال له: برّ ولدك يحسب لك برّ والديك.

و روى أنّه قال: برّوا أولادكم و أحسنوا إليهم فانّهم يظنّون أنكم ترزقونهم و فى الفقيه قال الصادق عليه السّلام برّ الرّجل بولده برّه بوالديه.

و فى خبر آخر من كان عنده صبىّ فليتصابّ له.

و فى الوسايل من الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّ اللّه ليرحم العبد لشدّه حبّه بولده.

و عن كليب الصيداوى قال قال لى أبو الحسن عليه السّلام: اذا وعدتم الصبيان ففوا لهم فانّهم يرون أنّكم الذين ترزقونهم، إنّ اللّه عزّ و جلّ ليس يغضب لشىء كغضبه للنساء و الصبيان.

و فى الكافى فى كتاب المعيشه فى باب الحثّ على الطلب و التعرّض للرّزق عن معلّى بن خنيس قال: سأل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن رجل و أنا عنده، فقيل: أصابته الحاجه

فقال: ما يصنع اليوم؟ قيل: فى البيت يعبد ربّه قال: فمن أين قوته؟ قيل: من عند بعض إخوانه فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: و اللّه الذى يقوته أشدّ عباده منه.

و فيه عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: من طلب الدنيا استعفافا عن الناس و سعيا على أهله و تعطفا على جاره لقى اللّه عزّ و جلّ يوم القيامه و وجهه مثل القمر ليله البدر.

ثمّ أنكر عليه ثانيا بقوله (أ ترى اللّه أحلّ لك الطيّبات) من الرزق و الفاخرات من اللّباس (و هو يكره أن تأخذها) و نبّه بهذه الجمله الانكاريّه على أنّ التخليه من الدّنيا بالكليّه ليست مطلوبه للشّارع، لأنّها توجب اختلال نظام العالم، و فيه نقض لغرض الشّارع و مقصوده الذى هو عماره الأرض و بقاء النّوع الانسانى حينا من الدّهر و مدّه من الزّمان الّتى اقتضت الحكمه الالهيّه و المشيّه الرّبانيه بقائه إلى تلك المدّه ليعبدوه و يوحّدوه سبحانه فيها، لأنّ التّعمير و التمدّن و بقاء النوع لا يحصل و لا يتمّ إلاّ بتعاون أبناء النّوع و تشاركهم على القيام بمصالح البقاء و لوازمه و ترك الدّنيا و الاعراض عنها مناف لذلك الغرض البتّه، هذا.

و فى قوله عليه السّلام:أ ترى اللّه أحلّ لك الطيّبات،تلميح إلى قوله عزّ و جلّ«قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَياهِ الدُّنْيا خالِصَهً يَوْمَ الْقِيامَهِ »أى من حرّم الثّياب الّتى تتزّين بها الناس و ساير ما يتجمّل به مما أخرجها اللّه من الأرض لعباده من القطن و الكتان و الابريشم و الصّوف و الجواهر و المستلذّات من الماكل و المشارب روى فى الصافى من الكافى عن الصّادق عليه السّلام بعث أمير المؤمنين عبد اللّه بن عباس إلى ابن الكوّا و أصحابه و عليه قميص رقيق و حلّه، فلمّا نظروا إليه قالوا:

يا ابن عباس أنت خيرنا فى أنفسنا و أنت تلبس هذا اللّباس؟ قال: و هذا أوّل ما اخاصمكم فيه «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ » و قال اللّه «خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ».

و عن الصادق عليه السّلام أنّه كان متكئا على بعض أصحابه فلقيه عباد بن كثير

و علیه علیه السّلام ثیاب مرویه(۱) فقال یا أبا عبد اللّه إنّک من أهل بیت النّبوه و کان أبوک(۲) و کان(۳) فما لهذه الثیاب المرویه علیک؟ فلو لبست دون هذه الثیاب فقال له: ویلک یا عبّاد من حرّم زینه اللّه الّتی أخرج لعباده و الطیبات من الرّزق إنّ اللّه عزّ و جلّ إذا أنعم علی عبده نعمه أحبّ أن یراها علیه لیس بها بأس، ویلک یا عباد إنّما أنا بضعه من رسول اللّه فلا تؤذونی و کان عباد یلبس ثوبین من قطن و فی شرح المعتزلی روی انّ قوما من المتصوّفه دخلوا بخراسان علی علیّ ابن موسی الرّضا علیهما السّلام فقالوا له إنّ أمیر المؤمنین(۴) فکّر فیما ولاّه اللّه من الامور فرآکم أهل البیت أولی الناس أن تؤمّوا الناس و نظر فیکم أهل البیت فرآک أولی النّاس بالناس فرأی أن یردّ هذا الأمر إلیک و الامامه تحتاج إلی من یأکل الجشب و یلبس الخشن و یرکب الحمار و یعود المریض، فقال علیه السّلام لهم: إنّ یوسف کان نبیّا یلبس أقبیه الدّیباج المزروره بالذهب، و یجلس علی متکئات آل فرعون، و یحکم إنّما یراد من الامام قسطه و عدله إذا قال صدق و إذا حکم عدل و إذا وعد أنجز إنّ اللّه لم یحرّم لبوسا و لا مطعما، ثمّ قرء «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِینَهَ اللّهِ الَّتِی أَخْرَجَ لِعِبادِهِ » الایه.

و قال ابن عباس فی قوله «قُلْ هِیَ لِلَّذِینَ آمَنُوا فِی الْحَیاهِ الدُّنْیا خالِصَهً یَوْمَ الْقِیامَهِ » یعنی أنّ المؤمنین یشارکون المشرکین فی الطیبات فی الدّنیا فأکلوا من طیّبات طعامهم، و لبسوا من جیاد ثیابهم، و نکحوا من صالح نسائهم، ثمّ یخلص اللّه الطیبات فی الاخره للذین آمنوا و لیس للمشرکین فیها شیء.

و فی الصّافی من الامالی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام فی حدیث: و اعلموا یا عباد اللّه إنّ المتقین حازوا عاجل الخیر و آجله، شارکوا أهل الدّنیا فی دنیاهم، و لم

۱- (۱) - الرواء بضم الراء و المد حسن المنظر، منه.

۲- (۲) - یعنی أمیر المؤمنین (علیه السلام) منه.

۳- (۳) - أی زاهدا.

۴- (۴) - أی المأمون الملعون، منه.

يشاركهم أهل الدّنيا فی آخرتهم، أباحهم اللّه الدّنيا ما كفاهم و أغناهم قال اللّه عزّ و جلّ «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ » الايه سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت، و أكلوها بأفضل ما اكلت، شاركوا أهل الدّنيا فی دنياهم فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، و شربوا من طيّبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما يسكنون، و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، و ركبوا من أفضل ما يركبون، و أصابوا لذّه الدّنيا مع أهل الدّنيا، و هم غدا جيران اللّه يتمنّون عليه فيعطيهم ما يتمنّون، لا تردّ لهم دعوه، و لا ينقص لهم نصيب من اللذه، فالی هذا يا عباد اللّه يشتاق إليه من كان له عقل، هذا.

و قوله عليه السّلام (أنت أهون علی اللّه من ذلك) يعنی أنّ أفعال اللّه سبحانه و أحكامه ليست كأفعال خلقه و أحكامهم، فربّما يعطی الواحد منّا مالا لاخر مع عدم طيب نفسه به بل علی كره منه له أو يأذن له أن يسكن فی منزله باقتضاء مصلحه لاحظها فيه من مداراه معه و نحوها مع كراهه له باطنا و أمّا اللّه القادر القاهر العزيز ذوا السلطان فأجلّ و أعلی من أن يكون ما أعطاه و أحلّه لعباده من باب المصانعه و المجامله، لأنّهم أهون عنده تعالی من ذلك، و أیّ ملاحظه للخالق من مخلوقه الذّليل، و مداهنه للقاهر من مقهوره الضّعيف المقيّد بقيد الرّقيه و العبوديّه.

(قال يا أمير المؤمنين هذا أنت) إمامنا و قد و تنا حال كونك (فی خشونه ملبسك) حيث قنعت من اللّباس بطمريه(۱) (و جشوبه مأكلك) حيث اقتصرت من الطعام بقرصيه فينبغی لنا أن نتأسّی و نأتمّ بك و نحذو حذوك.

(قال عليه السّلام ويحك) كلمه رحمه قالها شفقه و عطوفه (إنّی لست كأنت) يعنی أنّ تكليفی الشرعی غير تكليفك، و أشار إلی وجه المغايره بقوله:

(إن اللّه تعالی فرض علی أئمّه الحقّ أن يقدروا أنفسهم بضعفه الناس) أی يضيّقوا علی أنفسهم فی المعاش بضيق الفقراء و الضعفاء أو يقيسوا أنفسهم بهؤلاء و يكونوا شبيها بهم

۱- (۱) - الطمر الثوب الخلق و الكساء البالی، م.

(کیلا یتبیّغ) و یغلب (بالفقیر فقره) فیقلّ صبره فیعطب، و ذلک فانّ الفقیر إذا رأی إمامه و مقتداه بزیّ الفقراء و معاشه مثل معاش المساکین کان له تسلیه عمّا یتجرّعه من غصص الفقر و نغص المسکنه هذا.

و یؤیّد ما ذکره علیه السّلام من أنّ الفرض علی أئمّه الحقّ أن یقدروا أنفسهم بالضّعفاء:

ما رواه فی الصافی عن الصادق علیه السّلام أنّه قیل له: أصلحک اللّه ذکرت أنّ علیّ بن أبی طالب کان یلبس الخشن یلبس القمیص بأربعه دراهم و ما أشبه ذلک و نری علیک اللّباس الجیّد، فقال علیه السّلام له: إنّ علیّ بن أبی طالب کان یلبس ذلک فی زمان لا ینکر، و لو لبس مثل ذلک الیوم لشهر به، فخیر لباس کلّ زمان لباس أهله غیر أنّ قائمنا علیه السّلام إذا قام لبس ثیاب علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و سار بسیرته فانّه یستفاد منه أنّ القائم عند ظهوره یسیر سیره أمیر المؤمنین علیه السّلام، و یسلک مسلکه فی اللباس و غیره، لکونه مطمح نظر العموم کأمیر المؤمنین، و أما سایر الأئمّه فلا، و ما أجاب الصادق علیه السّلام به للسائل فجواب إقناعی لاسکاته و الجواب الحقیقی ما قاله علیه السّلام فی المتن من أن لا یتبیّغ بالفقیر فقره.

تکمله

قال الشّارح المعتزلی: و اعلم أنّ الّذی رویته عن الشیوخ و رأیته بخطّ أحمد بن عبد اللّه بن الخشاب:

أنّ الرّبیع بن زیاد الحارثی أصابه نشّابه فی جبینه فکانت تنتقض علیه فی کلّ عام، فأتاه علیّ علیه السّلام عائدا فقال: کیف تجدک أبا عبد اللّه؟ قال: أجدنی یا أمیر المؤمنین لو کان لا یذهب ما بی إلّا بذهاب بصری لتمنیت ذهابه، قال: و ما قیمه بصرک عندک؟ قال لو کانت الدّنیا لفدیته بها، قال: لا جرم لیعطینک اللّه علی قدر ذلک إنّ اللّه یعطی علی قدر الألم و المصیبه و عنده تضعیف کثیر، قال الرّبیع: یا أمیر المؤمنین ألا أشکو الیک عاصم بن زیاد أخی؟ قال علیه السّلام: و ماله؟ قال: لبس العباء و ترک الملاء و غمّ أهله و حزن ولده، فقال علیه السّلام: ادعوا لی عاصما فلمّا،

أتاه عبس وجهه و قال: ويحك يا عاصم أ ترى اللّه أباح لك اللذات و هو يكره ما أخذت منها، لأنت أهون على اللّه من ذلك، أو ما سمعته يقول «مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ » ثمّ قال «يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ » و قال «وَ مِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها » أما و اللّه ابتذال نعم اللّه بالفعال(۱) أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال، و قد سمعتم اللّه يقول «وَ أَمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ » و قوله «مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَ الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ » إنّ اللّه خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين فقال «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ » و قال «يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَ اعْمَلُوا صالِحاً » و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لبعض نسائه:

مالى أراك شعثاء مرهاء سلتاء(۲) قال عاصم: فلم اقتصرت يا أمير المؤمنين على لبس الخشن و أكل الجشب؟ قال عليه السّلام: إنّ اللّه افترض على أئمّه العدل أن يقدر ما لأنفسهم بالقوام كيلا يتبيّغ بالفقير فقره، فما قام عليّ عليه السّلام حتّى نزع عاصم العباء و لبس ملائه.

قال الشّارح: و الرّبيع بن زياد هو الذى افتتح بعض خراسان، و أمّا العلاء ابن زياد الّذى ذكره الرّضىّ رحمه اللّه فلا أعرفه لعلّ غيرى يعرفه.

أقول: و يؤيّد ما ذكره الشّارح روايه الكلينى فانّه روى فى الكافى فى باب سيره الامام عن علىّ بن محمّد عن صالح بن أبى حمّاد و عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد و غيرهما بأسانيد مختلفه فى احتجاج أمير المؤمنين على عاصم بن زياد حين لبس العباء و ترك الملاء و شكاه أخوه الرّبيع بن الزّياد إلى أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قد غمّ أهله و أحزن ولده بذلك فقال أمير المؤمنين: علىّ بعاصم بن زياد، فجىء به فلمّا رآه

۱- (۱) - اى استعمالها و اظهارها و تشهيرها، بالفعال و هو الشكر الفعلى أحب إلى اللّه من ابتذالها بالمقال و هو الشكر القولى و قد صرّح بعض المحققين إن الشكر الفعلى أقوى دلاله على تعظيم المنعم من الشكر القولى هكذا فى شرح ملا صالح على الكافى م.

۲- (۲) - فيه انه لعن السلتاء و المرهاء، السلتاء التى لا تختضب و المرهاء التى لا تكتحل نهايه.

عبس فی وجهه فقال له: أما استحییت من أهلک أما رحمت ولدک أ ترى اللّه أحلّ لک الطیبات و هو یکره أخذک منها أنت أهون علی اللّه من ذلک أو لیس اللّه یقول «وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ فِیها فاکِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذاتُ الْأَکْمامِ » أو لیس اللّه یقول «مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ » إلی قوله «یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ » فیا للّه لابتذال نعم اللّه بالفعال أحبّ إلیه من ابتذالها بالمقال، و قد قال اللّه عزّ و جلّ «وَ أَمّا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ » فقال عاصم: یا أمیر المؤمنین فعلی ما اقتصرت فی مطعمک علی الجشوبه و فی ملبسک علی الخشونه؟ فقال: ویحک إنّ اللّه فرض علی أئمّه العدل أن یقدروا أنفسهم بضعفه النّاس کیلا یتبیّغ بالفقیر فقره، فألقی عاصم بن زیاد العباء و لبس الملاء اللّهمّ وفّقنا لطاعتک بمحمّد و آله.

تنبیه

اشاره

علی مذهب الصوفیه و هدایه

اعلم أنّه قد ظهر لک اجمالا من هذا الکلام لأمیر المؤمنین علیه السّلام الّذی نحن فی شرحه أنّ سلوک نهج العبودیّه بغیر ما قرّره صاحب الشّریعه زیغ و ضلال، و وزر علی سالکه و وبال، و أنّه من استهامه الشیطان اللّعین و تسویله و تمویه النّفس و تدلیسه، فأحببت باقتضاء المقام و مناسبته بسط المقال فی هذا المرام و التّنبیه علی ضلال أقوام زاغوا عن نهج الرّشاد و نکبوا عن طریق السّداد، و نبذوا أمر اللّه وراء ظهورهم و اشتغلوا بالمجادلات الکلامیّه و الهذیانات الفلسفیّه و أبدعوا عبادات مخترعه، و أعرضوا عن حقایق علوم الدّین و الملّه، و دقایق أسرار الکتاب و السّنّه، و سمّوا أنفسهم بالمتصوّفه و الصّوفیّه.

و قبل الشّروع فی المقصود لا بدّ من تمهید مقدّمه شریفه و هی:

إنّه لا شکّ أنّ الغرض الأصلی و المقصود بالذّات من خلق الانسان هو العبودیّه و العرفان، کما شهد به الکتاب المکنون فی قوله «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الْإِنْسَ إِلاّ لِیَعْبُدُونِ » کما لا شکّ أیضا أنّ المقصود من بعث الأنبیاء و الرّسل و إنزال

الصّحف و الكتب لم يكن إلّا ذلك أعنى جذب الخلق إلى الحقّ الأوّل عزّ و جلّ و أنّهم عليهم السّلام على كثرتهم و اختلاف شرايعهم لم يكن غرضهم إلّا شيئا واحدا و هو التّنفير عن الدّنيا و الترغيب إلى العقبى و القطع عن الخلق و الوصل إلى الحقّ و الارشاد و الدّلاله على الصراط المستقيم المؤدّى إليه و المحصّل للقرب و الزّلفى لديه.

فبعثهم اللّه إلى الناس بما شرع لهم من الدّين ليدلّوهم عليه و يعلّموهم كيفيّه السّلوك إليه و لم يخل سبحانه خلقه من نبىّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّه لازمه أو محجّه قائمه.

فهم عليهم السّلام أدلّاء سبل الحقّ، و الهادون إليها، و المعلّمون لكيفيّه سلوكها بما أتوا به من الشرائع و الأديان الّتى شرعها اللّه تعالى لطفا منه فى حقّ عباده، و لم يتركهم سبحانه و آراءهم و لم يكلهم فى سلوك سبيله إلى عقولهم الناقصه و أهوائهم المختلفه و آرائهم المتشتّته، فليس لهم أن يسلكوا طريق عبوديّته بما يستحسنه العقول.

و قد ورد فى أخبار كثيره أنّ دين اللّه لا يصاب بالعقول، و أنه لا شىء أبعد عن دين اللّه من عقول الرجال.

و لو كانت العقول كافيه فى سلوك سبيل العبوديّه لم تكن إلى بعث الأنبياء و الحجج حاجه، كما أنه لو كان ما يرتضيه العقول و يخترعه من العبادات مرضيا عند الربّ مطلوبا له تعالى لم يكن داع إلى جعل الأديان و الشرائع التى شرعها و بعث بها الأنبياء عليهم السّلام كما قال تعالى «لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً » و قال و «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً » فقد علم بذلك أنّ اللازم على العبد إذا أراد أن يعبد اللّه و يتقرّب إليه أن يعبده بالعبادات المجعوله فى الشريعه الموظفه المشروحه فيها ماهيّه و هيئه و كما و كيفا و وقتا و عددا بادابها الموظفه و شرايطها المقرّره و أركانها و أجزائها المختصّه و سنّتها المعيّنه و غيرهما مما جعله صاحب الشرع و شرعه.

لأنّ المطلوب للحقّ و المقرّب إليه ليس إلّا و لا يقبل عزّ و جلّ من العبادات إلّا

ما أرسل به حججه و أنطق به ألسنتهم.

و من ذلک أنّ الشیطان اللعین لما أبی من السجود لادم علیه السّلام الذی کان مأمورا به و مطلوبا له تعالی مع أنه قال: یا ربّ اعفنی من السجود لادم و أنا أعبدک عباده لم یعبدکها ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل، صار مستحقّا للطرد و الابعاد حیث أراد أن یعبد اللّه من غیر الوجه الذی کان مأمورا به، و قد قال اللّه له: لا حاجه لی فی عبادتک إنما ارید أن اعبد من حیث ارید لا من حیث ترید، علی ما مرّ فی روایه علیّ بن إبراهیم عن الصادق علیه السّلام فی أوّل تنبیهات شرح الفصل الحادی عشر من الخطبه الاولی و قد قال تعالی «لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها ».

و اتیان البیوت من الأبواب هو الأخذ بقول الحجج و الرجوع فی سلوک نهج الحقّ إلیهم، کما یدلّ علیه روایه الصافی عن أمیر المؤمنین المتقدّم فی شرح الفصل الرابع من الخطبه الاولی.

و مرّ هنا روایه علیّ بن إبراهیم عن أبی جعفر علیه السّلام أنه قال: ذروه الأمر و سنامه و مفتاحه و باب الأشیاء و رضی الرحمن الطاعه للامام بعد معرفته أما لو أنّ رجلا قام لیله و صام نهاره و تصدّق بجمیع ماله و حجّ جمیع دهره و لم یعرف ولایه ولیّ اللّه فیوالیه و یکون جمیع أعماله بدلالته ما کان له علی اللّه حقّ فی ثوابه.

فحاصل الکلام و ملخّص المرام أنّ العباده المحصّله للقرب و الزّلفی هی العباده المتلقّاه من بیت النبوّه و الولایه، و المعلومه الثبوت فی الکتاب و السّنه فما لم یعلم ثبوتها فیهما مثل ما علم عدم ثبوتها بدعه و ضلاله موجبه لسخط الرّحمن و رضی الشّیطان، مؤدّیه إلی العذاب الألیم و الخزی العظیم.

إلّا أنّ جماعه من العامّه و الجهّال الخاصّه غفلوا عمّا قرّرناه فی هذه المقدّمه و استبدّوا بعقولهم الفاسده و آرائهم الکاسده، و سلکوا السّبیل من غیر دلیل و أضلّهم الشّیطان و ضلّوا عن سواء السّبیل، و مع ذلک یزعمون أنّهم أهل السّلوک و المعرفه و الزّهد و القشف و الرّیاضه

و هم قوم يسمّون بأهل الذّكر و التّصوّف، يدّعون البراءه من التّصنع و التّكلّف، يلبسون خرقا، و يجلسون حلقا، يخترعون الأذكار، و يتغنّون بالأشعار و يغلبون بالتّهليل، و ليس لهم إلى العلم و المعرفه دليل، ابتدعوا شهيقا و نهيقا، و اخترعوا رقصا و تصفيقا، قد خاضوا فى الفتن، و أخذوا بالبدع دون السّنن، رفعوا أصواتا بالنداء، و صاحوا صيحه الشّقاء، أمن الضّرب يتألّمون؟ أم من الطّعن يتظلّمون؟ أم مع أكفائهم يتكلّمون؟ إنّ اللّه لا يسمع بالصّماخ، و لا يحتاج فى سماعه إلى الصّراخ، أ تنادون باعدا؟ أم توقظون راقدا؟ تعالى اللّه لا تأخذه السّنه، و لا تحيط به الألسنه، سبّحوه تسبيح الحيتان فى البحر، و ادعوه تضرّعا و خيفه دون الجهر، إنّه ليس منكم ببعيد، بل هو أقرب إليكم من حبل الوريد.

و أنت إذا عرفت ما مهّدناه فى هذه المقدّمه فاستمع لما يتلى عليك من شرح حال هذه الطايفه و بيان عقايدهم و مذاهبهم و وجه تسميتهم، و ما ورد من العلماء و العتره الطاهره سلام اللّه عليهم فى طعنهم و الازراء عليهم و تفصيل ذلك فى مقامات.

المقام الاول فى وجه تسميتهم بالصوفيه

و ذكروا فيه أقوالا:

الاول و هو الأشهر أنّ اشتقاقها من الصّوف سمّوا بها للبسهم الصّوف فى الصيف و الشتاء، و هذا الوجه هو المستفاد من الأخبار الاتيه.

و رووا عن أنس بن مالك أنه قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يجيب دعوه العبيد تواضعا، و يركب الحمار غير مستنكف، و يلبس الصوف غير متكلّف.

و قال الحسن البصرى: لقد ادركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف و الشعر و فى روايه الجمهور أيضا عن امامهم البيهقى المشهور نقلا عن عبد اللّه بن مسعود أنه قال: كانت الأنبياء يركبون الحمار، و يلبسون الصوف، و يحلبون الشاه.

و فى البحار من اكمال الدّين باسناده عن الحسين بن مصعب عن الصادق عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل

على الحضيض مع العبيد، و ركوبى الحمار موكفا، و حلب العنز بيدى، و لبس الصوف، و التسليم على الصبيان لتكون سنه من بعدى.

و فى بعض كتب أصحابنا و لقد روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بطريق أهل البيت عليهم السّلام أنّ عيسى بن مريم كان يلبس الصوف و الشعر، و يأكل من الشجر، و يبيت حيث أمسى.

و عن ابن مسعود قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: يوم كلّم اللّه موسى كان عليه جبّه من صوف، و سراويل من صوف، و قلنسوه مدوّره من صوف، و نعلاه من جلد و يستفاد من هذه الأخبار و غيرها مما لا حاجه إلى ايرادها أنّ لبس الصوف مندوب شرعا و أنه لباس الأنبياء و الأئمه و الصلحاء.

و لكن هذه الطائفه لما كان لبسهم له تكلّفا و تصيّدا و قصدا للاشتهار و اظهارا للفضل كما قال عليه السّلام فى الخطبه الثانيه و الثلاثين فى تعديد أصناف الناس: - و منهم من أقعده عن طلب الملك ضئوله نفسه فتحلّى باسم القناعه و تزيّن بلباس أهل الزّهاده و ليس من ذلك فى مراح و لا مغدى - لا جرم كان ذلك موجبا للازراء عليهم.

و يشهد بما ذكرته النبوّى المتقدّم فى شرح قوله عليه السّلام فى المتن: لبس العباء و تخلّى من الدّنيا حيث قال لأبى ذرّ: قوم يلبسون الصوف فى الصيف و الشتاء يرون لهم بذلك الفضل على غيرهم، الحديث.

الثانى أنّه مأخوذ من الصّوف لا بالمعنى المتقدّم بل بمعنى آخر نقلوه عن جنيدهم البغدادى أنه قال: الصوفى مشتقّ من الصوف و الصوف ثلاثه أحرف: صاد و واو وفاء، و الصاد صبر، و صدق، و صفاء، و الواو ودّ، و ورد، و وفاء، و الفاء فرد، و فقر و فناء.

الثالث أنهم سمّوا صوفيه نسبه إلى الصفه التى كانت فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يسكنها فقراء المهاجرين، و كانت مسقّفه بجريد النخل و كانوا أربعمائه رجل لم يكن لهم بالمدينه مساكن و لا عشاير يدرسون القرآن باللّيل و يرضحون النوى بالنهار، و يحتطبون على ظهورهم، و يغزون مع كلّ سريّه، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم

و أكثر أصحابه يؤانسونهم و يأكلون معهم، و يتعاهدونهم بالمبرّات.

و قد وصل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما إليهم و شاهد منهم فقرهم و طيب نفوسهم بالشدّه فقال: ابشروا يا أهل الصّفه إنّ من امتى من كان على حالكم و وصفكم و نعتكم التى أنتم عليها انكم و انهم رفقائى فى الجنّه.

و قد رتّبهم أبو نعيم الحافظ فى حليته على ترتيب حروف المعجم ذكر من مشاهيرهم سلمان و أبا ذر و عمار و صهيب و بلال و أبا هريره و خباب بن الارت و حذيفه ابن اليمان و أبا سعيد الخدرى و بشر بن الخصاصيه و أبا مويهبه مولى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان هؤلاء أزهدهم و أعملهم بالكتاب و السنه فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، لأنهم يلبسون الصوف و يخيطون ثيابهم بالأغصان الدّقيقه من الشجر.

و نقل فى وصفهم: أنهم كانوا أضياف الاسلام إلاّ أنّ بعضهم زلت قدمه بعد وفاه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ركن إلى الدّنيا و مال إلى حطامها كأبى هريره و صهيب، و الذين ثبتت قدمهم فى الفقر و الزّهد سلمان و أبو ذر و حذيفه و بلال و أبو سعيد، فانهم كانوا من السابقين الرّاجعين إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و كانوا يسمّون بالشيعه قال أمين الاسلام الطبرسىّ فى قوله تعالى «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَداهِ وَ الْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لا تَعْدُ عَيْناكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَهَ الْحَياهِ الدُّنْيا وَ لا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا وَ اتَّبَعَ هَواهُ وَ كانَ أَمْرُهُ فُرُطاً » إنّ الايه نزلت فى سلمان و أبى ذر و صهيب و غيرهم من فقراء أصحاب النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و ذلك إنّ المؤلفه قلوبهم جاءوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عينيه بن الحصين و الأقرع ابن حابس و ذووهم فقالوا: يا رسول اللّه إن جلست فى صدر المجلس و نحّيت عنّا هؤلاء و أرواح ضئنانهم(۱) - و كانت عليهم جبات الصوف - جلسنا نحن إليك و أخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول إلاّ هؤلاء، فلما نزلت الايه قام النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يلتمسهم فأصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون اللّه عزّ و جلّ فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الحمد للّه الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من امتى معكم المحيا و الممات، انتهى.

۱- (۱) - فانّ بعضهم يعرق فى ثوبه فيوجد منه ريح الضأن، منه

و الحاصل أنّ الصوفيه على زعمهم و ادّعائهم لما شاكلت حالهم حال أهل الصفه لكونهم مجتمعين متألّفين مصاحبين للّه و فى اللّه قديما و حديثا فى الرّبط و الزّوايا قيل لهم: صوفيّه، و هذا و إن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللّغوى إلّا أن يراعى فيه الخفّه على اللّسان، و لا بأس به من حيث المعنى.

الرابع أنّ هذه النسبه إلى صوفه كما يقال: الكوفى للمنتسب إلى كوفه، و بنى صوفه جماعه من العرب كانوا يتزهّدون و يتقلّلون من الدّنيا، فنسب هذه الطايفه إليهم، و فى القاموس صوفه أبو حىّ من مضر، و هو الغوث بن مرّ بن ارّ بن طابخه كانوا يخدمون الكعبه و يجيزون الحاجّ فى الجاهليه أى يفيضون بهم من عرفات، أوهم قوم من أفناء القبائل تجمّعوا فتشبّكوا كتشبّك الصّوفه، و كذا فى الصحاح و غيره من كتب اللّغه.

المقام الثانى

فى ابتداء ظهور هذه الطايفه على اختلاف

الاقوال و الروايات

فأقول: قال المحدّث الجزايرىّ: إنّ هذا الاسم و هو التّصوّف كان مستعملا فى فرقه من الحكماء الزّايغين عن طريق الحق، ثمّ قد استعمل بعدهم فى جماعه من الزنادقه أى من الهنود و البراهمه، و بعد مجىء الاسلام استعمل فى جماعه من أهل الخلاف كالحسن البصرى و سفيان الثّورى و أبى هاشم الكوفى و نحوهم، و قد كانوا فى طرف من الخلاف مع الأئمه عليهم السّلام، فانّ هؤلاء المذكورين قد عارضوا الأئمه و باحثوهم و أرادوا إطفاء نور اللّه بأفواههم و اللّه متمّ نوره و لو كره الكافرون إلى أن قال: و قد استمرّ الحال إلى هذه الأعصار و ما قاربها.

ثمّ إنّ جماعه من علماء الشّيعه طالعوا كتبهم و اطلعوا على مذاهبهم فرأوا فيها بعض الرّخص و المسامحات مثل قولهم، بأنّ الغناء المحرّم هو الذى يستعمل فى مجالس أهل الشرب و أهل الفسوق، فأباحوا أفراد الغناء و أنواعه لمتابعيهم و كانوا

من أهل العلم و الناس يميلون إلى من يسهل إليهم مثل هذه الامور التى كان للنفس منها التذاذ، و كتركهم التزويج و إقبالهم على الغلمان الحسان، و العجب من بعض الشّيعه كيف مال إلى هذه الطريقه مع اطلاعه على أنّها مخالفه لطريقه أهل البيت اعتقادا و أعمالا.

و قال أيضا: و الدّواعى لهم على اختراع هذا المذهب امور:

الأوّل ما نقل أنّ خلفاء بنى اميّه و بنى العبّاس لعنهم اللّه كانوا يحبّون أن يحصّلوا رجالا من أهل العباده و الزّهاده و التكلّم ببعض المغيبات و إن لم يقع، لأجل معارضات الأئمه الطاهرين عليهم السّلام و علمهم و زهدهم و كمالاتهم حتى يصغروا أهل البيت و أطوارهم فى أعين النّاس، فلم يجدوا أحدا يقدم على هذا سوى هذه الفرقه الضّالّه، فمن هذا مال إليهم سلاطين الجور لعنهم اللّه و بنوا لهم البقاع و حملوا اليهم الأموال و طلبوا منهم الدّعاء فى مطالب دنياهم و قاسوهم بأهل البيت عليهم السّلام، و أين الثّريا من يد المتناول.

الثانى سهوله هذا المسلك و صعوبه طريق العلم، فانّ العامى منهم قد يجلس فى بيت ضيق مظلم أربعين يوما، و ربّما ترائى له إخوانه من الجنّ و الشّياطين فاذا خرج صار من رؤسائهم و حصل له درجه العالم الذى يحصّلها فى خمسين سنه و أكثر، بل ربما كان اعتبار هذا بين رعاع النّاس أزيد من اعتبار ذلك العالم.

الثالث أنّ هذا المذهب شرك لصيد الأولاد و جمع الأموال و الجاه و الاعتبار و نحو ذلك.

و قال أبو القاسم القشرىّ الصّوفى العامى فى محكىّ كلامه من رسالته المعروفه بالقشريه:

اعلموا رحمكم اللّه أنّ المسلمين بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يتسمّ أفاضلهم فى عصرهم بتسميه علم سوى صحبه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذ لا فضيله فوقها فقيل لهم: الصحابه و لمّا ادرك أهل العصر الثانى سمّى من صحب الصّحابه التّابعين و رأوا ذلك أشرف سمه، ثمّ قيل لمن بعدهم أتباع التّابعين، ثمّ اختلف الناس و تباينت المراتب

فقیل لخواصّ الناس ممّن لهم شدّه عنایه بأمر الدّین: الزهاد و العبّاد، ثمّ ظهرت البدع و حصل التّداعی بین الفرق فکلّ فریق ادّعی أنّ فیهم زهادا فانفردوا خواصّ أهل الشّریعه المراعون أنفسهم مع اللّه الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفله باسم التّصوّف، و اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأکابر قبل المأتین من الهجره، انتهی.

و من کتاب نفحات الانس انّ أوّل من اخترع له هذا الاسم أبو هاشم الکوفی الشّامی الصّوفی المعاصر مع السّفیان الثّوری.

و فی کتاب حدیقه الشّیعه أنّه کان یلبس ثیابا خشنه من الصوف کالرّهبان و یقول بالحلول و الاتّحاد لنفسه کالنّصاری فی عیسی علیه السّلام، و کان فی الظّاهر أمویّا جبریّا، و فی الباطن ملحدا دهریا، و الطائفه التی ینتسب إلیه باعتبار لباسه تسمی صوفیه سواء لبست الصوف أو لم تلبس، و بهشمیّه و أبو هاشمیّه باعتبار کنیته و عثمانیّه و شریکیّه لأنّ اسمه و اسم أبیه عثمان بن شریک.

قال فی حدیقه الشیعه: و کان غرض هذا الملعون من وضع مذهب التصوّف هدم مذهب الاسلام، و قد ورد من الأئمه علیهم السّلام أحادیث فی طعنه.

و لمّا رأی سفیان الثوری طریقته استحسنه و أضاف إلیه الرّؤیه و الصوره و التشبیه و التجسیم و وسّع دائره التصوّف، فنسبت هذه الفرقه إلیه، فقالوا: ثوریه و سفیانیه ثمّ نسبت إلی أبی یزید البسطامی فسمّیت بالیزیدیّه و البسطامیّه، ثمّ بملاحظه قولهم بالحلول و الاتحاد سمّیت حلولیّه و اتّحادیّه، ثمّ لمّا بالغ بعضهم فی الاتّحاد و قال بوحده الوجود سمّیت وحدتیه، و نسبت إلی حسین بن منصور الحلاّج فقیل منصوریّه و حلاجیه، و بملاحظه غلوّهم فی المشایخ و زعمهم حلول الحقّ فیهم قیل لهم: غالیه و غاویه، و لمکرهم و خدیعتهم و تفتینهم للنّاس قیل لهم: زرّاقیّه و خدّاعیّه.

و لمّا اخترعوا مذهبا متضمّنا للرّهبانیه و النصرانیه و الکفر و الاسلام سمّاهم الأئمه علیهم السّلام مبتدعه، و لکونهم من أهل الرّیاء سمّوا مرائیه، و لوضعهم التصوّف سماهم العلماء بالمتصوّفه، و لکثره صلفهم سمّوا بالمتصلّفه، و لهم أسماء اخر و اشهر

ألقابهم و أسمائهم الصوفيه و المتصوّفه و المتصلّفه و المبتدعه و الزرّاقيه و الغلاة و الغاليه و الحلاجيه انتهى كلامه رفع اللّه مقامه فى أعلى عليّين مع الذّين أنعم عليهم بنعمه الايمان و ألبسهم لباس الكرامه و الشرف.

المقام الثالث

فى عقايدهم الفاسده و اعمالهم الباطله.

و قد حقّقنا عقايدهم الفاسده و بيّنا أعمالهم الباطله إنشاء اللّه و ثبّتنا أنّ عقايدهم مخالفه للشريعه الطاهره بالدّلائل العقليه و النقليه بعون اللّه الملك المتعال.

أما العقائد

:

فمنها

اعتقادهم بالحلول و الاتّحاد

، و قد نسب أكثر المتكلّمين من الفريقين و غيرهم فى مبحثى الحلول و الاتّحاد من كتبهم الكلاميه هاتين النسبتين إلى هذه الفرقه الضاله خذلهم اللّه تعالى.

قال المحقّق الطوسى فى رسالته الموسومه بقواعد العقائد:

و منها أى من الصفات السلبيّه أنه تعالى لا يمكن أن يكون فى جهه أو حين أو محلّ لاحتياج ما يكون كذلك إلى الحيّز و المحلّ، و كذلك لا يمكن أن يشار إليه اشاره حسّيه، و خالفت المشبّهه و المجسّمه فى ذلك إذ قالوا فى جهه فوق أو جسم لا كغيره من الأجسام، و ذهب بعض الصوفيه إلى جواز حلوله فى قلوب أوليائه و لعلّ مرادهم غير ما يعنى به من حلول الأعراض فى محلّها، انتهى.

و قال العلامه فى شرح هذه الرساله الموسوم بكشف الفوايد:

ذهب المحقّقون إلى أنه تعالى لا يمكن أن يكون فى جهه أو محاذاه و لا فى حيّز و مكان و لا فى محلّ يحلّ فيه حلول العرض فى محلّه، لأنّ كلّ ما كان كذلك كان مفتقرا إلى الجهه و الحيّز و المحلّ بالضروره لاستحاله حلول الغنىّ عن المحلّ فيه و الاحتياج ينافى الوجوب، و هذا المعنى لا يمكن أن يشار إليه إشاره حسّيه

بأنه هنا أو هناك، لتوقف ذلك على الحصول فى الحيّز و الجهه و المحلّ، و خالفت المجسّمه و المشبّهه فى ذلك فقالوا: إنّ اللّه فى جهه فوق و انه جسم لا- كالأجسام و قد تقدّم بطلانه و قال بعض الصوفيّه: بأنّه تعالى حالّ فى قلوب العارفين، فان عنوا به حلول العرض فى المحلّ فهو باطل بما تقدّم، و إن عنوا به شيئا آخر فلا بدّ من بيانه.

و قال المحقّق الطوسى فى تلك الرّساله:

و لا يجوز عليه الاتّحاد و هو صيروره الشّيئين شيئا واحدا، بأن ينتفى أحدهما و يبقى الاخر أو ينتفيا معا و يحدث شىء آخر، فانّ ذلك محال عقلا، و قال قوم من القدماء: كلّ من تعقل شيئا تعقّلا تاما اتّحد بمعقوله ذلك، و إليه ذهب جمع من الصوفيّه، و ذلك بالمعنى الذى ذكرناه غير معقول.

و قال العلامه فى الشرح:

الاتّحاد يطلق على صيروره شيئين شيئا آخر، بأن يعدم عن الأوّل شىء و يحدث فيه آخر كما يقال: صار الماء هواء، فانّ الصوره المائيّه زالت و اتّصفت بالصوره الهوائيه أو بأن يمتزج شيئان و يحدث صوره ثالثه مغايره للأوّل كما يقال صار الخشب سريرا، و هذان ممكنان لكن اطلاق الاتّحاد عليهما بنوع من المجاز، و هذا المعنى و إن كان ممكنا فى حقّ غيره تعالى إلّا أنّه يستحيل فى حقّه أيضا لاستحاله انفعاله عن الغير و صيرورته جزءا من غيره.

و أمّا الاتّحاد الحقيقى و هو صيروره الشيئين شيئا واحدا لا بأحد المعنيين بل بأن ينتفى الذّاتان و يتّحد إحداهما بالاخرى فهذا ضرورىّ البطلان.

فانّ الشيئين إن بقيا بعد الاتّحاد بحالهما فهما اثنان، و إن عدم أحدهما فلا اتّحاد لاستحاله اتّحاد المعدوم بالموجود، و إن عدما معا و وجد ثالث فلا اتّحاد بل اعدام شىء و ايجاد آخر و ذهب فرفوريوس بعد المعلّم الأوّل إلى أنّ من عقل شيئا اتّحدت ذاته بذلك المعقول، و إليه ذهب الرئيس فى المبدأ و المعاد، لأنّ الصوره العقليّه اذا حلت الجوهر العاقل بالقوّه صيّرته عقلا بالفعل و إنّما يكون كذلك مع الاتّحاد و إلّا

لكان ما هو بالقوّه بعد بالقوّه و الملازمه ممنوعه.

ثمّ لو اتّحد العاقل بمعقوله لزم أن لا يعقل إلّا شيئا واحدا أو يتّحد الذوات المعقوله فى أنفسها أيضا و قوم من الصّوفيّه إنّ اللّه تعالى يتّحد بأبدان العارفين و الكلّ غير معقول بالمعنى الذى ذكرناه.

و قال الفاضل المقداد فى شرحه على الباب الحادى عشر:

قال: أى العلّامه «قد»: و لا يجوز أن يكون فى محلّ و الّا افتقر إليه و لا فى جهه و إلّا لافتقر إليها.

أقول: هذان وصفان سلبيّان، الأوّل إنّه ليس فى محلّ خلافا للنّصارى و جمع من المتصوّفه و المعقول من الحلول هو قيام موجود بموجود على سبيل التّبعيّه، فان أرادوا هذا المعنى فهو باطل، و الّا لزم افتقار الواجب و هو محال، و ان أرادوا غيره فلابدّ من تصوّره أوّلا ثمّ الحكم عليه بالنّفى و الاثبات، انتهى ما أهمّنا نقله.

و قال أيضا فى شرح قول العلّامه «قد» و لا يتّحد بغيره لامتناع الاتّحاد مطلقا.

أقول: الاتّحاد يقال على معنيين: مجازىّ و حقيقىّ، أمّا المجازى فهو صيروره الشىء شيئا آخر بالكون و الفساد، إمّا من غير إضافه شىء آخر كقولهم صار الماء هواء و صار الهواء ماء، أو مع إضافه شىء آخر كما يقال صار التّراب طينا بانضياف الماء إليه، و أمّا الحقيقى فهو صيروره الشيئين الموجودين شيئا واحدا موجودا.

إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ الأوّل مستحيل عليه تعالى قطعا لاستحاله الكون و الفساد عليه، و أمّا الثانى فقد قال بعض النّصارى إنّه اتّحد بالمسيح فانّهم قالوا اتّحدت(۱) لاهوتيّه البارى مع ناسوتيّه عيسى، و قال النّصيريّه: إنّه اتّحد بعلى عليه السّلام و قال بعض المتصوّفه: انّه اتّحد بالعارفين، فان عنوا غير ما ذكرناه فلا بدّ من تصوّره أوّلا ثمّ يحكم عليه، و إن عنوا ما ذكرناه فهو باطل قطعا لأنّ

۱- (۱) - و اليه ذهب أيضا محى الدين الملحد حسبما تعرفه فيما يأتى انشاء اللّه، منه.

الاتّحاد مستحيل فى نفسه فيستحيل اثباته لغيره، و أمّا استحالته فهو انّ المتحدين بعد اتّحادهما إن بقيا موجودين فلا اتّحاد، لأنّهما اثنان لا- واحد، و إن عدما معا فلا- اتّحاد بل وجد ثالث، و إن عدم أحدهما بقى الاخر فلا اتّحاد أيضا لأنّ المعدوم لا يتّحد بالموجود.

و قال الشيخ المفيد «قد» فى شرح عقايد الصدوق:

الحلاجيّه حزب من أصحاب التّصوّف و هم أصحاب الاباحه و القول بالحلول، و لم يكن الحلاج يتخصّص باظهار التّشيع و إن كان ظاهر أمره التصوّف، و هم قوم ملحده زنادقه يموّهون بمظاهره كلّ فرقه بدينهم و يدعون للحلاج الأباطيل و يجرون فى ذلك مجرى المجوس و دعويهم لذردشت المعجزات و مجرى النصارى فى دعويهم لرهبانهم الايات البيّنات، و النصارى و المجوس أقرب إلى العبادات منهم و هم أبعد من الشرائع و العمل بها من النّصارى و المجوس.

و قال الشارح القوشجى فى شرح الهيّات التجريد:

ذهب بعض المتصوّفه إلى أنّه تعالى يحلّ فى العارفين و النصارى إلى حلوله فى عيسى، فان أرادوا بالحلول هذا المعنى فباطل، و إن أرادوا أنّه غير ذلك فلا يمكن نفيه أو إثباته إلّا بعد تصوّر ما هو المراد.

و قال الشارح البحرانى فى كتاب قواعد العقائد له:

انّه تعالى لا يتّحد بغيره، خلافا للنّصارى و بعض الحكماء السابقين و بعض المتصوّفه.

لنا أنّ المراد من الاتّحاد إن كان صيروره الشيئين شيئا واحدا كما هو المفهوم من لفظه فهو باطل، لأنّ المتّحدين إن بقيا موجودين فلا- اتّحاد، و إن عدما معا فالموجود غيرهما فلا اتّحاد أيضا، و إن عدم أحدهما دون الاخر فلا اتّحاد إذ المعدوم لا يتّحد بالموجود، و إن أرادوا به معنى آخر فلا بدّ من إفاده تصوّره لننظر فيه.

و قال شارح الطوالع:

حکی القول بالاتّحاد و الحلول عن النصاری و جمع من المتصوّفه، فانّه حکی عن النصاری أنّهم قالوا: اتّحدت الأقانیم الأب و الابن و روح القدس و اتّحدت ناسوت المسیح و اللّاهوت و حلّ الباری فی عیسی، و حکی عن جمع من المتصوّفه أنّهم قالوا: إذا انتهی العارف نهایه مراتبه انتهی هویّته و صار الموجود هو اللّه سبحانه، و هذه المرتبه هی الفناء فی التّوحید، و قالوا: إنّ اللّه تعالی یحلّ فی العارفین، فان أرادوا بالاتّحاد و الحلول ما ذکرناه فقد بان فساده، و إن أرادوا به غیره لا بدّ من تصوّره أوّلا لیتأتی التصدیق به نفیا أو اثباتا، فانّه لا یمکن نفیه و اثباته إلّا بعد تصوّر ما هو المراد.

و قال المحدّث العلامه المجلسیّ فی عقایده:

و القول بحلوله تعالی فی غیره کما قال بعض الصوفیّه و الغلاه، أو اتّحاده مع غیره کما قاله بعض الصّوفیّه، أو انّ له تعالی صاحبه أو ولدا أو شریکا کما قاله النصاری، أو أنّه تعالی جسم أو أنّ له مکانا کالعرش و غیره، أو جزءا أو عضوا فکلّ ذلک کفر إلی غیر ذلک ممّا حکوه عنهم و شنّعوا علیهم.

ثمّ لمّا رأی المتأخّرون منهم فساد ما قاله متقدّموهم و بطلانه و شناعته وجّهوا کلامهم بأنّ مرادهم به وحده الوجود لا الاتّحاد و الحلول، و هو من قبیل دفع الفاسد بالأفسد و توجیه الشنیع بالأشنع.

و قال صاحب الشوارق فیه:

قد اشتهر من مشایخ الصوفیّه القول بوحده الوجود و أنّ الوجودات بل الموجودات لیست بمتکثّره فی الحقیقه بل هناک موجود واحد قد تعدّدت شئونه و تکثرت أطواره ثمّ قال: و لمّا کان ذلک بحسب الظاهر و بالمعنی المتبادر مخالفا لما یحکم به بدیهه العقل من تکثّر الموجودات بالحقیقه لا بمجرّد الاعتبار تصدّی کثیر من المحقّقین لتوجیه کلامهم، انتهی.

و قال القیصری فی شرح الفصوص لمحیی الدین:

حقیقه الوجود إذا اخذت بشرط أن لا یکون معها شیء فهی المسمّاه عند

الصوفيّه بالمرتبه الأحديه المستهلكه جميع الأسماء و الصفات فيها، و يسمّى جمع الجمع و حقيقه الحقائق و العماء أيضا، و إذا اخذت بشرط شيء، فامّا أن يؤخذ بشرط جميع الأشياء اللازمه لها كليّها و جزئيها المسمّاه بالأسماء و الصفات فهى المرتبه الالهيّه المسماه عندهم بالواحديّه و مقام الجمع، و هذه المرتبه باعتبار ايصال مظاهر الأسماء الّتى هى الأعيان و الحقائق إلى كمالاتها المناسبه لاستعداداتها فى الخارج تسمّى مرتبه الرّبوبيه، و إذا اخذت لا بشرط شيء آخر و لا بشرط لا شيء فهى المسماه بالهويّه السّاريه فى جميع الموجودات، و إذا اخذت بشرط ثبوت الصور العلميّه فيها فهى مرتبه الاسم الباطن المطلق و الأوّل و العليم و ربّ الأعيان الثابته - إلى أن قال - و اذا أخذت بشرط الصّور الحسّيه العينيّه فهى مرتبه الاسم المصوّر و ربّ العالم الخيال المطلق و المقيّد. و إذا أخذت بشرط الصور الحسيّه الشهادتيّه فهى مرتبه الاسم الظاهر المطلق و الاخر و ربّ عالم الملك، و مرتبه الانسان الكامل عباره عن جميع المراتب الالهيّه و الكونيّه من العقول و النفوس الكليّه و الجزئيه و مراتب الطبيعه إلى آخر تنزلات الوجود، و يسمّى بالمرتبه العمائيه أيضا فهى المضاهيه للمرتبه الالهيّه، و لا فرق بينهما إلّا بالرّبوبيّه و المربوبيه، و لذلك صار خليفه اللّه، و إذا علمت هذا علمت الفرق بين المراتب الالهيه و الرّبوبيه و الكونيه، انتهى.

و قال صاحب الشوارق فى گوهر مراد فى الفصل الذى ساقه لبيان كيفيّه صدور المعلول من العلّه ما محصله:

إنّ الصوفيه قالوا إنّ صدور المعلول من العلّه عباره عن تنزّل العله بمرتبه وجود المعلول و تطورها بطور المعلول و من هنا تفطنوا بوحده الوجود بمعنى أنّ الوجود حقيقه واحده ساريه فى جميع الموجودات، و ليست مهيات الممكنات إلّا امورا اعتباريه و الموجودات بأسرها مظاهر تلك الحقيقه الواحده بحيث لا يلزم الاتّحاد و الحلول، لأنهما فرع الاثنيّيه و لا موجود إلّا واحد.

قال: و فهم هذا المعنى بغايه الاشكال لأنهم ادعوا أنّ فهم ذلك لا يتيسّر

بـالعقول المتعـارفه بل بالرياضه و المجاهـده و بطور وراء طور العقل، و هو فناء السالک فی سـلوکه من نفسه و عقله و من جميع المعقولات و الموهومات فضـلا عن المحسوسات و قصره همته فی التوجّه الی الحقّ و ذکره له بلسانه و قلبه بحيث لا يخطر بقلبه سواه و لا- يبقی فی قلبه غيره حتی يغيب عن نفسه حال ملاحظته لجلال اللّه، و إن لاحظها فمن حيث هی لاحظه لا من حيث هی مزّينه بزينه الحقّ، بل لا يکون الذّکر أيضا ملحوظا فضلا عن الذّاکر.

قـال: و إذا داوم السّالـک علی ذلـک يفيض عليه نور من أنوار الالـهيّه يشاهـد به حقـايق الأشـياء علی مـا هی عليهـا کمـا يشاهد المحسوسات بحسّ البصر.

قـال: و نحن اعتقـدنا بامکـان صـدق هـذه الـدّعوی بحسن ظنّنا بالسـلف، و ليس المراد بهـذا النّور المـذکور نور يفاض عليه من الخارج، بل نور مودع فی نفس الانسان ذواته، و الغرض من الرّياضه و المجاهده تصـفيته و تجليته من الأکدار الطبيعيه و الحسيّه و الخيـاليه و الوهميّه، و إذا حصـلت التصـفيه و التّجليه بالرّياضـات العلميه و العمليه و الاعتقاد بالعقايـد الحقّه صار هـذا النّور من القوّه إلی الفعـل، و يری به الأشـياء و يشاهـدها بعين اليقين، اللّهم بلّغنـا إلی ذلـک المقام العالی باخراجنا عن هـذا المنزل الفانی البالی، انتهی ما أهمّنا نقله من کلامه.

و قد سلک هذا المسلک صدر المتألهين و صرّح به فی کتبه الکلاميّه و غيرها فی موارد کثيره.

قال فی الفصل الأوّل من إلهيّات الأسفار الذی ساقه لاثبات وجود الواجب تعالی و الوصول إلی معرفه ذاته ما هذه عبارته:

اعلم أنّ الطرق إلی اللّه کثيره لکن بعضـها أوثق و أشـرف و أنور من بعض، و أسدّ البراهين و أشـرفها هو الذی لا يکون الوسـط فی البرهان غيره بالحقيقه، فيکون الطريق إلی المقصود هو عين المقصود، و هـذه سبيل الصـديقين الذين يستشـهدون بذاته علی صفاته و بصفاته علی أفعاله واحدا بعد واحد.

و ذلک لأنّ الرّبانيّين ينظرون إلی الوجود و يحقّقونه و يعلمون أنّه أصل

كلّ شيء ثمّ يصلون بالنظر إليه إلى أنّه بحسب حقيقته واجب الوجود، و أمّا الامكان و الحاجه و المعلوليّه و غير ذلك فانّما يلحقه لا لأجل حقيقته بل لأجل نقايص و اعدام خارجه عن أصل حقيقته، ثمّ بالنظر فيما يلزم الوجوب و الامكان يصلون إلى توحيد ذاته و صفاته و من صفاته إلى كيفيّه أفعاله.

و تقريره أنّ الوجود كما مرّ حقيقه عينيّه واحده بسيطه لا اختلاف بين أفرادها لذاتها إلّا بالكمال و النقص و الشدّه و الضّعف أو بامور زايده كما فى أفراد ماهيّه نوعيّه و غايه كمالها ما لا أتمّ منه و هو الذى لا يكون متعلقا بغيره و لا يتصوّر ما هو أتمّ منه، إذ كلّ ناقص متعلّق بغيره مفتقر إلى اتمامه.

فاذن الوجود إمّا مستغن عن غيره، و إمّا مفتقر لذاته إلى غيره، و الأوّل هو واجب الوجود و هو صرف الوجود الذى لا أتمّ منه و لا يشوبه عدم و لا نقص، و الثانى هو ما سواه من أفعاله و آثاره و لا قوام لما سواه إلّا به لما مرّ أنّ حقيقه الوجود لا نقص لها و إنما يلحقه النقص لأجل المعلوليّه، و قد مرّ أنّ الوجود إذا كان معلولا كان مجعولا بنفسه(۱) جعلا بسيطا و كان بذاته مفتقرا إلى جاعل، و هو متعلق الجوهر و الذّات بجاعله.

فإذن قد ثبت و اتّضح أنّ الوجود إمّا تام الحقيقه واجب الهويّه، و إمّا مفتقر الذّات إليه متعلق الجوهريه، و على أىّ القسمين ثبت و تبيّن وجود واجب الوجود غنىّ الهويه عمّا سواه - إلى أن قال بعد جمله من النقص و الابرام:

فاذن حقيقه الوجود فى كلّ موجود بحسبه و أمّا الوحده الّتى تجمع الكل فهى ليست نوعيّه و لا جنسيه بل ضربا آخر من الوحده لا يعرفها إلّا الكاملون.

و قال فى شرح الكافى فى شرح الحديث الأوّل من باب جوامع التوحيد:

«توحيد عرشى» اعلم أنّ ذاته تعالى حقيقه الوجود بلا حدّ، و حقيقه الوجود لا يشوبه عدم، فلا بدّ أن يكون بها وجود كلّ الأشياء و أن يكون هو وجود الأشياء كلّها، إذ لو كانت تلك الذّات وجود الشيء بعينه أو الأشياء بعينها و لم تكن لشيء آخر أو لأشياء اخرى لم يكن حقيقه الوجود

۱- (۱) - اى لا بالعرض و التبعيه للماهيه كما أنّ المهيه مجعوله بواسطه و تبعيّه، منه.

و قد فرضناها حقيقه الوجود أو حقيقه الشيء و صرفه لا يتعدّد كالانسان مثلا فانه لا يمكن أن يتعدّد من حيث هو انسان، و ليس التعدّد فى زيد و عمر إلّا بأمر خارج عن حقيقه الانسانيه فحقيقه الوجود لا يتعدّد إلّا بشيء خارج، و لكن الخارج ليس إلّا العدم إذ المعانى و المهيّات تابعه للوجود و العدم ليس بشيء ثابت فثبت أن لا تعدّد فى الوجود إلّا من جهه الاعدام و النقائص.

فاذن لمّا كان واجب الوجود محض حقيقه الوجود الصرف الذى لا أتم منه فلا خارج عنه إلّا النقائص العدميّه و الاعدام فهو كلّ الذّوات و لا يشذّ عنه شيء من الموجودات من حيث كونه موجودا بل من حيث كونه ناقصا أو معدوما.

و قال فى شرح الحديث الأوّل من باب أدنى المعرفه:

اعلم أنّ للتوحيد و ساير معارف الايمان أربع درجات كقشر الجوز، و قشر قشره، و لبّه، و لبّ لبّه.

الدّرجه الاولى أن يقول باللسان: لا إله إلّا اللّه و قلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافق و الثانيه أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما يصدّق به عموم المسلمين و هو اعتقاد و ليس بعرفان.

و الثالثه أن يعرف ذلك بطريق الكشف بالبرهان بواسطه نور الحقّ و هو مقام المقرّبين، و ذلك بأن يرى أشياء كثيره و لكن يراها على كثرتها صادره من الواحد القهار الرّابعه أن لا يرى فى الوجود إلّا واحدا و هو مشاهده الصدّيقين و تسمّيه الصوفيّه بالفناء فى التوحيد.

فالأوّل موحّد باللسان و يعصم ذلك صاحبه عن السيف و السنان.

و الثانى موحّد بمعنى أنّه معتقد بقلبه.

و الثالث موحّد بمعنى أنّه لم يشاهد إلّا مؤثّرا واحدا و يرى أنّه لا فاعل بالحقيقه إلّا واحد، و الوسايط مترتّبه فى القرب و البعد منه تعالى لصدورها منه

على التّرتيب الضرورى لا لكونها علل الايجاد بخلاف ما عليه الأشاعره.

و الرّابع موحّد بمعنى أنّه لم يحضر فى شهوده غير الواحد الحقّ فلا يرى الكلّ من حيث هو كثير بل من حيث هو واحد، لأنّ المهيّات المختلفه لا وجود لها إلّا بالوجود، و الوجود بذاته موجود و له حقيقه واحده متفاوته الدّرجات و المقامات و لكلّ مقام خواص و لوازم ينتزع منه و يصدق عليه و هى المسمّاه بالمهيّات و الأعيان الثابته الّتى ما شمّت رائحه الوجود، و لا هى مجعوله و كذا الأعدام و النقائص لا يتعلق بها جعل و تأثير، إذ لا وجود لها فالحقيقه على صرافه وحدتها الذّاتيّه الّتى لا مثل لها و لا شبه و لا ندّ و لا ضدّ، إذ ليست هذه الوحده وحده عدديّه يحصل بتكرّرها العدد، سواء كان فى العين أو فى الذّهن، و لا جنسيّه و لا نوعيّه و لا مقداريّه و لا غير ذلك من أقسام الوحدات.

فهذا هو الغايه القصوى فى التوحيد و إن كانت الأذهان قاصره عن إدراكها و لكن لا أقلّ من التسليم و عدم التلقّى بالجحود و الانكار، و اللّه ذو الفضل العظيم.

و قال فى شرح الحديث الخامس من باب حدوث العالم:

إنّ مهيّته تعالى إنيّته بمعنى أن لا مهيّه له سوى الحقيقه المحضه و الانّيه البحته و الوجود الصرف الذى لا يشوبه عدم و لا عموم و لا خصوص فاليه الاشاره بقوله عليه السّلام: شىء بخلاف الأشياء.

لأنّ كلّ ما سوى حقيقه الوجود له مهيّه خاصّه يعرضها عدم و قصور يلحقها كليّه و جزئيه، و كلّ منها يسلب عنها أشياء كثيره وجوديّه، فهذا جسم و هذه صوره، و هذا فلك و هذا انسان، فما هو فلك ليس بانسان، و ما هو جسم ليس بعقل و ما هى صوره ليست بمادّه.

و هذا بخلاف ذاته تعالى إذ هو كلّ الوجود و كلّه الوجود و ما من شىء إلّا و هو ذاته أو تبع و رشح لذاته، و ما فى الوجود إلّا ذاته و صفاته و أفعاله.

و قال فى شرح الحديث الرّابع من باب اطلاق القول بأنّه شىء:

و نسبه جميع الأشياء إليه تعالى نسبه ساير الأضواء و ظلالها إلى ضوء

الشمس الّذی به یضیء کلّ شیء و هو مستغن عن غیره لو کان لضوئها قیام بنفسه و لکنّه یغایر الأوّل تعالی بأنّ الضوء فیها یحتاج إلی موضوع و هو محسوس، و الوجود الأوّل لا موضوع له و لا محسوس، بل معقول لذاته و عاقل و عقل لذاته و لما سواه من الأنوار العقلیه القاهره و المدبّره و سایر الصّور و الأجرام و عوارضها و الوجودات الفایضه منه کالأنوار و المهیّات التابعه لها کالظلال و الأجسام کالظلمات، و للّه المثل الأعلی فی السماوات. إلی غیر ذلک ممّا لا نطیل بنقله.

و قال بعضهم:

کلّما فی الکون وهم أو خیال أو عکوس فی المرایا أو ظلال

و قال عامر بن عامر البصری و هو من صوفیّه الشیعه کما فی مجالس المؤمنین فی مفتتح قصیدته الّتی سماها ذات الأنوار فی معنی الوحده الصرفه:

إنّ ذلک لیس بحلول کما ظنّه بعض المتوّهمین، و ذلک لأنّ الحلول یقتضی وجود شیئین أحدهما حالّ و الثانی محلّ، و لیس الأمر کذلک عند فحول المتوحّدین، بل عندهم أنّ الواحد المطلق من کلّ الوجوه لا یبقی سواه، و هو ظاهر بالکلّ للکلّ، و لکلّ فرد من أفراد کثرته الدّاخله فی حقیقه وحدته نصیب من عین تلک الوحده، و لا خروج له عنها و لا انعدام یطری علی شیء ثمّ شرع فی القصیده المسمّاه بذات الأنوار و قال فی مطلعها:

تجلّی لی المحبوب فی کلّ وجهه فشاهدته فی کلّ معنی و صوره

و خاطبنی منی بکشف السرائر تعالت عن الأغیار لطفا و جلّت

فقال أ تدری من أنا قلت أنت یا منای أنا إذ کنت أنت حقیقتی

فقال کذاک الأمر لکنّما إذا تعیّنت الأشیاء بی کنت نسختی

فأوصلت ذاتی باتّحادی بذاته بغیر حلول بل بتخصیص نسبه

فصرت فناء فی بقاء مؤبّد لذات بدیمومیّه سرمدیّه

إذا رمت إثباتا لانیّتی محا هواه وجودی محوه أیّ محوه

فیأخذنی منّی فأصبح سائلا لنفسی عن نفسی حضورا لغیبه

و انظر فی مرآت ذاتی مشاهدا لذاتی بذاتی و هو غایه غایتی

فاغدو و أمری بین أمرین واحد علومی تمحونی و وهمی مثلتی

إلی أن قال:

بدا ظاهرا بالکلّ للکلّ بیّنا فشاهده العینان فی کلّ ذرّه

و أشرق منه مطلق قیّد الوری عموما بوحدانیه صمدیّه

هو الواحد الفرد الکثیر بنفسه و لیس سواه إن نظرت بدقّه

به کلّ حیّ و هو حیّ بذاته و إن شئت أن تحیی به فله مت

له کلّ عین فی الوجود یری بها له کلّ اذن فی البرایا وعیّه

له کلّ کفّ فی الواری باطشا بها له کلّ علم من علوم الخلیقه

لذلک ما قال الاله لادم علی صورتی کانت لخلقک خلقتی

فکثرته مخفیّه تحت وحده کما أنا فرد کثرتی تحت وحدتی

بقیت به لمّا فنیت له کما وجدت حیاتی فیه من بعد موتتی

إلی أن قال:

نظرت فلم ابصر سوی محض وحده بغیر شریک قد تقسّط بکثره

تکثّرت الأشیاء و الکلّ واحد صفات و ذات ضمتا فی هویّه

یحجّب عنّا و اختفی بظهوره فضلّل فیه کلّ قوم بحجّه

فساير ذرّات الوجود مظاهر له إن رآه باصر ببصیره

محا ممکنات الوهم منه بواجب حوی کثره توحیدها بالضروره

و ذاک لأن لا شیء یوجد غیرها و جملتها موجوده بالمعیّه

لک الکلّ یا من لا سواه فمن رأی سواک فرؤیا ذاک من أحولیه

(۱) و محصّله کما تری أنّ ذات الوجود المطلق و الممکنات لیست إلّا مجالی

۱- (۱) بـا من آمیزش او الفت موج است و کناردائما با من و پیوسـته گریزان از منمجموعـهٔ کون را بقانون سـبقکردیم تصـفّح ورقا بعد ورقحقا که نخواندیم و ندیدیم در اوجز ذات حق و شئون ذاتیهٔ حق

و مظاهر له.

و بعباره اخرى الوجود إذا اعتبر لا بشرط التّعيّن و عدم التعيّن يكون حقيقه الواجب، و اذا اعتبر بشرط التعيّن بالماهيه يكون عين حقيقه الممكنات فيكون حقيقه كلّ ممكن هو الوجود المتعيّن بالماهيه، فاذا لم يعتبر فيه التعيّن كان عين حقيقه الواجب، تعالى عمّا يقول الجاهلون علوّا كبيرا.

اذا عرفت ذلك فأقول:

إنّ بطلان هذا الاعتقاد الفاسد ممّا دلّ عليه العقل و النّقل، و لكونه من مزالّ الأقدام يحتاج إلى بسط الكلام فى ذلك المقصود و المرام، بعون اللّه المالك المهيمن السّلام، و باللّه أستعين و أستمدّ و بمحمّد و آله الطاهرين سلام اللّه عليه و عليهم أجمعين أتوسّل فى كشف الحجاب عن وجه المرام.

اما الدليل العقلى على بطلانه

فموقوف على تمهيد مقدّمه متضمّنه للفرق بين الواجب تعالى شأنه و الممكن و هو بوجوه:

الاول

الافتقار و عدم الافتقار

بيانه: أنّ الموجود إمّا موجود بنفسه غير مفتقر فى وجوده إلى غيره أى - العلّه الموجده، أو موجود لا بنفسه بل مفتقر إلى العلّه، و الحصر بينهما عقلىّ دائر بين النفى و الاثبات، فلا يتصوّر واسطه بين الافتقار و عدم الافتقار، فلا موجود خارجا من القسمين و المتّصف بعدم الافتقار هو الواجب و بالافتقار هو الممكن.

أمّا الثّانى فلا بدّ أن ينتهى وجوده إلى علّه قائمه بذاتها موجوده بنفسها، إذ معنى افتقاره هو قبوله لأثر العلّه الذى هو الوجود، فلو لم تكن العله بنفسها موجوده لكانت فاقده للأثر و الفاقد للشىء كيف يكون معطيا، و مجرّد وصول الأثر بواسطه إلى محلّ لا يرفع الافتقار فلا بدّ من الانتهاء إلى المؤثر القائم بذاته ؟؟؟؟؟ عنى غير المفتقر فى وجوده إلى غيره.

؟؟؟؟؟ يكون وجوده عله لوجوده و هو غير معقول لاستلزامه تقدّم الشىء

على نفسه.

و إمّا بأن يكون نفسه عين الوجود أى لا يكون له ماهيّه و وجود كما فى الممكنات بل يكون ماهيته انيّته و هو المطلوب.

فان قلت: هل له تعالى ماهيّه؟ قلت: الماهيّه لها معنيان:

أحدهما بازاء الوجود كما يقال وجود الممكن زايد على ماهيّته و الماهيّه بهذا المعنى يعرضها العموم و الاشتراك فليست له تعالى ماهيّه بهذا المعنى.

و ثانيهما ما به الشىء هو هو و هذا يصحّ له عزّ و جلّ و قد صرّح به الصّادق عليه السّلام فى جواب الزنديق فى حديث طويل مرويّ فى الكافى قال: قال له السّائل: فله إنيّه و مائيّه؟ قال عليه السّلام: نعم لا يثبت الشىء إلّا بانيّه و مائيّه.

الثانى

أنّه تعالى منزّه عن الحدّ و الرّسم

و المثل و الشّبه و الضّدّ و النّد، و التنزّه مقتضى ذاته و الممكن محدود ممثّل.

أمّا الأوّل فلما عرفت من أنّه تعالى نفس الوجود و متعيّن الذّات بوجوب وجوده و ليس له ماهيّه و وجود فليس بذى أجزاء و ما لا جزء له لا جنس له و لا فصل له و ما لا جنس له و لا فصل له لا حدّ له، و إذ ليست له صفه لازمه و لا خاصّه فلا رسم له، و ما لا حدّ له يمتنع إقامه البرهان عليه إلّا أنّه من حيث كونه مبدءا لأفعاله و آثاره و بارئا لمخلوقاته ممّا يقام عليه البرهان كما يقال: العالم مصنوع مبنى يقتضى أنّ له صانعا بانيا، فالعالم له صانع و إذا ثبت أنّ للعالم صانعا ثبت وجوده ضروره.

و أما الثانى فلتركبه من الوجود و الماهيه يكون ذا أجزاء و الوجود للممكنات أمر عقلى متصوّر فى الذّهن مشترك بين الموجودات زايد فى التصوّر على المهيات و قد عرفت أنّ المهيه التى هى معروض الوجود أيضا مما يعرضه العموم و الاشتراك فافراد الممكنات بجميعها مشتركه فى أمر جامع بينها به يشابه أحدها الاخر و يشاكله

و يتميّز أحدهما عن الاخر بأمر بائن، و ليس الحدّ إلّا عباره عن الجامع الفارق.

و أيضا كلّ متصف بالوجود الامكانى فله مهيّه و وجود.

أما المهيّه فلكونها غير الوجود يحتاج فى موجوديّتها إلى جاعل يجعلها موجودا إذ المهيّه لا تقتضى نفسها وجودها و إلّا لكان وجودها قبل وجودها و هو محال ضروره تقدّم المقتضى على المقتضى.

و أما الوجود فلأنّ كلّ وجود غير وجوده تعالى فهو يشوبه عدم و نقص فيحتاج إلى موجد و له حدّ معين من مراتب الوجود يحتاج إلى محدّد إذ لو كانت نفس طبيعه الوجود تقتضى ذلك الحدّ لكان الجميع كذلك و ليس كذلك، فاذن الوجود فى كلّ موجود نفس تعيّنه الخاصّ و وحدته الشخصيّه و تشخّصه المحدّد و المعين، و كلّ ما له حدّ فله عله محدّده تحدّده على ذلك الحدّ.

و هذا بخلاف الوجود الالهى الذى هو عين ذاته و تعيّنه بالوجوب فلا قاهر فوقه و لا محدّد له إذ ليس فيه إلّا محض الحقيقه القدسيه و التنزّه.

بل قد قال بعض الأساطين: إنّ انفكاك المهيه من الوجود إنما هو فى تحليل العقل، و أما فى الواقع فهى عينه حيث قال:

إنّ الوجود لا بدّ له عما يخرجه عن الايهام، فلا يتحقّق إلّا بعد التعيّن التمام بالفصول المتنازله إلى أن ينتهى إلى التشخّص. فبعد التعيّن التامّ يتحقّق و الترتب إنما هو فى المرتبه و التحليل، و هذا ما أشاروا إليه بقولهم: إنّ الشىء ما لم يتشخّص لم يوجد و ما لم يوجد لم يتشخّص، و أنّ التشخّص يساوق الوجود، فانه ذات الوجود و خلوّه عنه سلب الشىء عن نفسه.

و بما حقّقنا ظهر أنّ الماهيه عين الوجود، و انما ينفكان فى التحليل، فيحمل الوجود على الماهيه و يعرضها باعتبار كما أنّ الماهيه تعرض الوجود باعتبار آخر و فى الحقيقه ليس هناك إلّا الوجود الخاصّ، فالوجود الذى هو نقيض العدم بنفسه لا يتقوّم بل هو و الحدّ و التحديد مستند إلى أمر وراء ذلك، فالمبدء تعالى ليس له ذات و وجود، و إنما يعبر بعبارتين بالالجاء و ضيق المجال كما هو الحال فى جميع

صفات الجمال، و هذا متن بيان مقتبس من مشكاه النبوّه إلى أن قال:

ظهر من جميع ما تقدّم أنّ إثبات المبدأ تعالى لا ينفكّ عن التوحيد، ضروره أنّ الحدّ ينافى الوجود و التعدّد لا يعقل إلّا بالحدود و قال:

و كشف الحجاب أنّ الوجود عين هويّته و نفس الماهيه كما هو محصّل عروض الوجود للماهيه، و التفكيك إنّما هو بالتحليل و كذا الحمل و العروض، فقبل التحقّق الذى هو عين الواقع و الخارج لا وجود و لا ماهيه، و معه لا تمائز.

فللحيوانيّه مثلا نحو من الوجود لأنّ الحركه بالاراده و الحسّ وجود و المعدوم لا يعقل أن يكون حيوانا و حساسا، و كذا النّطق و هو إدراك الكلّيات و ملكه اكتساب النظريّات نحو من الوجود و المعدوم ليس ناطقا بالضروره.

و كذا الحال فى جميع الأجناس و الفصول و الأنواع الملتئمه منها المترتّبه فانّه صرف الفرض و ليس كون الانسان قبل الوجود انسانا و كون الوجود وجودا قبل التحقّق إلاّ مجرّد الفرض، فعدم كون الانسان و الوجود قبل التحقّق وجودا و انسانا مخالف للفرض لا أنّه سلب للشّىء عن نفسه كيف و ليس هناك شىء و لا نفس إلاّ بالفرض.

ألا ترى أنّ اجتماع النّقيضين لو كان اجتماعا تحقيقيا لكان محقّقا و إنّما هو مجرّد فرض و تقدير، فالانسانيّه التّحقيقيه و هو الحيوانيّه مع النطق لو كانت غير الوجود فكيف يكون متحرّكا بالاراده و مدركا للمعقولات و هو لا وجود له.

و من خفى عليه هذا المعنى خبط خبطه عشواء فبين من ذهب إلى أنّ التقرير مرحله سابقه على الوجود، و من توهّم أنّ بين الوجود و العدم مرحله تسمّى بالحال و لم يتفطنوا أنّ ارتفاع النّقيضين محال، انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه دام عزّه و علاه.

و قد اتّضح منه كلّ الوضوح أنّ الممكن لا تحصل له إلاّ بالوجود و الماهيه و أنّ الماهيّه بحسب الخارج عين الوجود وحده، و أنّ معنى عروض الوجود للماهيّه أنّ الملحوظ فى الوجود إنّما هو حدّه المعين لا أنّ هناك عارضا و معروضا

و عروضا.

فانقدح منه أنّ قول الصوفيّه بأنّ الماهيّه ماهيّه حال العدم و هى المعبّر عنها بالعين الثابت، و قولهم بأنّ الأعيان الثابته ما شمّت رايحه الوجود ممّا لا معنى له أو التفكيك بين الثّبوت و الوجود و القول باتّصاف الماهيّه بالأوّل دون الثانى سفسطه محضه.

الثالث

أنّ الواجب تعالى وجوده تامّ فوق التّمام

، و الممكن موصوف بالقصور و النّقصان، و التمام مقتضى ذات الاوّل كما أنّ النّقصان لازم وجود الثانى.

و المراد بكونه تامّا كونه جامعا لجميع صفات الكمال إذ قد قلنا إنّه عين الوجود و الكمالات كلّها وجود، فتكون الكمالات جميعا حاصله له بالفعل بنفسه من دون افتقار إلى الاستكمال بالغير، و هذا من ضيق العباره بل كما أنّ ذاته تعالى صرف الوجود كذلك صرف العلم و القدره و الاختيار و الحياه و غيرها من الصّفات الكماليّه، و هذه الصّفات عين ذاته كما قال أمير المؤمنين: علم كلّه قدره كلّه حياه كلّه.

و المراد بفوق التمام كونه مع جامعيّته للكمالات و تماميّتها له موجدا لوجود غيره و كمالاتهم جميعا أيضا.

و أمّا الممكن فلا ينفك عن وصف الافتقار و الامكان و المهيّه و المعلوليّه و التركيب و غيرها من النقائص، و ما يتصوّر فيه من وصف الكمال فامّا أن لا يكون حاصلا له بالفعل بل بالقوّه كالانسان مثلا، أو يكون حاصلا بالفعل و لكن حصوله ليس بنفسه بل بالغير، فعلم من ذلك أنّ الواجب تامّ و الممكن ناقص.

و اذا عرفت هذه المقدّمه الشريفه ظهر لك فساد القول بوحده الوجود، لأنه إذا كان الواجب عله و الممكن معلولا، و الأوّل مستغنيا و الثانى مفتقرا، و الأول منزّها عن الحدّ و التعيّن و الثانى محدودا متعيّنا بالماهيه، و الأوّل بسيطا و الثانى مركّبا، و الأول تامّا فوق التمام و الثانى مكتنفا بالعدم و النقصان حسبما عرفته

فی المقدّمه الّتی مهّدناها، فکیف یعقل ترقّی الثانی إلی مرتبه الأوّل، فانّ ذاتیّ الشّیء لا ینفکّ عنه و المعلولیّه و المحدودیّه و الافتقار و النقصان من لوازم ذات الممکن فکیف یتصوّر أن یلقی الممکن إنیّته علی اصطلاحهم و یصل إلی مرتبه الواجب.

مع أنّ إنیّته لیس إلّا تعیّنه بماهیّته و بعد ارتفاع التّعین و التّحدّد لا یبقی ماهیّه و لا وجود، فلا یکون هناک شیء أصلا.

و کذلک إذا کان الواجب تعیّنه بذاته و بکنهه و منزّها عن الحدود لکونه صرف الوجود و کان تامّا فوق التمام کان مباینا للممکن غایه البینونه کما قال الرّضا علیه السّلام فی الحدیث المرویّ عنه فی الکافی: مباینته إیّاهم مفارقته إنیّتهم، فکیف یتوّهم کونه ساریا فی الموجودات.

و هؤلاء الجهله لمّا سمعوا أنّ الواجب وجود خال من جمیع الحدود و القیود، و أنّ الوجود مفهوم واحد نقیض العدم، فتوهّموا أنّ الوجود الخالی من جمیع القیود هو الوجود المطلق لا- بشرط التعیّن و عدم التعیّن، فیجتمع مع جمیع التعیّنات الامکانیه، و یکون عین حقیقه کلّ ممکن.

و هذا التوهّم من الفساد بمکان لأنّ معنی خلوّ الواجب من القیود، هو خلوّه من التعیّنات الامکانیه لا من مطلق التعیّن و لو بذاته، فتعیّنه سبحانه بوجوب وجوده الذی هو عین ذاته فعلی هذا یکون طرد الحدود و التعیّنات الامکانیه محالا، و لیس معنی خلوّه منها کونه مبهما ساریا فی التعیّنات مثل سریان الکلّیات فی مصادیقها الخارجیّه المتعینه.

و بعباره أوضح أنّ الواجب مع قطع النظر عن الحدود و التعیّنات إمّا مبهم أو متعیّن.

أمّا الأوّل فتحقّقه محال بالضّروره، لأنّ الشیء ما لم یتشخّص لم یوجد و من هنا قالوا إنّ الکلیّ الطبیعی أمر مبهم لا یمکن تحقّقه فی الخارج إلّا بضمّ التعیّنات و تشخّصات الأفراد.

و أما الثانی فامّا أن یکون سرایته فی المخلوقات مع تعیّنه الذی هو له فهو محال، لأنّه جمع بین النقیضین إذ التعیّن الوجوبی مناف للتعیّن الامکانی و مناقض له، أو مع إلقائه لتعیّنه الذّاتی و تعیّنه بالتعیّن الامکانی و هو فرع أن یکون متحرّک غیر واجب و ممکن یکون فی تلک المراتب و یکون واجبا تاره و ممکنا اخری و هو باطل.

و الحاصل أنّ الواجب إمّا مبهم محض و جامع بین جمیع الموجودات کما هو شأن الجامعه الساریه، و هو مستلزم لنفی وجود الصانع تعالی عن ذلک علوّا کبیرا، و إما أنّه متعیّن بحب ذاته فیستحیل سریانه فی الامور المتعیّنه بالحدود و القیود.

و الی ذلک أشار المحقّق الطوسی فی شرح الاشارات حیث قال:

حقیقه الواجب لیست هی الوجود العام بل هی مجرّد وجوده الخاص به المخالف لسایر الموجودات لقیامه بالذّات.

و قال أیضا: الوجود داخل فی مفهوم ذات واجب الوجود لا الوجود المشترک الذی لا یوجد إلّا فی العقل بل الوجود الخاص الذی هو المبدأ الأول لجمیع الموجودات و إذ لیس له جزء فهو نفس ذاته و هو المراد من قولهم: مهیّته هی إنیّته انتهی.

و قال المعلّم الثانی فی محکیّ کلامه من کتاب الجمع بین الرّایین:

إنّه لما کان الباری جلّ جلاله بانیّه ذاته مباینا لجمیع ما سواه و ذلک له بمعنی أشرف و أفضل و أعلی بحیث لا یناسبه فی إنیّته شیء و لا یشاکله و لا یشبهه حقیقه و لا مجازا، ثمّ مع ذلک لم یکن بدّ من وصفه و اطلاق کلّ لفظه کمالیّه من هذه الألفاظ المتواطئه علیه، فانّ من الواجب الضّروری أن نعلم أنّ مع کلّ لفظه نقولها فی شیء من أوصافه معنی بذاته بعیدا من المعنی الّذی نتصوّره من تلک اللّفظه و ذلک کما قلناه بمعنی أشرف و أعلی حتّی إذا قلنا إنّه موجود علمنا مع ذلک أنّ وجوده لا کوجود ساير ما دونه، و إذا قلنا إنّه حیّ علمنا أنّه بمعنی أشرف من الحیّ الذی هو دونه و کذلک الأمر فی سایرها، انتهی.

و هو كما ترى نصّ صريح مثل الاخبار الاتيه الوارده من معادن القدس و الطهاره فى أنّ مباينته لغيره بنفس ذاته. فلا يتّصف بالماهيّه و لا بالوجود بالمعنى المتصوّر فى الممكن، بل إذا قلنا إنّه موجود و وصفناه بالوجود فهو بمعنى اعلا ممّا يتصوّره العقل، و هكذا إذا وصفناه بالعلم و الحياه و ساير الصفات الثبوتيّه و هو معنى ما ورد فى غير واحد من الأخبار الكثيره من أنّه سبحانه شيء لا- كالأشياء فوصفه بأنّه شيء من ضيق المجال و الخروج من حدّ التعطيل، و بأنّه لا كالأشياء للتّنزيه و التقديس و نفى التشبيه و الاشاره إلى كونه باينا من الأشياء و كونها باينه منه بنفس ذاته المقدّسه.

و الحاصل أنّه تعالى ممتاز عمّا سواه بذاته، و الوجود عين ذاته، و الوجود الّذى له عزّ و جلّ ليس بالمعنى الذى لها كيف و الوجود الذى لغيره أمر بديهىّ يعرفه الكلّ كساير البديهيّات، و الوجود المخصّص به لا- يدركه بعد الهمم و لا- يناله غوص الفطن، و غايه معرفتنا بذاته أنّا لا نعرف ذاته بيان ذلك أنّ كلّ مدرك باحدى القوى و الحواسّ ظاهريّه كانت أو باطنيّه و كلّ ما تدركه المشاعر صوره كانت أو معنى فهو محدود متمثّل تحدّه الحواسّ و تمثّله الأفكار، و كلّ ما هو كذلك فهو مخلوق مثلنا مصنوع بفكرنا، و خالق الأشياء منزّه عنه فنعرف ذاته بأنّا لا نعرف ذاته إذ غايه ما يحصل لنا من الاثار و الأفعال كونه مبدء لتلك الاثار و الأفعال صانعا لها، و من ذلك يحصل الجزم بوجوده تعالى.

إذ لو لم يكن موجودا ثابتا لكان معدوما منفيّا اذ لا مخرج منهما و لا واسطه بين النّفى و الاثبات و الوجود و العدم.

و يلزم من عدمه أن لا- يكون فى الوجود شيء أصلا و اللّازم باطل بالبديهه فكذا الملزوم و وجه الملازمه أنّ الكلّ مفتقر فى وجوده إليه فما هو معدوم فى نفسه كيف يكون مفيضا للوجود فثبت بذلك أنّه موجود ممتاز بذاته عمّا عداه هذا.

و الصوفيّه أولياء الشيطان لمّا ضاق بهم الخناق فى إقامه البرهان على مذهبهم الفاسد و اعتقادهم الكاسد استندوا إلى الكشف و العيان.

قال بعض من له خوض فى التّصوف:

إنّ مستند الصوفيّه فيما ذهبوا إليه هو الكشف و العيان لا النظر و البرهان، فانّهم لمّا توجّهوا إلى جناب الحقّ سبحانه بالتّعريه الكامله و تفريغ القلب بالكليّه عن جميع التّعلّقات الكونيّه و القوانين العلميّه مع توحيد العزيمه و دوام الجمعيّه و المواظبه على هذه الطريقه بدون فتره و لا تقسيم خاطر و لا تشتّت عزيمه منّ اللّه سبحانه عليهم بنور كاشف يريهم الأشياء كما هى.

و هذا النور يظهر فى الباطن عند ظهور طور وراء طور العقل، و لا تستبعدن وجود ذلك، فوراء العقل أطوار كثيره يكاد لا يعرف عددها إلّا اللّه.

و نسبه العقل إلى ذلك النور كنسبه الوهم إلى العقل، فكما يمكن أن يحكم العقل بصحّه ما لا يدركه الوهم كوجود موجود مثلا لا خارج العالم و لا داخله، فكذلك يمكن أن يحكم ذلك النّور الكاشف بصحّه بعض ما لا يدركه العقل، كوجود حقيقه مطلقه محيطه لا يحصرها التقييد و لا يقيّدها التعيين.

مع أنّ وجود حقيقه كذلك ليس من هذا القبيل فانّ كثيرا من الحكماء و المتكلّمين ذهبوا إلى وجود الكلّى الطبيعى فى الخارج.

و المقصود هنا رفع الاستحاله العقليه و الاستبعادات العاديه عن هذه المسأله لا إثباتها بالبراهين و الأدله، انتهى.

و هو سخيف جدّا لامتناع أن يكون طور وراء العقل إلاّ النّبوه، و لو جوّز ذلك لبطلت الشرائع و الأديان و الأحكام النقليّه و العقليه و ارتفع الأمان و انسدّ باب الايمان.

و ليس نتيجه ما ذكر من الرّياضه و المجاهده إلاّ تلطيف السّر و تهذيب الباطن و تصفيه القلب ليسهل النظر و يسرع الفكر و يصفو الذّهن من الكدر، فيتجرّد المعقولات النظريّه عن الغواشى الوهميّه و يتميّز المعقول عن الموهوم، و ذلك

هو معنى الكشف و نور اللّه الكاشف لا ما توهّموه.

و مثله فى السخافه استناد بعضهم فى ذلك إلى الأدله السمعيّه حيث قال:

إذا علمت أنّ الوجود هو الحقّ علمت سرّ قوله «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ » «وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ » «وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ » «وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلهٌ » و قوله «اَللّهُ نُورُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و اللّه «بِكُلِّ شَيْ ءٍ مُحِيطٌ » و كنت سمعه و بصره، و سرّ قوله: و لو دليتم بحبل لهبط على اللّه، و أمثال ذلك من الأسرار المنبهه للتوحيد بلسان الاشاره، انتهى.

و لا دلاله فيها على ما زعموه بوجه.

أمّا الايه الاولى فدلالتها على بطلان ما زعموه و فساده أظهر، بل مكذبه لدعواهم، لأنّ وجود الأشياء عينها فى الخارج لا معها، و قد عرفت أنّ التغاير فى طرف التّحليل، و المراد بكونه تعالى معنا فى جميع الأمكنه ما حقّقناه فى شرح الفصل السادس من الخطبه الاولى فى شرح قوله عليه السّلام: مع كلّ شىء لا بمقارنه و أمّا الايه الثانيه فهى أيضا مكذبه لهم لأنّ الاقربيّه مستلزمه للمغايره و المنافيه للعينيّه، و المراد بها القرب بالعلم و الاحاطه أو باعتبار كون ذاته و وجوده منه تعالى حدوثا و بقاء بحيث لو قطع النظر عنه آنا ما هلك و صار عدما محضا لاستحاله بقاء المعلول من غير علّه و أمّا الايه الثالثه فهى أيضا دليل على البينونه و المغايره، لافادته كون نفس الشخص آيه على صانعه و هو استدلال إنّى و أين ذلك من الاتّحاد.

و أمّا الايه الرّابعه فالمراد بها انحصار الالوهيه فى جميع العوالم فيه تعالى و هو أيضا مكذب للعينيّه لمنافاه الالوهيّه لها.

و أمّا الايه الخامسه فالمراد بها أنّه هاد لأهل السماوات بلا واسطه و لأهل الأرض بواسطه الأنبياء و الرّسل و الأئمه عليهم السّلام، و قد ورد تفسيره بهذا المعنى فى أخبار أهل البيت سلام اللّه عليهم.

و أمّا الايه السادسه فهى أيضا مكذبه لدعواهم لأنّ وجود الشىء ليس محيطا

به بل هو فی الخارج و فی التحلیل عارض له.

و أما الحدیث القدسی فلا دلاله فیه أیضا علی الاتّحاد، بل المراد به معنی آخر أشار به فی البحار.

فانه بعد ما روی من المحاسن عن عبد الرّحمن بن حماد عن حنان بن سدیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: قال اللّه تعالی: ما تحبّب إلیّ عبدی بشیء أحبّ إلیّ ممّا افترضته إلیه، و أنّ عبدی لیتحبّب إلیّ بالنافله حتی احبّه فاذا أحببته کنت سمعه الذی یسمع به و بصره الذی یبصر به و لسانه الذی ینطق به و یده التی یبطش بها و رجله التی یمشی بها إذا دعانی أجبته و إذا سألنی أعطیته.

قال: هذا الخبر یحتمل وجوها:

الأوّل أنه لکثره تخلّقه بأخلاق ربّه و وفور حبّه لجناب قدسه تخلّی عن شهوته و إرادته، و لا ینظر إلّا إلی ما یحبّه سبحانه و لا یبطش إلّا إلی ما یوصله إلی قربه تعالی و هکذا الثانی أن یکون المراد أنّه تعالی أحبّ إلیه من سمعه و بصره و لسانه و یده و یبذل هذه الأعضاء الشّریفه فیما یوجب رضاه فالمراد بکونه سمعه أنّه فی حبّه و اکرامه بمنزله سمعه بل أعزّ منه لأنّه یبذل سمعه فی رضاه و کذا البواقی.

الثالث أن یکون المعنی کنت نور سمعه و بصره و قوّه یده و رجله و لسانه و الحاصل أنّه لمّا استعمل نور بصره فیما یرضی ربّه أعطاه بمقتضی وعده سبحانه «لَئِنْ شَکَرْتُمْ لَأَزِیدَنَّکُمْ » نورا من أنواره به یمیّز بین الحقّ و الباطل، و به یعرف المؤمن و المنافق کما قال اللّه تعالی «إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ » و قال علیه السّلام: المؤمن ینظر بنور اللّه، و کذا لما بذل قوّته فی طاعته أعطاه قوّه فوق طاقه البشر کما قال مولانا الأطهر: ما قلعت باب الخیبر بقوّه جسمانیه بل بقوّه ربانیه و هکذا.

الرّابع أنه لما خرج عن سلطان الهوی و آثر علی جمیع إراداته و مراداته و شهواته لرضی المولی صار الرّب تعالی متصرّفا فی نفسه و بدنه، مدبّرا لقلبه

و عقله و جوارحه فبه يسمع و به يبصر و به ينطق و به يمشى و به يبطش كما ورد فى تأويل قوله «وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ » و هذا معنى دقيق لا يفهمه إلاّ العارفون و ليس المراد به المعنى الذى باح به المبتدعون فانّه الكفر الصريح و الشّرك القبيح انتهى كلامه رفع مقامه.

و أما الروايه الأخيره فعلى تسليم صحّه سندها و عدم كونها من موضوعات العامّه فمعناها إحاطته تعالى بجميع العوالم و عدم خلوّ مكان منه عزّ و جلّ بهذا المعنى، و أين هذا ممّا زعمه حزب الشيطان من أنّ الوجود هو اللّه، تعالى عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

فقد وضح و اتّضح من هذا كلّه أنّ ما ذهب إليه الزّنديق اللّعين محيى الدّين و أتباعه الذين هم أولياء الشيطان و هادمو أساس الشرع المبين من أنّ الوجود هو الحقّ الأوّل و أنّه سار فى الموجودات و أنّها على كثرتها مجالى و مظاهر له، و أنّ الواجب إذا اشتمل على الحدّ و التّعين صار ممكنا، و انّ الممكن إذا ارتفع عنه الحدّ و التّعيّن صار واجبا ففى قوس النزول يكون الواجب ممكنا، و فى قوس الصّعود يكون الممكن واجبا، غلط بيّن و كفر و زندقه و إلحاد.

و العجب من صدر المتألهين أنّه مع ذكائه و براعته فى فنّ الكلام و إذعانه بأكثر ما أوردناه فى المقدّمه الشّريفه، غفل عن نتيجتها و قلّد الصّوفيه فيما هم عليه زعما منه أنّ ما ذهبوا إليه من وحده الوجود هو نتيجه كلمات الأساطين من الحكماء و المتكلّمين، و لم يتعقّل المباينه، ثمّ ذهب إلى كونه مشتركا مقولا على ما تحته بالتشكيك حسبما نقلناه.

قال فى الأسفار:

«فصل» فى أنّ مفهوم الوجود مشترك محمول على ما تحته حمل التّشكيك لا حمل التّواطى.

أمّا كونه مشتركا بين الماهيّات فهو قريب من الأوّليّات، فانّ العقل يجد بين موجود و موجود من المناسبه و المشابهه ما لا يجد مثلهما بين الموجود

و المعدوم و أطال فی إثبات الاشتراک بما لا طائل تحته إلی أن قال:

و أمّا کونه محمولا علی ما تحته بالتّشکیک أعنی الأوّلیّه و الأقدمیّه و الأشدّیه، فلأنّ الوجود فی بعض الموجودات بمقتضی ذاته کما سیجیء دون بعض و فی بعضها أقدم بحسب الطّبع من بعض، و فی بعضها أتمّ و أقوی.

فالوجود الذی لا سبب له أولی بالموجودیّه من غیره، و هو متقدّم علی جمیع الموجودات بالطّبع، و کذا وجود کلّ واحد من العقول الفعّاله متقدّم علی تالیه، و وجود الجوهر متقدّم علی وجود العرض.

و أیضا فانّ الوجود المفارقی أقوی من الوجود المادّی، و خصوصا وجود نفس المادّه القابله، فانّها فی غایه الضعف حتّی کأنّه یشبه العدم و المتقدّم و المتأخّر و کذا الأقوی و الأضعف کالمقوّمین للموجودات و إن لم یکن کذلک للماهیّات.

فالوجود الواقع فی کلّ مرتبه من المراتب لا یتصوّر وقوعه فی مرتبه اخری لا سابقه و لا لاحقه و لا وقوع وجود آخر فی مرتبته لا سابق و لا لاحق، انتهی.

و اعترض علیه بعض أساطین مشایخنا المعاصرین أطال اللّه بقاه بقوله:

إنّ هذا الکلام یکشف عن أنّه لم یتعقّل معنی الوجود و الماهیّه، ضروره أنّ المتصف بالکلّیه و الجزئیه و التواطی و التشکیک إنّما هو الکلّی الطبیعیّ، فموضوع هذه الأحکام إنّما هو الماهیه، و أمّا الوجود المنسلخ عنها فی التّحلیل فهو کالعدم، و مع عدم لحاظ الانسلاخ فیه لا تعدّد و لا تغایر و لا ماهیّه و لا وجود، بل هو حینئذ عینها و هی عینه کما لا یخفی و لا یصلح لأن یتّصف بشیء من هذه الصّفات إلّا تبعا للذات.

بل التحقیق أنّ الاعراض بأسرها علی هذا المنوال فانّها جهات تحلیلیّه لا انیّه لها و لا ماهیّه و انّما هی شئون المعروض، فانّ العروض بلحاظ ارتباطه مع الغیر فهو غیر متأصّل لا محاله کالفوقیّه و الابوّه و کذا ما یلزم من وجوده

التكرّر كالوجود.

و أمّا اللون و ما شاكله فهو متأصّل لا- كما توهّموه من أنّ له ماهيّه و وجودا إلاّ- أنّه فی وجوده يحتاج إلی موضوع بخلاف الجوهر، و إلاّ- لكان المعروض من مقوله الأين بالنسبه إلی العرض مع أنّ وجود العرض لنفسه عين وجوده للغير لا- أنّ هناك وجودين و هذا معنی الحلول و هو عباره اخری عمّا اشرنا إليه من أنّه نحو وجود المعروض، فالموجود له ذات و وجود و لوجوده شئون و خصوصيّات تسمّی بالاعراض و أمّا الماهيه فلا يعرضها إلاّ الوجود، و أما الزّوجيه فی الأربعه و ما يشابهها فليست عرضا لماهيه، ضروره أنّ الأربعه كم منفصل لا- ماهيّه من الماهيّات بل هو تحليل فی تحليل فی خصوصيّات الوجود و لو علی سبيل التقدير.

و أمّا ما توهّمه من أنّ الوجود فی بعض الموجودات بمقتضی ذاته فمرجعه إلی كون الشیء عله لنفسه و أمّا الواجب تعالی فهذا التعبير بالنّسبه اليه جلّ ذكره كساير التّعابير ليس علی ما توهّمه بل مرجعه إلی أنّه تعالی مقدّس عن الوجود الّذی هو نقيض العدم و نسبه الوجود إليه تعالی سلب نقص العدم عنه لا إثبات الوجود(۱).

و بالجمله فكون الوجود معلولا للذّات ضروریّ الاستحاله، فانّ الفاقد لا يكون معطيا مع أنّ تقدّم الشیء علی نفسه أيضا ضروری الفساد.

و أمّا الأقدميّه بحسب الطّبع فهو أيضا من الأغلاط لما عرفت من أنّه تعالی منزّه عن الطّبع.

۱- (۱) - يعنی أنّ وجوده ليس علی حدّ وجود سائر الموجودات الممكنه لانّ الممكنات جميعها تنحل فی طرف العقل إلی ماهيه و وجود عارض لها و من هنا قالوا كلّ ممكن زوج تركيبی بل وجوده عزّ و جلّ نحو آخر من الوجود و هو عين ذاته و ليس له ذات غيره بل ماهيّته انيّته.و الحاصل أنه تعالی كما أنه منزّه عن الماهيه المعروضه للوجود فكذلك منزّه عن الوجود العارض عليها لانّ الوجود بهذا المعنی مسبوق بالعدم و قد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فی بعض الخطب المتقدّمه: سبق الاوقات كونه و العدم وجوده فوجوده بمعنی آخر فتأمل جيّدا من الشارح عفی عنه

و أمّا العقول فعلى القول بها فلا تقدّم لشيء منها على تاليه إلّا بالعليّه.

و أمّا الجوهر فهو تقدّم الموضوع على العرض و هو نحو آخر من السّبق التحليلى و هو عين العروض.

و أمّا اختلاف حال المجرّد و المادّى فليس مستندا إلى اختلاف أنحاء الوجود بل انّما الاختلاف بين الجواهر بالماديّه و التجرّد بالذّات و إن لم تكن موجوده، و الهيولى مع قطع النّظر عن الوجود متميّز عن العقل و غيره من أقسام الجواهر كتميّز ساير الماهيّات، و ضعف المادّه عباره اخرى عن كونها مادّه محضه فى الانفعال، و هذه جهه ذاتيّه لا ربط لها بالوجود و أمّا ما توهّمه من أنّ الوجود الواقع فى كلّ مرتبه من المراتب لا يتصوّر وقوعه فى مرتبه اخرى آه فقد أخذه من أهل العلم من حيث لا يشعر، ضروره أنّ مقتضى مذهب أئمّته من أنّ الوجود حقيقه واحده أنّه لا تميّز بين الوجودات إلّا بالاعتبار، فالمراتب انّما ترتّبت باعتبار التّنزلات، ففى قوسى النّزول و الصّعود تتحرّك العين فى الوجود، و هذا ما ذهبوا اليه من الحركه الجوهريّه.

مع أنّ هذا مناف لهذا الكلام الّذى تقدّم منه من الاختلاف بين العقل و الهيولى مثلا فى شدّه الوجود و ضعفه، فانّ هذا إنّما ينطبق على ما ذهبوا إليه من أنّ الأعيان الثّابته ما شمّت رايحه الوجود و إنّما هى اضافات إشراقيّه تختلف قوّه و ضعفا باختلاف النّزول و الصعود و البعد و القرب، و لهذا كان النّاسوت أضعف الدّرجات، لأنّها منتهى قوس النّزول و اللّاهوت أقوى حيث انّه مبدء لهذه الدّرجات المتدرّجه.

و بالجمله فاستحاله تبدّل الوجودات إنّما تتمّ على مذهب غير الصوفيّه، فانّ العرض لا ينتقل، و إنّما يتمّ هذا فيما لم يكن وجود فى طول الاخر، و أمّا فى السّلسله الطّوليّه فهو غلط صرف، فشيء من الشخصين لا يتبدّل بالاخر كما أنّ الحمار أيضا لا يتبدّل بالانسان، و أمّا النطفه فتكون علقه و مضغه و حيوانا و انسانا و ليس هذا من تبدّل الصّوره مع بقاء الهيولى، و كذا الحال فى تبدّل العناصر بعضها ببعض على

ما هو التحقيق، فانّه من تبدّل وجود باخر بمعنى التّرقى و الصّعود كما أنّ مراتب الفناء دركات النّزول، و لتحقيق هذه المسائل مقام آخر، انتهى كلامه رفع اللّه مقامه.

و قال السيّد محمّد قطب السلسله الذّهبيّه فى نظمه:

زعموا الوجود مشكّكا سبحانه عن اشتراك وضيعها و شريفها

فى الاشتراكين التزام ضلاله قد ضاع فى نهج الهدى تقطيعها، هذا.

و ربّما اعترض على القول بالتّشكيك بامتناعه فى الذّاتيّات، و أجاب عنه القيصرى فى شرح الفصوص بما لا طائل تحته و لا بأس بنقل كلامه و تعقيبه بما يتوجّه عليه من النّظر.

قال: و ما يقال إنّ الوجود تقطع على أفراده لا على التّساوى، فانّه يقع على العلّه و معلولها بالتقدّم و التأخّر، و على وجود الجوهر و العرض بالأولويّه و عدمها، و على وجود القارّ و غير القارّ بالشدّه و الضعف، فيكون مقولا عليها بالتشكيك و ما هو مقول بالتشكيك لا يكون عين ماهيّه شىء و لا جزئه.

إن أرادوا به أنّ التقدّم و التّأخر و الأولويّه و عدمها و الشدّه و الضعف باعتبار الوجود من حيث هو هو، فهو ممنوع لكونها من الامور الاضافيّه الّتى لا يتصوّر إلّا بنسبه بعضها إلى بعض، و لأنّ المقول على سبيل التشكيك باعتبار العموم و الكلّيّه و الوجود من حيث هو هو لا عامّ و لا خاصّ.

و إن أرادوا به أنّها يلحق الوجود بالقياس إلى الماهيّات، فهو صحيح لكن لا يلزم أن يكون الوجود من حيث هو مقولا عليها بالتشكيك إذ اعتبار المعروضات غير اعتبار الوجود.

و ذلك بعينه كلام أهل اللّه لأنّهم ذهبوا إلى أنّ الوجود باعتبار تنزّله فى مراتب الامكان و ظهوره فى خطائر الامكان و كثره الوسائط يشتدّ خفاؤه، فيضعف ظهوره و كمالاته و باعتبار قلّتها يشتدّ نوريّته و يقوى ظهوره، فيظهر كمالاته و صفاته فيكون إطلاقه على القوى أولى من اطلاقه على الضّعيف، انتهى.

و فيه انّ الماهيّه مع قطع النّظر عن الوجود و كذا الوجود مع قطع النّظر

عن الماهيّه لا- يحكم عليهما بحكم لما عرفت من أنّهما تحليليّان لا- أمران متغايران، فالشدّه و الضّعف إنّما تعرضان الوجود التحقيقى الواجد للماهيّه، لا المتسلخ عنها فالماهيّه يشتدّ وجودها المنظّم اليها و ما نسجته هذه الطايفه من أنّ الوجود هو الحقّ و أنّ الماهيات مظاهر و مجالى و أنّ الاختلاف إنّما هو فى الدّرجات التجلّى بحسب القرب و البعد و قلّه الوسايط و كثرتها، ممّا ليس له معنى محصّل.

و بالجمله فقد تحصّل ممّا ذكرنا كلّه أنّ وجوده تعالى مغاير لوجود غيره مباين له، و اتّصافه بالوجود ليس كاتّصاف غيره به إذ الوجود الّذى له تامّ فوق التّمام و اتّصافه به بمعنى أجلّ و أشرف و أعلى من أن يبلغه العقول و الأوهام كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام فى الفصل الثانى من الخطبه الاولى: الّذى لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن.

بل قد قال بعض المحقّقين: إنّ وصفه تعالى بالوجود من ضيق العباره، و إنّ معنى قولنا إنّه موجود إنّه ليس بعدم و لا معدوم فيكون مرجع اتّصافه به إلى سلب العدم عنه لا اثبات الوجود الّذى هو نقيض العدم له، فانّه تعالى منزّه عن ذلك، لأنّ الوجود الذى هو نقيضه حدّ له واقع فى طرفه و قباله.

كما يتّضح ذلك بقولنا مثلا خرج الشىء من العدم إلى الوجود و من الوجود إلى العدم، فانّ الوجود و العدم متناقضان متقابلان صار كلّ منهما حدّا للاخر و فى قباله و طرفه، و اللّه سبحانه لما كان منزّها عن الحدود لا يمكن اتّصافه بالوجود الذى هو حدّ العدم و طرفه.

و يوضح ذلك قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الخامس و الثمانين: سبق الأوقات كونه و العدم وجوده، و أيضا الوجود الذى هو نقيض العدم إنما يتصوّر فيما يتصوّر فيه العدم كالماهيات و اللّه عزّ و جلّ منزّه عن الماهيّه و عن عوارضها.

و الحاصل أنّ وصفه بالوجود كوصفه بساير أوصاف الجمال مثل قولنا: إنه عالم أى ليس بجاهل، و قادر أى ليس بعاجز، و هكذا.

و أما غيره تعالى من الموجودات الممكنه فانما يتصف بالوجود المقابل للعدم المناقض له لكونه ذى ماهيه مشخّصه لوجوده كما أنّ وجوده كان مشخّصا له فانّ الشيء ما لم يتشخّص لم يوجد و ما لم يوجد لم يتشخّص.

و بعد هذا كلّه فكيف يزعم العاقل اتّحاد وجود المخلوقات الذى هو من البديهيات الأوّليّه على ما قيل مع وجود الخالق الذى إذا حاول الفكر المبرّء من خطرات الوساوس أن يقع عليه فى عميقات غيوب ملكوته و تولهت القلوب إليه لتجرى فى كيفيه صفاته و غمضت مداخل العقول فى حيث لا- تبلغه الصفات لتنال علم ذاته رجعت إذا جبهت معترفه بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته، و لا يخطر ببال اولى الرّويات خاطره من تقدير جلال عزّته، فتعالى اللّه عما يقول الملحدون علوا كبيرا.

و أما الدليل النقلى

فهو جميع الأخبار و الأحاديث الدّاله على تقديسه و تنزيهه عن التشبيه و التحديد، و المفيده لمغايرته لمخلوقاته و مباينته إياهم بنفس ذاته الأقدس و وجوده الأجلّ الأشرف الأعلى.

و أكثرها احتواء لذلك خطب أمير المؤمنين الوارده فى مقام التوحيد المتقدّمه فى تضاعيف الكتاب، و لا بأس بالاشاره إلى بعض ما تقدّم منه عليه السّلام فى هذا الباب تذكره و ذكرى و ما يذكّر إلّا اولو الألباب.

فمنه قوله عليه السّلام: فى الفصل السادس من المختار الأوّل:

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنه، و غير كلّ شيء لا بمزايله.

فانّ قوله عليه السّلام: موجود لا عن عدم نصّ صريح فى أنّ وجوده ليس مثل وجود ساير موجودات المسبوق بالعدم المناقض له كما أنّ اثبات مغايرته لكلّ شيء و نفى مقارنته له صريحان فى عدم الاتّحاد و الوحده بل قوله: مع كلّ شيء أيضا لا يخلو عن الدّلاله، لأنّ المعيه مقتضيه للاثنينيه المنافيه للوحده و العينيه كما لا يخفى.

و محصّل الجميع مباينه الحقّ للخلق بذاته و كونه معهم بالعلم و الاحاطه

و القيوميه و العلّيه فانّ المعلول لا يغيب عن علته.

و منه قوله عليه السّلام فى المختار الرابع و الستين:

لم يحلل فى الأشياء فيقال هو فيها كائن، و لم ينأ عنها فيقال هو منها بائن.

فانّ الفقره الاولى صريحه فى أبطال الحلول و الاتّحاد كما هو مذهب قدماء الصوفيّه على ما حكينا عنهم سابقا، و المراد بالفقره الثانيه نفى المباينه المتصوّره بين المتباينين المتباعد أحدهما عن الاخر، فلا تنافى ما قدّمناه من بينونته لها لذاته من أجل تنزّهه عن الحدّ و كونها مشتمله على الحدود مع قربه لها بالعلم و الاحاطه و الافضال و الرّحمه.

و منه قوله عليه السّلام فى الفصل الثانى من المختار التّسعين:

كذب العادلون(۱) بك إذ شبّهوك بأصنامهم و محلوك حليه المخلوقين بأوهامهم «إلى ان قال» فاشهد أنّ من ساواك بشىء من خلقك فقد عدل بك و العادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك و نطقت عنه شواهد حجج بيّناتك.

فانّه كساير الأخبار المتواتره و الايات القرآنيّه فى كفر من شبّهه عزّ و جلّ بالأصنام و زيّنه بزينه المخلوقات فكيف المتصوّفه الجاعلون إيّاه سبحانه عين الأصنام و المعتقدون أنّ هويّته ساريه فيها و انّ وجودها عين وجوده الظاهر فى صوره الصّنميّه و أنّها مجالى و مظاهر له و أنّ العباده لها عباده له تعالى عمّا يقول الملحدون علوّا كبيرا.

و لعلك إذا سمعت نسبه هذا القول و الاعتقاد منّا إلى هذه الطايفه الضّالّه المضلّه نسبتنا إلى العصبيّه و العناد. و بادرت إلى تكذيبنا و قلت كيف يمكن أن يعتقد هؤلاء مع كونهم من المسلمين المؤمنين على خلاف ما هو من ضروريّات الدّين بل ما هو أساس الدّين و أصله أعنى توحيد الرّب و تفريده بالمعبوديه الذى لم يكن بعث الأنبياء و الرّسل و انزال الكتب و الصّحف و تشريع الشرائع و الأديان من لدن زمن آدم عليه السّلام إلى آخر الزّمن إلّا لأجله.

۱- (۱) - اى الجاعلون لك عديلا منه.

فان شئت أن تعرف صحّه هذه النّسبه و تعلم حقّيتها بعلم اليقين فاستمع لما يتلى عليك من كلام قطب أقطابهم الزّنديق اللّعين ابن العربى محيى الدّين فى الفصوص و من كلام القيصرى فى شرحه.

قالا- فى الفصّ الهارونى بعد ما ذكرا غضب موسى عليه السّلام على أخيه هارون لمّا شاهد من قومه عباده العجل ما صريح عبارتهما:

«ثمّ قال هارون لموسى إنى خشيت أن تقول فرّقت بين بنى إسرائيل فتجعلنى سببا فى تفريقهم فانّ عباده العجل فرّقت بينهم فكان منهم من عبده اتباعا للسّامرى و تقليدا له و منهم من توقّف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه فى ذلك فخشى هارون أن ينسب ذلك الفرقان بينهم إليه و كان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنّه علم ما عبده أصحاب العجل» أى علم موسى ما الّذى عبده أصحاب العجل فى الحقيقه «لعلمه بأنّ اللّه قضى ألّا نعبد إلّا إيّاه» كما قال تعالى: «وَ قَضى رَبُّكَ أَلّا تَعْبُدُوا إِلّا إِيّاهُ ».

«و ما حكم اللّه بشىء إلّا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر فى إنكاره و عدم اتّساعه» أى كان عتب موسى أخاه هارون لأجل انكاره عباده العجل و عدم اتّساعه قلبه لذلك.

«فانّ العارف من يرى الحق فى كل شىء بل يراه عين كلّ شىء فكان موسى يربّى هارون تربيه علم».

و اعلم أنّ هذا الكلام و إن كان حقّا من حيث الباطن لكن لا يصحّ من حيث النّبوه و الظاهر، فانّ النبىّ يجب عليه إنكار العباده للأرباب الجزئيه كما يجب عليه إرشاد الامّه إلى الحقّ المطلق، و لذلك أنكر جميع الأنبياء عباده الأصنام و إن كانت مظاهر للهويه الالهيّه، فانكار هارون عباده العجل من حيث كونه نبيّا حقّ إلّا أن يكون محمولا على أنّ موسى علم بالكشف أنّه ذهل عن شهود الحق الظاهر فى صوره العجل، فأراد أن ينبّهه على ذلك و هو عين التّربيه و الارشاد منه عليه السّلام و انكاره على السامرى و عجله على بصيره، فانّ انكار الأنبياء و الأولياء لعباده الأصنام الّتى هى المظاهر ليس كانكار المحجوبين فانّهم يرون الحقّ مع كلّشىء بخلاف غيرهم

بل ذلک لتخلیصهم عن التقیّد بصوره خاصّه و تجلّی خاصّ إذ فیه إنکار باقی المجالی و هو عین الضّلال.

«و لـذلک» أی و لأجـل أنّه کـان مرّبیا لهارون «لما قال له هارون ما قال رجع إلی السامری فقال له فما خطبک یا سامرّی» أی ما شأنک و ما مرادک، یعنی فیما صـنعت من عدو لک إلی صوره العجل علی الاختصاص و صـنعک هذا الشّـبح من حلّی القوم و ترکک الاله المطلق.

«فغلبت علیه الغیره فحرّقه ثمّ نسف رماد تلک الصّوره فی الیمّ نسـفا و قال له انظر إلی إلهک فسمّاه إلها بطریق التّنبیه للتّعلیم» أی نبّه أنّه مظهر من المظاهر و مجلی من مجالیه - إلی أن قال:

«فکـان عـدم قوّه إرداع هـارون بالفعل أن ینفـذ فی أصـحاب العجل بالتّسـلیط علی العجل کما سـلط علیه موسـی حکمه من اللّه ظاهره فی الوجود لیعبـد فی کلّ صوره و إن ذهبت تلک الصّوره بعـد ذلک فما ذهبت إلّا بعـد ما تلبّست عنـد عابدها بالالوهیّه» أی عـدم تأثیر هارون فی منعهم عن عباده العجل أو عـدم تسـلّطه علیهم کما تسـلّط علیهم موسـی کان حکمه من اللّه ظاهره فی الوجود الکونی فیکون معبودا فی صور الأکوان کلّها و ان کانت هـذه الصوره ذاهبه فانیه لأنّ ذهابها و فنائها إنّما هو بعـد التّلبّس بالعبودیه عند عابدها.

«و لهـذا» أی و لأجل أنّه أراد أن یعبد فی کلّ صوره «ما بقی نوع من الأنواع إلّا و عبد إمّا عباده تألّه، أو عباده تسـخیر فلا بدّ من ذلک لمن عقل» أمّا العباده بالالهیّه کعباده الأصـنام و غیر ذلک من الشـمس و القمر و الکواکب و العجل، و أمّا العباده بالتّسخیر فکما یعبدون الأموال و أصحاب الجاه و المناصب، إلی أن قال بعد جمله من ترّهاته:

«و العـارف المکمّل من رأی کلّ معبود مجلی للحقّ یعبـد فیه و لـذلک» أی و لأجل أنّ الحقّ هو الـذی ظهر فی ذلک المجلی و عبد «سمّوه کلّهم إلها مع اسمه

الخاص بحجر أو حيوان أو شجر أو انسان أو كوكب أو ملك أو فلك هذا اسم الشخصيّه فيه و الالوهيه مرتبه تخيل العابد له» ای لمعبوده «انّها مرتبه معبوده الخاص و هی علی الحقیقه مجلی للحق» انتهی کلامهما هبط مقامهما ببعض تلخیص منّا.

و محصّل کلامهما کما تری أنّ الأصنام جمیعا مجالی الحقّ و مظاهره بل هی عین الحقّ بل الأشیاء جمیعا مظاهره و مجالیه و عبده الأوثان و الأصنام و کذلک العابدون للشمس و القمر و الکواکب و الشجر و الحجر و النار و العجل، و کذلک عباده المدّعین للالوهیّه من فرعون و شداد، و کذلک المنقادین للجبابره و ساير الظلمه من أرباب الجاه و المناصب المسلطین علی الرّعیه کلّهم جمیعا عابدون للّه تعالی لأنّ هذه المعبودات کلّها هو الحقّ ظهر فی هذه المظاهر و تصوّر بهذه الصور المختلفه فهی علی کثرتها لیست فی الحقیقه إلّا واحدا.

و منع الأنبیاء و الأولیاء من عباده الأصنام لم یکن من حیث إنّها عباده باطله مبغوضه للّه تعالی بل من أجل حصر العابد للصّنم أو الشجر أو الحجر مثلا عبادته فی هذا المعبود الخاصّ، فبعث اللّه الأنبیاء لیرشدوا امتهم و یعلّموهم أنّ اللّه شاء و قضی أن یعبد فی کلّ صوره و مجلی، و أنّ المجالی کلّها إله فلیس لکم أن تقصروا عبادتکم بمعبود خاصّ و تخصّصوه به و تتّخذوه إلها دون غیره.

و من هذا الباب کان غضب موسی علی هارون فانّه علیه السّلام لما کان أعلم منه و کان یعلم أن اللّه شاء أن یعبد فی کلّ صوره حتّی صوره العجل و ما شاءه و قضاه عزّ و جلّ لا بدّ من وقوعه لا محاله و کان هارون لا یعلم ذلک و لذلک أنکر علی قومه عبادته فعتب موسی علیه لأجله و نبّهه علی عدم اتّساع قلبه و علی غفلته و ذهوله عن حقیقه الأمر.

و الحاصل إنّ الأنبیاء إنّما بعثوا لیأمروا امّتهم بعباده کلّشیء من صنم أو غیره و لیردعوهم عن قصر عبادتهم بشیء مخصوص معیّن فقط. و قد أوضح الرّجس الخبیث هذا الغرض فی بعض فقرات الفصّ النّوحی.

قال فی جمله ما نقل من کلام نوح و قومه: «و مکروا مکرا کبّارا» لأنّ الدّعوه إلی اللّه مکر بالمدعوّ لأنّه ما عدم من البدایه فیدعی إلی الغایه فهذا عین المکر علی بصیره فنبّه أنّ الأمر له کلّه فأجابوه مکرا کما دعاهم»

قال شارحه القیصری: إی لمّا مکر نوح معهم مکروا مکرا کبّارا فی جوابه و ذلک لأنّ الدّعوه إلی اللّه مکر من الداعی بالمدعوّ، لأنّ المدعوّ ما عدم الحقّ من البدایه حتی یدعی إلیه فی الغایه لأنّه مظهر هویته فی بعض مراتب وجوده فالحقّ معه بل هو عینه فالدّاعی إذا دعی مظهرا ما یمکر به فانه یرید إنّ الحق لیس معه أو هو غیره و هو عین المکر.

لکن مثل هذا المکر من الأنبیاء إنّما هو علی بصیره کما قال: أدعو إلی اللّه علی بصیره أنا و من اتّبعنی، أی یعلم النبیّ أنه مظهر هویه الحقّ لکن یدعوه لیخلّصه عن القیود و ترتفع عنه الحجب الموجبه للضلاله فیری ذاته مظهرا للهوّیه و یشاهد جمیع الموجودات مظاهر للحق و یعبده بجمیع أسمائه و صفاته کما عبده من حیث اسمه الخاص، و فاعل نبه ضمیر یرجع إلی نوح أو إلی الحقّ أی نبّههم علی أنّ الملک کله للّه لیس کما تخیلوا أنه لهم.

قال «فقالوا فی مکرهم لا تذرنّ آلهتکم و لا تذرّن ودّا و لا سواعا و لا یغوث و یعوق و نسرا فانهم إذا ترکوهم جهلوا من الحقّ علی قدر ما ترکوا من هؤلاء فانّ للحقّ فی کلّ معبود وجها یعرفه من عرفه و یجهله من جهله فالعالم یعلم من عبد و فی أیّ صوره ظهر حتی عبد، و أنّ التفریق و الکثره کالاعضاء المحسوسه و کالقوی المعنویه فی الصوره الروحانیه».

قال الشارح القیصری: فالعالم باللّه و مظاهره یعلم أنّ المعبود هو الحقّ فی أیّ صوره کانت سواء کانت حسّیه کالأصنام أو خیالیه کالجنّ أو عقلیه کالملائکه و یعلم أنّ التفریق و الکثره مظاهر لأسمائه و صفاته و هی کالأعضاء فی الصوره الانسانیه، فانّ العین مظهر للابصار و الاذن للسمع و الانف للشمّ و الید للبطش، و کالقوی الروحانیه کالعقل و الوهم و الذاکره و الحافظه و المفکره و المتخیله فانها کلّها مظاهر لصفات الرّوح، انتهی.

و محصّل کلامهما أنّ قوم نوح فی عبادتهم للأصنام کانوا محقّین لکونها مظاهر الحقّ کما أن العابدین لها کذلک لأنهم أیضا کانوا مظهر الحقّ و کان

الحقّ معهم بل هو عينهم و كان نوح أيضا يعلم أنهم على الحقّ إلّا أنه أراد على وجه المكر و الخديعه أن يصرفهم عن عبادتها إلى عبادته.

و إنما كان هذا مكرا منه عليه السّلام لأنه كان يقول لهم ما لم يكن معتقدا به و يموّه خلاف ما أضمره و اعتقده إذ كان عالما و على بصيره من ربّه بأنّ الأصنام مظاهر الحقّ و عبادتها عبادته إلّا أنه عليه السّلام أراد أن يخلّصهم من القيود حتى لا يقصروا عبادتهم فيها فقط، بل يعبدوه فى كلّ معنى و صوره.

و لما شاهد القوم منه ذلك المكر أنكروا عليه و أجابوه بما هو أعظم مكرا و أكبر من مكره فقالوا لا تتركوا آلهتكم إلى غيرها، لأنّ فى تركها ترك عباده الحقّ بقدر ما ظهر فيها و قصر عبادته فى ساير المجالى و هو جهل و غفله لأنّ للحقّ فى كلّ معبود وجها يعرفها العارفون سواء كان ذلك المعبود فى صوره صنم أو حجر أو شجر أو بقر أو جن أو ملك أو غيرها.

هذا محصّل كلام هذين الرجسين النجسين النحسين و كم لهما فى الكتاب المذكور من هذا النمط و الاسلوب، و سنشير إلى بعضها فيما سيأتى، فلينظر المؤمن الكيس البصير إلى أنهما كيف موّها الباطل بصوره الحقّ و أوّلا كلام اللّه بارائهم الفاسده و أحلامهم الكاسده على طبق عقايدهم الباطله، و قد قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المختار من فسّر القرآن برأيه فليبوء مقعده من النار.

و لعمرى أنهما و من حذا حذوهما حزب الشيطان و أولياء عبده الطاغوت و الأوثان، و لم يكن غرضهما إلّا تكذيب الأنبياء و الرّسل و ما جاءوا به من البيّنات و البرهان و هدم أساس الاسلام و الايمان و إبطال جميع الشرائع و الأديان، و ترويج عباده الأصنام و جعل كلمه الكفر العليا و خفض كلمه الرحمن.

و اقسم باللّه الكريم و إنه لقسم لو تعلمون عظيم إنهم المصداق الحقيقى لقول أمير المؤمنين عليه السّلام فى المختار السابع: اتّخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا و اتّخذهم له أشراكا فباض و فرخ فى صدورهم و دبّ و درج فى حجورهم فنظر بأعينهم و نطق

بألسنتهم فركّب بهم الزّلل و زيّن لهم الخطل فعل من شرّكه الشيطان فى سلطانه و نطق بالباطل على لسانه.

و مع ذلك فالعجب كلّ العجب أنهم يزعمون أنهم الموحّدون العارفون الكمّلون و أنّ غيرهم لمحجوبون و بالحقّ جاهلون، بل يترقى بعضهم و يدّعى الولايه و القطبيه و يطغى آخرون فيدعون لأنفسهم الالوهيه و الرّبوبيه و يزعمون أن ربّهم تجلّى فيهم و ظهر فى صورهم المنحوسه.

فيقول ابن العربى فى فتوحاته: إنّ اللّه تجلّى لى مرارا و قال: انصح عبادى و يقول البسطامى: سبحانى و ما أعظم شأنى و لا إله إلّا أنا، و يقول الحلاج: ليس فى جبّتى سوى اللّه، و يقول: أنا الحقّ و أنا اللّه.

و بعضهم يبلغ الغايه و يجاوز النهايه فيقول و يهجر، و يتكلّم تكلّم المجنون الذى لا يشعر، فيخاطب الرّبّ عزّ و جلّ و العياذ باللّه مخاطبه الموالى للعبيد و هو قطبهم أبو يزيد.

فقد نقل عنه القيصرى فى شرح الفصّ النوحى أنّه قال فى مناجاته عند تجلّى الحقّ له: ملكى أعظم من ملككَ لكونكَ لى و أنا لكَ فأنا ملككَ و أنت ملكى و أنت العظيم الأعظم و ملكى أنت فأنت أعظم من ملككَ و هو أنا.

فلينظر العاقل إلى مهملات هذا الجاهل، ثمّ لينظر إلى سوء أدبه و قبح خطابه و مناجاته حيث لم يرفع يده عن الانانيّه فعبّر بلفظ أنا و أنت غير مرّه فى مثل هذا المقام الذى هو مقام الفناء و التجلّى على زعمهم و كيف يجتمع ذلك مع قولهم السائر:

بينى و بينكَ اننى ينازعنى فارفع بلطفكَ اننى من البين

و انّما أطنبنا الكلام فى المقام تنبيها على ضلاله هذه الجهله الّذين زعموا أنّهم من أهل الكشف و الشّهود و اليقين و الموحّدين المخلصين مع أنّهم من الضّالين المكذّبين للأنبياء و المرسلين، و تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون و الملحدون علوا كبيرا.

و منه

قوله عليه السّلام فى الخطبه المأه و الثانيه و الخمسين:

الحمد للّه الدّالّ على وجوده بخلقه و بمحدث خلقه على أزليّته و باشتباههم على أن لا شبه له، لا تستلمه المشاعر و لا تحجبه السّواتر، لافتراق الصّانع و المصنوع، و الحادّ و المحدود، و الرّب و المربوب «إلى أن قال» و البائن لا بتراخى مسافه، و الظاهر لا برؤيه، و الباطن لا بلطافه، بان من الأشياء بالقهر لها و القدره عليها، و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرّجوع إليه، من وصفه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزله.

و قد مضى شرح هذه الفقرات فى محلّها و أقول هنا إنّ فيها وجوها من الدّلاله على بطلان مذهب هذه الملاحده.

أولها قوله: لا تحجبه السواتر اه

فانّ هذه الطّائفه زعمت أنّه سبحانه و تعالى احتجب فى مخلوقاته و سرت هويّته فيها و صارت صور الموجودات حجابا ساترا له.

و يوضح ذلك ما قاله ابن الأعرابى فى الفصّ الابراهيمى من الفصوص «انّما سمّى الخليل عليه السّلام خليلا لتخلّله و حصره جميع ما اتصفت به الذّات قال الشّاعر.

قد تخلّلت مسلك الرّوح منّى و به سمّى الخليل خليلا

كما يتخلّل اللون و المتلوّن و لتخلّل الحقّ وجود صوره إبراهيم و كلّ حكم يصحّ من ذلك» قال القيصرى: أى سمّى الخليل خليلا لتخلّله كما سمّى الخمر خمرا لتخميره العقل و تخلّله عليه السّلام عباره عن سريانه فى المظاهر الالهيّه و الصّفات الرّبوبيه كسريان هويّه الحقّ فيها من حيث اسمه اللطيف و لكون اسم التخلّل هنا مجازا عطف عليه قوله و حصره جميع ما اتّصفت به الذات الالهيّه و هو الصّفات الثّبوتيّه الحقيقيّه.

و المراد بالرّوح فى البيت المستشهد الرّوح الحيوانى أى سريت فى ذاتى و قلبى كسريان الرّوح الحيوانى فى مسالكه فأورد مثالين أحدهما عقلى كقول الشّاعر لأنّ تخلّل عشق المحبوب مسالك الرّوح من المحبّ العاشق عقلىّ،

و الاخر حسّی کقوله کما یتخلّل اللون المتلوّن أی تخلّل الخلیل الذات الالهیّه بالاختفاء فیها و الاتّصاف بصفاتها کما یتخلّل اللون المتلوّن بسریانه فی جمیع اجزاء المتلوّن بحیث یکون هو هو فی الحسّ بحیث لا یفرق بینهما بالاشاره الحسّیه فیکون مکانه عین مکان المتلوّن و لا یکون بینهما امتیاز فی الحسّ.

و قوله: و لتخلّل الحقّ عطف علی قوله و لتخلّله و حصره أی سمّی الخلیل خلیلا لتخلّله و لتخلّل الحقّ بظهور الهویّه و سریانها فی وجود إبراهیم فی الخارج و عینه فی العلم، و فی کلّ حکم یصحّ من ذلک الوجود من الصّفات و الکمالات اللازمه لتعیّنه و المراد بالصوره عینه الخارجی.

ثمّ قال فی المتن و الشرح «اعلم انّه ما تخلّل شیء شیئا إلّا کان محمولا فیه» لأنّ المتخلّل هو الذی ینفذ فی الشیء و یدخل فی جوهره فالدّاخل محمول و مستور فیه و المدخول فیه حامل له و ظاهره.

«فالمتخلّل اسم فاعل محجوب بالمتخلّل اسم مفعول فاسم المفعول هو الظاهر و اسم الفاعل هو الباطن المستور و هو غذاء له کالماء یتخلّل الصّوفیه فتربو به و تتسع فان کان الحقّ هو الظاهر فالخلق مستور فیه فیکون الخلق جمیع اسماء الحقّ سمعه و بصره و جمیع نسبه و ادراکاته و إن کان الخلق هو الظاهر فالحقّ مستور باطن فیه فالحقّ سمع الخلق و بصره و یده و رجله و جمیع قواه کما ورد فی الخبر الصّحیح».

قال القیصری أی ما دخل شیء فی شیء إلّا کان الداخل مستورا فی المدخول فیه، فالمتخلّل الذی هو اسم الفاعل أی الداخل محجوب مستور فی المتخلّل الذی هو اسم المفعول أی المدخول فیه فالمدخول فیه هو الظاهر و الداخل هو الباطن، و الظّاهر إنّما یغتذی من الباطن لأنّ الفیض علیه لا یحصل إلّا منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه و وجوده.

و إذا کان الأمر کذلک لا یخلو إمّا أن یکون الحقّ ظاهرا و الخلق باطنا أو بالعکس، فان کان الحقّ ظاهرا أی محسوسا بتجلّیه فی مرتبه من مراتب الاسم الظاهر فالخلق مستور فیه و باطنه فیکون الخلق جمیع أسماء الحقّ و صفاته من

السّمع و البصر و الاراده و غيرها و جميع النّسب الّتى هى تلحقه بالحقّ شرعا و إن كان الخلق هو الظاهر فى مرآت الحقّ فالحقّ مستور فيه و باطنه فالحقّ سمع الخلق و بصره و جميع قواه الباطنه، و هذا نتيجه قرب النوافل، و الأوّل نتيجه قرب الفرائض و إنّما جاء باليد و الرّجلين اللّذين من الظّاهر مع أنّ كلامه فى الباطن لورود الخبر الصّحيح كذلك و فى الحديث دليل على أنّ الحقّ عين باطن العبد و عين ظاهره، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و محصّل ما قالاه كما ترى: كون الخلق حجابا للخالق و الخالق حجابا للخلق، و كون كلّ منهما عين الاخر و محجوبا به، قد أبطله أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله: لا تحجبه السّواتر، معلّلا بافتراق الصّانع و المصنوع و الحادّ و المحدود و الرّب و المربوب، و المفترقان كيف يكون أحدهما عين الاخر على ما توهّمه هؤلاء الجهله.

و العجب أنّ الكتاب و السّنه بل جميع الأنبياء و المرسلين ينادون بأعلى أصواتهم و جهورىّ أقوالهم بتوحيد الخالق و التّفريق بينه و بين خلقه، و هؤلاء الملاحده وقفوا فى قبالهم و بالغوا فى مقام الانكار و المكابره و المعارضه، و أصرّوا فى جعله عينه زاعمين أنّ ذلك عين التوحيد مع أنّه عين الالحاد و الجحود و التّشريك، هذا.

مع ما يتوجّه على ما قالاه من وجوه الكلام و ضروب الملام.

أمّا أوّلا فلأنّ نسبه إبراهيم عليه السّلام ليس من أجل تخلّله فى وجود الحقّ و تخلّل الحقّ فيه، بل لأجل كماله فى مقام الخلّه و هى المودّه و الصّداقه، و الخلّ و الخليل الصّديق المختص، فلأجل مزيد اختصاصه به و كرامته لديه سمّى خليلا، و لو كان تسميه الخليل بهذا الاسم من أجل التخلل فى الوجود لما صحّ إطلاقه على ساير الأخلّاء إلّا بالمجاز، لأنّ المعنى الحقيقى أعنى تخلّل كلّ من الخليلين فى وجود الاخر غير متصوّر، فلا بدّ من ارتكاب المجاز و المصير إلى أنّ مودّه كلّ منهما بلغت الغايه بحيث تخلّلت القلب و صارت خلاله و باطنه، و بعد البناء على المجاز

ففیما نحن فیه أیضا کذلک، فیراد به مزید الاختصاص لاستلزام کمال المودّه ذلک و أمّا ثانیا فلأنّ البیت لا شاهد فیه علی ما ادّعاه، إذ المراد به المبالغه فی تخلّل محبّه محبوبه فی قلبه بتشبیهها بتخلّل الرّوح، و لیس المراد تخلّل نفس المحبوب فی ذاته کما قال: و بذلک السبب سمّی الخلیل خلیلا لکون محبّته داخله فی قلب خلیله، مضافا إلی أنّه لا دلاله فی البیت علی أنّه أراد بالخلیل إبراهیم حتّی یستشهد به علی المدّعا.

و أمّا ثالثا فلأنّ وجه التسمیه لو کان ما زعم لما اختصّ الخلیل علیه السّلام بالخلّه إذ علی أصله الفاسد جمیع المخلوقات متخلّله فیه و هو متخلّل فیها لکونها جمیعا مجالیه و مظاهره، و قد صرّح بذلک أیضا أخیرا بقوله: فالمتخلّل محجوب بالمتخلّل إلی آخر کلامه، و علی ذلک فیکون اللّه سبحانه و تعالی خلیل جمیع الموجودات من الانسان و الحیوان و غیرهما بجمیع أنواعها و أصنافها، و کذلک جمیع الموجودات حتّی الکلاب و الخنازیر و العیاذ باللّه ثمّ العیاذ باللّه خلیلا له، أ فیرضی السّفیه بهذا الاعتقاد فضلا عن العاقل؟! و قد صرّح بالعموم أیضا فی الفصّ الاسماعیلی بقوله:

«فلا تنظر إلی الحقّ فتعریه عن الخلق و لا تنظر إلی الخلق و تکسوه سوی الحق»

قال القیصری: أی لا تنظر إلی الحقّ بأن تجعله موجودا خارجیا مجرّدا عن الأکوان منزّها عن المظاهر الخلقیه عاریا عنها و عن صفاتها، و لا تنظر إلی الخلق بأن تجعله مجرّدا عن الحقّ مغایرا له من کلّ الوجوه و تکسوه لباس الغیریه و قد قال تعالی: «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ »، بل انظر إلی الحقّ فی الخلق لتری الوحده الذاتیّه فی الکثره الخلقیّه و تری الکثره الخلقیّه فی الوحده الذاتیّه.

و أمّا رابعا فلأنّ قوله: فاسم المفعول هو الظاهر و اسم الفاعل هو الباطن المستور و هو غذاء له، فیه إنّا لم نر إلی الان فی آیه و لا روایه و لا فی کلام حکیم أو متکلم أو محدّث أو فقیه و لا عاقل و لا سفیه غیر هذا المعتوه اطلاق أنّ اللّه غذاء للخلق و الخلق غذاء اللّه، مضافا إلی فساده فی نفسه لأنّ الغذاء بالمعنی الحقیقی

مستحيل ارادته، و إن اريد به المجاز على وجه الاستعاره حسبما تمحله القيصرى و أشار إليه فى قوله: و الظّاهر انّما يغتذى من الباطن لأنّ الفيض عليه لا يحصل إلّا منه فالباطن غذاء الظاهر إذ به قوامه و وجوده، فبعد تسليم صحّه هذا التّجوّز و الغضّ عن استكراه الذوق السّليم له و استهجانه عنده، فيه أنّه إنّما يستقيم إذا كان الباطن المستور هو الحقّ لا الخلق، و إلّا فيلزم افتقار الحقّ سبحانه و تعالى إلى الخلق فى قوامه و وجوده و هو محال كما هو ظاهر.

و قد فصّلا غذائيه كلّ منهما للاخر فى الفصّ اللقمانى قال فى المتن:

«إذا شاء الاله يريد رزقا له فالكون أجمعه غذاء»

«و إن شاء الاله يريد رزقا لنا فهو الغذاء كما يشاء»

قال الشّارح: أى إذا تعلقت مشيّته بأن يريد له رزقا فالكون بأجمعه غذاء له، و قد تقدّم أنّ الحقّ من حيث أسمائه و صفاته لا يظهر فى الشهاده إلّا بأعيان الأكوان، و إن كان من حيث ذاته مع قطع النظر عن الظهور و البطون و الأسماء و الصّفات غنيّا عن العالمين، فالأعيان غذاء له من حيث إظهارها إيّاه و من حيث فنائها و اختفائها فيه ليظهر بوحدته الحقيقيّه كفناء الغذاء و انعدامها و اختفائها فى المغتذى و إن كان باعتبار آخر هو غذاء للأعيان.

و إليه أشار بالبيت الثانى و ذلك لأنّ الغذاء هو ما يغتذى فى عين المغتذى و يظهر على صورته ليقوم به و الهويّه الالهيه هى الّتى تختفى فى أعيان الخلايق و تصير ظاهره بصورتها مقوّمه لها، فهى غذاء للأعيان و نسبه الاغتذاء و الرّزق إليه مع أنّه يطعم و لا يطعم و نسبه كونه غذاء لنا بعينها كنسبه بعض الصّفات الكونيّه إليه بقوله: من ذا الّذى يقرض اللّه قرضا حسنا، و مرضت فلم تعدنى، و أمثال ذلك ممّا جاء فى الشّرع.

و هذه النسبه أيضا من باطن الشّرع فانّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أعطى الكتاب و أمر باخراجه إلى الخلق فلا ينبغى أن يسىء أحد ظنّه من المؤمنين فى حقّ الأولياء و الكاملين فى أمثال هذه الأشياء، انتهى.

و مقتضى ما ذكراه من كون الكون بأجمعه غذاء له و بالعكس أنّ الكلاب و الخنازير و الميته و نحوها غذاء له سبحانه و هو غذاء لها إن هو إلّا كفر صريح و إلحاد صحيح.

و ما اعتذر به الشّارح من ورود أمثال ذلك فى الشّرع فيه إنّا تابعون للشرع فاذا ورد فى الشّرع وصفه ببعض الصّفات الكونيّه فنحن أيضا نصفه به لثبوت الاذن فيه من الشّارع و نؤوّله على وفق الاصول الشّرعيه، و أمّا ما لم يثبت الاذن فيه فنضربه على الجدار فضلا عمّا علم بطلانه و فساده من العقل و الشّرع.

و أمّا قوله: و هذه النسبه أيضا من باطن الشّرع فانّ النّبىّ اعطى الكتاب و امر باخراجه إلى الخلق، فأشار به إلى ما ذكره فى ديباجه الفصوص بقوله:

فانّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى مبشره اريتها فى العشر الاخر من المحرّم لسنه سبع و عشرين و ستّمأه بمحروسه دمشق و بيده كتاب فقال لى: هذا كتاب فصوص الحكم خذه و اخرج به إلى النّاس ينتفعون به، انتهى.

و لعمرى إنّ هذه الرّؤيا إمّا إفك و افتراء لا أصل لها أصلا و إنّما نسجتها من تلقاء نفسه لتفتين مردته الحمقاء و ترويج كتاب ضلاله، أو أضغاث أحلام نفثها الشّيطان فى روعه و ألقاها فى امنيّته و كيف يمكن أن يؤتيه النّبىّ كتابا فيه هدم أساس دينه و تخريب بنيان مذهبه و ملّته.

و أما خامسا فلأنّ قوله: فالحقّ سمع الخلق و بصره و يده و رجله و جميع قواء كما ورد فى الخبر الصّحيح فيه إنّ هذا الخبر الذى استند إليه هنا و جعله سند مذهبه الفاسد فى مقامات كثيره من كتابه قد قدّمنا روايته فى ذيل الدليل العقلى و أوردنا فى تأويله وجوها عديده موافقه لأصول المذهب و نقلنا عن المحدّث العلامه المجلسى هناك أنّ حمله على ظاهره كما ذهب إليه هذه الطّايفه المبتدعه كفر صريح و شرك قبيح.

و أقول هنا: إنّ أظهر الوجوه المحتمله فى معناه هو الوجه الأخير المتقدّم ثمه و محصّله أنّ العبد إذا تقرّب إلى ربّه بالفرايض و النّوافل صار مقرّبا له

و محبوبا إليه، فيفاض عليه التّوفيقات الرّبانيّه و يحيط به الألطاف الالهيّه فلا يشاء إلّا أن يشاء اللّه، و لا يصرف حواسه و مشاعره إلّا بما فيه رضا مولاه، و بازاء ذلك من انهمك فى الشّهوات و غمر فى بحر السّيئات و الخطيئات فيحيط به الخذلان و يكون قلبه عشّ الشّيطان فلا يصرف مشاعره و قواه إلّا بما فيه رضاه فيشركه فى سلطانه و ينطق بالباطل على لسانه.

و الحاصل أنّ مساق هذه الرّوايه فى حقّ عباد اللّه المقرّبين مساق قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى حقّ عبيد الشّيطان المبعدين حيث قال فى المختار السّابع:

اتّخذوا الشّيطان لأمرهم ملاكأ و اتّخذهم له أشراكا فباض و فرّخ فى صدورهم و دبّ و درج فى حجورهم فنظر بأعينهم و نطق بألسنتهم فركّب بهم الزّلل و زيّن لهم الخطل فعل من قد شرّكه الشيطان فى سلطانه و نطق بالباطل على لسانه.

فكما أنّ المراد بهذا الكلام المجاز و الاستعاره قطعا لا الحقيقه، فكذلك الحديث المذكور كما هو غير خفىّ على ذوى البصائر إلّا أنّ من لم يجعل اللّه له نورا فما له من نور، هذا.

و ممّا وقع التصريح فيه أيضا فى كلام ابن العربى بأنّ الحقّ مستور فى الخلق و الخلق ساتر له ما صريح عبارته فى الفصّ العيسوى، فانّه بعد ما ذكر كيفيه إحياء عيسى عليه السّلام للموتى و مشاهده القوم ذلك منه و تحيّرهم فيه فى إحيائه لكونه من الخصائص الالهيّه قال:

«فأدّى بعضهم إلى القول بالحلول و انه هو اللّه بما أحيى به من الموتى و لذلك نسبوا إلى الكفر و هو السّتر لأنّهم ستروا اللّه الّذى أحيى الموتى بصوره بشريّه عيسى» قال القيصرى: أى فأدّى نظر بعضهم فيه إلى القول بالحلول فقال: إنّ اللّه حلّ فى صوره عيسى فأحيى الموتى، و قال بعضهم: إنّ المسيح هو اللّه، و لمّا ستروا اللّه بالصوره العيسويه المقيّده فقط نسبوا إلى الكفر.

«فقال اللّه تعالى «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ » فجمعوا بين الخطاء و بين الكفر فى تمام الكلام كلّه» أى جمعوا بين الكفر و هو ستر الحقّ بالصوره

العیسویه و بین الخطاء و هو حصر هویه اللّه فی کلمه العیسویه، و المراد بقوله فی تمام الکلام أی بمجموع قولهم إنّ اللّه هو المسیح بن مریم، جمعوا بین الکفر و الخطاء.

«لا بقولهم هو اللّه و لا بقولهم ابن مریم» لأنّ قولهم هو اللّه أو اللّه هو صادق من حیث إنّ هویّه الحقّ هی الّتی تعیّنت و ظهرت بالصوره العیسویّه کما ظهرت بصوره العالم کلّه و قولهم: المسیح بن مریم أیضا صادق، لأنّه ابن مریم بلا شک لکن تمام الکلام و مجموعه غیر صحیح لأنّه یفید حسر الحقّ فی صوره عیسی فقط و هو الباطل لأنّ العالم کلّه غیبا و شهاده صورته لا عیسی فقط، انتهی.

و محصّل کلامهما أنّ النّصاری القائلین بالحلول إنّما أرادوا بذلک أنّ لاهوتیّه الاله تغیّبت بناسوتیّه عیسی فاستتر الحقّ بالصّوره العیسویّه کما حکی اللّه تعالی عنهم ذلک بقوله: «لَقَدْ کَفَرَ الَّذِینَ قالُوا إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِیحُ »، فانّ المراد بالکفر هنا معناه اللّغوی و هو السّتر لا الاصطلاحی، فیکون معنی الایه: إنّ الّذین قالوا إنّ اللّه هو المسیح قد ستروه به و هم کانوا مصیبین فی ذلک القول و الاعتقاد لکون الهویّه الالهیّه مختفیه فیه و ظهورها بصورته کاختفائها فی أعیان الخلایق کلّها و ظهورها بصورها، لکنّهم أخطئوا فی حصرهم الحقّ فی صوره عیسی فقط و جعله مظهرا له دون غیره مع أنّ العالم کلّه مظهره لا عیسی فقط.

و الحاصل أنّ النصاری انّما أخطئوا حیث قالوا: انّ اللّه هو المسیح بن مریم و لم یقولوا إنّ اللّه هو العالم کله، فلو قالوا کذلک ارتفع عنهم الخطاء و العایبه بالمرّه.

أقول: هذا ملخّص مراد هذا الملحد الضّلیل الّذی أضلّ کثیرا و ضلّ عن سواء السبیل، فانظر الی أنّه کیف یبدّل کلمه الکفر بالاسلام و کلمه الاسلام بالکفر و یؤوّل کلام اللّه الظاهر بل النّص فی تکفیر النصاری إلی معنی یشمئزّ منه الطباع و تنفرّ عنه الأسماع.

فیا عجبا عجبا و مالی لا أعجب من أنّ اللّه سبحانه و تعالی إنّما حکم بکفر النصاری و لعنهم و طردهم و ابعادهم من أجل قولهم بحلوله فی عیسی فقط فکیف بمن یقول بحلوله

فی جمیع الأعیان و الأکوان حتّی الکلاب و الخنازیر نعوذ باللّه ثمّ نعوذ باللّه من هذا الاعتقاد الفاسد و لعن اللّه المعتقدین به و عذّبهم عذابا ألیما لا یعذّبه أحدا من العالمین.

الوجه الثانی من وجوه الدّلاله قوله علیه السّلام: الظاهر لا برؤیه و الباطن لا بلطافه

یعنی انّه ظاهر بلا اقتراب و باطن بلا حجاب و بعباره اخری أنّه عزّ و جلّ ظاهر بایاته و محتجب بذاته و لیس ظهوره کظهور سایر الأشیاء بأن یکون مرئیّا بحاسّه البصر، و لا بطونه بلطافه قوامه کالهواء و الرّوح و نحوهما حسبما عرفت تفصیلا فی مقامه و الیه أشار سبحانه بقوله: «لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ ».

و قال الرّضا علیه التحیّه و الثنا فی الحدیث الّذی رواه فی البحار من التوحید و العیون عن الحسین بن خالد عنه علیه السّلام فی تفسیر أسمائه سبحانه و تعالی و بیان أنّ اطلاقها علیه عزّ و جلّ لیس علی الوجه الّذی یطلق علی غیره و أنّ المعنی الّذی یراد عند إطلاق اسم علیه سبحانه مخالف للمعنی المراد عند إطلاقه علی غیره قال علیه السّلام:

و أمّا الظاهر فلیس من أجل أنّه علی الأشیاء برکوب فوقها و قعود علیها و تسنّم لذراها، و لکن ذلک لقهره و لغلبته الأشیاء و قدرته علیها «الی أن قال:» و وجه آخر أنّه الظاهر لمن أراده لا یخفی علیه شیء و أنّه مدبّر لکلّ ما یری فأیّ ظاهر أظهر و أوضح أمرا من اللّه تبارک و تعالی فانک لا تعدم صنعته حیثما توّجهت و فیک من آثاره ما یغنیک و الظاهر منّا البارز بنفسه و المعلوم بحدّه فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنی.

و أمّا الباطن فلیس علی معنی الاستبطان للأشیاء بأن یغور فیها و لکن ذلک منه علی استبطانه للأشیاء علما و حفظا و تدبیرا کقول القائل: بطنته أی خبّرته و علمت مکتوم سرّه، و الباطن منّا بمعنی الغائر فی الشیء المستتر فقد جمعنا الاسم و اختلف المعنی، الحدیث.

فقد علم بذلک کلّه بطلان ما زعمه الصّوفیّه، فانّهم یقولون: إنّ ظهوره عباره عن ظهوره بصور الموجودات کما حکینا عن القیصری فیما سبق من قوله: إنّ حقیقه

الوجود إذا اخذت بشرط الصّور الحسيّه الشهادتيّه فهى مرتبه الاسم الظّاهر المطلق، و أنّ بطونه عباره عن تخلّله و احتجابه بالخلق حسبما عرفت قريبا، و على قولهم فيكون ظهوره برؤيه البصر له فى مجاليه و مظاهره و بطونه للطافته و سرايه هويّته فى الموجودات و اختفائه فيها.

و قد أشار إلى تفصيل ذلك ابن العربى فى الفصّ الهودى حيث قال:

«فالعالم صورته و هو روح العالم المدبّر له، فالعالم هو الانسان الكبير، فالعالم من حيث إنّه عالم صوره الحقّ و الحقّ روحه المدبّر له، فالعالم هو الانسان الكبير فهو الكون كلّه و هو الواحد الّذى قام كونى بكونه و لذا قلت يغتذى فوجودى غذاؤه و به نحن نغتذى» قال القيصرى: أى الحقّ هو الوجود كلّه و هو الواحد بحسب الذّات و الحقيقه و القيّوم الّذى قام وجودى و وجود العالم كلّه بوجوده و ذاته، و قوله: و لذا إشاره إلى قوله قام كونى بكونه أى و لأجل أنّ وجودى قائم بوجوده و وجوده ظاهر بوجودى نسبت الغذاء اليه فغذاؤه وجود العالم و غذاء العالم وجوده و أسماؤه لأنّ الغذاء عباره عمّا به بقاء المغتذى فى الخارج و ذلك باختفائه و ظهوره على صوره من يغتذى، و لا شكّ أنّ وجودنا يحصل باختفاء هويّته فينا و ظهوره بصورنا و بقائنا أيضا يحصل بايصال الفيض الدّائم الينا كذلك أعيان العالم يختفى فى ذاته و يظهر وجوده و أسماؤه و أحكامها فى الخارج.

إلى أن قالا بعد جمله من ترّهاتهما:

«إذ هو الظاهر و هو باطنها إذ هو الباطن» لأنّ الحقّ هو الظّاهر و ظاهريّته بصور العالم و الحقّ باطنها، لأنّه هو الباطن كما أنه هو الظّاهر «و هو الأوّل اذ كان و لا هى» أى الحقّ هو الأوّل لأنّه كان و ليس صور العالم موجوده كما قال عليه السّلام كان و لا شىء معه «و هو الاخر اذ كان عينها عند ظهورها» أى هو الاخر لأنّه عين أعيان العالم و صورها عند ظهورها فى الخارج «فالاخر عين الظاهر و الباطن عين الأوّل».

قال القيصرى: الاخر يطلق على معنيين:

أحدهما ما ذكره هنا و هو كون الحقّ عين الأعيان الخارجيّه الموجوده فى الخارج لأنّه آخر المراتب.

و ثانيهما كون الأعيان مستهلكه فى الحقّ بالفناء فيه، فعلى الأول الاخر عين الظاهر و الباطن عين الأوّل لكون الحقّ باطنا أوّلا و لا ظهور للأشياء إلى أن قالا:

«و إذا كان الحقّ وقايه للعبد بوجه» و هو كون الحق ظاهر العبد «و العبد وقايه للحقّ بوجه» و هو كون العبد ظاهر الحقّ «فقل فى الكون ما شئت إن شئت قلت هو الخلق» كما يقول المحجوبون باعتبار صفات النقص «و إن شئت قلت هو الحقّ» كما يقول الموحّدون باعتبار صفات الكمال «و إن شئت قلت هو الحقّ و الخلق» باعتبار الجمع بين الكمال و النقصان «و إن شئت قلت لا حقّ من كلّ وجه و لا خلق من كلّ وجه» كما يقول المحقّقون الجامعون بين المراتب الالهيّه و العبوديه «و إن شئت قلت بالحيره فى ذلك» كما قيل: العجز عن درك الادراك إدراك.

«فقد بانت تبعيّتك المراتب و لو لا التحديد ما أخبرت الرسل بتحوّل الحقّ فى الصّور و لا وصفته بخلع الصّور عن نفسه فلا تنظر العين إلّا إليه و لا يقع الحكم إلّا عليه».

قال القيصرى: لما كان كون الحقّ عين الأشياء يوجب التحديد قال: و لو لا التحديد واقعا فى نفس الأمر ما أخبرت الرّسل بأنّ الحقّ يتحوّل فى الصّور كما جاء فى الحديث الصحيح: إنّ الحقّ يتجلّى يوم القيامه للخلق فى صوره منكره فيقول:

أنا ربّكم الأعلى فيقولون: نعوذ باللّه منك، فيتجلّى فى صوره عقايدهم فيسجدون له و الصّور كلّها محدوده، فاذ كان الحقّ يظهر بالصّور المحدوده و نطق الكتاب بأنّه هو الأوّل و الاخر و الظاهر و الباطن و هو بكلّ شىء عليم، حصل العلم للعارف أنّ الظاهر بهذه الصّوره أيضا ليس إلاّ هو فلا تنظر العين إلاّ إليه و لا يقع الحكم إلاّ عليه إذ لا موجود سواه ليكون مشاهدا إيّاه بل هو الشاهد و المشهود عليه و الحاكم و المحكوم عليه، انتهى.

و يتوجّه عليهما أوّلا أنّ البراهين المحكمه من العقل و النقل قد قامت على

استحاله رؤیته سبحانه بحسّ البصر، و قد تقدّم ذکرها مکرّرا فی تضاعیف الکتاب و قد قال تعالی صریحا: «لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ »، فنصّ کلام الحقّ سبحانه و تعالی ناطق بأنّ ما قالاه إفک و بهت و افتراء.

و أمّا ثانیا فقد عرفت سابقا و ستعرف أیضا مباینه الحقّ للخلق و مفارقه الصّانع و المصنوع و الربّ و المربوب و الحادّ و المحدود، و مع ذلک فکیف یمکن أن یکون الحقّ وقایه للعبد و العبد وقایه للحقّ و یتفرّع علی ذلک بطلان الوجوه الأربعه جمیعا لکونها کلّها خلاف ما قاله الأنبیاء و الرّسل و الحجج المعصومون سلام اللّه علیهم أجمعین، نعم الحیره فی ادراک ذاته حقّ من جهه تنزّهه عن التحدید لا- بالمعنی الّذی توهّمه هذا الجاهل، فانّ حجج اللّه المعصومین مع کونهم عالمین بحقایق الأشیاء علی ما هی علیها بالعلم اللدنّی قد اعترفوا بالعجز عن إدراک ذاته و قد قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: ما عرفناک حقّ معرفتک، فعلم أنّ عجزهم لیس من جهه استتاره فی الخلق و استتار الخلق فیه کما زعمه هذا الضلیل.

و أمّا ثالثا فانّ ما نسبه إلی الرّسل کذب فاحش و الحدیث الذی استدلّ به من أنّ الحقّ یتجلّی للعبد یوم القیامه اه موضوع مجعول لکونه مخالفا للعقل و النّقل و الضّروره.

و مثله فی الجعل ما رواه الغزالی فی آخر کتاب احیاء العلوم عن جریر بن عبد اللّه البجلّی قال: کنّا جلوسا عند رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فرأی القمر لیله البدر فقال: إنّکم ترون ربّکم کما ترون هذا القمر لا تضامون فی رؤیته.

و روی عن صحیح مسلم عن صهیب قال: قرء رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قوله تعالی:

«لِلَّذِینَ أَحْسَنُوا الْحُسْنی وَ زِیادَهٌ »، قال: إذا دخل أهل الجنّه الجنّه و أهل النّار النّار نادی مناد یا أهل الجنّه إنّ لکم عند اللّه موعدا یرید أن ینجزکموه، قالوا:

ما هذا الموعد ألم یثقّل موازیننا و یبیّض وجوهنا و یدخلنا الجنّه و یجرنا من النار؟ قال: فیرفع الحجاب و ینظرون إلی وجه اللّه عزّ و جلّ فما اعطوا شیئا أحبّ إلیهم من النظر إلی وجه اللّه.

قال الغزالى: و قد روى حديث الرّؤيه جماعه من الصّحابه.

أقول: و لو روى ألف صحابه حديثا مفيدا لرؤيته سبحانه بحاسه البصر لطرحناه لكونه مخالفا لنصّ الكتاب فضلا عن البراهين الساطعه، نعم لو كان حديثا معتبرا قابلا للتّأويل أوّلناه كما نؤوّل قوله تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ »، و قوله: «فَلَمّا تَجَلّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ »، و نحوهما بما لا يخالف اصول المذهب و اللّه هو الهادى.

الوجه الثالث من وجوه الدلاله قوله عليه السّلام: بان من الأشياء بالقهر لها و القدره

عليها و بانت الأشياء منه بالخضوع له و الرّجوع إليه.

فانّه صريح فى مباينته للأشياء بغلبته و استيلائه عليها و قدرته على ايجادها و إعدامها كما هو شأن الواجب تعالى و بخضوع الأشياء و ذلّها فى قيد الامكان و رجوعها و افتقارها فى وجودها و كمالاتها إليه عزّ و جلّ كما هو مقتضى حال الممكن و مع ذلك فكيف يمكن جعل أحدهما عين الاخر على ما ذهب إليه المتصوّفه.

الوجه الرابع قوله عليه السّلام: من وصفه فقد حدّه إلى قوله: فقد أبطل أزله

و هو صريح فى تنزّهه سبحانه عن الأوصاف و الحدود الامكانيّه فيبطل القول بظهوره فى صور الموجودات و اتّصافه بأوصافها و حدودها و تشكله بأشكال المختلفه كما هو مذهب الصوفيّه خذلهم اللّه تعالى.

و منه

أكثر فقرات الخطبه المأه و الثانيه و الستّين:

فمنها قوله عليه السّلام فيها: حدّ الأشياء عند خلقه لها إبانه له من شبهها

أى انّه تعالى جعل للأشياء عند ايجاده إيّاها أجزاء و ذاتيات إن كان الحدّ بمعناه المنطقى أو حدودا و نهايات إن كان بمعناه اللّغوى و محصّله أنّه تعالى جعلها محدوده مشخصه بحدود معيّنه تقف عندها و لا يتجاوز عنها إلى غيرها.

و إنّما جعلها كذلك ليتميّز بعضها عن بعض و يفترق أحدها عن الاخر، لأنّ الشخص ما لم يتشخّص لم يوجد، و الوقوف إلى حدّ معيّن لا بدّ له من علّه محدّده إذ ماهيه الشيء لو كانت مقتضيه للانتهاء إلى ذلك الحدّ المخصوص لكان

جميع افراد تلك الماهيّه كذلك و ليس فليس و العله المحدّده لابد أن يكون منزّها عن الحدّ و الاّ فيحتاج إلى علّه اخرى فيتسلسل.

و بعباره اخرى الأشياء لكونها ذى ماهيه مركّبه من الجنس و الفصل محدوده بالحدّ المنطقى و لكونها منتهيه إلى حدّ معيّن و مقدار مشخّص محدوده بالحدّ اللغوى. و هو من لواحق الكمّ المتصل و المنفصل اللذين هما من أقسام العرض، و الواجب تعالى لكونه منزّها عن التّركيب المستلزم للافتقار لا يكون محدودا بالحدّ المنطقى، و لعدم كونه عرضا امتنع أن يكون محدودا بالحدّ اللغوى فيكون مباينا لمخلوقاته منزّها عن مشابهتها بنفس ذاته.

و قال عليه السّلام فى هذه الخطبه أيضا بعد جمله كلام له:

تعالى عما ينحله المتحدّدون من صفات الأقدار و نهايات الأقطار و تأثّل المساكن و تمكّن الأماكن فالحدّ لخلقه مضروب و إلى غيره منسوب.

و اوضح منهما ما فى البحار من التّوحيد للصدوق باسناده عن مسعده بن صدقه عن أبى عبد اللّه عن أمير المؤمنين فى خطبه طويله له عليه السّلام قال: لمّا شبّهه العادلون بالخلق المبعض فى صفاته ذوى الأقطار و النواحى المختلفه فى طبقاته و كان عزّ و جلّ الموجود بنفسه لا بأداته انتفى أن يكون قدّروه حقّ قدره فقال تنزيها لنفسه عن مشاركه الأنداد و ارتفاعا عن قياس المقدّرين له بالحدود من كفره العباد: «وَ ما قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَ الْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ السَّماواتُ مَطْوِيّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ » و مثل هذه فى الدّلاله على تنزّهه سبحانه من التحديد و التّشبيه أخبار كثيره قريبه من التواتر بل متواتره.

مثل ما رواه فى البحار من توحيد الصدوق عن إبراهيم بن محمّد الهمدانى قال:

كتبت إلى الرّجل يعنى أبا الحسن عليه السّلام إنّ من قبلنا من مواليك قد اختلفوا فى التّوحيد: فمنهم من يقول: جسم، و منهم من يقول: صوره، فكتب عليه السّلام بخطه:

سبحان من لا يحدّ و لا يوصف ليس كمثله شىء و هو السميع العليم أو قال البصير.

و فيه أيضا عن الصادق عليه السّلام أنّه قال لهشام: إن اللّه تعالى لا يشبه شيئا و لا

يشبهه شیء و کلّما وقع فی الوهم فهو بخلافه.

قال و روی عنه علیه السّلام أیضا أنّه قال: سبحان من لا یعلم أحد کیف هو إلّا هو لیس کمثله شیء و هو السمیع البصیر لا یحدّ و لا یحسّ و لا یدرکه الأبصار و لا یحیط به شیء و لا هو جسم و لا صوره و لا بذی تخطیط و لا تحدید.

و فیه من التوحید عن هشام بن إبراهیم العباسی قال: قلت له یعنی أبا الحسن علیه السّلام: جعلت فداک أمرنی بعض موالیک أن أسألک عن مسأله قال علیه السّلام: و من هو؟ قلت: الحسن بن سهل، قال: و فی أیّ شیء المسأله؟ قال: قلت: فی التوحید قال: و أیّ شیء من التوحید؟ قال: یسألک عن اللّه جسم أولا جسم، فقال علیه السّلام لی: إنّ للنّاس فی التوحید ثلاثه مذاهب: إثبات بتشبیه، و مذهب النفی، و مذهب إثبات بلا تشبیه، فمذهب الاثبات بتشبیه لا یجوز، و مذهب النفی لا یجوز، و الطریق فی المذهب الثالث إثبات بلا تشبیه.

و فیه من التوحید عن المفضّل بن عمر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: من شبّه اللّه بخلقه فهو مشرک إنّ اللّه تبارک و تعالی لا یشبه شیئا و لا یشبهه شیء و کلّما وقع فی الوهم فهو بخلافه.

و فیه من العقائد باسناده عن محمّد بن زیاد قال: سمعت یونس بن ظبیان یقول:

دخلت علی أبی عبد اللّه علیه السّلام فقلت له: إنّ هشام بن الحکم یقول قولا عظیما إلّا انّی أختصر لک منه أحرفا یزعم أنّ اللّه جسم لأنّ الأشیاء شیئان، جسم و فعل الجسم، فلا یجوز أن یکون الصّانع بمعنی الفعل و یجوز أن یکون بمعنی الفاعل، فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: ویله أما علم أنّ الجسم محدود متناه و الصوره محدوده متناهیه فاذا احتمل الحدّ احتمل الزّیاده و النقصان و إذا احتمل الزّیاده و النقصان کان مخلوقا، قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم و لا صوره و هو مجسّم الأجسام و مصوّر الصور، و لم یتجزّأ و لم یتناه و لم یتزاید و لم یتناقص لو کان کما یقول لم یکن بین الخالق و المخلوق فرق، و لا بین المنشیء و المنشأ، لکن هو المنشیء فرّق بین من جسّمه

و صوّره و أنشأه إذا كان لا يشبهه شيء و لا يشبه هو شيئا.

قال المحدّث العلامه المجلسى بعد روايته ذلك:

استدلّ عليه السّلام على نفى جسميّته تعالى بأنّه لو كان جسما لكان محدودا بحدود متناهيا إليها لاستحاله لا تناهى الابعاد، و كلّ محتمل للحدّ قابل للانقسام باجزاء متشاركه فى الاسم و الحدّ، فله حقيقه كليّه غير متشخّصه بذاتها و لا موجوده بذاتها إذ هو مركّب من أجزاء حال كلّ واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقا، أو بأنّ كل قابل للحدّ و النّهايه قابل للزّياده و النقصان لا يتأبّى عنهما فى حدّ ذاته و إن استقرّ على حدّ معيّن فانّما استقرّ عليه من جهه جاعل.

ثمّ استدلّ عليه السّلام بوجه آخر و هو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأنا و أرفع قدرا من الموجد، و عدم المشابهه و المشاركه بينهما و إلّا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلّه دون الاخر، و كيف صار هذا موجدا بدون العكس، و يحتمل أن يكون عدم المشاركه و المشابهه فيما يحتاج إلى العلّه فيحتاج إلى علّه اخرى، انتهى.

فقد علم بذلك كلّه كونه سبحانه منزّها عن الحدّ و الشّبه و أنّه يجب تنزيهه عن التحديد و التشبيه، و أنّ القائل بهما كافر مشرك.

و ذهب محيى الدّين على أصله الفاسد إلى أنّ القول بهما عين التّوحيد.

و القائل بهما مؤمن موحّد كامل، و النافى لهما عنه تعالى جاهل، و تبعه على ذلك القيصرى.

قال فى الفصوص فى الفصّ النّوحى:

«اعلم أنّ التّنزيه عند أهل الحقائق فى الجناب الالهى عين التحديد و التّقييد و المنزّه إمّا جاهل و إمّا صاحب سوء أدب».

قال القيصرى: اعلم أنّ التّنزيه إمّا أن يكون عن النقائص الامكانيّه فقط أو منها و من الكمالات الانسانيه أيضا و كلّ منهما عند أهل الكشف و الشهود تحديد للجناب الالهى و تقييد له، لأنّه يميّز الحقّ عن جميع الموجودات و يجعل ظهوره فى بعض

مراتبه و هو ما يقتضى التّنزيه دون البعض و هو ما يقتضى التشبيه كالحياه و العلم و القدره و الاراده و السمع و البصر و غير ذلك، و ليس الأمر كذلك فانّ الموجودات بذواتهم و وجوداتهم و كمالاتهم كلّها مظاهر للحقّ و هو ظاهر فيهم و متجلّى لهم و هو معهم أينما كانوا فيه ذواتهم و وجودهم و بقاؤهم و جميع صفاتهم، بل هو الذى ظهر بهذه الصور كلّها فهى للحقّ بالأصاله و للخلق بالتّبعيّه، فالمنزّه إما جاهل بالأمر على ما هو عليه أو عالم بأنّ العالم كلّه مظهره، فان كان جاهلا و حكم بجهله على اللّه و قيده فى بعض مراتبه فهو جاهل و صاحب سوء أدب، و إن كان عالما به فقد أساء الأدب مع اللّه تعالى و رسله بنفيه عنه ما أثبته هو لنفسه فى مقامى جمعه و تفصيله.

هذا فى مقام الالهيّه، و أما فى مقام الأحديّه الذاتيّه فلا تشبيه و لا تنزيه إذ لا تعدّد فيه بوجه أصلا قال الشيخ يعنى محيى الدين فى عنقاء المغرب مخاطبا للمنزّه و غايه معرفتك به أن تسلب عنه نقايص الكون و سلب العبد عن ربّه ما لا يجوز عليه راجع إليه، و فى هذا المقام قال من قال: سبحانى دون التّوانى هيهات و هل يعرى من شىء إلّا من لبسه أو يؤخذ شىء إلّا من حبسه و متى لبس الحقّ صفات النقص حتّى تسلبها عنه أو تعريه و اللّه ما هذه حاله التّنزيه فالتّنزيه راجع إلى تطهير محلك لا إلى ذاته و هو من جمله منحه لك و هباته و البارى منزّه عن التّنزيه فكيف عن التّشبيه.

قال الماتن «و لكن إذا اطلقاه و قالا به فالقائل بالشّرايع المؤمن إذا نزّه و وقف عند التّنزيه و لم ير غير ذلك فقد أساء الأدب و أكذب الحقّ و الرسل صلوات اللّه عليهم و هو لا يشعر و يتخيّل أنّه فى الحاصل و هو فى الفايت و هو كمن آمن ببعض و كفر ببعض».

قال الشارح: أى الجاهل و صاحب سوء الأدب إذا اطلقا التّنزيه و قالا به كلّ منهما إمّا أن يكون مؤمنا بالشرايع و الكتب الالهيّه أو غير مؤمن، فالمؤمن إذا نزّه الحقّ و وقف عنده و لم يشبّه فى مقام التّشبيه و لم يثبت تلك الصفات الّتى هى

كمالات فى العالم فقد أساء الأدب و كذّب الرسل و الكتب الالهيّه فيما أخبر به عن نفسه بأنّه الحىّ القيوم السميع البصير و لا يشعر بهذا التكذيب الصادر منه و يتخيّل أنّ له حاصلا من العلوم و المعارف و أنّه مؤمن و موّحد و ما يعلم أنّه فائت منه و هو كمن آمن ببعض و هو مقام التّنزيه و كفر ببعض و هو مقام التّشبيه، و غير المؤمن سواء كان قائلا بعقله كالفلاسفه أو لم يكن كمقلّديهم المتفلسفه فقد ضلّ و أضلّ، لأنّه ما علم الأمر على ما هو عليه و ما اهتدى بنور الايمان الرّافع للحجب و إنّما ترك هذا القسم لظهور بطلانه، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و محصّله أنّ اللازم على المؤمن الموحّد أن يكون جامعا بين مرتبتى التّنزيه و التّشبيه، بأن ينزّهه فى مقام التنزيه من النّقايص الامكانيّه، و يشبّهه فى مقام التشبيه بأن يثبت له صفات الكمال الّتى فى المخلوقات من السمع و البصر و الاراده و الحياه و نحوها، لأنّ المخلوقات كلّها مظاهر له و كمالها كماله بل ليس فى الوجود خلق تشاهده العين إلّا و عينه و ذاته عين الحقّ الظاهر فى تلك الصّوره.

كما قال فى الفصّ الهودى «و ما خلق تراه العين إلّا عينه حقّ» و قال فى الفصّ الاسماعيلى ما هذه عبارته:

«فلا تنظر إلى الحقّ فتعريه عن الخلق و لا تنظر إلى الخلق و تكسوه سوى الحقّ

و نزّهه و شبّهه و قم فى مقعد الصدق»

قال القيصرى: أى لا تنظر إلى الحقّ فتجعله موجودا خارجيّا مجرّدا عن الأكوان منزّها عن المظاهر الخلقيّه عاريا عنها و عن صفاتها، و لا تنظر إلى الخلق بأن تجعل الخلق مجرّدا عن الحقّ مغايرا له من كلّ الوجوه و تكسوه لباس الغيريّه، بل انظر الى الحقّ فى الخلق لترى الوحده الذاتيّه فى الكثره الخلقيه و ترى الكثره الخلقيه فى الوحده الذّاتيه، و نزّه الحق الّذى فى الخلق بحسب مقام أحديّته عن كلّ ما فيه شايبه الكثره و الامكانيّه و النقصان، و شبّهه أيضا بكلّ صفات كماليّه كالسمع و البصر و الاراده و القدره، فانّك إذا جمعت بين التّشبيه

و التنزیه کما هو عاده الکاملین فقد قمت مقام الصدق و هو مقام الجمع بین الکمالین.

و أوضح ذلک فی الفصّ الالیاسی و شرحه بقوله:

«و إذا أعطاه اللّه المعرفه بالتجلّی کملت معرفته باللّه فنزّه فی موضع و شبّه فی موضع» أی نزّه فی موضع التّنزیه تنزیها حقانیا و شبّه فی موضع التّشبیه تشبیها عیانیا فیکون تنزیهه تنزیه الحقّ و تشبیهه تشبیه الحقّ «و رای سریان الحقّ بالوجود فی الصّور الطبیعیّه و العنصریه فما بقیت له صوره إلاّ و یری عین الحقّ عینها و هذه المعرفه التّامه فلا یمکن أن یخلو تنزیه عن تشبیه و لا تشبیه عن تنزیه».

و ذلک لأنّ کلّ ما نزّهته عنه من النقائص فهو ثابت له عند ظهوره فی المراتب الکونیّه و هو التشبیه، و کلّ ما شبّهته به و أثبتّ له من الکمالات فهو منفیّ عنه فی مرتبه أحدیّته و هو التنزیه، و علی ذلک فلا یجوز للمؤمن أن یقتصر فی مقام التوحید علی التّنزیه فقط.

أمّا أوّلا فلأنّ التنزیه عن التحدید و التّشبیه عین التحدید لأنّ التّمیز عن کلّ شیء محدود بتمایزه عنها.

و أمّا ثانیا فلأنّه جهل باللّه الکریم حیث إنّه قیّده فی بعض مراتبه و میّزه عن سایر مجالیه و مظاهره.

و أمّا ثالثا فلأنّه أساء الأدب مع اللّه و مع رسوله حیث لم یثبت له صفات الکمال الّتی له فی مجالیه.

و أمّا رابعا فلأنّه کذّب اللّه و رسوله فیما أخبرا به من اتّصافه بصفات الکمال، هذا.

و أنت خبیر بتدلیس هذا الجاهل الضّلیل و تلبیسه الباطل بصوره الحقّ و الحقّ بصوره الباطل غیر خفیّ علی الفطن العارف لأنّ العقل و النقل و الأنبیاء و الرسل جمیعا متّفقون علی تنزّهه سبحانه عن النقائص الامکانیه و عن اتّصافه بصفات المحدثات و عن مشابهه المخلوقات و قد نزّه ذاته و هو أعلم به من غیره فی کتابه

الكريم بقوله: «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا إِلهاً واحِداً لا إِلهَ إِلاّ هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ » و قال أيضا: «سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيراً »، و قال: «فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ »، و قال: «سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّهِ عَمّا يَصِفُونَ »، و قال: «أَمْ لَهُمْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهِ سُبْحانَ اللّهِ عَمّا يُشْرِكُونَ » إلى غير هذه من الايات البيّنات.

و أمّا الوجوه الّتى استند إليها فى عدم جواز الاقتصار على التّنزيه فكلّها فاسده.

أمّا الوجه الأوّل فلمنع كون التنزيه موجبا للتحديد إذ معنى التنزيه هو ابداء المغايره بين الحقّ و الخلق من أجل اتّصاف الخلق بصفات النقصان و عوارض الامكان، و كون الحقّ بريئا منها من حيث وجوب وجوده و كونه تامّا فوق التمام.

و بعباره اخرى جعله سبحانه خلوّا من خلقه و خلقه خلوّا منه من أجل كون الخلق محدودا و الحقّ منزّها عن الحدّ، فحقيقه التّنزيه هو إظهار كونه مباينا لمخلوقاته مفارقا لها بنفس ذاته الأقدس الأعلى من أجل اتّصافها بالحدود و النهايات، و ذلك لا يوجب كونه محدودا بوجه أصلا لا بالحدّ الاصطلاحى و لا بالحدّ اللّغوى.

و إن أراد بقوله إنّه عين التحديد إنّ فيه تميز الحقّ عن كلّ ما سواه لما فيها من القصور و النقصان و المحدوديه بحدود الامكان، فهذا هو محض الايمان المطلوب عقلا و شرعا فلا معنى للاستناد إليه فى عدم الجواز.

بل أقول: إنّ عمده الغرض من التّنزيهات الوارده فى الكتاب المبين و الصادره عن ألسنه الأنبياء و المرسلين و الملائكه المقرّبين و الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين ليس إلاّ تنزيهه سبحانه و تقديسه تعالى عمّا نسبته إليه عزّ و جلّ هذه الطايفه المضلّه الضّاله من ظهوره فى صور الموجودات و اتّصافه بصفات المحدثات فتعالى اللّه عما يقول الظالمون و سبحان اللّه ربّ العرش عمّا يصفون.

و أمّا الوجه الثانى فلمنع كونه جهلا بل هو محض العلم و العرفان و التوحيد

و الايمان، و إنّما الجاهل من قال بتجلّيه فى مخلوقاته و بظهوره فى صور مصنوعاته.

و أمّا الوجه الثالث فلأن سىّ ء الأدب من قال: سبحانى ما أعظم شانى، لا من قال سبحان اللّه و سبحان ربّى، و من قال: إنّى أنا اللّه و ليس فى جبّتى سوى اللّه لا من قال: لا إله إلاّ اللّه.

و أمّا الوجه الرّابع فلأنّ المكذّب للأنبياء و الرّسل أمثال هذا الجاهل القائل بتجلّيه فى مخلوقاته و اتّصافه بصفات محدثاته لا القائل بتنزّهه عن مجانسه مخلوقاته و اتّصافه بنعوت العظمه و الجلال و صفات العزّه و الجمال بذاته، و بعباره اخرى المكذّب للرسل و الأنبياء من نزّه و شبه و قال: إنه كلّ الأشياء لا من قدّس و نزّه و قال: إنه ليس كمثله شىء و إنه شىء لا كالأشياء.

و الحاصل أنا ننزّهه من مشابهه غيره فى ذاته و صفاته و نصفه بصفات الكمال بذاته و نقول: إنه حىّ قيّوم عالم سميع بصير قادر خبير بمعنى أجلّ و أعلى على ما نبّه عليه الحجج المعصومون فى شرح الأسماء الحسنى، و نقدّسه من صفات المخلوق مطلقا سواء كانت صفه نقصان كالعجز و الحاجه و الافتقار أو صفه كمال كالعلم و الاراده و القدره و الاختيار، فانّ هذه الصفات و ان كانت كمالات للمخلوق إلاّ أنّ اثباتها للخالق بالاعتبار الثابت للمخلوق موجب لاتّصافه بصفات المحدثات فتكون بالنسبه إليه تعالى نقصا لا كمالا.

و هذا هو الّذى دلّ عليه السنّه و الكتاب، و صرّح به الأئمه الأطياب، و حقّقه العلماء الراسخون و اولو الألباب.

و أما ما قاله هؤلاء الجهال: من أنّ صفات كماله هو عين صفات الكمال فى مخلوقاته لكونها مجاليه و مظاهره، فمما لم يرد به كتاب و لا سنه، بل هو افك و فريه بيّنه، و قد قال سبحانه: «أَ أَرْبابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْواحِدُ الْقَهّارُ ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ أَسْماءً سَمَّيْتُمُوها أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ بِها مِنْ سُلْطانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ».

و بالجمله فحالنا و حال هؤلاء كمال قال تعالى فى كتابه، فنحن نقول:

«رَبُّنا رَبُّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلهاً لَقَدْ قُلْنا إِذاً شَطَطاً هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَهً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى »

«اَللّهِ كَذِباً ».

و قد علم بذلك كلّه أنّ التنزيه ينافى التشبيه و التشبيه ينافى التنزيه بل ليس الغرض من التنزيه إلاّ التنزيه من التشبيه.

فظهر به أنّ ما قاله ابن العربى من أنه لا يمكن أن يخلو تنزيه عن تشبيه و لا تشبيه عن تنزيه غلط صرف و خبط واضح.

و أفحش من ذلك غلطا و شططا كلامه الّذى حكاه القيصرى عن كتابه المسمّى بعنقاء المغرب.

فانّ قوله: إنّ تنزيه العبد لربّه راجع إلى تنزيهه لنفسه، و انّ معنى سبحان اللّه سبحانى لأنّ اللّه سبحانه لم يكن متّصفا بصفات النّقص حتّى ينزّه عنها و لا- متلبّسا بها حتّى تسلب عنه و يعرى منها، و انّما المتّصف بها هو المنزّه بنفسه فهو المحتاج إلى التّنزيه دون ربّه فقول باطل و كلام فاسد و من الفساد بمكان.

أمّا أوّلا فلأنّ تنزيه الرّب من النّقايص لا يستلزم اتّصافه بها فى الواقع أولا ثمّ يسلب لأنّ القضيّه السلبيّه لا يستلزم الايجاب و إلاّ لم يصحّ قوله تعالى: وَ «اَلْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ »، و بعد التّنزل نقول: إنّ المراد به تنزيهه عما وصفه به أهل الكفر و الضّلال و نسبه اليه السفهاء و الجهّال من المشبّهه و المجسّمه و الايصانيّه و المتصوّفه و غيرها من الجهال، و لذلك قال تعالى فى كتابه: سبحانه: و تعالى عمّا يقول الظّالمون، و قال:

«فَسُبْحانَ اللّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمّا يَصِفُونَ »، و قد قال: «قالُوا اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ ما فِى السَّماواتِ وَ ما فِى الْأَرْضِ ».

و أمّا ثانيا فلأن قوله: تنزيه الرّب راجع إلى تنزيه نفس المنزّه و تطهير محلّه لا يقوله إلاّ سفيه أو مجنون لأنّ العيب و النقصان من لوازم ذات الممكن فكيف ينزّه المنزّه نفسه عنهما.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى بقيّه كلامه الّذى نقلناه عن الفصّ النوحى.

قال بعد جمله من ترّهاته: «فنسبته لما ظهر من صور العالم نسبه الرّوح المدبّر

للصّوره فيؤخذ فى حدّ الانسان مثلا باطنه و ظاهره و كذلك كلّ محدود فالحقّ محدود بكلّ حدّ».

قال القيصرى: أى إذا كان العالم صوره الحقّ و هو روحه فنسبه الحقّ إلى كلّ ما ظهر من صور العالم نسبه الرّوح الجزئى المدبّر للصّوره المعيّنه إليها فى كونه مدبّرا، و لمّا كان ظاهر العالم ظاهر الحقّ و باطنه باطن الحقّ و الباطن و الظّاهر مأخوذ فى تعريف الانسان و تحديده لأنّه معرف بالحيوان الناطق و النّاطق باطنه و الحيوان ظاهره و الهيئه الاجتماعيّه الحاصله من الجنس و الفصل ظاهره الّذى به سرى الأحديّه فيه و حقايقهما المشتركه و المميّزه باطنه و الحقّ مأخوذ فى حدّه، و كذلك كلّ محدود إذ لا بّد فى كلّ من المحدودات من أمر عامّ مشترك و أمر خاصّ مميّز و كلاهما ينتهيان إلى الحقّ الّذى هو باطن كلّ شىء فالحقّ محدود بكلّ حدّ لأن كلّما هو محدود بحدّ مظهر من مظاهره ظاهره من اسمه الظاهر و باطنه من اسمه الباطن و المظهر عين الظاهر باعتبار الأحديّه فالحقّ هو المحدود.

قال الماتن: «و صور العالم لا ينضبط و لا يحاط بها و لا يعلم حدود كلّ صوره منها إلّا على قدر ما حصل لكلّ عالم من صوره فلذلك يجهل حدّ الحق فانّه لا يعلم حدّه إلّا و يعلم حدّ كلّ صوره و هذا محال حصوله فحدّ الحقّ محال».

قال الشّارح: أى صور العالم و جزئياته مفصلا غير منضبطه و لا منحصره و الحدود لا تعلم إلّا بعد الاحاطه بصور الأشياء و حقايقها، فالعلم بحدودها محال، فحدّ الحقّ من حيث مظاهره أيضا محال.

قال الماتن: «و كذلك من شبّهه و ما نزّهه فقد قيّده و حدّده و ما عرّفه و من جمع فى معرفته بين التنزيه و التشبيه و وصفه بالوصفين على الاجمال لأنه يستحيل ذلك على التفصيل لعدم الاحاطه بما فى العالم من الصور فقد عرّفه مجملا لا على التفصيل» انتهى.

و محصله أنّ الحقّ محدود بحدود غير متناهيه لا يمكن معرفتها تفصيلا بل اجمالا و ذلك لأنه باطن العالم و صور العالم الذى هو مظهره غير متناهيه و لا منضبطه، و حدودها كذلك لأنّ كلّ صوره فلها حد معيّن فيعدّد الحدود بتعين الصّور و بتعدّد حدودها يتعدّد حدود الحقّ فلا يمكن معرفتها إلّا إجمالا كما لا يمكن معرفه صور

العالم و حدود تلك الصور إلاّ كذلك.

و قوله: و كذلك من شبّهه آه عطف على ما سبق أى كما أنّ التنزيه بدون التشبيه عين التحديد و التقييد و مستلزم للجهل، فكذلك العكس فمن شبّهه و لم ينزّهه فقد قيّده بما يقتضيه التشبيه و حدّده بحدود المظاهر، فلم يعرّفه حقّ المعرفه لخلوّ معرفته من التنزيه، فالعارف من جمع بين التنزيه و التشبيه و وصفه بهما على الاجمال لأنّ معرفه صور العالم التى نقيضها التشبيه غير ممكنه تفصيلا حسبما عرفت، هذا محصّل كلامه و قد عرفت فساده بما لا مزيد عليه.

و قالا- فى الفصّ الهودى و شرحه: «و ما رأينا قطّ من عند اللّه تعالى فى حقّه تعالى فى آيه أنزلها أو اخبار عنه أوصله إلينا فيما يرجع إليه إلاّ- بالتحديد تنزيها كان أو غير تنزيه أوّلها العماء الذى ما فوقه هواء و لا تحته هواء و كان الحقّ فيه قبل أن يخلق الخلق».

أى أول ذلك التحديد هو المرتبه العمائيه التى أشار اليها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند سؤال الأعرابى أين كان ربّنا قبل أن يخلق الخلق؟ قال: كان فى عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء، و انما كان العماء أول التحديدات لأنه لغه عباره عن الضباب و فى اصطلاح أهل اللّه عباره عن أول تعين ظهر للحقّ بحسب اسمه الجامع الالهى، و كلاهما محدودان، و هذه المرتبه هى مرتبه الانسان الكامل فانه أول ما تعيّن ظهر بالصوره المحمّديه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ فصّلها فخلق منها أعيان العالم علما و خارجا.

«ثمّ ذكر انه استوى على العرش فهذا تحديد أيضا» لأنّ الاستواء عليه ظهور الاسم الرّحمانى فى صوره العرشيّه و هو أيضا تحديد لأنّه يتعيّن فيظهر فيها.

«ثمّ ذكر انّه ينزل إلى السماء الدّنيا فهذا تحديد» أى ذكر الحقّ بلسان نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم انّ اللّه ينزل كلّ ليله إلى السماء الدّنيا فيقول: هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر. فأغفر له و النّزول إلى المقام المعيّن تحديد.

«ثمّ ذكر انّه فى السّماء و انّه فى الأرض» كما قال: «وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ »، و كونه فى السّماء و فى الأرض تحديد.

«و انّه معنا أينما كنّا» أى و ذكر أنّه معنا كما قال: «وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ ».

«إلى أن أخبرنا انّه عيننا» أى حدّد نفسه إلى أن جعله أعيننا كما قال: كنت سمه و بصره الحديث.

«و نحن محدودون فما وصف نفسه إلّا بالحدّ و قوله ليس كمثله شىء حدّ أيضا إن أخذنا الكاف زائده لغير الصفه» أى لا تكون للتشبيه ليفيد ليس مثل مثله شىء.

«و من تميّز عن المحدود فهو محدود بكونه ليس عين هذا المحدود فالاطلاق من التقييد تقييد و المطلق مقيّد بالاطلاق لمن فهم و إن جعلنا الكاف للصّفه فقد حدّدناه» أى على التقديرين يلزم التحديد، أمّا على الأوّل فلأنّ الممتاز عن المحدود لا يكون إلّا محدودا بكونه ممتازا عنه كما أنّ الاطلاق المقابل للتقييد أيضا تقييد بعدم التقييد و المطلق مقيّد بالاطلاق، و أمّا على الثانى فلأنّ نفى مثل المثل اثبات للمثل و هو محدود فما يماثله أيضا محدود.

«و ان أخذنا ليس كمثله شىء على نفى المثل تحقّقنا بالمفهوم و بالاخبار الصحيح انّه عين الأشياء و الأشياء محدوده و ان اختلفت حدودها» أى و إن حملنا على نفى المثليّه مطلقا سواء كان زايدا أو غير زايد مع عدم القصد بوجود المثل بل المقصود المبالغه فى التّنزيه كما يقال: مثلك لا يغضب، و الغرض نفى الغضب منه يلزم التحديد أيضا، لأنّ ما يمتاز عن الشىء محدود بامتيازه عنه فسلب المثليّه تحدّده، و هو المراد بقوله: تحققنا بالمفهوم أى علمنا حقيقته بالمفهوم من الايه أنه محدود و كذلك تحديده بالخبر الصحيح و هو: كنت سمعه و بصره الحديث، لأنه صار عين الأشياء و الأشياء محدوده بحدود مختلفه و أن فى قوله: و إن اختلفت حدودها للمبالغه.

«فهو محدود بحدّ كلّ محدود فما يحدّ شىء إلّا و هو حدّ للحقّ» لما كان الحدّ عباره عن التعيين و الحدّ الاصطلاحى انما يسمى بالحدّ لأنه أيضا يعيّن الشىء و يميّزه عن غيره نقل الكلام إلى الحدّ الاصطلاحى الموجب لتعيّن الأشياء فى العقل و انما جعله محدودا بحدّ كلّ محدود لأنه عين لكلّ محدود فحدّه حدّ الحقّ و قوله و هو عايد إلى الحدّ الذى يدلّ عليه قوله فما يحدّ، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

أقول: فيـاللّه لهـذا الرجـل من سوء الاعتقـاد و الزيغ عن نهـج الرشـاد و الاصـرار فى ترويـج الزنـدقه و الالحـاد، و صـرف الايات المحكمات عن ظواهرها إلى تصحيح عباده الطاغوت و الاستناد إلى المتشابهات فى اثبات مذهب هو أوهن من بيت العنكبوت، و قـد قـال عزّ من قائـل: «فَـأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مـا تَشـابَهَ مِنْهُ ابْتِغـاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغـاءَ تَـأْوِيلِهِ وَ مـا يَعْلَمُ تَـأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ ».

فهل يحكم العاقل بـدليل متشابه على أنّ الحقّ بكل حـدّ محـدود؟ أم هل يسـلّم القول بوحده الوجود الذى هو فى معنى الكفر و الجحود بمجرّد الاستناد إلى كشف و شهود؟ و قد عرفت بطلان التشبيه و التحديد ببرهان متين و بيان لا عليه مزيد.

و الأدلّه التى استند اليها هنا فى اثبات تلك الدّعوه غير خفيه الفساد على ذوى العقل و النهى.

أمـا الـدليل الأـول و هو حـديث العمـاء ففيه أنه من مجعولاـت العامه و يـدلّ عليه الأخبار النّافيه للزّمان و المكان عنه تعالى و قد تقـدّم كثير منهـا فى تضـاعيف الشـرح مضافـا إلى قيـام الـدليل العقلى أيضـا على ذلـك كمـا أشـار اليه الأئمه عليهم السّـلام فى أخبارهم.

مثل ما رواه المحدّث العلامه المجلسى «قد» فى البحار من كتاب روضه الواعظين قال: روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام انّه قال له رجـل: أين المعبود؟ فقـال: لاـ يقـال له أين لأنه أيّن الأينيّه، و لا يقال له كيف لأنّه كيف الكيفيّه، و لا يقال له ما هو لأنه خلق الماهيّه، سـبحانه من عظيم تاهت الفطن فى تيّار أمواج عظمته، و حصـرت الألباب عنـد ذكر أزليّته، و تحيّرت العقول فى أفلاك ملكوته.

و فيه من كتاب التوحيد للصّدوق قال: و روى أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السّلام أين كان ربّنا قبل أن يخلق سماء و أرضا؟ فقال: أين سؤال عن مكان كان اللّه و لا مكان.

و فيه منه باسـناده عن المفضّل بن عمر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: من زعم أنّ اللّه فى شىء أو من شىء أو على شىء فقد أشرك، لو كان عزّ و جلّ على شىء لكان محمولا، و لو كان فى شىء لكان محصورا، و لو كان من شىء لكان محدثا.

قال العلامه المجلسى: قوله: لكان محمولا أى محتاجا إلى ما يحمله، و قوله:

محصورا أی عاجزا ممنوعا عن الخروج من المکان أو محصورا بذلک الشیء و محویا به فیکون له انقطاع و انتهاء فیکون ذا حدود و أجزاء.

و فیه منه باسناده عن حمّاد بن عمرو عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: کذب من زعم أنّ اللّه عزّ و جلّ فی شیء أو من شیء أو علی شیء.

قال الصّدوق: الدّلیل علی أنّ اللّه عزّ و جلّ لا فی مکان أنّ الأماکن کلّها حادثه و قد قام الدّلیل علی أنّ اللّه قدیم سابق للأماکن، و لیس یجوز أن یحتاج الغنیّ القدیم إلی ما کان غنیّا عنه، و لا أن یتغیّر عمّا لم یزل موجودا علیه فصحّ الیوم أنّه لا فی مکان کما أنّه لم یزل کذلک.

و تصدیق ذلک ما حدّثنا به القطان عن ابن زکریّا القطّان عن ابن حبیب عن ابن بهلول عن أبیه عن سلیمان المروزی عن سلیمان بن مهران قال قلت لجعفر ابن محمّد علیهما السّلام: هل یجوز أن تقول إنّ اللّه عزّ و جلّ فی مکان؟ فقال علیه السّلام: سبحان اللّه و تعالی عن ذلک انّه لو کان فی مکان لکان محدثا لأنّ الکائن فی مکان محتاج إلی المکان و الاحتیاج من صفات الحدیث لا القدیم.

و أمّا الدلیل الثانی فقد عرفت الجواب عنه فی شرح الفصل الخامس من الخطبه الاولی و قلنا هناک: إنّ المراد بالاستواء فی الایه هو الاستیلاء و السّلطنه.

و قال أمیر المؤمنین فی روایه الاحتجاج عنه علیه السّلام فی جواب أسئله الزّندیق المنکر للقرآن: یعنی استوی أمره و علا تدبیره.

و أما الدّلیل الثالث فهو من مجعولات العامّه أیضا.

و یدل علی ذلک صریحا ما رواه فی البحار من الأمالی و التوحید و العیون عن الدّقاق عن الصّوفی عن الرّویانی عن عبد العظیم الحسنی عن إبراهیم بن أبی محمود قال: قلت للرّضا علیه السّلام یا ابن رسول اللّه ما تقول فی الحدیث الّذی یروی النّاس عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انّه قال: إن اللّه تبارک و تعالی ینزل کلّ لیله إلی السّماء الدّنیا؟ فقال علیه السّلام: لعن اللّه المحرّفین للکلم عن مواضعه، و اللّه ما قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کذلک إنّما قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: إنّ اللّه تبارک و تعالی ینزل ملکا إلی السّماء الدّنیا کلّ لیله

فی الثّلث الأخیر و لیله الجمعه فی أوّل اللیل فیأمره فینادی هل من سائل فأعطیه هل من تائب فأتوب علیه هل من مستغفر فأستغفر له، یا طالب الخیر أقبل و یا طالب الشرّ اقصر، فلا یزال ینادی هذا إلی أن یطلع الفجر، فاذا طلع الفجر عاد إلی محلّه من ملکوت السّماء، حدّثنی بذلک أبی عن جدّی عن آبائه عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و فیه من الاحتجاج عن یعقوب بن جعفر الجعفری عن أبی إبراهیم موسی علیه السّلام قال:

ذکر عنده قوم زعموا أنّ اللّه تبارک و تعالی ینزل إلی السّماء الدّنیا، فقال علیه السّلام:

إنّ اللّه لا ینزل و لا یحتاج إلی أن ینزل إنّما منظره فی القرب و البعد سواء لم یبعد منه قریب و لم یقرب منه بعید، و لم یحتج إلی شیء بل یحتاج إلیه، و هو ذو الطول لا إله إلاّ هو العزیز الحکیم، أمّا قول الواصفین إنّه ینزل تبارک و تعالی عن ذلک فانّما یقول ذلک من ینسبه إلی نقص أو زیاده، و کلّ متحرّک محتاج إلی من یحرّکه أو یحرّک به، فمن ظنّ باللّه الظّنون فقد هلک و أهلک، فاحذروا فی صفاته من أن تقفوا له علی حدّ من نقص أو زیاده أو تحریک أو تحرّک أو زوال أو استنزال أو نهوض أو قعود، فانّ اللّه عزّ و جلّ عن صفه الواصفین و نعت النّاعتین، و توهّم المتوهّمین.

فانظر إلی هذا الحدیث الشریف کیف أبطل ما یقوله الملاحده بالدّلیل العقلی، فانّ قوله: فانّما یقول ذلک من ینسبه إلی نقص أو زیاده، یرید به أنّ النّزول المکانی إنّما یتصوّر فی حقّ المتحیّز و کلّ متحیّز موصوف بالتقدّر و کلّ متقدّر متّصف بالنقص عمّا هو زاید منه و بالزّیاده علی ما هو أنقص منه أو یکون فی نفسه قابلا للزّیاده و النّقصان، و الوجوب الذّاتی ینافی ذلک لاستلزامه التجزّی و الانقسام المستلزمین للامکان.

و أیضا کلّ متحرّک یحتاج إلی من یحرّکه أو یتحرّک به لأنّ المتحرّک إما جسم أو متعلّق بالجسم و الجسم المتحرّک لا بدّ له من محرّک لأنّه لیس یتحرّک بجسمیّته، و المتعلق بالجسم لا بدّ له فی تحرّکه من جسم یتحرّک به و هو سبحانه منزّه عن الاحتیاج إلی المتحرّک و عن التغیّر بمغیّر و عن التعلّق بجسم یتحرّک به.

و أما الدّليل الرابع فانّ معنى الايه الشريفه ليس ما توهّمه هذا الجاهل بسوء فهمه و اعتقاده، بل معنى آخر.

كما نبه عليه الصّادق عليه السّلام فى الرّوايه المرويه فى البحار من التوحيد عن أبيه عن علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن هشام بن الحكم قال قال أبو شاكر الديصانى: إنّ فى القرآن آيه هى قولنا، قلت: و ما هى؟ فقال: «وَ هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ »، فلم أدر بما اجيبه فحجت فخبرت أبا عبد اللّه عليه السّلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت إليه فقل له: ما اسمك بالكوفه، فانّه يقول فلان، فقل ما اسمك بالبصره، فانّه يقول فلان، فقل كذلك ربّنا فى السّماء إله و فى الأرض إله و فى كلّ مكان إله، قال: فقدمت فأتيت أبا شاكر فأخبرته فقال هذه نقلت من الحجاز.

و محصّل جوابه عليه السّلام أنّه تعالى مسمّى بهذا الاسم فى السّماء و فى الأرض، و قال اكثر المفسرين: إنّ الظرف متعلّق بالإله لكونه بمعنى المعبود، و قال البيضاوى فى تفسير قوله: «هُوَ اللّهُ فِى السَّماواتِ وَ فِى الْأَرْضِ »: هو اللّه الضمير للّه و اللّه خبره و فى السماوات و فى الأرض متعلّق باسم اللّه، و المعنى هو المستحقّ للعباده فيهما لا غير كقوله: «هُوَ الَّذِى فِى السَّماءِ إِلهٌ وَ فِى الْأَرْضِ إِلهٌ ».

و روى فى البحار من التوحيد باسناده عن مثنّى الحناط عن أبى جعفر أظنّه محمّد بن النعمان قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: «وَ هُوَ اللّهُ فِى السَّماواتِ وَ فِى الْأَرْضِ »، قال: كذلك هو فى كلّ مكان، قلت: بذاته؟ قال: ويحك إنّ الأماكن أقدار فاذا قلت فى مكان بذاته لزمك أن تقول فى أقدار و غير ذلك و لكن هو باين من خلقه محيط بما خلق علما و قدره و احاطه و سلطانا، و ليس علمه بما فى الأرض بأقلّ ممّا فى السّماء لا يبعد منه شىء، و الأشياء له سواء علما و قدره و سلطانا و ملكا و احاطه.

و أمّا الدّليل الخامس فالجواب عنه بمثل الجواب عن سابقه، فانّ المراد به كونه معنا بالعلم و الاحاطه و القيّوميّه.

و أجاب عنها أمير المؤمنين عليه السّلام بجواب آخر رواه فى البحار من الاحتجاج

فی جواب أسئله الزّندیق المنکر للقرآن قال علیه السّلام: و قوله: «وَ هُوَ الَّذِی فِی السَّماءِ إِلهٌ وَ فِی الْأَرْضِ إِلهٌ »، و قوله: «وَ هُوَ مَعَکُمْ أَیْنَ ما کُنْتُمْ »، و قوله: «ما یَکُونُ مِنْ نَجْوی ثَلاثَهٍ إِلّا هُوَ رابِعُهُمْ »، فانّما أراد بذلک استیلاء امنائه بالقدره الّتی رکّبها فیهم علی جمیع خلقه و أنّ فعلهم فعله الحدیث.

و أمّا الدّلیل السادس فقد مرّ جوابه بما لا مزید علیه قبل أوراق.

و أمّا الدّلیل السابع فأوهن من الجمیع، لأنّ المراد بالایه هو التّنزیه فقط و نفی المثل من جمیع الجهات، إمّا بجعل الکاف زایده أو بمعناها الأصلی قصدا للمبالغه فی نفی المثل علی حدّ قولهم: مثلک لا یبخل.

روی فی الصّافی من مصباح المتهجّد فی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام لیس کمثله شیء إذ کان شیء الشیء من مشیّته فکان لا یشبه مکوّنه.

و روی فی البحار من روضه الواعظین عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أیضا انّه قال:

اتّقوا أن تمثّلوا بالربّ الذی لا مثل له أو تشبّهوه من خلقه أو تلقوا إلیه الأوهام أو تعلموا «تعملوا ظ» فیه الفکر و تضربوا له الأمثال أو تنعتوه بنعوت المخلوقین، فانّ لمن فعل ذلک نارا.

و أما ما قاله من استلزام التنزیه للتقیید و التحدید معللا بأنّ الاطلاق من التقیید تقیید و المطلق بالاطلاق مقیّد، فقد عرفت فیما سبق ضعفه و أنه غیر مستلزم له.

و نزید توضیحا و نقول: محصّل مراده إنّ الایه محتمله لوجوه ثلاثه.

احدها کون الکاف زایده و المراد بها نفی المثل.

و الثانی کونها للتشبیه و المراد بها نفی مثل المثل.

و الثالث کونها للتشبیه أیضا لکن المراد نفی المثل مبالغه و علی جمیع الوجوه فهی مفیده للتحدید.

أما علی الوجه الأوّل فلأنّ المعنی أنه لیس شیء من الأشیاء مثله و شبهه، و الأشیاء کلّها محدوده بالحدود فاذا نفیت مشابهته بها و میّزته عنها فقد أثبتّ له الحدّ

بتنزيهك إذ المتميز عن المحدود محدود بأنه غيره و المغايره لا تكون إلّا بالحدود فيكون محدودا بتمايزه عن المحدودات و هو معنى قوله: فالاطلاق من التقييد تقييد آه.

و أما على الوجه الثانى فلأنّه يفيد اثبات المثل حيث إنّ المنفى مثل المثل لا نفس المثل و المثل محدود فمثله و هو اللّه تعالى عن ذلك أيضا محدود.

و أما على الوجه الثالث فلأنه كالوجه الأوّل يفيد التحديد بتميّزه عن المحدود فعلى جميع الوجوه يثبت كونه محدودا، و أنت خبير بأنّ هذا كلّه ناش من قلّه الفهم إذ قد عرفت أنّ المراد بالايه هو نفى المثل على الوجه الأول أو على الوجه الثالث و المقصود بها التنزيه من التشبيه.

و ما توهّمه من استلزام التّنزيه للتّقييد و التّحديد، فهو ظاهر فى أنّه لم يفهم معنى التّنزيه و التّمييز و لم يميّز بين تمايز الموجودات بعضها عن بعض و بين تمايز الواجب تعالى عنها و افتراقه لها.

فنقول: إنّ التميّز على قسمين:

أحدهما التميّز بالحدّ و هو الّذى بين الموجودات فانّها جميعا لكونها محدوده مركّبه من الأجناس و الفصول و مشتمله على الأقدار و النهايات يكون تميّز كلّ منها عن الاخر بالحدّ المخصوص به.

و ثانيهما التميّز عن المحدود و هو تميّز الواجب عن غيره كائنا ما كان، فانّ الممكنات بأسرها لمّا كانت محدوده يكون تميّز الواجب عنها بتنزّهه عن الحدّ و هو عباره اخرى عن وجوب الوجود، فانّه سبحانه لكونه صرف الوجود و كون وجوده عين ذاته و كون تعيّنه بذاته يكون متمايزا عمّا تعيّنه و تحصّله بالحدود فافهم و اغتنم و على الصّراط المستقيم فاستقم.

و منها قوله عليه السّلام فى الخطبه المذكوره أيضا: لا تقدّره الأوهام بالحدود

و الحركات و لا بالجوارح و الأدوات.

فانّ الفقره الاولى تدلّ على تنزّهه من الحدود حسبما عرفت آنفا و على

تنزّهه من التّحوّل فی الصّور کما قال فی الفصّ الالیاسی «یتجلّی فی القیامه بصوره فیعرف ثمّ یتحوّل فی صوره فینکر ثمّ یتحوّل عنها فی صوره فیعرف و هو هو المتجلّی فی کلّ صوره لیس غیره» انتهی.

و تدّل أیضا علی تنزّهه من النّزول إلی السّماء الدّنیا و من التّنزّل إلی مرتبه الممکنات و سرایه هویّته فیها حسبما قدّمنا حکایه ذلک کلّه عن هذه الطّایفه الضّالّه.

و الفقره الثّانیه تدلّ علی تنزّهه من الجوارح و الأعضاء فتدلّ علی بطلان اتّصافه بها و کون أعضاء الانسان أعضاء له کما قال محیی الدّین فی غیر موضع من الفصوص.

و صرّح به فی الفصّ الهودی اجمالا بقوله «فالغیر یقول: السّمع سمع زید و العارف یقول: السّمع عین الحقّ و هکذا ما بقی من القوی و الأعضاء فما کلّ أحد عرف الحقّ فتفاضل النّاس و تمیّزت المراتب» أی تفاضل النّاس فی العلم بالحقّ و تمیّزت مراتبهم فبان الفاضل و المفضول فی الخلایق.

و فی الفصّ السّلیمانی تفصیلا بقوله «و العمل ینقسم علی ثمانیه أعضاء من الانسان».

قال القیصری: و هی الیدان و الرّجلان و السّمع و البصر و الجبهه و اللّسان إذ بالیدین یتمکّن من التّوضّی و التّطهر، و علی الرّجلین یقوم فی الصّلاه و یسعی و یحجّ، و بالسّمع یتمکّن من سماع کلام اللّه و کلام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و بالبصر یتمکّن من المشاهده فی جمیع أعماله، و باللّسان یثنی علی اللّه تعالی و یسبّحه و یقرأ کلامه، و بالجبهه یسجد فی صلاته.

«و قد أخبر الحقّ تعالی أنّه هویّه کلّ عضو منها فلم یکن العامل فیها غیر الحقّ و الصّوره للعبد و الهویّه مندرجه فیه أی فی اسمه لا غیر».

قال القیصری: أی أخبر الحقّ بأنّه عین کلّ عضو بقوله: کنت سمعه الّذی یسمع به و بصره الذی یبصر به و یده الّتی یبطش بها و رجله الّتی یمشی بها، و العامل بحسب الظّاهر

الشّخص و أعضاؤه، و الحقّ عينها فلا يكون العامل غير الحقّ غير أنّ الصّوره صوره العبد و الهويّه الالهيّه مندرجه فى العبد، و لمّا كانت الهويّه إنّما تندرج فى أسمائه فسّر بقوله: أى فى اسمه، ليعلم أنّ عين العبد هو أيضا اسم من أسمائه لا غير ليلزم اندراج الحقّ فى غيره مطلقا فيتوّهم منه الحلول، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و قد عرفت فيما تقدّم أنّ المراد بحديث كنت سمعه و بصره معنى آخر لا ما توهّما، فيبطل جميع ما فرّعا عليه.

و منها قوله عليه السّلام فى الخطبه المذكوره أيضا: الظّاهر لا يقال ممّا و الباطن

لا يقال فيما، لا شبح فيتقضّى و لا محجوب فيحوى.

فانّه يدلّ على أنّ اتّصافه بالظهور و البطون ليس بالمعنى المتبادر منهما فى غيره، و على أنّه لا يتشخّص بتشخّص الممكنات و صور الموجودات كما هو مذهب هذه الفرقه الضّالّه حسبما عرفت تفصيلا، و على أنّه لا يكون محجوبا بالحجاب فيدلّ على بطلان ما ذهبوا إليه أيضا من كونه محتجبا بالخلق على ما عرفت تفصيلا و أشار عليه السّلام إلى دليل بطلان الاحتجاب بقوله: فيحوى، يعنى أنّه لو كان محجوبا لكان محويّا و كان حجابه حاويا له محيطا به فيكون له انقطاع و انتهاء و يكون ذا حدود و أجزاء و هو باطل.

و مثله ما رواه عنه عليه السّلام فى البحار من الارشاد و الاحتجاج عن الشّعبى روى أنّه سمع أمير المؤمنين عليه السّلام رجلا يقول: و الّذى احتجب بسبع طباق، فعلاه عليه السّلام بالدّره ثمّ قال: يا ويلك إنّ اللّه أجلّ من أن يحتجب من شىء أو يحتجب عنه شىء، سبحان الّذى لا يحويه مكان و لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السّماء فقال الرّجلّ: أفاكفّر عن يمينى يا أمير المؤمنين؟ قال عليه السّلام: لا لم تحلف باللّه فيلزمك الكفّاره و إنّما حلفت بغيره.

و منه

قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الثّامن و السّبعين

حين سأله ذعلب اليمانى فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال عليه السّلام: أ فأعبد ما لا أرى؟ قال: و كيف

تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهده العيان و لكن رأته القلوب بحقايق الايمان فانّ قوله عليه السّلام: لا تدركه العيون بمشاهده العيان يبطل القول بالكشف و الشهود و أنّ الحقّ بكلّ صوره مشهود كما قال محيى الدّين فى الفصّ الهودى:

«و ما خلق تراه العين إلّا عينه حقّ و لكن مودع فيه لهذا صوره حقّ»

قال القيصرى: أى ليس خلق فى الوجود تشاهده العين إلّا و عينه و ذاته عين الحقّ الظاهر فى تلك الصوره، فالحقّ هو المشهود و الخلق موهوم، و لذلك يسمّى به، فانّ الخلق فى اللغه الافك و التقدير و قال تعالى: «إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ »، أى إفك و تقدير من عندكم ما أنزل اللّه بها من سلطان، و قوله: و لكن مودع آه أى صور الخلق حقّ له بضمّ الحاء و هو جمع كالحقاق شبه صور الخلايق بالحقاق(۱) و الحق بما فيها و الصور جمع صوره سكن الواو لضروره.

و قال فى ذلك الفصّ أيضا «فالقرب الالهى من العبد لا- خفاء به فى الاخبار الالهى فلا قرب أقرب من أن تكون هويته عين أعضاء العبد و قواه و ليس العبد سوى هذه الأعضاء و القوى فهو أى العبد حقّ مشهود فى خلق متوهّم».

قال الشارح القيصرى: أى ظاهر فى صوره خلق متوهّم و هى الصوره الظليه، و قد مرّ غير مرّه أنّ كلّ ما يدرك و يشهد فهو حقّ و الخلق متوهّم لأنّ الحقّ هو الذى تجلّى فى مرايا الأعيان فظهر بحسبها فى هذه الصوره فالظاهر هو الحقّ لا غير.

«فالخلق معقول و الحقّ محسوس مشهود عند المؤمنين و أهل الكشف و الوجود و ما عدا هذين الصنفين فالحقّ عندهم معقول و الخلق مشهود» و هم المحجوبون كالحكماء و المتكلّمين و الفقهاء و عامه الخلايق سوى المؤمنين بالأولياء و أهل الكشف لأنهم أيضا يجدون فى بواطنهم حقيقه ما ذهب إليه الأولياء و إلّا ما آمن.

و قال فيه أيضا «فلا تنظر العين إلّا إليه و لا يقع الحكم إلّا عليه» قال

۱- (۱) - الحق و الحقاق جمع حقه وعاء من خشب، ق

الشارح: إذ لا موجود سواه ليكون مشاهدا إياه بل هو الشاهد و المشهود و الحاكم و المحكوم عليه إلى أن قال «فمن رأى الحقّ منه فيه بعينه فذلك العارف» أى فمن رأى الحقّ الظاهر على صورته من الحقّ المطلق فى عين الحقّ بعين الحقّ فهو العارف أو من رأى الحقّ من نفسه فى نفسه بعين الحقّ فهو العارف «و من رأى الحقّ منه فيه بعين نفسه فذلك غير العارف» أى من رأى الحقّ من نفسه بنفسه بعين نفسه فذلك غير العارف مع أنه صاحب الشهود لعدم اطلاعه على أنه لا يمكن ادراك الحقّ بعين غيره «و من لم ير الحقّ منه و لا فيه و انتظر أن يراه بعين نفسه فذلك الجاهل» أى من لم ير الحقّ من نفسه و لا فى نفسه و انتظر أن يراه فى الاخره بعين نفسه فهو الجاهل، لأنه من كان فى هذه أعمى فهو فى الاخره أعمى و أضلّ سبيلا.

إلى غير هذه من ترّهاتهم و مزخرفاتهم التى لا طائل فيها و كلام أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا المختار و غيره مما مرّ و سيأتى دليل على بطلانها جميعا.

و اصرح من كلماته عليه السّلام كلّها ما رواه فى البحار من التوحيد و العيون عن الرّضا عليه السّلام فى خطبه طويله له خطب بها فى مجلس المأمون فى توحيد اللّه سبحانه و تمجيده و تنزيهه قال عليه السّلام فيها: ظاهر لا بتأويل المباشره متجلّى لا باستهلال رؤيه.

التجلّى الانكشاف و الظهور يقال: استهلّ الهلال بصيغه المعلوم و المجهول أى ظهر و تبيّن أى ظاهر ليس ظهوره بأن يباشره حاسه من الحواس بل ظاهر بأماره غالب على كلّ شىء بقدرته و ظاهر أيضا لا بظهور من جهه الرؤيه كما هو زعم هذه الجهله.

و منه

قوله عليه السّلام فى المختار المأه و الرابع و الثمانين:

الحمد للّه الذى لا تدركه الشواهد و لا تحويه المشاهد و لا تراه النواظر و لا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه و بحدوث خلقه على وجوده و باشتباههم على أن لا شبه له.

فانّ كلا من هذه الفقرات دليل على بطلان مقالاتهم الزيفه المتقدّمه كما لا يخفى على من أحاط خبرا بما قدّمناه من ذوى الفطن الثاقبه.

و قال علیه السّلام فی هذا المختار أیضا: تلقاه الاذهان لا بمشاعره، و تشهد له المرائی لا بمحاضره.

و قد عرفت معناهما فی مقامهما و أقول هنا: إنّ الفقره الثانیه دلیل علی بطلان قولهم بأنّ أعیان الممکنات مرایا للحقّ لظهوره فیها کما أنّ الحقّ مرآه لها باعتبار آخر و یستفاد من تقریراتهم أن مرآتیّتها بعنوان المحاضره بل العینیّه و أشار إلی ذلک محیی الدین فی الفص الیوسفی اجمالا و شرحه القیصری تفصیلا قالا:

«فکلّ ما تدرکه فهو وجود الحقّ الظاهر فی مرایا أعیان الممکنات» أی کلّ ما تدرکه بالمدرکات العقلیّه و القوی الحسیّه فهو عین وجود الحقّ الظاهر فی مرایا أعیان الممکنات، و قد علمت أنّ الأعیان مرایا للحقّ و أسمائه کما أنّ وجود الحقّ مرآه للأعیان، فبالاعتبار الأول جمیع الموجودات عین ذات الحقّ و الأعیان علی حالها فی العدم لأنّ حامل صور الأعیان هو النفس الرّحمانی، و النفس الرّحمانی إشاره الی ما قالاه فی الفصّ الهودی و شرحه.

قال الماتن «و لهذا الکرب تنفس فنسب النفس إلی الرّحمن» قال الشّارح أی لکون الحقّ ذواته مشتملا علی حقایق العالم و صورها و طلب ملک الحقائق ظهورها حصل الکرب فی الباطن و لهذا الکرب تنفّس الحقّ أی تجلّی لاظهار ما فی الباطن من أعیان العالم فی الخارج فنسب أی الحقّ النّفس الی الرّحمن أی إلی الاسم الرّحمانی بلسان نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی قوله: إنّی أجد نفس الرّحمان من قبل الیمن، و النّفس عباره عن الوجود المنبسط علی الأعیان عینا و عن الهیولی الحامل لصور الموجودات و الأوّل مرتّب علی الثّانی.

«لأنّه رحم ما طلبته النسب الالهیّه من ایجاد صور العالم الّتی قلنا هی ظاهر الحقّ» أی نسب النفس إلی الرّحمن لأنّ الحقّ بالنّفس الرحمانی رحم الأعیان فاعطی ما طلبته النّسب الالهیه الّتی هی الأسماء و الصّفات من وجود صور العالم الّتی هی ظاهر الحقّ انتهی.

و هو أی النفس الرّحمانی عین وجود الحقّ و الوجود الاضافی الفایض علیها

أيضا عين الحقّ فليس المدرک و الموجود إلّا عين الحقّ و الأعيان على حالها فى العلم، و هذا مشرب الموحّد، و بالاعتبار الثانى الأعيان هى الظاهره الموجوده فى مرايا الوجود و الوجود معقول محض، و هذا مشرب المحجوبين عن الحقّ و مشرب المحقّق الجامع بين المراتب العالم بهما فى هذا المقام الجمع بين الحقّ و الخلق بحيث شهود أحدهما لا تحجبه عن شهود الاخر، و ذلک لجمعه بين المرآتين، لأنّ المرايا إذا تقابلت تظهر منها عكس جامع لما فيها، فيتّحد ما فى المرايا المتعدّده بحكم اتحاد انعكاس أشعّتها و إلى هذا الاعتبار أشار بقوله:

«فمن حيث هويه الحقّ هو وجوده» أى فكلّ ما تدركه من حيث هويّه الحقّ الظاهره فيه هو عين وجوده «و من حيث اختلاف الصور فيه» أى فى كلّ ما تدركه «هو أعيان الممكنات» انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و أنت قد عرفت فساد ذلک كلّه مضافا إلى قوله عليه السّلام هنا بما حققناه سابقا من أنّ وجود الحقّ بذاته مباين لمخلوقاته فكيف يكون أحدهما مرآتا للاخر على أنّ مرآتيّه الأعيان تستلزم التحديد و الحوايه للحقّ و عرفت منافاتهما لوجوب الوجود.

و منه

أكثر فقرات الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين

الّتى تجمع من اصول علم التوحيد ما لا تجمعه خطبه حسبما يعرفه المتدبّر الخبير

فمن جمله هذه الفقرات قوله عليه السّلام: و لا حقيقته أصاب من مثله و لا ايّاه عنى

من شبهه.

فانه صريح فى التنزيه من التمثيل و التشبيه، و قد عرفت أنّ هؤلاء يقولون بالجمع بين التنزيه و التشبيه كما قال فى الفصّ النوحى:

«فان قلت بالتنزيه كنت مقيدا و ان قلت بالتشبيه كنت محددا»

«و ان قلت بالأمرين كنت مسددا و كنت إماما فى المعارف سيدا»

و عرفت فساده بما لا مزيد عليه.

و منها قوله عليه السّلام: كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم فى سواه معلول

فانه مبطل لقولهم بتجلى وجود الحق فى العالم و ظهوره فى مرايا الأعيان كما قال فى الفصّ الابراهيمى «و يعطيك الكشف انّ العالم ليس إلاّ تجلّيه فى صور اعيانهم الثابته التى يستحيل وجودها بدونه و انه يتنوّع و يتصوّر بحسب حقايق هذه الأعيان و أحوالها».

قال القيصرى: أى يعطيك الكشف أنّ الحقّ هو الذى ظهر فى صور العالم و تنوّع بحسب أنواع الأعيان و تصوّر بصور هذه الحقائق و أحوالها، فالأعيان باقيه على عدمها و المشهود هو الوجود الحقّ لا غير، انتهى.

و هو عباره اخرى عن قولهم بأنّ وجود الحقّ سار فى المخلوقات و أنه متخلّل فيها مثل تخلل اللون المتلوّن حسبما قدّمنا حكايته عنهما من الفصّ الابراهيمى و بيّنا فساده هناك.

و منها قوله عليه السّلام: غنىّ لا باستفاده

يعنى أنّ غناه بذاته لاتّصافه بالوجوب لا كساير الأغنياء مستفيدا للغنى من الغير، و إلّا لزم أن يكون ناقصا بذاته مستكملا لغيره و هو محال، و هذا دليل على بطلان قولهم بأنّ الحقّ سبحانه من حيث ذاته الأحديّه غنىّ عن العالمين، و لكن من حيث الالهيّه و الربّوبيّه و القادريّه و غيرها من الأسماء و الصّفات محتاج اليها و قد صرّحا بذلك فى مواضع من الفصوص و شرحه.

قال القيصرى فى شرح الفصّ العيسوى: قد مرّ فى أوّل الكتاب أنّ الذّات الالهيّه من حيث أحديتها موصوفه بالغنى عن العالمين و من حيث إلهيّتها و أسمائها موصوفه بالافتقار حيث قال: فالكلّ مفتقر ما لكل مستغن.

و قال محيى الدّين فى الفصّ الابراهيمى «ثمّ انّ الذّات لو تعرّت عن هذه النّسب لم تكن إلها».

قال القيصرى: و اعلم أنّ الاله اسم الذّات من حيث هى هى مع قطع النّظر عن الأسماء و الصّفات باعتبار، و اسم الذّات مع جميع الأسماء و الصّفات باعتبار آخر، و المراد هنا الاعتبار الثانى، و الالهيّه اسم مرتبه حضره الأسماء و الصّفات الّتى

هى النّسب المتكثّره باعتبارات و وجوه تحصل للذّات بالنظر إلى الأعيان الثابته المتكثّره الثابته فى أنفسها و استعداداتها، لأنّ المرتبه كما يستدعى من يقوم بها كذلك يستدعى من يجرى عليها أحكامها كالسّلطنه و القضاء، فلو لم يعتبر هذه النّسب لم يبق إلاّ الذّات الالهيّه لا يشار اليها بوجه من الوجوه و لا يوصف بنعت من النّعوت، و هو مقام الهويّه الأحديّه الّتى تستهلك النّسب كلّها فيه فيكون الحقّ تعالى إلها أى فى مرتبه حضره الأسماء و النّسب الالهيّه باعتبار أعياننا كما أنّ السّلطان بالنظر إلى الرّعيّه و القاضى قاض بالنّظر إلى أهل المدينه فتلحق هذه النّسب إليه بنا.

«و هذه النّسب أحدثتها أعياننا فنحن جعلناه بمألوهيّتنا إلها».

قال القيصرى أى هذه الصّفات إنّما ظهرت بأعيانها إذ لو لم يكن لما كان يظهر الخالق و الرّازق و القادر و لا السميع و البصير و غير ذلك من الأسماء و الصّفات الاضافيّه، و ليس المراد بالجعل الاحداث و الايجاد لأنّا مجعولون و موجودون فبجعل الحقّ و ايجاده إيّانا تظهر تلك الصّفات، و المراد بالمألوهيّه عند هذه الطايفه مرتبه العبوديّه و بالمألوه العبد لا المعبود لا كما يقول المفسّرون من أنّ الاله بمعنى المألوه و هو المعبود كالكتاب بمعنى المكتوب، و معناه نحن أظهرنا بعبوديّتنا معبوديّته و بأعياننا إلهيّته إذ لو لم يوجد موجود قطّ ما كان يظهر أنه تعالى إله كما نطق به: كنت كنزا مخفيا، الحديث فالجعل ليس على معناه الحقيقى بل على معناه المجازى و هذا ليس بلسان أهل الصّحو و فيه نوع من الشطح لما فيه من الرّعونه الغير اللايقه للمتأوبين بين يدى الرّحمن و نظيره كما يقول لسان الرّعيّه و المريد و التلميذ: إنّ السّلطان بوجودى صار سلطانا و بإرادتى و قراءتى عليه صار الشيخ شيخا و الاستاد استادا.

و قالا فى الفصّ الشعيبى و شرحه: «و أمّا الاشاره من لسان الخصوص فانّ اللّه وصف نفسه بالنفس بفتح الفاء و هو من باب التنفيس» أى وصف بلسان نبيّه فى قوله إنّى أجد نفس الرّحمان من قبل اليمن نفسه بأنّ له النّفس و هو مأخوذ من التنفّس لانّه إرسال الهواء الحارّ من الباطن و ايراد الهواء البارد لترويح المتنفّس عن

الكرب، فالمتنفس انّما يتنفّس دفعا للكرب فنسبه النفس الالهى بالنفس الانسانى و أضاف الكرب اليه لا من حيث إنّه غنىّ عن العالمين بل من حيث إنه ربّ لهم و كربه طلب الأسماء الالهيه الباقيه فى الذات الأحديه بالقوّه ظهورها و أعيانها فتنفس و اوجد أعيان تلك الأسماء فظهرت الالهيه.

«و انّ أسماء الالهيه عين المسمّى» أى من حيث الوجود واحديه الذّات و ان كانت غيرا باعتبار كثرتها «و ليس إلّا هو» أى و ليس المسمى إلّا- عين هويه الحقّ «و انها طالبه ما تعطيه الحقائق» اى و أن الأسماء طالبه وجود ما تعطى الحقائق الكونيه للحقّ من الأحكام و الصفات الكونيه «و ليست الحقائق التى يطلبها الأسماء إلّا العالم فالالوهيه تطلب المألوه» و الربوبيه تطلب المربوب لأنّ كلّ واحد من أسماء الصفات و الأفعال يقتضى محلّ ولايته ليظهر به، كالقادر للمقدور و الخالق للمخلوق و الرازق للمرزوق و هكذا غيرها، و الفرق بين الالوهيه و الربوبيه أنّ الالهيه حضره الأسماء كلّها اسم الذات و الصفات و الأفعال، و الربوبيه حضره أسماء الصفات و الأفعال، و لذا تأخرت عن المرتبه الالهيه قال تعالى: «اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ».

«و الاّ» اى و إن لم يكن الا-لوهيه و الربوبيه طالبه للمألوه و المربوب لا يكون شىء منها متحققا كما لا يتحقّق الابوّه إلّا بالابن و البنوّه إلاّ- بالأب لانهما من قبيل المتضايفين «فلا عين لها إلّا به وجودا و تقديرا فلا عين للالوهيه و الربوبيه إلّا بالعالم» سواء كان موجودا بالوجود الحقيقى أو مقدرا «و الحقّ من حيث ذاته غنىّ عن العالمين و الربوبيه ما لها هذا الحكم» إذ لا- غناء لها عن المربوب «فبقى الأمر بين ما تطلبه الربوبيّه ما لها هذا الحكم» إذ لا- غناء لها عن المربوب «فبقى الأمر بين ما تطلبه الربوبيّه و ما يستحقّه الذّات من الغنىّ عن العالم» أى بقى الشأن بين الغنىّ الذّاتى و الافتقار الأسمائى فيجب أن ينزل كل منهما على مقامه فنقول: الغنى من حيث الذات لأنّ العالم كان أو لم يكن لا يحصل التغيّر فى الذات أصلا بل هى على حالها أزلا و أبدا عند وجود العالم و عدمه، و الافتقار من حيث الربوبيه و الالوهيه.

و لمّا كانت الربّوبيّه صفه الذات الغنيه و الصّفه عين الموصوف فى الأحديّه قال:

«و ليست الربّوبيّه على الحقيقه و الاتّصاف إلّا عين هذه الذات» فللذات الغنى عن

العالمين من وجه و هو وجه الأحديّه المتعاليه عن النّسب و الاضافات و لها الافتقار إليهم من وجه و هو وجه الواحديه الطالبه للنّسب و مظاهرها، انتهى كلامهما هبط مقامهما و هو كما ترى صريح فى افتقاره تعالى فى صفاته المضافه إليه سبحانه سواء كانت صفه ذات كالعلم و الالوهيّه و القدره و الربوبيّه و غيرها أو صفه فعل كالخلق و الرّزق و الاراده و الاماته و الاحياء و نحوها ممّا هو معانى أسمائه الحسنى إلى غيره و إن كان غنيّا من حيث ذاته الأحديه العاريه عن النسب و الاضافات.

و هذا زعم فاسد و وهم باطل لما قدّمنا فى المقدّمه التى مهّدناها سابقا للدليل العقلى من أنّ الواجب تعالى تامّ فوق التّمام، و قلنا إنّ المراد بتماميّته كونه جامعا للصّفات الكماليّه كلّها و كونها جميعا حاصله له بالفعل بنفسه من دون حاجه إلى الغير، لأنّ الكمالات كلّها وجود و هو تعالى عين الوجود فكيف يكون ناقصا فى ذاته مستكملا بغيره و مفتقرا بذاته مستغنيا بمخلوقاته.

و هو معنى قول أمير المؤمنين عليه السّلام: غنىّ لا باستفاده، و قول الحكماء الالهيّين:

واجب الوجود بالذات واجب الوجود من جميع الجهات.

و الحاصل إنّا نقول: إنّه عزّ و جلّ إله و معبود عالم قادر قاهر غالب ربّ رحيم سميع بصير خالق رازق غير مفتقر فى اتّصافه بهذه الصّفات إلى مألوه و عابد و معلوم و مقدور و هكذا بل كان هذه الصّفات ثابته له فى الأزل قبل وجود المخلوقات.

و يدلّ على ذلك صريحا قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطبه الّتى رويناها عنه من الكافى فى شرح المختار المأه و الثامن و السبعين حيث قال فيها: كان ربّا إذ لا مربوب، و إلها إذ لا مألوه و عالما إذ لا معلوم و سميعا إذ لا مسموع.

و مثله بل أصرح منه قول الرّضا فى الحديث الاتى روايته تماما المروىّ عنه عليه السّلام فى البحار من التوحيد و العيون حيث قال فيه: له معنى الربوبيّه إذ لا مربوب و حقيقه الالهيّه إذ لا مألوه و معنى العالم إذ لا معلوم و معنى الخالق إذ لا مخلوق و تأويل السمع و لا مسموع ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق و لا باحداثه البرايا استفاد

معنى البرّائيه.

قال المحدّث العلامه المجلسىّ: قوله عليه السّلام: له معنى الرّبوبيّه أى القدره على التربيه إذ هى الكمال، و قوله: إذ لا مألوه، أى من له الالـه أى كان مستحقّا للمعبوديّه إذ لا عابد، و انّما قال و تأويل السمع، لأنّه ليس فيه تعالى حقيقه بل يؤوّل بعلمه بالمسموعات، و قوله: ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق، إذ الخالقيّه الّتى هى كماله هى القدره على خلق كلّ ما علم أنه أصلح، و نفس الخلق من آثار تلك الصفه الكماليه و لا يتوقف كماله عليه و البرّائيه، بالتشديد الخلّاقيه.

فقد علم بذلك أنّ قول محيى الدّين: إنّ الذات لو تعرّت عن هذه النسب لم تكن إلها، و قوله: هذه النسب هى التى أحدثتها أعياننا، باطل جدا، و ما أعظم جسارته و أقبح هجره فى قوله: و نحن جعلناه بمألوهيّتنا إلها، و الشارح القيصرى لما رأى فرط شناعته و فظاعته أراد إصلاحه بصرفه عن ظاهره و لن يصلح العطار ما أفسد الدّهر.

و بالجمله فالقول بافتقار اللّه سبحانه فى ذاته أو صفاته أو أفعاله إلى مصنوعاته و نقصانه بذاته و التماسه التمام بمخلوقاته إلحاد و جحود و إنكار لوجوب الوجود.

فان قلت: لعلّ غرض هؤلاء إنّ الحقّ سبحانه كان متّصفا بتلك الصفات فى الأزل من دون حاجه إلى غيره، و لكن ظهور اتّصافه بها كان موقوفا على وجود المخلوق و محتاجا اليه، و بعباره اخرى انه مستغن فى ذاته و صفاته عن غيره و لكن فى اظهار هذه الصّفات و تلك النّسب و الاضافات كان مفتقرا إلى ايجاد الموجودات.

قلت: نسبه الافتقار إلى اللّه تعالى شأنه بأىّ اعتبار كان غلط بيّن، نعم إن قلنا إنّه عزّ و جلّ كان متّصفا بصفات العظمه و الكمال غنيّا فى ذاته و صفاته عن غيره، ثمّ اقتضى العلم الأصلح و الحكمه البالغه ابداع الموجودات و ايجاد الممكنات فخلقهم و أبدعهم على ما شاء و أراد، و لمّا أفاض الوجود علينا و صرنا موجودين ظهر لنا بما أرانا فى الافاق و الأنفس من عجايب قدرته و بدايع صنعته وجوده و علمه و قدرته و حكمته و ارادته و سايرصفاته الكماليّه و علمنا علما يقينا جامعيّته لجميع الكمالات الّتى هى

معنى إلهيّته، كان قولا حقّا دلّنا عليه الكتاب المبين، و أدلّاء الحقّ من الأنبياء و المرسلين، و الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين، و هذا هو الاعتقاد الصواب الّذى نطق به السّنه و الكتاب فيجب أن يدان به و يرفض غيره و اللّه الهادى الى سواء السبيل الحقّ.

و منها قوله عليه السّلام: يخبر لا بلسان و لهوات، و يسمع لا بخروق و أدوات، يقول

و لا يلفظ.

و هو مبطل لقولهم بأنّ الربّ يتكلّم و ينطق بلسان العبد و يسمع بسمعه لتجلّيه فيه و فى جوارحه عموما، و قد مرّ بيان ذلك تفصيلا.

و صرّح محيى الدّين بذلك أى بأنّ كلامه كلامه خصوصا فى الفصّ العيسوى حيث قال فى تأويل قوله تعالى على رأيه الفاسد خطابا لعيسى: «أَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ »، ما نصّ عبارته:

«فقال و قدم التّنزيه سبحانك فحدّد بالكاف الّتى تقتضى المواجهه و الخطاب».

قال القيصرى: أى نزّه الحقّ أولا- عن مقام فيه و هو العبوديه المنعوتيه بالامكان و نقايصه اللازمه له، و ميّز بين مقام الالوهيّه و العبوديّه بكاف الخطاب و المواجهه كما خاطبه الحقّ بضمير الخطاب، و ذلك التّنزيه و التّميز هو التحديد كما مر فى الفصّ النّوحى.

لذلك قال فحدّد بالكاف «ما يكون لى من حيث أنا لنفسى دونك أن أقول ما ليس لى بحقّ أى ما يقتضيه هويّتى و لا ذاتى» قد مرّ مرارا أنّ لكلّ موجود جهتين: جهه الربّوبيّه و جهه العبوديه، و الثانى متحقّق بالأوّل فقوله: ما يكون لى أى لنفسى من جهه العبوديّه و الانانيّه مجرّده من جهه الربّوبيّه و الهويّه الالهيّه، أن أقول ما ليس لى بحقّ ثابت فى نفس الأمر، و قوله: أى ما يقتضيه هويّتى و لا ذاتى تفسير لقوله: ما يكون لى، و معناه ما يقتضيه عينى و هويّتى أن يظهر بدعوى الالوهيّه من حيث نفسها المتعيّنه كالفراعنه و إلّا ما كنت نبيّا و لا من المرسلين.

«ان كنت قلته فقد علمته لأنّك أنت القائل فى صورتى و من قال أمرا فقد علم

ما قال و أنت اللّسان الّذی أ تکلّم به» أی أنت القائل فی صورتی و أنت اللّسان الّذی أتکلّم به بحکم انّک متجلّی فی هویّتی و عینی، و محلّ لها بتلک الکمالات «الکلمات ظ»، فهی لک فی الحقیقه و مالی إلّا العدم، فان قلت ذلک تکون أنت القائل و القائل لا بدّ أن یعلم القول الّذی صدر منه.

فان قلت: قوله: لأنّک أنت القائل، یدلّ علی أنّ الحقّ هو المتکلّم، و قوله:

و أنت اللّسان الّذی أتکلّم به، یدلّ علی أنّ العبد هو المتکلّم لا الحقّ فبینهما منافاه.

قلت: الأوّل إشاره الی نتیجه قرب الفرائض، و الثانی إلی نتیجه قرب النوافل و فی الأوّل المتکلّم هو الحقّ بلسان العبد، و فی الثانی المتکلّم هو العبد بلسان الحقّ، فتغایرت الجهتان.

و لمّا فسّره بما هو مناسب الحدیث الرّبّانی قال «کما أخبرنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن ربّه فی الخبر الالهی فقال: کنت لسانه الّذی یتکلّم به فجعل هویّته عین لسان المتکلّم و نسب الکلام الی عبده» أی قال اللّه فی حقّ عبده، فاذا أحببته کنت سمعه و بصره و لسانه فبی ینطق و بی یبصر و بی یسمع فالمتکلم و السّمیع و البصیر هو العبد لکن بالحقّ و ذلک لأنّ هذا المقام أی مقام الفناء فی الصّفات مقام نتیجه النوافل لا مقام الفناء فی الذّات مقام نتیجه الفرائض.

«ثمّ تمم العبد الصالح الجواب بقوله: تعلم ما فی نفسی» أی تعلم ما فی نفسی من هویتک و کمالاتک المتسّتره فی هویتی و ما یخطر فی خاطری «و المتکلم الحقّ» أی و الحال أنّ المتکلم بهذا الکلم هو الحق من مقام تفصیله بلسان عیسی، و التاء للخطاب إلی مقام جمعه فهو السامع کما أنه هو المتکلم «و لا أعلم ما فیها فنفی العلم عن هویه عیسی من هویته لا من حیث هو قائل و ذو أثر» أی نفی الحقّ المتکلم بلسان عیسی العلم عن هویه عیسی حتی لا یکون العلم بها، و ذلک النفی من حیث هویته العدمیه لا من حیث قائل أو قادر فانه من هذه الحیثیه حق لا غیر، و إنما قال و لا أعلم ما فیها و لم

يقل ما فى نفسك كما فى القرآن تنبيها على أنّ نفسه عين نفس الحقّ فى الحقيقه و إن كان غيره بالتعيّن، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

أقول: فيا للّه و لهذين الجاهلين الضليلين كيف يحرفون كلام اللّه و كلام رسوله عن مواضعه ثمّ يقولون هذا من عند اللّه و ما هو من عند اللّه، و يؤوّلون آيات الكتاب المجيد الوارده فى التوحيد و التمجيد و التنزيه من التشبيه و التحديد إلى كلمه الكفر و الشّرك و الضّلال زعما منهم أنّ هذا عين الاخلاص و التّوحيد الذى غاب عن غيرهم، و اختصّوا بعرفانه بالكشف و الشهود مع أنّه عين الشّرك و الالحاد و الجحود، و ويل لمن كفّره نمرود.

قال قطب الدّين بن محيى الدّين الكوشكتارى و هو من أجلّ مشايخ الصّوفيه أيّما رجل من أهل الكشف وجدنا اسلوبه فى عبارته عن مكاشفاته يغاير اسلوب صاحب الوحى علمنا أنّه مدخول و كشفه معلول، و أنّ الحرص و العجله دعتاه إلى تركيب ما قذف فى قلبه من النّور البسيط و التصرّف فيه و التخليط، ثمّ إنّ هذا الاسلوب الذى انتشر فى الأرض من صاحبى الفصوص و النّصوص اسلوب هو عن المناسبه و المشابهه باسلوب صاحب الوحى بمعزل بالكلّيه، فيحصل لنا بمقتضى ذلك القانون العلم بأنّهما معلولان و فى كشفهما مدخولان، فيكون سبيلنا مع كلامهما و كتبهما الهجران، انتهى.

و لنعم ما قال الفاضل الفيض ملّا محسن القاسانى فى أواخر كتابه المسمّى بشارات الشّيعه ما عبارته:

هذا شيخهم الاكبر محيى الدّين ابن العربى و هو من أئمّه صوفيتهم و من رؤساء أهل معرفتهم يقول فى فتوحاته: إنّى لم أسأل اللّه أن يعرّفنى امام زمانى، و لو كنت سألته لعرّفنى، فاعتبروا يا اولى الأبصار.

فانه لما استغنى عن هذه المعرفه مع سماعه حديث من لا يعرف امام زمانه مات ميته جاهليه المشهور بين العلماء كافه كيف خذله اللّه و تركه و نفسه، فاستهوته الشّياطين فى أرض العلوم حيران، فصار مع وفور علمه و دقّه نظره و سيره فى أرض

الحقائق و فهمه للأسرار و الدّقايق لم يستقم فی علم من علوم الشرائع، و لم يعرض علی حدودها بضرس قاطع، و فی كلامه من مخالفات الشرع الفاضحه و مناقضات العقل الواضحه ما يضحك منه الصّبيان و تستهزئ به النسوان كما لا يخفی علی من تتبع تصانيفه و لا سيّما الفتوحات خصوصا ما ذكره فی أبواب أسرار العبادات.

ثمّ مع دعاويه الطويله العريضه فی معرفه اللّه و مشاهدته المعبود و ملازمته فی عين الشهود و تطوافه بالعرش المجيد و فنائه فی التوحيد تراه ذا شطح و طامات، و صلف و رعونات فی تخليط و تناقضات تجمع الأضداد، و فی حيره محيّره تقطع الأكباد، يأتی تاره بكلام ذی ثبات و ثبوت، و اخری بما هو أوهن من بيت العنكبوت و فی كتبه و تصانيفه من سوء أدبه مع اللّه فی الأقوال ما لا يرضی به مسلم بحال، فی جمله كلمات مزخرفه مخبّطه تشوّش القلوب و تدهش العقول و تحيّر الأذهان، و كأنه كان يری فی نفسه من الصور المجرّده ما يظهر للمتخلّی فی العزله فيظنّ أنّ لها حقيقه و هی له، فكان يتلقّيها بالقبول و يزعم أنها حقيقه الوصول، و لعله ربما يختلّ عقله لشدّه الرياضه و الجوع، فيكتب ما يأتی بقلمه مما يخطر بباله من غير رجوع، انتهی.

و لعمری أنه كلام فی شرح حال ابن العربی ليس فوقه كلام، و هذا أيضا حال من حذا حذوه من تلامذته و متابعيه، و مع هذا كله فالعجب كلّ العجب من ادّعائهم أنهم العارفون باللّه و أنّ غيرهم لمحجوبون مع أنهم الجاهلون الضالون المكذّبون للأنبياء و المرسلين، فويل لهم ثمّ ويل لهم مما كتبت أيديهم و ويل لهم مما يكسبون.

و لو أردت البسط من مزخرفاتهم لخرجنا عن وضع الكتاب، و فيما أوردناه من أحاديث الأئمه الأطهار و الأطياب و نقلنا من خطب أمير المؤمنين عليه السّلام الوارده فی هذا الباب كفايه فی تسفيه أحلامهم، و ابطال مقالهم لاولی الألباب.

و أكثر الخطب تضمنا لهذا الغرض الخطبه المأه و الخامسه و الثمانون التی نقلنا منها هنا أخيرا عدّه فقرات، و من أراد زياده البصيره فليراجع أصل الخطبه.

و تتلوها خطبه اخرى لأبى الحسن الرضا عليه السّلام و أكثر فقراتها و مضامينها مطابقه لخطبه جدّه سلام اللّه عليه و آله، و لمّا كانت خطبته عليه السّلام متضمنه لزيادات نفيسه و نكات بديعه خلت عنها خطبه أمير المؤمنين عليه السّلام أحببت روايتها.

و النّاقد المتوقّد الخبير المحيط خبرا بما قدّمناه من الأدلّه النّقليه فى ابطال مقال هؤلاء الجهّال من أهل الضّلال إن لاحظ هذه الخطبه بنظر الدّقّه و الاعتبار، و وصل إلى فحويها و عمق فى معناها عرف أنّها فى الحقيقه فذلكه تلك الأدلّه، و أنّها قالعه لأساس بنيان مذهب الصّوفيّه أصابهم حاصب و لا بقى منهم آبر حتّى لا يذكر من هذا المذهب ذاكر، و لا يسمر فيه سامر، فأقول و باللّه التّوفيق:

روى المحدّث العلامه المجلسى فى البحار من التّوحيد و العيون قال:

حدّثنا محمّد بن الحسن بن الوليد رضى اللّه عنه، قال: حدّثنا محمّد بن عمرو الكاتب عن محمّد بن أبى زياد القلزمى عن محمّد بن أبى زياد الجدّى صاحب الصّلاه بجدّه، قال: حدّثنى محمّد بن يحيى بن عمر بن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام قال: سمعت أبا الحسن الرّضا عليه السّلام يتكلّم بهذا الكلام عند المأمون فى التّوحيد.

قال ابن أبى زياد: و رواه لى أيضا أحمد بن عبد اللّه العلوىّ مولى لهم و خالا لبعضهم، عن القاسم بن أيّوب العلوىّ أنّ المأمون لمّا أراد أن يستعمل الرّضا عليه السّلام جمع بنى هاشم فقال: إنّى اريد أن أستعمل الرّضا على هذا الأمر من بعدى فحسده بنو هاشم و قالوا تولّى رجلا جاهلا ليس له بصر بتدبير الخلافه فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدلّ به عليه، فبعث إليه فأتاه فقال له بنو هاشم: يا أبا الحسن اصعد المنبر و انصب لنا نعبد اللّه عليه.

فصعد عليه السّلام المنبر فقعد مليّا لا يتكلّم مطرقا ثمّ انتقض انتفاضه و استوى قائما و حمد اللّه و أثنى عليه و صلّى على نبيّه و أهل بيته ثمّ قال:

أوّل عباده اللّه معرفته، و أصل معرفه اللّه توحيده، و نظام توحيد اللّه نفى الصّفات عنه، لشهاده العقول أنّ كلّ صفه و موصوف مخلوق، و شهاده كلّ موصوف

أنّ له خالقا ليس بصفه و لا موصوف، و شهاده كلّ صفه و موصوف بالاقتران، و شهاده الاقتران بالحدث، و شهاده الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث فليس اللّه من عرّف بالتشبيه ذاته، و لا إيّاه و حدّ من اكتنهه، و لا حقيقته أصاب من مثّله، و لا به صدّق من نهّاه، و لا صمد صمده من أشار إليه، و لا إيّاه عنى من شبّهه، و لا له تذلّل من بعّضه، و لا ايّاه أراد من توهّمه، كلّ معروف بنفسه مصنوع، و كلّ قائم فى سواه معلول، بصنع اللّه يستدلّ عليه، و بالعقول تعتقد معرفته و بالفطره تثبت حجّته، خلقه اللّه الخلق حجاب بينه و بينهم، و مباينته إيّاهم مفارقته أينيتهم «انيّتهم» و ابتداؤه إيّاهم دليلهم على أن لا ابتداء له، لعجز كلّ مبتدأ عن ابتداء غيره، و أروه إيّاهم دليلهم على أن لا أداه فيه، لشهاده الأدوات بفاقه المادّين، فأسماؤه تعبير، و أفعاله تفهيم، و ذاته حقيقه، و كنهه تفريق بينه و بين خلقه، و غيوره تحديد لما سواه، فقد جهل اللّه من استوصفه، و قد تعدّاه من اشتمله، و قد اخطأه من اكتنهه، و من قال كيف فقد شبّهه، و من قال لم فقد علّله، و من قال متى فقد وقّته، و من قال فيم فقد ضمنه، و من قال إلى م فقد نهّاه، و من قال حتّى م فقد غيّاه، و من غيّاه فقد غاياه، و من غاياه فقد جزّاه، و من جزّاه فقد وصفه، و من وصفه فقد الحد فيه، لا يتغيّر اللّه بانغيار المخلوق كما لا يتحدّ بتحديد المحدود أحد لا بتأويل عدد، و ظاهر لا بتأويل المباشره، متجلّى لا باستهلال رؤيه، باطن لا بمزايله، مباين لا بمسافه، قريب لا بمداناه، لطيف لا بتجسّم، موجود لا بعد عدم فاعل لا باضطرار، مقدّر لا بجول فكره، مدبّر لا بحركه، مريد لا بهمامه، شاء لا بهمه، مدرك لا بمجسّه، سميع لا باله، بصير لا بأداه، لا تصحبه الأوقات، و لا تضمنه الأماكن، و لا تأخذه السنات، و لا تحدّه الصفات، و لا تفيده الأدوات، سبق الأوقات كونه، و العدم وجوده، و الابتداء أزله، بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له، و بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له، و بمضادّته بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له، و بمقارنته بين الامور عرف أن لا قرين له، ضادّ النور بالظلمه، و الجلايه بالبهم، و الجسوء بالبلل، و الصرد بالحرور، مؤلّف بين متعادياتها، مفرّق بين متدانياتها، دالّه بتفريقها

على مفرّقها، و بتأليفها على مؤلّفها ذلك قوله عزّ و جلّ «وَ مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكَمْ تَذَكَّرُونَ » ففرّق بها بين قبل و بعد ليعلم أن لا قبل له و لا بعد، شاهده بغرايزها أن لا غريزه لمغرزها، داله بتفاوتها أن لا تفاوت لمفاوتها، مخبره بتوقيتها أن لا وقت لموقّتها، حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه و بينها غيرها، له معنى الرّبوبيه إذ لا مربوب، و حقيقه الالهيه إذ لا مألوه، و معنى العالم و لا- معلوم، و معنى الخالق و لا مخلوق و تأويل السمع و لا مسموع، و ليس مذ خلق استحقّ معنى الخالق، و لا باحداثه البرايا استفاد معنى البرّائيّه، كيف و لا تغيّبه مذ، و لا تدنيه قد، و لا يحجبه لعلّ، و لا يوقّته متى، و لا يشتمله حين، و لا تقارنه مع، إنّما تحدّ الأدوات أنفسها، و تشير الاله إلى نظايرها و فى الأشياء يوجد فعالها، منعتها مذ القدمه، و حمتها قد الازليه، و جنبتها لو لا- التّكمله، افترقت فدلّت على مفرّقها، و تباينت فاعربت عن مباينها، بها تجلّى صانعها للعقول، و بها احتجب عن الرّؤيه، و إليها تتحاكم الأوهام، و فيها اثبت غيره، و منها انيط الدّليل، و بها عرّفها الاقرار، بالعقول يعتقد التّصديق باللّه، و بالاقرار يكمل الايمان به، لا ديانه إلّا بعد معرفه، و لا معرفه إلّا باخلاص. و لا إخلاص مع التّشبيه، و لا نفى مع إثبات الصّفات للتّشبيه «بالتشبيه خ ل» فكلّما فى الخلق لا يوجد فى خالقه، و كلّما يمكن فيه يمتنع فى صانعه، لا تجرى عليه الحركه و السكون، و كيف يجرى عليه ما هو أجراه، و يعود فيه ما هو ابتداه، إذا لتفاوتت ذاته، و لتجزّء كهنه، و لامتنع من الأزل معناه، و لما كان للبارى معنى غير المبرء، و لو حدّ له وراء إذا حدّ له أمام، و لو التمس له التّمام إذا لزمه النقصان، كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث، و كيف ينشىء الأشياء من لا يمتنع من الانشاء، إذا لقامت فيه آيه المصنوع، و لتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه، ليس فى محال القول حجّه، و لا فى المسأله عنه جواب، و لا فى معناه له تعظيم، و لا فى إبانته من الخلق ضيم إلّا بامتناع الأزلىّ ان يثنى، و ما لا بدء له أن يبدء، لا إله إلّا اللّه العلىّ العظيم، كذب العادلون باللّه و ضلّوا ضلالا بعيدا، و خسروا خسرانا مبينا، و صلّى اللّه على محمّد و آله الطاهرين.

و رواه فی البحار أیضا من الاحتجاج مرسلا من قوله علیه السّلام: و کان المأمون لمّا أراد أن یستعمل الرّضا علیه السّلام إلی آخر الخبر.

و من أمالی الشّیخ عن المفید عن الحسن بن حمزه العلوی عن محمّد الحمیری عن أبیه عن ابن عیسی عن مروک بن عبید عن محمّد بن زید الطوسی الطبری قال: سمعت الرّضا علیه السّلام یتکلّم فی توحید اللّه فقال: أوّل عباده اللّه معرفته إلی آخر الخطبه.

و من المجالس عن الحسن بن حمزه مثله بتغییر ما.

بیان

قال المحدّث العلامه المجلسیّ قد «ملیّا» أی طویلا و «الانتفاض» شبه الارتعاد و الاقشعرار.

قوله «أوّل عباده اللّه معرفته» نظیر قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطبه الاولی: أوّل الدّین معرفته، أی أشرف عبادته و أقدمها زمانا و رتبه، لأنّ طاعه المعبود بعد معرفه نفس المعبود، و قال بعض المحقّقین: المراد بالعباده هنا العبودیه أن کون العبد عبدا، فانّه موقوف علی معرفه المولی، و أصل المعرفه التوحید إذ مع اثبات الشریک أو القول بترکّب الذّات، أو زیاده الصّفات یلزم القول بالامکان المنافی للوجوب، فالمشرک القائل بالتّعدد لم یعرف الواجب.

قوله «و نظام توحید اللّه نفی الصّفات عنه» قد عرفت معناه فی شرح الخطبه الاولی و نقول هنا إنّه علیه السّلام استدلّ علی نفی الصّفات الزائده بقوله «لشهاده العقول» إلی قوله «من الحدث».

قال فی البحار: و یمکن تقریره بوجوه:

الأوّل أن یکون إشاره إلی دلیلین:

الأوّل أن کلّ صفه و موصوف لا بدّ أن یکونا مخلوقین لأنّ الصفه محتاجه إلی الموصوف لقیامها به و هو ظاهر، و الموصوف محتاج إلی الصفه فی کماله و الصفه غیره و کلّ محتاج إلی الغیر ممکن، فلا یکون شیء منهما واجبا و لا المرکب منهما، فثبت احتیاجهما إلی علّه ثالثه لیس بموصوف و لا صفه و إلّا

لعاد المحذور.

الثانی أنّ الصانع لا بدّ أن یکون کاملا أزلا و أبدا، لشهاده جمیع العقول به، فلا بدّ أن تکون الصّفات الزائده مقارنه له غیر منفکه عنه، و لا یجوز قدم الجمیع لبطلان تعدّد القدماء، فیلزم حدوث الذّات و الصّفات معا، فلا یکون شیء منهما واجبا، فالمراد بقوله: شهاده کلّ صفه و موصوف شهاده کلّ موصوف فرض صانعا و صفته أو الصّفات اللازمه للذّوات.

الوجه الثانی أن یکون إشاره إلی دلیلین علی وجه آخر:

الأوّل أنّه لو کانت له صفات زایده لکانت ممکنه لامتناع تعدّد الواجب، و لا یجوز أن یکون الواجب موجدا لها إمّا لامتناع کون الشیء قابلا و فاعلا لشیء واحد، أو لأنّ تأثیر الواجب فیها یتوقّف علی اتّصافه بتلک الصّفات إذ لو لم یتوقف التّأثیر فی تلک الصّفات الّتی هی منشأ صدور جمیع الممکنات علیها لم یتوقّف التّأثیر فی شی علیها، فلا یثبت له تعالی شیء من الصّفات، فیکون معلوله لغیره تعالی، و من کانت جمیع صفاته الکمالیّه من غیره لا یکون واجبا صانعا لجمیع الموجودات بالضّروره الثانی أنّ التّوصیف اقتران خاصّ یوجب الاحتیاج من الجانبین کما مرّ، و الاحتیاج موجب للحدوث المنافی للأزلیّه.

الوجه الثالث أن یکون راجعا إلی دلیل واحد.

و تقریره أنّه لو کانت الصّفات زایده لکانت الذّات و الصّفات مخلوقه، و هذا خلف، و بین الملازمه بقوله: و شهاده کلّ صفه و موصوف بالاقتران بنحو ما مرّ من الاحتیاج المستلزم للامکان.

و قد یقرّر بوجه آخر و هو أنّ العقل مستقل بأنّ الموصوف و الصفه مخلوقان، لأنّ الذّات لو کانت عین الوجود و لم تکن محدوده بحدّ معیّن لم تکن فاقده لجهه من جهات الکمال الطاریه علیها، و لم یتمیّز الموصوف عن الصّفه حینئذ، و کلّ محدود محتاج إلی محدّد غیره، و ذلک الغیر لا بدّ أن یکون أحدیّ

الذّات منزّها عن الحدّ.

قوله عليه السّلام «فليس اللّه من عرّف بالتّشبيه ذاته» أى ليس من عرّف ذاته بالتّشبيه بالممكنات واجبا، لأنّه يكون ممكنا مثلها.

قوله «و لا- إيّاه عنى من اكتنهه» أى من بين كنه ذاته أو أراد الوصول إلى كنهه، إذ لو كان يعرف كنهه لكان شريكا مع الممكنات فى التّركيب و الصفات الامكانيّه و هو ينافى التّوحيد، و بعباره اخرى معرفه الكنه إنّما تحصل بالاحاطه بالحدود من الأجناس و الفصول، و قد عرفت أنّه سبحانه منزّه عن الحدّ، فغايه معرفته تعالى أنّا لا نعرفه بل نقول: إنّ الاحاطه بأنواع الممكنات على كثرتها و الاطلاع على شئوناتها الغير المتناهيه غير ممكنه، مع أنّها محدوده فكيف بالذات المنزّهه عن الحدّ.

قوله «و لا- حقيقته أصاب من مثّله» أى جعل له شخصا و مثالا- قال الفيروز آبادى: مثّله تمثيلا صوّره له حتّى كأنّه ينظر إليه، أو المراد من مثّله فى ذهنه و جعل الصّوره الذهنيّه مثالا له، أو المراد أثبت له مثلا و شبّهه بغيره، و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثّمانين تحقيق تنزّهه من الشّبه و المثل.

قوله «من نهّاه» بالتّشديد أى جعل له حدّا و نهايه، و من جعله كذلك لم يصدّق بوجوده بل بممكن غيره.

قوله «و لا صمد صمده» أى قصد نحوه «من أشار إليه» و قد مرّ تحقيق ذلك أيضا فى شرح الخطبه المذكوره.

قوله «و لا له تذلل من بعّضه» أى من أثبت أجزاء و أبعاضا فهو فى عبادته و عبوديّته لم يتذلّل للحقّ المنزّه عن ذلك، بل عرفه و هو غيره.

و قوله «و لا إيّاه أراد من توهّمه» أى من تخيّل له فى نفسه صوره أو هيئه و شكلا، فانّ ما ميّزه بوهمه مخلوق له مصنوع مثله.

و قوله «كلّ معروف بنفسه مصنوع و كلّ قائم فى سواه معلول» قد تقدّم تحقيقه فى شرح الخطبه المذكوره، و لما ذكر عدم إمكان معرفته بنفسه اتبعه

بقوله «بصنع اللّه يستدلّ عليه» إشاره إلى أنّ طريق معرفته هو الاستدلال عليه باثاره و صنايعه فقط.

و قوله «بالفطره تثبت حجّته» أى بأن فطرهم و خلقهم خلقه قابله للتصديق و الاذعان و المعرفه و الاستدلال، أو بتعريفهم فى الميثاق و فطرهم على ذلك التّعريف.

و قوله «خلقه اللّه الخلق حجاب بينه و بينهم» أى كونه خالقا و أنّ الخالق لا يكون بصفه المخلوق و يكون مباينا له فى الصّفات صار سببا لاحتجا به عن الخلق فلا يدركونه بحواسّهم و عقولهم و الحاصل أنّ كماله و نقص مخلوقيه حجاب بينه و بينهم، و بتقرير آخر لما خلق اللّه الخلق محدودا و كان سبحانه منزّها عن الحدّ حسبما عرفت سابقا أوجب تحدّدهم و تنزّهه الاحتجاب.

و الحاصل أنّ المخلوقيّه علّه تامّه للاحتجاب، لأنّ الاشتمال على الحدّ من لوازم ذات المخلوق فيستحيل إلقاؤه للحدّ و وصوله إلى مرتبه الواجب أو اشتمال الواجب على الحدّ و تنزّله على مرتبه الممكن، فيبطل ما قاله الصوفيّه من ترقّى المخلوق إلى مرتبه الخالق، و تنزّل الخالق إلى مرتبه المخلوق فى قوس الصعود و النزول و احتجاب كلّ منهما بالاخر حسبما قدّمنا حكايته عن كلام محيى الدين فى الفصّ الابراهيمى و غيره.

و قوله «و مباينته إيّاهم مفارقته إينيّتهم» أى مباينته تعالى ليس بحسب المكان حتّى يكون فى مكان و غيره فى مكان آخر بل إنّما هى بأن فارق أينيّتهم فليس له أين و مكان و هم محبوسون فى مطموره المكان، أو المعنى أنّ مباينته لمخلوقيه فى الصّفات صار سببا لأن ليس له مكان.

و رواه بعض مشايخنا المعاصرين: مفارقته إنيّتهم أى تحقّقهم و وجودهم يعنى أنّ مفارقه الخالق للمخلوقات ليس كافتراق المخلوقات بعضها عن بعض، لأنّ مفارقتها إنّما هو بالحدود المميّزه و إنما هو بمعنى أجلّ و أعلى و هو مفارقه وجوده

من حيث تنزّهه عن الحدّ لوجودها من حيث اشتمالها على الحدود، و هذا أيضا مبطل لقولهم: بأنّ الخلق عين الحقّ و الحقّ عين الخلق كما عرفت سابقا.

قوله «و أدوه إيّاهم دليل على أن لا أداه فيه» أى جعلهم ذوى أدوات يحتاجون إليها فى الأعمال من الأعضاء و الجوارح و القوى دليل على أنّه ليس فيه شىء منها، لشهاده الأدوات فيما يشاهد فى المادّين بفاقتهم و احتياجهم إليها، و هو منزّه عن الاحتياج، أو المعنى أنّ الأدوات الّتى هى أجزاء للمادّين تشهد بفاقتهم إلى موجد لكون كلّ ذى جزء محتاجا ممكنا فكيف تكون فيه تعالى.

قوله «فأسماؤه تعبير» أى ليست عين ذاته و صفاته حسبما يزعمه الصوفيه على ما عرفت بل هى معبّرات عنها «و أفعاله تفهيم» ليعرفوه و يستدلوا بها على وجوده و علمه و قدرته و حكمته و رحمته.

قوله «و ذاته حقيقه» أى حقيقه مكنونه عاليه لا تصل إليها العقول، بأن يكون التنوين للتفخيم أو جديره بأن تتّصف بالكمالات دون غيرها أو ثابته واجبه لا يعتريها التغيّر و الزّوال.

قوله «و كنهه تفريق بينه و بين خلقه» لعلّ الغرض بيان أنه لا يشترك فى ذاتى مع الممكنات بأبلغ وجه، أى كنهه يفرق بينه و بينهم لعدم اشتراكه معهم فى شىء، هكذا قال فى البحار، و الأظهر أنّ المراد به هو المراد بقوله المتقدّم: مباينته إياهم مفارقته إنّيّتهم أى انه سبحانه بذاته مفارق لهم لأن كنهه هو التنزّه من الحدّ و كنه المخلوق الاكتناف بالحدود.

و يؤيّد ذلك قوله «و غيوره تحديد لما سواه» أى مغايرته له أوجب التحديد، يعنى أنّ مغايرته لما سواه ليس كمغايره ما سواه من المخلوقات بعضها ببعض، فانّ مغايرتها بالحدود الذّاتيّه و مغايره الحقّ لها إنّما هو بالتّنزّه من الحدّ لا غير.

و قوله «من استوصفه» أى طلب وصف كنهه أو سأل عن الأوصاف و الكيفيّات الجسمانيّه فقد جهل عظمته.

و قوله «و قد تعدّاه من اشتمله» أى تجاوز عنه و لم يعرفه من توهّمه شاملا

لنفسه، فيكون ردّا على القول بالحلول و الاتّحاد كما هو مذهب الصّوفيّه، و فى بعض النسخ أشمله أى جعله شاملا أو مشمولا و على التقديرين ففيه أيضا دلاله على بطلان مذهبهم.

قوله «و قد أخطأه من اكتنهه» أى من توهّم أنّه عرف كنهه فقد أخطأ خطاء عظيما.

قوله «و من قال كيف فقد شبّهه» أى من سأل عن الكيفيّات الجسمانيّه فقد شبّهه بخلقه فى التكيّف بالكيفيّه «و من قال لم فقد علّله» أى لم صار قادرا و عالما أو لم صار موجودا فقد علّل ذاته و صفاته، و ليس لذاته و صفاته علّه و إنّما هو تعالى علّه العلل «و من قال متى فقد وقّته» لأنّ متى سؤال عن نسبه الشىء إلى الزّمان فمن قال متى كان فقد وقّت أوّل وجوده و ليس له أوّل «و من قال فيم فقد ضمّنه» أى من سأل أنّه فى أىّ شىء فقد جعله فى ضمن ذلك الشىء و جعل ذلك الشىء متضمّنا له و هو من خواص الأجسام و اللّه سبحانه منزّه عن ذلك «و من قال إلى م فقد نهّاه» أى إلى أىّ شىء ينتهى شخصه فقد جعله ذا نهايه و انقطاع «و من قال حتّى م» يكون وجوده «فقد غيّاه» أى جعل لبقائه غايه و نهايه «و من غيّاه فقد غاياه» أى من جعل له غايه فقد حكم باشتراكه مع المخلوقين فى الفناء فيصحّ أن يقال غايته قبل غايه فلان أو بعده «و من غاياه فقد جزّاه» أى من حكم باشتراكه مع المخلوقين و لو فى الجمله فقد جزّاه، لأنّ ما به الاشتراك غير ما به الامتياز، فلا بدّ أن يكون ذا أجزاء بعضها جهه امتياز و بعضها جهه اشتراك.

و يحتمل أن يكون المراد أنّ السائل عنه تعالى بحتّام توهّم فى حقّه الغايه و النهايه و المتوهّم فى حقّه الغايه جعله ذا نهايه ينتهى إليها و الجاعل له النهايه جعله مركبا من الأجزاء، إذ النهايه من لوازم الكم المتصل و المنفصل و المتكمم المشتمل على الأجزاء، و بعباره اخرى الغايه و النهايه من عوارض الأجسام و ذات الأوضاع و المقادير و الأجزاء.

«و من جزّاه» أى أثبت له الجزء «فقد وصفه» بصفه الامكان و أثبت له صفات

الممكنات المتجزّأه و من حكم بذلك فقد ألحد فى ذاته.

و قوله «لا يتغيّر اللّه بانغيار المخلوق كما لا ينحدّ بتحديد المحدود» أى ليس التغيّرات التى تكون فى مخلوقاته موجبه للتغيّر فى ذاته و صفاته الحقيقيه، بل انما التغيّر فى الاضافات الاعتباريه كما أنّ خلقه للمحدودين حدودا لا يوجب كونه متحدّدا بحدود مثلهم.

و يحتمل أن يكون المراد أنه لا يتغيّر كتغيّر المخلوقين و لا ينحدّ كتحدّد المصنوعين المحدودين، أى لا يتغيّر بمثل تغيّرهم و لا ينحدّ بمثل تحدّدهم، و المعنى الأوّل أظهر و يؤيده ما فى روايه المجالس: لا يتغيّر اللّه بتغيّر المخلوق و لا يتحدّد بتحدّد المحدود.

و قال بعض مشايخنا المحقّقين دام تأييده من اللّه: إنّ المراد به أنّ مغايره المخلوق للخالق و قبوله للغيريه و انفعاله بذلك لا يوجب التغيّر فيه أصلا إذ لم يحدث فيه جهه موجبه لمغايرته لمخلوقه، بل كان كما كان و إنما حصلت الغيريه فى المخلوق و تميز عن الخالق من أجل اتّصافه بالحدود و تحدّد كلّ نوع منه بحدّ مخصوص، و الواجب لم يخصّص بحدّ يوجب المغايره و التميّز به عن المخلوق و قوله كما لا ينحدّ آه بمنزله الدّليل على ذلك، لأنّ التغيّر بانغيار المخلوق إنما ينتزع من الاختصاص بحدّ مخصوص فى قبال الحدّ الّذى فى المخلوق، كما أنّ تغاير المخلوقات بعضها ببعض على ذلك الوجه أى من جهه أنّ لكلّ منها حدّا مخصوصا ليس فى الاخر، و اللّه سبحانه لمّا كان منزّها عن الحدّ لا يوجب انغيار المخلوق الحاصل له من الاكتناف بالحدود تغيّره البتّه.

و محصّله ما قاله أمير المؤمنين فى الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين: و خرج بسلطان الامتناع من يؤثّر فيه ما يؤثّر فى غيره.

و قوله «أحد لا بتأويل عدد» يعنى أنّه أحديّ الّذات بسيط الحقيقه لا جزء له ذهنا و عقلا و خارجا، أو أنه واحد ليس كمثله شىء و ليست وحدته وحده عدديّه لأنّ ما لا ثانى له لا يدخل فى باب الأعداد.

و قوله «ظاهر لا بتأويل المباشره» أى ليس ظهوره بأن يباشره حاسّه من الحواسّ

أو ليس ظهوره بأن يكون فوق جسم يباشره كما يقال: ظهر على السّطح، بل هو ظاهر باثاره غالب على كلّ شيء بقدرته.

و قوله «متجلّى لا باستهلال رؤيه» أى ظاهر ليس ظهوره من جهه الرؤيه.

و قوله «باطن لا بمزايله» أى ليس بطونه بمفارقه مكان بأن انتقل من مكان إلى مكان فخفى عنهم، أو بأن دخل فى بواطنهم حتّى عرفها بل لخفاء كنهه عن عقولهم و علمه ببواطنهم و أسرارهم.

و قوله «مباين لا- بمسافه» أى ليس مباينته لبعده بحسب المسافه عنهم بل لغايه كماله و تمامه و نقصانهم و افتقارهم باينهم فى الذّات و الصّفات.

و قوله «قريب لا بمداناه» أى ليس قربه قربا مكانيا بالدّنوّ من الأشياء، بل بالعلم و الغلبه و التربيه و الرّحمه.

و قوله «لطيف لا- بتجسم» أى ليس لطفه بكونه جسما له قوام رقيق أو حجم لطيف أو تركيب غريب و صنع عجيب، بل لخلقه الأشياء اللطيفه و علمه بها أو لتجرّد ذاته.

و قوله «فاعل لا باضطرار» أى هو فاعل مختار ليس بموجب.

قوله «مقدّر لا بجول فكره» أى ليس فى تقديره للأشياء محتاجا إلى جولان الفكر.

قوله «مدبّر لا بحركه» أى ليس فى تدبيره محتاجا إلى حركه ذهنيه أو بدنيّه قوله «مريد لا بهمامه» أى بعزم و اهتمام.

قوله «شاء لا بهمه» أى ذو مشيه لا بهمه و قصد و عزم.

قوله «مدرك لا بمجسه» أى ليس إدراكه بحسّ اليد و لمسها أو بالتجسّس و التفحّص.

قوله «لا تصحبه الأوقات» لكونه منزّها من الزّمان.

و قوله «لا تضمنه» بحذف إحدى التائين.

قوله «و لا تأخذه السّنات» كما قال تعالى «لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لا نَوْمٌ »، لأنّهما من خواص الطبيعيه الحيوانيّه.

قوله «و لا- تحدّه الصّفات» أى لا تحدّه صفات الواصفين كما قال أمير المؤمنين عليه السّلام الحمد للّه الّذى لا يبلغ مدحته القائلون.

قوله «و لا تفيده الأدوات» أى لا ينتفع بها و لا يحتاج فى صنعه إلى الاستفاده منها كما هو شأن المخلوق.

و قوله «سبق الأوقات كونه» إلى قوله «لا مشعر له» قد مضى تحقيق ذلك كلّه فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين فليراجع ثمه.

و قوله «بتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له» أى بتحقيق حقايقها و ايجاد مهيّاتها عرف أنّها ممكنه و كلّ ممكن محتاج إلى مبدء فمبدأ المبادى لا يكون حقيقه من هذه الحقائق.

و قوله «و بمضادّته بين الأشياء» إلى قوله «لا قرين له» قد تقدّم تحقيقه أيضا فى شرح الخطبه المذكوره و لا حاجه إلى الاعاده و كذا تقدّم هناك معنى قوله «ضادّ النّور بالظلّمه و الجلايه بالبهم» إلّا أنّ هناك و الوضوح بالبهمه، بدله.

و قوله «و الجسوء بالبلل» قال الفيروزآبادى: جسأ جسوء صلب و جسئت الأرض فهى مجسوءه من الجساء و هو الجلد الخشن و الماء الجامد و فى الخطبه المذكوه:

و الجمود بالبلل، بدله.

و قوله «و الصّرد بالحرور» الصّرد بفتح الرّاء و سكونها البرد فارسىّ معرّب و الحرور بضمّ الحاء الحراره و بفتحها الرّيح الحارّه.

و قوله «مؤلّف بين متعادياتها» إلى قوله «على مؤلّفها» قد تقدّم تحقيقه أيضا فى شرح الخطبه المذكوره.

و قوله: «ذلك قوله عزّ و جلّ: «وَ مِنْ كُلِّ شَيْ ءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » استشهاد لكون التّأليف و التّفريق، دالّين على الصّانع بالتّقريب الّذى قدّمناه فى شرح الخطبه المذكوره و قال بعض المفسّرين: المراد بالشىء الجنس و أقلّ ما يكون تحت الجنس نوعان، فمن كلّ جنس نوعان كالجوهر فمنه المادّى و المجرّد، و من المادّى الجماد و النّامى و من النّامى النّبات و المدرك الصّامت و النّاطق، و كلّ ذلك دليل على أنّه واحد لا كثره فيه و قيل: كلّ موجود دون اللّه ففيه زوجان اثنان:

كالمهيّه و الوجود، و الوجوب و الامكان، و المادّه و الصوره، و الجنس و الفصل،

و أيضا كلّ ما عداه يوصف بالمتضايفين كالعليّه و المعلوليّه و القرب و البعد و المقارنه و المباينه و التألّف و التّفرّق و المعاداه و الموافقه و غيرها من الامور الاضافيّه فقوله:

«لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » أى تعرفون من اتّصاف كلّ مخلوق بصفه التركيب و الزّوجيّه و التّضايف أنّ خالقها واحد أحد لا يوصف بصفاتها.

و قوله «ليعلم ان لا قبل له و لا بعد» يدلّ على عدم كونه تعالى زمانيّا، و يحتمل أن يكون المعنى عرفهم معنى القبليه و البعديّه ليحكموا أن ليس شيء قبله و لا بعده.

و قوله «شاهده بغرائزها أن لا- غريزه لمغرّزها» أى شاهده بطبايعها على أن لا طبيعه لموجد طبائعها و مفيضها عليها، و يمكن حملها و أمثالها على الجعل البسيط «و المفاوت» بصيغه الفاعل من جعلها بينها التّفاوت «و توقيتها» تخصيص حدوث كلّ منها بوقت معيّن و بقائها إلى وقت معيّن.

و قوله «حجب بعضها عن بعض» أى بالحجب الجسمانيّه أو الأعمّ ليعلم أنّ ذلك نقص و عجز و هو منزّه عن ذلك، بل ليس لهم حجاب عن الرّب إلّا أنفسهم لامكانهم و نقصهم و قال بعض المحقّقين: المراد أنّه قد قرّر لكلّ واحد من الممكنات حدا معيّنا لا يتعدّاه، فلا- يمكن أن يكون أحدها عين الاخر، و بذلك يعلم أن لا حجاب بين المخلوق و بين الخالق إلّا نفس المخلوق، لأنّ المخلوق محدود و الخالق منزّه عن الحدّ فالحجاب فى جهه المخلوق لا فى جهه الخالق.

قوله «له معنى الرّبوبيّه» إلى قوله «معنى البرّائيّه» قد تقدّم معناها قريبا فى أواخر ذكر الأدله النّقليّه.

و قوله «كيف و لا- تغيّبه مذ» أى كيف لا- يكون مستحقّا لهذه الأوصاف و الأسماء فى الأزل و الحال أنّه لا- يصير كلمه مذ الموضوعه لأوّل الزّمان سببا لأن يغيب عنه شيء، فانّ الممكن إذا كان قبل ذلك المبدأ أو بعده يغيب هذا عنه، و اللّه تعالى جميع الأشياء مع أزمنتها حاضره فى علمه فى الأزل، أو أنّه ليس لوجوده زمان حتّى يغيب عن غيره فيقال مذ كان موجودا كان كذا.

«و» لمّا لم يكن زمانيّا «لا تدنيه كلمه قد» الّتى هى لتقريب الماضى إلى الحال

أو ليس فى علمه شدّه و ضعف حتّى تقر به كلمه قد الّتى للتّحقيق الى العلم بحصول شىء «و لا- تحجبه كلمه لعلّ» الّتى هى لترّجى أمر فى المستقبل، أى لا يخفى عليه الامور المستقبله «و ليس له أوّل» وقت «حتّى يقال له متى» وجد أو متى علم أو متى قدر و هكذا «و لا يشتمله حين و لا زمان» لأنّه خالق الحين و الزّمان فكيف يكونان شاملين له و محيطين به «و لا تقارنه مع» أى لا يوجب كلمه مع المفيده للمصاحبه اقترانه بالأشياء زمانا أو مكانا، و لذلك قال أمير المؤمنين عليه السّلام: فى الخطبه الاولى:

مع كلّ شىء لا بمقارنه، أى معيّته للأشياء ليست بعنوان المقارنه الّتى فى المخلوقات بل بالعلم و الاحاطه و القيوميّه و التّربيه.

و قوله «إنّما تحدّ الأدوات أنفسها» إلى قوله «لو لا- التّكمله» قد تقدّم شرح هذه الفقرات و تحقيقها فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثّمانين بما لا مزيد عليه.

و قوله «افترقت فدّلت على مفرّقها» أى افترقت الأدوات و الالات باختصاص إدراك كلّ منها بنوع خاصّ من المدركات، او اختصاص كلّ منها بحدّ مخصوص، فدلّت على مفرّق فرّقها و خصّصها بحدّ مخصوص.

و قوله «و تباينت فاعربت عن مباينها» أى تباينت بعضها مع بعض لاختصاص كلّ منها بوضع خاصّ فأظهرت عن صانعها الموجد للمباينه بينها أو عن صانعها المباين لها فى الصّفات و فى التّنزه عن الحدّ كما قال تعالى: «وَ مِنْ آياتِهِ »... «اِخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ ».

و قوله «بها تجلّى صانعها للعقول و بها احتجب عن الرّؤيه» قد تقدّم معناهما أيضا فى شرح الخطبه المذكوره، و قال العلامه المجلسىّ: أى بالعقول احتجب عن الرّؤيه لأنّ الحاكم بامتناع رؤيته هو العقل، و إلى العقل تتحاكم الأوهام عند اختلافها.

قوله «و فيها أثبت غيره» أى كلّما يثبت و يرتسم فى العقول أو فى المشاعر فهو غيره، و يحتمل أن يكون غيره مصدرا بمعنى المغايره أى بالعقول يثبت مغايرته

تعالى للممكنات، و يمكن إرجاع الضّمير إلى الأوهام أى القول بالشريك له تعالى فعل الوهم لا العقل لكن فيه تفكيك.

و قوله «و منها انيط الدّليل» أى من العقول يستنبط الدليل على الخالق «و بها عرّفها الاقرار» أى بالعقول عرّف اللّه العقول أو ذويها الاقرار به عزّ و جلّ.

و قوله «لا ديانه إلاّ بعد معرفه» مثل قول أمير المؤمنين عليه السّلام فى الخطبه الاولى: أوّل الدّين معرفته، أى لا تديّن بدين للّه إلاّ بعد معرفه اللّه «و لا معرفه إلاّ باخلاص» أى باخلاص الحقّ مما لا يليق بذاته المقدّسه من نقايص الامكان «و لا إخلاص مع التّشبيه» له بمخلوقاته فى الذّات و الصّفات «و لا نفى» للتّشبيه «مع إثبات الصّفات» الزائده على الذّات.

فقوله «للتّشبيه» متعلّق بالنّفى أى لم ينف التّشبيه من أثبت له الصّفات الزّايده، و فى بعض النسخ بالتّشبيه بدل قوله للتّشبيه أى بنفى التّشبيه المستفاد من قوله: و لا إخلاص مع التّشبيه، فالمراد أن لا نفى له مطلقا بنفى التّشبيه أى لا يلزم النّفى المطلق مع إثبات الصّفات الكماليّه له على وجه لا يستلزم النّقص بنفى تشبيه لغيره كما نقول: شىء لا كالأشياء و عالم لا كعلم المخلوق و قادر لا كقدرتنا و هكذا، فيكون إشاره إلى وجوب إخراجه عن حدّ النّفى و حدّ التشبيه.

و قوله «فكلّما فى الخلق لا يوجد فى خالقه و كلّما يمكن فيه يمتنع فى صانعه» تفريع على ما سبق و تصريح بتنزّهه عن مشابهه مخلوقاته و نصّ فى ابطال مقال الصوفيّه القائلين بأنّ جميع ما للمخلوقات من الصّفات فهى صفات الخالق، لأنّهم مظاهر الحقّ و مجاليه حسبما عرفت فيما سبق.

و قوله «و لا يجرى عليه الحركه و السكون» إلى قوله «لزمه النقصان» قد تقدّم تحقيق معانى هذه الفقرات فى شرح الخطبه المأه و الخامسه و الثمانين أيضا.

و قوله «كيف يستحقّ الأزل من لا يمتنع من الحدث» استفهام فى معرض الانكار أى لو التمس التّمام و الاستكمال بالغير لزم اتّصافه بالكمالات الحادثه و عدم امتناعه من أن يحدث فيه تلك الحوادث، و من كان كذلك و كان محلاّ للحوادث

لا يكون أزليّا واجب الوجود.

و قوله «و كيف ينشىء الأشياء من لا- يمتنع من الانشاء» و هو أيضا فى معرض الانكار، أى لو التمس التّمام لاحتاج فى تماميّته إلى غيره لينشئ له صفات الكمال الموجبه لتمامه و كماله، و من كان كذلك كان ممكنا فلا يمكن أن يكون منشئا للأشياء أى الممكنات جميعا لأنّ إنشاءها من شأن الواجب.

ثمّ استدلّ عليه السّلام على جميع ما تقدّم بقوله «إذا لقامت فيه آيه المصنوع و لتحول دليلا بعد ما كان مدلولا عليه» أى لو كانت فيه تلك الحوادث و التغيّرات و إمكان الحدوث لقامت فيه علامه المصنوع و لكان دليلا على وجود صانع آخر غيره كساير الممكنات لاشتراكه معهم فى صفات الامكان و ما يوجب الحاجه إلى العلّه لا مدلولا عليه بأنّه صانع.

و قوله «ليس فى محال القول حجّه» أى ليس فى إثبات هذا القول المحال أى إثبات الحوادث و الصّفات الزّايده له حجّه «و لا فى المسأله عنه» أى فى السّؤال عن هذا القول لظهور خطائه و بطلانه «جواب و لا فى معناه له تعظيم» أى فى إثبات معنى هذا القول له تعالى و توصيفه بصفات الممكنات تعظيم له بل هو نقص فى حقّه حسبما عرفت «و لا فى ابانته من الخلق» و تنزيهه من صفاتهم «ضيم» أى نقص و ظلم فى حقّه تعالى شأنه «إلّا بامتناع الأزلى أن يثنى و ما لا بدء له أن يبدء(1)» أى لا- نقص له فى ابانته من خلقه إلّا بأنّ الأزلى يمتنع من الاثنيّه و بأنّ ما لا بدء أى لا مبدء له يمتنع من أن يبدء و يكون له مبدء، و ما نسبوه إليه تعالى ممّا مرّ مستلزم لكونه تعالى ذا مبدء و علّه.

و الحاصل أنّه لا- يتصوّر فى تفريقه تعالى من خلقه و من صفاتهم ظلم و نقص له تعالى إلّا بهذا الوجه و الحال أنّه ليس بظلم أصلا و لا نقص، بل هو عين الكمال، و الاستثناء فى قوله عليه السّلام كما فى قول الشاعر:

۱- (۱) - عطف على الأزلى، منه.

و لا عيب فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

و هو من قبيل إخراج المدح بما يشبه الذّم و قوله «كذب العادلون باللّه» أى الجاعلون له عديلا و شبيها و تعالى اللّه سبحانه عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

و أقول: يا اولى الألباب و الضمائر و ذوى الأبصار و البصاير إن تدبّرتم فى معانى هذه الخطبه الشّريفه حقّ التّدبّر وجدتموها كنزا مشحونا بأنواع الدّر و الجواهر، و بحرا موّاجا فى علم التّوحيد ليس له ساحل، و لو استقصيتم فيها النّظر و بذلتم عميقات الفكر عرفتم أنّ كلّ فقره من فقراتها دليل مستقلّ فى بطلان مقالات أولياء الشيطان و اخوان عبده الأوثان الزّاعمين أنهم أهل اليقين و العرفان، و الخلّصون فى التّوحيد و المعرفه و الايمان لقولهم بوحده الوجود، و أن ليس غيره فى الحقيقه بموجود، و ذلك ظنّ الّذين كفروا فويل للّذين كفروا من النّار.

ثمّ أقول: أنت إذا أحطت خبرا بما قدّمنا علمت فساد القول بوحده الوجود و سخافه ما يترتب على تلك الشّجره الملعونه من الثّمرات الخبيثه، و عرفت أنّ وجوده سبحانه وجود خاصّ به قائم بذاته ممتاز عن ساير الموجودات بنفس ذاته و بكونه مبدء للكلّ و هو أيضا نفس ذاته و ممتاز عن المهيّات بكونه وجودا خاصّا بخلاف شىء من المهيّات، فانّه ليس وجودا أصلا لا خاصا و لا- مطلقا، فليس له تعالى مهيّه و حقيقه يشارك بها شيئا من الممكنات، فلا- يحتاج إلى مميّز ذاتىّ يميّزه عمّا به المشاركه الذّاتيّه مع غيره، فحقيقته هويّه بسيطه و وجود خاصّ ممتاز عن كلّ ما سواه بتجرّده و تنزّهه من الحدود، و يكون كلّ ما سواه محدودا، و لنقتصر فى هذه المسأله على ذلك و لنعد إنشاء اللّه تعالى إلى ذكر ساير عقايدهم الفاسده، فأقول و باللّه التوفيق و الاعتماد.

و منها

قولهم: بأنّ الكفّار غير مخلّدين فى النّار.

و هو خلاف اجماع المسلمين، و خلاف ما دلّت عليه آيات الكتاب المبين و أخبار الحجج المعصومين.

قال ابن العربى فى الفصّ اليونسى من الفصوص «و أمّا أهل النّار فمالهم إلى النعيم و لكن فى النّار إذ لا بدّ لصوره النّار بعد انتهاء مدّه العقاب أن يكون بردا و سلاما على من فيها و هذا نعيمهم فنعيم أهل النّار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل اللّه حين القى فى النّار».

قال القيصرى: أى و مال أهل النّار إلى النعيم المناسب لأهل الجحيم إمّا بالخلاص من العذاب أو الالتذاذ به بالتعوّد أو تجلّى الحقّ فى صوره اللطف فى عين النّار كما جعل النّار بردا و سلاما على إبراهيم، و لكن ذلك بعد انتهاء مدّه العقاب كما جاء ينبت فى قعر جهنّم الجرجير(۱) و ما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود فى النّار و لا يلزم منه خلود العذاب.

و قال القيصرى أيضا فى شرح الفصّ الهودى: و اعلم أنّ كلّ من اكتحلت عينه بنور الحق يعلم أنّ العالم بأسره عباد اللّه و ليس لهم وجود و صفه و فعل إلّا باللّه و حوله و قوّته، و كلّهم محتاجون إلى رحمته و هو الرّحمن الرّحيم و من شأن من هو موصوف بهذه الصّفات أن لا يعذّب أحدا عذابا أبدا و ليس ذلك المقدار من العذاب أيضا إلّا لأجل ايصالهم إلى كمالاتهم المقدّره لهم كما يذهب الذّهب و الفضه فى النّار لأجل الخلاص ممّا يكدّره و ينقّص عياره، فهو متضمّن لعين اللطف و الرّحمه كما قيل:

و تعذيبكم عدل و سخطكم رضى و قطعكم وصل و جوركم عدل

أقول: فلينظر العاقل إلى هذين الضّليلين كيف يخالفان اجماع المسلمين و ينبذان آيات الكتاب المبين وراء ظهورهما بارائهم الفاسده و الاستحسانات الكاسده

۱- (۱) - و الجر يجير و الجر جير بكسرهما بقله معروفه، ق.

و یعتمدان فی ذلک علی أخبارهم المجعوله و أحادیثهم الموضوعه.

و قد تبعهما فی حدیثهم المرسل المجعول المتصوّف الجامی فی شرح منتخب الفصوص حیث نقل عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّ بعض أهل النار یتلاعبون بالنّار، و نقل عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا انّه قال: سیأتی علی جهنّم زمان ینبت من قعرها أو من قفرها الجرجیر.

و هذه الأحادیث مضافا إلی مخالفتها لصریح الایات و روایات المتواتره قد نصّ فی أخبارنا بأنّها مجعوله کاذبه کما نصّ علی ردّ ما توهّموه من انقطاع العذاب و إنفاد العقاب.

فقد روی عن الکلینی فی الکافی باسناده عن أبی بصیر مولی أبی عبد اللّه علیه السّلام عن موفق مولی أبی الحسن علیه السّلام قال: کان مولای أبو الحسن علیه السّلام إذا أمر بشراء البقل یأمر بالاکثار منه و من الجرجیر فیشری له و کان یقول علیه السّلام: ما أحمق بعض الناس یقولون: إنّه ینبت فی وادی جهنّم، و اللّه عزّ و جلّ یقول: «وَقُودُهَا النّاسُ وَ الْحِجارَهُ »، فکیف ینبت البقل.

و روی عن البرقی فی المحاسن عن العبیدی عن الأهوازی عن النّضر بن سوید عن درست عن الأحول عن حمران قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام: إنّه بلغنا أنّه یأتی علی جهنّم حین یصطفق(۱) أبوابها فقال: لا و اللّه إنه الخلود قلت:

خالدین فیها ما دامت السموات و الأرض إلّا ما شاء ربّک، فقال علیه السّلام هذه فی الذین یخرجون من النار.

و أما ما قاله القیصری: من أنه ما جاء نصّ بخلود العذاب بل جاء الخلود فی النار و لا یلزم منه خلود العذاب فناش من جهله بایات الکتاب فقد قال تعالی: «کُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَیْرَها لِیَذُوقُوا الْعَذابَ »، و أمثال هذه الایه کثیره فی القرآن غیر عزیزه.

و هل هذه الدّعوی الباطله و المقاله الفاسده فی مقابله النصوص الصریحه

۱- (۱) - اصطفقت الاشجار اهتزت بالریح و هو کنایه عن الخلو من الناس (منه)

المستفيضه بل المتواتره إلّا الملاعبه بالدّين و التكذيب للأنبياء و المرسلين.

و أعظم من ذلك جرئتهم على تأويل الايات الوارده فى النقمه و العقاب للكفار و أهل العذاب بالرّحمه و الثواب، مثل ما تمحّله ابن العربى فى الفصّ الهودى فى الايات الوارده فى عاد قوم هود و هى قوله تعالى: «فَلَمّا رَأَوْهُ عارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالُوا هذا عارِضٌ مُمْطِرُنا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْ ءٍ بِأَمْرِ رَبِّها فَأَصْبَحُوا لا يُرى إِلّا مَساكِنُهُمْ كَذلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ »، قال ما لفظه «ألا ترى عادا قوم هود كيف قالوا هذا عارض ممطرنا فظنّوا خيرا باللّه» قال القيصرى: أى ألا ترى أن قوم هود كيف قالوا لما تجلّى عليهم الحقّ فى صوره السحاب ان هذا عارض أى سحاب ممطرنا و ينفعنا فظنوا أنّ اللّه تجلّى لهم بالحقّ و الرّحمه «و هو عند ظنّ عبده به فاضرب لهم الحقّ عن هذا القول فأخبرهم بما هو أتمّ و أعلى فى القرب» أى أضرب بقوله بل هو ما استعجلتم به أى هو مطلوبكم الّذى يوصلكم إلى كمالكم و يعطيكم الخلاص من انيّاتكم و يخرجكم من عالم التّضاد و الظّلمه إلى عالم الوفاق و الرّحمه.

و انّما كان هذا المعنى أتمّ و أعلى «فانّه إذا أمطرهم فذلك حظّ الأرض و سقى الحبّه» المزروعه فيها «فما يصلون إلى نتيجه ذلك المطر إلّا عن بعد لأنّ المطر إذا سقى الحبّه المزروعه لا بدّ ان يمضى عليها زمان طويل و مدّه كثيره حتّى تحصل نتيجته و يحصل منها الغذاء الجسمانى و هو من حظوظ أنفسهم المبعّده لهم عن الحقّ و هذا الاهلاك يوصلهم فى الحال إلى ربّهم و يقرّبهم منه فقال لهم بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب» و انّما كان استعجالهم فى وصولهم إلى كمالهم و قربهم من غايه مرتبتهم.

و لمّا كان هذا المطلوب لا يمكن إلّا بفنائهم فى الحقّ أهلكهم اللّه عن أنفسهم و أفناهم عن هياكلهم و هى أبدانهم الجسمانيه الحاجبه لهم عن إدراك الحقائق «فجعل» أى الحقّ «الرّيح إشاره إلى ما فيها من الرّاحه فانّ بهذا الرّيح أراحهم من هذه الهياكل المظلمه و المسالك الوعره و فى هذه الرّيح عذاب أى أمر يستعذبونه

إذا ذا قوه إلاّ أنّه يوجعهم لفرقه المألوفات» أى الرّيح المهلكه و إن كانت فى الظاهر مولمه موجعه لهم لاخراجهم عن العالم الجسمانى المتألّفه قلوبهم به لكن فيها لطف مستور، لأنّ فى كلّ قهر للّه تعالى ألطافا خفيّه يستعذبونه إذا وصلوا إليه عقيب الوجع «فباشرهم العذاب» أى اهلكهم «فكان الأمر إليهم أقرب ممّا تخيّلوه» أى الأمر الذى كان مطلوبهم بالحقيقه كان أقرب إليهم من المطلوب المتخيّل لهم و هو ما يحصل من المزروعات «فدمّرت كلّ شىء بأمر ربّها فأصبحوا لا يرى إلاّ مساكنهم أى جثثهم الّتى عمرتها أرواحهم الحقيه».

و محصل كلامهما أنّ قوم هود عليه السّلام مع العتوّ و الكفر و الانكار لم يكونوا من المعذّبين بل صاروا بذلك من المقرّبين المنعمين و أوصلهم الكفر و الضّلال إلى درجه الفضل و الكمال، و استحقّوا بالجحود عظيم الزّلفى و حسن المال.

و الايات و إن كانت ظاهره فى الاهلاك و التعذيب لكن الظّواهر غير مراده بل المراد معنى آخر يعرفه أهل الكشف و الشّهود لا أهل الحجاب.

و هو أنّ الرّيح فى الايه مأخوذه من الرّوح و الرّاحه و العذاب من العذوبه و الحلاوه و الغرض من إهلاكهم بالرّيح التعجيل فى إراحتهم من العلايق البدنيه و إخراجهم من الهياكل الجسمانيه و ايصالهم إلى مرتبه القرب و الزلفى و البقاء بالفناء، و قد أعطاهم اللّه خيرا ممّا يرجون و أفضل ممّا يأملون، فانّهم لمّا رأوه عارضا ممطرا حسبوا أنّه ينزل منه المطر ينتفع به و يسقى به الحرث و الزّرع فقال تعالى: «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ »، أى ليس هذا ما ذهبت إليه ظنونكم بل هو خير منه، فانّ العارض الممطر فيه منفعه مؤجّله دنيويّه، و فى الرّيح منفعه معجّله أخرويه و الاولى قليله فانيه و الاخرى كثيره باقيه هذا حاصل مراد هذين الملحدين.

أقول يا أهل المروّه و الانصاف المجانبين للهوى و الاعتساف انشدكم باللّه العظيم هل يرتضى ذو شعور أن يكون مراده تعالى من تلك الايات ما قاله هذا الجاهل الزّنيم.

ثم أقول: يا قائد الجهّال و قطب أهل الضّلال هب أنّک خالفت اجماع المسلمين بل اتفاق جميع المليّين و نابذت آيات الكتاب المبين فی مسأله تخليد الكفّار و المشركين، و زعمت عدم كونهم فی النّار مخلّدين معذّبين، فهلّا استحييت من اللّه ربّ العالمين أن جعلت آيات كتابه لعبه اللاّعبين و مسخره المستهزئين؟! فما أقلّ حياؤک فی هتک ناموس الاسلام، و أعظم جرءتک فی هدم أساس ملّه سيّد الأنام.

أفيجوّز الجاهل السّفيه فضلا عن العاقل النّبيه أنّ مراد الحقّ من هذه الايات الشّريفه هذه التأويلات السّخيفه؟ أم يتوهّم أنّ هذه الألفاظ و الكلمات قوالب تلک المعانی الترّهات؟ أ فيبقی بعد البناء علی أمثال هذه المزخرفات اعتماد بالكتاب عند الضّروره و الاحتياج؟ أو يمكن به الاستدلال فی الاصول و الفروع فی مقام الاحتجاج؟ ثمّ كيف يزعم من دان بكلمه الاسلام أن قوم عاد و ثمود و قوم نوح و لوط أقرب إلی اللّه من المؤمنين الموحّدين، حيث عجل فی إفناء الأولين ايصالا لهم إلی مراتب الزلفی و حبس الاخرين فی سجن الدنيا، و حرمهم من تلک النعمه العظمی حاشا ثمّ حاشا.

و العجب مع هذا كلّه أنه اشتبه فی حقّ نفسه و زعم أنه محيی الدّين و خاتم ولايه المحمدّيين، و لعمری أنه ما حی الدّين بل مبطل أساس جميع شرايع النبيّين.

ثمّ العجب من القيصری فانّه بعد ذكر ما قدّمناه قال: و الشيخ يعنی ابن العربی إنّما يشير فی أمثال هذه المواضع إلی ما فيها من الرّحمه الحقّانيّه، و هی من المطلعات المدركه بالكشف، لا أنّه ينكر وجود العذاب و ما جاء به الرّسل من أحوال جهنّم فانّ من يبصر بعينه أنواع التعذيب فی النشأه الدّنياويّه بسبب الأعمال القبيحه كيف ينكره فی النّشأه الأخراويّه و هو من أكبر ورثه الرّسل صلوات اللّه عليهم أجمعين، فلا ينبغی أن يسیء أحد ظنّه فی الأولياء الكاشفين لأسرار الحقّ بأمره، انتهی.

أقول: هذا مقام أن يقال:

يا ناعى الاسلام قم فانعه قد مات عرف و بدا المنكر

فانّك خبير بأنّه مع هذا الاصرار المؤكّد كلّه من الشيخ فى نشر كلمات الضّلال، لم يبق للحمل على الصّحيح مجال، فهذا ليس موضع سوء الظنّ بل مقام علم اليقين، و كيف يكون المكذّب للأنبياء و المرسلين من أكبر ورثه النّبيّين؟ أم كيف يكون حامى الكفّار و المشركين من الأولياء الكاشفين؟ لعن اللّه المضلّين و المبطلين، و عذّبهم عذابا لا يعذّبه أحدا من العالمين.

و أعظم من ذلك ما قالاه فى حقّ أشقى الأولين و الاخرين المعارض الصّريح فى سلطان ربّ العالمين، المعلن بقول أنا ربّكم الأعلى فى قبال ديّان الدّين أعنى فرعون المتمرّد عن طاعه الرّحمن المتمادى فى العتوّ و الكفر و الطغيان، حيث قالا:

إنه تاب فطاب و ندم و أناب و طهر و صار من أهل الايمان مع أنّ كونه من المخلّدين نصّ آيات الكتاب المبين، و كونه من أهل التابوت و أشدّ الناس عذابا صريح أخبار سيد المرسلين، و سقوط ايمانه من درجه الاعتبار مفاد: «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ».

فيا للّه ما أجرء هذين الضالّين على اللّه، و كاين لهما من يد طولى فى تغيير معانى كتاب اللّه و تأويل الايات البيّنات على المذاهب الفاسده، و تطبيق النّصوص المحكمات بالمقالات الباطله.

فقد قالا فى الفصّ الموسوى و شرحه «فقالت لفرعون فى حقّ موسى انّه قرّه عين لى و لك فيه» اى فى موسى «قرّه عينها بالكمال الّذى حصل لها و كان قرّه عين لفرعون بالايمان الّذى أعطاه اللّه عند الغرق» و ذلك لأنّ الحقّ تكلّم بلسانها من غير اختيارها و أخبر بأنّه قرّه عين لها و لفرعون فوجب أن يكون كذلك فى نفس الأمر «فقبضه» أى الحق «طاهرا مطهّرا ليس فيه شىء من الخبث لأنّه قبضه عند ايمانه قبل أن يكتسب شيئا من الاثام و الاسلام يجبّ ما قبله و جعله آيه على عنايته سبحانه بمن شاء حتى لا ييأس أحد من رحمه اللّه فانه لا ييأس من رحمه اللّه إلّا القوم الكافرون فلو كان فرعون ممن ييأس ما بادر إلى الايمان».

قال الشارح: لما كان ايمان فرعون فى البحر حيث رأى طريقا واضحا عبر عليه بنو اسرائيل قبل التغرغر و قبل ظهور أحكام الدّار الاخره مما يشاهدونه عند الغرغره، جعل ايمانه صحيحا معتدّا به، فانه ايمان بالغيب لأنه كان قبل الغرغره و هو بعينه كايمان من يؤمن عند القتل من الكفار، و هو صحيح من غير خلاف و انما كان ايمان المتغرغر غير صحيح لظهور أحكام الدار الاخره له من النعيم و الجحيم و الثواب و العقاب، و جعله طاهرا مطهرا من الخبث الاعتقادى أى من الشرك و دعوى الربوبيه لأن الاسلام يجبّ ما قبله كما ورد فى الخبر الصحيح، و لم يكتسب بعد الايمان شيئا من الاثام و العصيان، و قوله تعالى: «آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »، نوع من العتاب عند التوجه إلى الحق و الايمان به، و هو لا ينافى صحه ايمانه، إلى ان قال بعد تأويل جمله من الايات الداله على خلوده و تعذيبه على(۱) زعمه الفاسد:

و فايده ايمانه على تقدير التعذيب عدم الخلود فى النار، و التعذيب بالمظالم و حقوق العباد مما لا يرتفع بالاسلام لا ينافى أيضا الاسلام و الطهاره من الشرك و خبث العقيده، فلا ينكر على الشيخ ما قاله مع أنه مامور بهذا القول إذ جميع ما فى الكتاب مسطور بأمر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو معذور كما أنّ المنكر المغرور معذور، و قوله:

و جعله آيه على عنايته، إشاره إلى قوله تعالى: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً »، و هذا أيضا صريح فى نجاته لأنّ الكاف خطاب له أى ننجيك مع بدنك من العذاب لوجود الايمان الصادر منك بعد العصيان، و اللّه أعلم بالسرايز من كل مؤمن و كافر، انتهى كلامهما هبط مقامهما.

و يتوجه عليهما وجوه من الكلام و ضروب من الملام.

الأول أنّ قوله تعالى: «وَ قالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً »، لا دلاله فيه على المدّعى، لأنها إنما قالت ذلك من جهه أنه لم يكن له ولد فأطمعته فى الولد بهذا الكلام، مع أنّ المروىّ عن ابن عباس فى تفسير الايه نقض صريح لقول ابن العربى.

۱- (۱) - متعلّق بالتاويل، منه

فقد روى فى مجمع البيان و غيره إنّ أصحاب فرعون لما علموا بموسى جاءوا ليقتلوه فمنعتهم، و قالت لفرعون: قرّه عين لى و لك لا تقتلوه، قال فرعون: قرّه عين لك، فأما لى فلا، قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: و الذى يحلف به لو أقرّ فرعون بأن يكون له قرّه عين كما أقرّت امرأته لهداه به كما هداها، و لكنّه أبى للشّقاء الّذى كتبه اللّه عليه.

الثانى إنّ كفر فرعون محقّق و إيمانه لم يقم عليه دليل بل الدّليل إنّما قام على عدمه، و ذلك لأنّه إنّما آمن حيث لم ينفعه الايمان لكونه ايمان إلجاء لا- يستحقّ به الثواب و لا- ينجيه من العقاب لوقوعه حال الغرق و عند الاياس من الحياه و اليقين بالهلاك كما يشهد به قوله تعالى: «حَتّى إِذا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا الَّذِى آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ »، فأنكره عزّ و جلّ عليه و قال:

«آلْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ »، أى أ تؤمن الان حين لا ينفع الايمان و لا يقبل، لأنّه حال الالجاء و قد عصيت بترك الايمان فى حال ينفعك فهلا آمنت قبل ذلك، فلو كان ايمانه صحيحا مقبولا لما استحقّ التوبيخ و التقريع و الانكار.

و يشهد بذلك صريحا أى بعدم منفعه الايمان فى تلك الحال قوله تعالى: «فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنّا بِاللّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمانُهُمْ لَمّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ اللّهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبادِهِ وَ خَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ ».

روى فى الصّافى من العيون عن الرّضا عليه السّلام أنّه سئل لأىّ علّه غرق اللّه فرعون و قد آمن به و أقرّ بتوحيده؟ قال عليه السّلام: لأنّه آمن عند رؤيه البأس، و الايمان عند رؤيه البأس غير مقبول، و ذلك حكم اللّه تعالى ذكره فى السّلف و الخلف قال اللّه تعالى: «فَلَمّا رَأَوْا بَأْسَنا »، الايتين.

و فيه من الكافى قدّم إلى المتوكّل رجل نصرانىّ فجر بامرأه مسلمه فأراد أن يقيم عليه الحد فأسلم، فقيل: قد هدم ايمانه شركه و فعله، و قيل: يضرب ثلاثه حدود، و قيل غير ذلك، فأرسل المتوكّل إلى الهادى عليه السّلام و سأله عن ذلك، فكتب عليه السّلام: يضرب حتّى يموت، فأنكروا ذلك و قالوا: هذا شىء لم ينطق به كتاب و لم

تجیء به سنّه، فسألوه ثانیا البیان فکتب هاتین الایتین بعد البسمله، فأمر المتوکّل فضرب حتّی مات.

و بهذا الحدیث علم أیضا أنّ ایمان الکافر حین القتل لیس بصحیح مطلقا کما قاله القیصری، و إنّما یصحّ ایمان من ارید قتله لأجل کفره مثل الکافر الحربی فانّه لو آمن حین القتل قبل ایمانه و یدرء عنه القتل بسبب الایمان.

الثالث أنّ قوله: حتّی لا ییأس أحد من رحمه اللّه فانّه لا ییأس أحد من رحمه اللّه إلاّ القوم الکافرون، فیه إنّ الفرعون داخل فی المستثنی أعنی الکافرون الایسین، لا فی المستثنی منه کما یدلّ علیه صریح قوله تعالی: «فَأَخَذْناهُ وَ جُنُودَهُ فَنَبَذْناهُمْ فِی الْیَمِّ فَانْظُرْ کَیْفَ کانَ عاقِبَهُ الظّالِمِینَ وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَدْعُونَ إِلَی النّارِ وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ لا یُنْصَرُونَ وَ أَتْبَعْناهُمْ فِی هذِهِ الدُّنْیا لَعْنَهً وَ یَوْمَ الْقِیامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِینَ »، أی أردفناهم لعنه بعد لعنه و هی البعد عن الرّحمه و الخیرات.

و بالجمله رحمه اللّه سبحانه قریب من المحسنین دون الکافرین، و هو سبحانه أرحم الرّاحمین فی موضع العفو و الرّحمه، و أشدّ المعاقبین فی موضع النّکال و النّقمه، و أعظم المتجبّرین فی موضع الکبریاء و العظمه.

الرّابع أنّ قوله تعالی: «فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَهً »، لیس المراد بالنّجاه فیه النّجاه من العذاب کما زعمه القیصری، و لا من کونه آیه أنّه آیه عنایته کما توهّمه ابن العربی، بل معناه نلقیک علی نجوه من الأرض و هی المکان المرتفع لیراک بنو إسرائیل لتکون لمن وراءک و هم بنو إسرائیل آیه أی علامه یظهر لهم عبودیّتک و مهانتک و أنّ ما کنت تدّعیه من الرّبوبیّه محال و کان فی أنفسهم أنّ فرعون أجلّ شأنا من أن یغرق.

و عن تفسیر علیّ بن إبراهیم انّ موسی أخبر بنی إسرائیل انّ اللّه قد أغرق فرعون، فلم یصدّقوه فأمر اللّه عزّ و جلّ البحر فلفظه به علی ساحل البحر حتّی رأوه میّتا.

و فی الصافی من العیون عن الرّضا علیه السّلام فی حدیث غرقه و قد کان فرعون من

قرنه إلى قدمه فى الحديد و قد لبسه على بدنه، فلمّا غرق ألقاه اللّه تعالى على نجوه على الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامه فيرونه مع تثقّله بالحديد على مرتفع من الأرض، و سبيل الثقيل أن يرسب و لا يرتفع فكان ذلك آيه و علامه - إلى أن قال - و لئلا يشكّ أحد فى إهلاكه انّهم كانوا قوما اتّخذوه ربّا فأراهم اللّه عزّ و جلّ إياه جيفه ملقاه بالسّاحلّ ليكون لمن خلفه عبره و عظه، هذا.

و العجب من القيصرى، فانّه بعد مشاهدته لهذا الخبط العظيم كلّه من ابن العربى لم يرفع يده عن العصبيه له و يقول إنه مأمور بهذا القول من جانب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما أنه مأمور من جانبه بجميع ما يقوله فى الفصوص فهو معذور.

أقول: و لقائل أن يقول له: يا أحمق الرّجال و مفتّن الجهّال أ يأمر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بنشر الافك و الضّلال؟ أ فهذا من أسرار الرّب المتعال؟ أم يأذن بتحريف آيات القرآن و العصبيه فى حقّ فرعون و هامان أ هذا من مقتضيات رحمه الرّحمن؟ لا و اللّه بل هو من امنيّات الشّيطان، و كيف يسوغ عباده يغوث و يعوق و اللاّه و العزّى بزعم أنّ عبادتها عين عباده العلىّ الأعلى و إنّ الحقّ تعالى فيها تجلّى إن هذا الاّ اختلاق و افتراء، و قد نطق الكتاب المبين على رغم ابن العربى ما حى الدّين و رغم ساير الصوفيّين القائلين بوحده الوجود و بأنّ عبادته يحصل لعباده كلّ معبود:

«قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ وَ لا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُّمْ وَ لا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ ».

أبقى بعد هذا التفكيك الصّريح، و البيان الفصيح، و التّبيان النّصيح ريب فى بطلان القول بالوحده و الاتّحاد أو معتذر للقائلين به فى عتبى ربّ العباد أم لا؟ فأنّى يؤفكون أم أين يصرفون تعالى اللّه عمّا يقول الظالمون، فمن أظلم ممّن افترى على اللّه كذبا ليضلّ النّاس بغير علم إنّ اللّه لا يهدى القوم الظالمين هذا.

و لنعد إلى ما كنّا فيه من مسأله تعذيب الكفّار و خلودهم فى النار فأقول:

إنّ ما ذهب إليه ابن العربى من نفيه العذاب فى حقّ قوم عاد و فرعون ذى الأوتاد و ساير الكفّار و المشركين مبنىّ على أصل فاسد أسّسه فى الفصّ الاسماعيلى،

و هو أنّ خلف الوعد من اللّه غير جايز بخلاف خلف الوعيد قال:

«الثّناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد و الحضره الالهيه تطلب الثناء بالذّات المحموده فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل التّجاوز فلا تحسبنّ اللّه مخلف وعده رسله و لم يقل و وعيده بل قال و يتجاوز عن سيئاتهم مع أنّه توعد على ذلك فأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد و قد زال الامكان فى حقّ الحقّ لما فيه من طلب المرجّح».

قال القيصرى: أى قد زال فى حقّ الحقّ إمكان وقوع الوعيد إذ لا شكّ أنّ الحقّ تعالى وعد بالتجاوز فقال: «وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ »، و قال: «إِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً »، و قال: «وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ » من السيئات و أمثال ذلك، و وقوع وعده واجب و هو التجاوز و العفو و الغفران، فزال امكان وقوع الوعيد، لأنّ وقوع أحد طرفى الممكن لا يمكن إلّا بمرجّح، و ما ثم ما يطلب الوعيد إلّا الذنب، و هو يرتفع بالتجاوز فزال سبب وقوع الوعيد و عدم العلّه موجب لعدم المعلول:

فلم يبق إلّا صادق الوعد وعده و ما لوعيد الحقّ عين تعاين

أى إذا زال سبب الوعيد فلم يبق إلّا تحقّق وعده وحده، لأنّه صادق فى وعده و ما بقى لوعيد الحقّ عين تعاين على البناء للمفعول لزوالها بالمغفره و العفو فى حقّ العاصين، و أمّا فى حق الكافرين و المنافقين لانقلاب عذابهم بنعيم يناسبهم كما قال:

و إن دخلوا دار الشقاء فانّهم على لذّه فيها نعيم مباين

نعيم جنان الخلد فالأمر واحد و بينهما عند التجلّى تباين

أى مباين لنعيم جنّات الخلد، قوله: فالأمر واحد، إشاره إلى أنّ التجلّى الالهى على السّعداء و الأشقياء ليس إلّا واحدا. و التباين إنّما يقع بحسب القوابل، و كلّ منها يأخذ بحسب استعداده و قابليّته كماء واحد نزل من السماء فصار فى موضع سكرا و فى موضع حنظلا.

يسمّى عذابا من عذوبه طعمه و ذاك له كالقشر و القشر صائن

أی یسمّی ذلک النّعیم الذی لأهل الشقاء عذابا لعذوبه طعمه بالنسبه إلیهم فانّ العذاب مأخوذ من العذب فی الأصل، و ذاک أی لفظ العذاب له أی للعذب کالقشر و القشر صائن للّه من الافات، فلفظ العذاب یصون معناه عن إدراک المحجوبین الغافلین عن حقایق الأشیاء، انتهی کلامهما هبط مقامهما.

و محصّل ما استدلّ به وجوه:

الأوّل إنّ اللّه سبحانه یحمد و یثنی بالعفو و الغفران لا بالتّعذیب و الانتقام، و هو طالب للحمد و الثّناء، فیجب الصّدق فی الوعد بالثواب لا الوعید بالعقاب.

الثانی إنّ اللّه تعالی قال: «فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ »، و لم یقل و وعیده فالخلف فی الوعید جایز.

الثالث إنّه تعالی قال: «أُولئِکَ الَّذِینَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا وَ نَتَجاوَزُ عَنْ سَیِّئاتِهِمْ فِی أَصْحابِ الْجَنَّهِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِی کانُوا یُوعَدُونَ »، فلا بدّ من وقوع التّجاوز عن السیئات لأنّه وعد الصدق، و لیس بمخلف وعده.

الرّابع أنّه إذا کان التجاوز عن السّیئات و الذنوب لازم الوقوع فلا یمکن وقوع الوعید لأنّ بقاء المعلول من دون علّته محال، و قد کانت علّه الذنوب ارتفعت بالتجاوز.

أقول: و أنت خبیر بأنّ هذا کلّه ممّا نسجه عدوّ اللّه الشّیطان اللّعین علی لسان ولیّه عدوّ رسول اللّه ماحی الدّین، إغراء للکفّار علی الکفر و العدوان، و للعصاه علی التّمرد و العصیان کما قال تعالی: «وَ کَذلِکَ جَعَلْنا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا شَیاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ یُوحِی بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَ لَوْ شاءَ رَبُّکَ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما یَفْتَرُونَ وَ لِتَصْغی إِلَیْهِ أَفْئِدَهُ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ لِیَرْضَوْهُ وَ لِیَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ » و یبطل ما ذکره کلّه قوله تعالی: «إِنَّ اللّهَ لا یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ ما دُونَ ذلِکَ لِمَنْ یَشاءُ »، و قول أمیر المؤمنین علیه السّلام فی الخطبه المأه و الخامسه و السبعین: ألا و إنّ الظلم ثلاثه: فظلم لا یغفر، و ظلم لا یترک، و ظلم مغفور لا یطلب، فأمّا الظلم الّذی لا یغفر فالشرک

باللّه قال اللّه سبحانه: «إِنَّ اللّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ »، و أمّا الظلم الذى يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، و أمّا الظلم الذى لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا.

فانّ هذه الايه و الحديث يخصّان التجاوز عن السيئات فى الايه السّابقه بالمؤمنين و بغير مظالم العباد، فيبقى الوعيدات الوارده فى حقّ الكفّار و فى حقوق النّاس على حالها لعدم ارتفاع عللها.

و يستفاد هذا التّخصيص من صدر الايه السابقه أيضا، فانّ قوله تعالى:

«نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما عَمِلُوا »، يدلّ على أنّ المراد بالايه المؤمنون خاصّه، إذ الكافر ليس له عمل صالح حسن مقبول.

و أيضا لو أبقينا التجاوز عن السيئات على عمومه لكان الوعيدات الالهيّه كلّها لغوا و عبثا، لاستحاله وقوعها بعد ارتفاع عللها، بل يلزم أن يكون اللّه سبحانه فى أخباره المتضمّنه للوعيد كاذبا، و من أصدق من اللّه قيلا- فتعالى اللّه عمّا يقول الظالمون علوّا كبيرا.

ثمّ إنّ صدور أمثال هذه المقالات من هذه الطايفه و قبول أمثالهم تلك الخيالات منهم صار سببا لغلط أعظم من غلطهم المتقدّم، و هو إثباتهم للمتصلّبين من الكفّار مزّيه و فضيله بقدر تصلّبه و إصراره على الكفر و الجهاله حتّى أنّ بعضهم سمّى إبليس رئيس الموحّدين، مثل أحمد الغزالى فقد قال الشارح المعتزلى فى شرح الفصل الثانى عشر من الخطبه الاولى: و كان فى المسلمين ممّن يرمى بالزّندقه من ذهب إلى تصويب إبليس فى الامتناع من السجود و يفضّله على آدم عليه السّلام و هو بشار بن برد المرغث و من الشعر المنسوب إليه:

النّار مشرقه و الأرض مظلمه و النّار معبوده مذ كانت النّار

و كان أبو الفتوح أحمد بن محمّد الغزالى الواعظ أخو أبى حامد الغزالى الفقيه الشّافعى قاصّا لطيفا و واعظا مفوّها، و هو من خراسان من مدينه طوس و قدم إلى بغداد و وعظ بها و سلك فى وعظه مسلكا منكرا، لأنّه كان يتعصّب لابليس و يقول إنه سيّد الموحّدين.

و قال يوما على المنبر: من لم يتعلّم التوحيد من إبليس فهو زنديق أمر أن يسجد لغير سيّده فأبى.

و لست بضارع إلاّ إليكم و أمّا غيركم حاشا و كلّا

و قال مرّه اخرى لمّا قال له موسى عليه السّلام: أرنى، فقال: لن، قال: هذا شغلك تصطفى آدم ثمّ تسوّد وجهه و تخرجه من الجنّه و تدعونى إلى الطور ثمّ تشمت بى الأعداء هذا عملك بالأحباب فكيف تصنع بالأعداء.

و قال مرّه اخرى و قد ذكر إبليس على المنبر لم يدر ذلك المسكين أنّ أظافير القضاء إذا حكّت أدمت، و أنّ قسىّ القدر إذا رمت أصمّت، ثمّ قال لسان حال آدم عليه السّلام ينشد فى قصّته و قصّه إبليس:

و كنت دليلى فى صعود من الهوى فلمّا توافينا ثبتّ و زلت

و قال مرّه اخرى: التقى موسى و ابليس عند عقبه الطور فقال موسى: يا إبليس لم لم تسجد لادم عليه السّلام؟ فقال: كلاّ ما كنت لأسجد لبشر كيف أوحّده ثمّ ألتفت إلى غيره، و لكنّك أنت يا موسى سألت رؤيته ثمّ نظرت إلى الجبل فأنا أصدق منك فى التوحيد.

و كان هذا النّمط من كلامه ينفق على أهل بغداد و صار له بينهم صيت مشهور و اسم كبير و حكى ابن الجوزى فى التّاريخ أنّه قال على المنبر: معاشر المسلمين كنت دائما أدعوكم إلى اللّه و أنا اليوم أحذّركم منه، و اللّه ما شدّت الزّنانير إلاّ فى حبّه و لا ادّيت الجزيه إلاّ فى عشقه.

و قال أيضا إنّ رجلا يهوديّا أدخل عليه ليسلم على يده، فقال له: لا تسلم فقال له الناس: كيف يمنعهم من الاسلام، فقال: احملوه إلى أبى حامد يعنى أخاه ليعلمه، لا- إلى المنافقين ثمّ قال: ويحكم أتظنّون أنّ قوله لا إله إلاّ اللّه منشور ولايته ذا منشور عزله، و هذا نوع يعرّفه الصوفيّه بالغلوّ و الشّطح.

و يروى عن أبى يزيد البسطامى منه كثير، فممّا يتعلّق بقصّه ابليس ما رووه

بعض من مردته عنه من قوله:

فمن آدم فی البین و من ابلیس لولاکا فتنت الکلّ و الکلّ مع الفتنه یهواکا

انتهی و قال عبد الرزاق الکاشی فی شرح الفصّ النّوحی من الفصوص: کلّما کان المدعوّ أصلب فی دینه و أشدّ إباء للدّاعی إلی ضدّ مقامه کان أشدّ طاعه و قبولا لأمر ربّه و حکمه، حتّی أنّ إباء ابلیس عن السجود و عصیانه و استکباره بحسب ظاهر الأمر عین سجوده و طاعته و خدمته و تواضع لرّبه باعتبار الاراده، انتهی.

و نقل بعضهم عن سهل بن عبد اللّه التّستری من مشاهیر مشایخهم أنّه رأی إبلیس فتکلّم معه و وبّخه علی عدم إطاعته فی سجده آدم و ابعاد نفسه عن تناول الرّحمه، فقال له إبلیس: کیف تبعدنی عن رحمته هلّا قرأت فی القرآن: «وَ رَحْمَتِی وَسِعَتْ کُلَّ شَیْ ءٍ »؟ و أنا داخل فی کلّ شیء فرحمته تسعنی بمقتضی وعده، فافحم الشیخ بذلک فسکت و فارقه ثمّ رجع إلی القرآن فوجد الایه مقیّده بقوله: «فَسَأَکْتُبُها لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ »، فدخلت الحسره علیه بعدم تذکّر هذا القید حتّی یجیبه و یلزمه به، و کان یتمنّی أن یراه مرّه اخری فاتّفق ذلک و استبشر برؤیته فقال له: إنّ الایه التی تمسّکت به مقیّده بقید، فقرأ تمام الایه و ظنّ أنّه غلب علیه و أفحمه بالحجّه من أجل خروجه بالقید، فضحک إبلیس و نظر إلیه نظر تعجّب من عقله و عرفانه و قال له: إنّ ثقتی بعرفانک کانت أکثر من ذلک، قال الشّیخ: و کیف؟ قال ابلیس اللّعین: إنّی کنت معتقدا بمعرفتک بأنّه لیس فی طرف الحقّ قید بل هناک الاطلاق کلّه و إنّما التّقیید من جهتک فتبیّن لی خلاف اعتقادی فی حقّک، فاعترف الشیخ بغلطه و اعتذر منه لمّا رأی أنّه یتکلّم علی اصطلاحهم و یستعمل الألفاظ الدائره بینهم و علم أنه أعرف بمقاصدهم و مطالبهم منه.

و نقل عن المتصوّف الجامی فی بعض حواشیه علی کتاب نقد النصوص فی شرح نقش الفصوص نقل هذه القصّه بوجه إجمالی.

قال: إنّ سهلا التستری رأی إبلیس فقال له: هل ترجو رحمه من عند اللّه؟ قال: نعم لأنّ رحمته وسعت کلّ شیء، فقال سهل: لکنّه قیّدها بقوله: «فَسَأَکْتُبُها »

«لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ »، الایه فقال ابلیس: مه یا سهل فانّ التقیید صفتک لا صفته، انتهی.

و أعجب من هذه أنّ الجامی قد نظم فی مبحثه مباحثه بین موسی علیه السّلام و بین إبلیس من هذا القبیل و هذه منظومته:

پور عمران بدل آن غرقهٔ نور می شد از بهر مناجات بطور

دید در راه سر دوران را قائد لشکر مهجوران را

گفت گز سجدهٔ آدم بچه روی تافتی روی رضا راست بگوی

گفت عاشق که بود کامل سیر پیش جانان نبرد سجدهٔ غیر

گفت موسی که بفرمودهٔ دوست سر نهد هر که بجان بندهٔ اوست

گفت مقصود از آن گفت و شنود امتحان است محب را نه سجود

گفت موسی که اگر حال اینست لعن و طعن تو چراش آیین است

بر تو چون از غضب سلطانی شد لباس ملکی شیطانی

گفت کاین هر دو صفت عاریتند مانده از ذات بیک ناحیتند

گر بیاید صد از این یا برود حال ذاتم متغیّر نشود

ذات من بر صفت خویشتن است عشق او لازمهٔ ذات منست

تا کنون عشق من آمیخته بود در غرضهای من آویخته بود

داشت بخت سیه و روز سفید هر دمم دست خوش بیم امید

این دم از کشمکش آن رستم پس زانوی وفا بنشستم

لطف و قهرم همه یکرنگ شده کوه و کاهم همه همسنک شده

عشق شست از دل من نقش هوس عشق با عشق همی بازم و بس

و ترجمه ما نظمه: إنّ موسی بن عمران ذهب إلی الطور للمناجاه فرأی له إبلیس اللّعین فی أثناء الطریق فقال علیه السّلام له: لم أبیت عن السّجده لادم أجبنی صدقا، قال إبلیس: العاشق الکامل فی السّیر و السلوک لا یسجد غیر معشوقه، فقال علیه السّلام: نعم و لکن العاشق الصّادق یطیع معشوقه فی کلّ ما یأمر و یرید، قال إبلیس:

لم يكن المطلوب بالذّات من الأمر إلّا الامتحان لا السّجود، فقال عليه السّلام: لو كان

الأمر على ما زعمت لم صرت رجيما و استوجبت اللّعن و الطرد و الابعاد و لم انتزعت منك كسوه الملكيه و تلبست بلباس الشيطنه؟ قال إبليس: كلّ من هذين الوصفين لباس العاريه لا مدخليّه لهما فى اتّحاد الذّات و التغيّر فى الصّفات بالغه ما بلغت لا يوجب التّغيّر فى الذات و الذّات باقيه بحالها فى جميع الصّور المتبدّله و عشقه لازم لذاتى و كان عشقى غير ممحّض و أمرى دائرا بين الخوف و الرّجا حتّى إذ أبيت السّجود تمحّضت فى مقام التوحيد و عبوديّه المعبود، فلم يبق فرق بالنّسبه إلىّ بين القهر و الرّحمه و لا بين الجحيم و الجنّه.

أقول: الظاهر أنّ راوى هذه المناظره هو نفس إبليس اللّعين رواها لأوليائه المتصوّفين و أثبت فيه غلبته على موسى عليه السّلام و تسليم موسى عليه السّلام له كما قال تعالى:

«وَ كَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً »... «وَ لِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَهُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ لِيَرْضَوْهُ وَ لِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مُقْتَرِفُونَ ».

و يظهر من ولعهم بروايته و نظمهم له فى أشعارهم ابتهاجهم بتلك المحاجّه و امتنانهم من إبليس، لكونه صوفىّ المذاق، بل يظهر من ذلك أنّ أصل المؤسس لمذهبهم هو إبليس حيث أسّس الأصل فى مسأله وحده الوجود فأوحى بذلك إلى أوليائه الملحدين فأطاعوه و اتّخذوه لهم دينا و جعلوا أنفسهم للشيطان قرينا فساء قرينا، لعن اللّه الضّالين و المضلّين و الهادين و المهديّين و المرادين و المريدين و عذّبهم عذابا أليما.

و منها

قولهم بالجبر

كالأشاعره:

و هو لازم القول بوحده الوجود، فانّ الخلق إذا كان عين الحقّ و كان سمعه و بصره و لسانه و يده و رجله و جميع جوارحه على زعمهم حسبما عرفت فيما تقدّم فيكون جميع ما يصدر منه مستندا إليه تعالى كما تقدّم التّصريح بذلك

فیما حکیناه عن فصوص ابن العربی من الفصّ العیسوی، حیث قال هناک فی تأویل قوله تعالی حکایه عن عیسی علیه السّلام: «إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ »، لأنّک أنت القائل فی صورتی و من قال أمرا فقد علم ما قال، و أنت اللّسان الّذی أتکلّم به کما أخبرنا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن ربّه فی الخبر الالهی، فقال: کنت لسانه الّذی یتکلّم به فجعل هویته عین لسان المتکلّم، و نسب الکلام إلی عبده، و قد صرّح بمثل ذلک فی غیر موضع من الفصوص، و تکرّر فی کلامه و کلام غیره أن لا فاعل إلّا هو.

و قال شیخهم الشّیخ محمود الشّبستری فی کتاب گلشن راز:

هر آن کس را که مذهب غیر جبر است نبی فرمود کو مانند گبر است

أقول: لمّا کان مذهبه الجبر فسّر الخبر المرویّ عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: القدریّه مجوس هذه الامه، بما فسّر و لا یخفی أنّ الجبریّه یقولون إنّ القدریّه هم المفوّضه لانکارهم قضاء اللّه و قدره فی أفعال العباد، و المفوّضه یقولون إنّ القدریّه هم الجبریه لقولهم بالقضاء الحتم و القدر اللّازم فی أفعال العباد و الذی یستفاد من عدّه أحادیث أنّهم المفوّضه، و یستفاد من بعض الأخبار أنّهم الجبریه، و هو المستفاد من کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام الذی یأتی ذکره فی شرح أوائل باب الحکم عند شرح قوله و من کلام له علیه السّلام لما سأله سائل: أ کان مسیرنا إلی الشام بقضاء من اللّه و قدره آه، فانّا إن ساعدنا التّوفیق انشاء اللّه نروی هناک من الکافی و غیره عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أنّه قال بعد إبطال الجبر: تلک مقاله إخوان عبده الأوثان و خصماء الرّحمن و حزب الشیطان و قدریّه هذه الامه و مجوسها.

قال بعض الأفاضل: و الجمع بین الأحادیث یقتضی أن یکون الجبریه و المفوضه کلّهم قدریه و مجوس هذه الامه، و المؤمن المحقّ من قال بالأمر بین الأمرین.

و الحاصل أنّ الصوفیه متّحدون مع الأشاعره فی القول بالجبر إلّا أنّ مشربهم فیه مختلف، فانّ مسلک کلّ من الطائفتین یخالف مسلک الاخر فی ذلک.

قال السيد حيدر بن علىّ العبيدى الحسينى و هو من صوفيه الشيعه كما فى مجالس المؤمنين فى محكىّ كلامه من كتابه المسمّى بجامع الأسرار و من شرحه على الفصوص:

إنّ بعض الناس توهم أنّ الأشاعره الذين نسبوا أفعال العباد حسنا و قبحا إلى اللّه و القائلين بأنه لا فاعل إلّا هو موافقون فى توحيد الأفعال مع أهل الكشف و الحال، مع أنّ ما قاله الأشاعره خطاء محض، و ذلك لأنهم و إن كان بحسب ظاهر كلامهم و عبارتهم يقولون: لا فاعل إلاّ هو، كما يقوله أهل الكشف و لكن بحسب الباطن و المعنى بينهما بون بعيد، لأنّ الأشاعره مختفيه فى الظلمات محجوبه بالحجاب مشركه بالشرك الخفىّ، لأنهم لم يخلصوا بعد من رؤيه الغير، و لم يصلوا إلى مرتبه التوحيد الوجودى الذى هو مشاهده وجود الحقّ من دون ملاحظه وجود الغير، و أما أهل الكشف و الحال فانهم قد تكلّموا بهذا الكلام و قالوا هذا القول بعد الفناء فى الحقّ و الفراغ عن رؤيه الخلق قال شاعرهم:

قومى نه ز ظاهر نه ز باطن آگاه و آنگه ز جهالت بضلالت گمراه

مستغرق شر كند حقيقت گويند لا فاعل أصلا أبدا غير اللّه

هذا و أنت بعد ما عرفت بطلان القول بوحده الوجود من أصله تعرف بطلان القول بالجبر الذى يقوله الصوفيه، لكون هذه المسأله من فروعات تلك المسأله، و مثل كلمه خبيثه كشجره خبيثه اجتثّت من فوق الأرض ما لها من قرار.

و أما بطلانه على ما يقوله الأشاعره فستعرفه بما لا مزيد عليه إنشاء اللّه تعالى فى باب المختار من الحكم إن ساعدنا التوفيق و المجال، و وفقنا اللّه العزيز المتعال و اللّه هو الموفق و المعين على كلّ حال.

و منها

اعتقادهم بأنّ السالك إذا عبد اللّه و بلغ إلى مرتبه الوصول و اليقين سقطت

عنه العبادات

و لا يبقى له حاجه إليها لقوله تعالى: «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ »،

و اليقين عندهم هو العلم و العرفان و عند أهل البيت عليهم السّلام اليقين هو الموت و يشهد بأنّ اعتقادهم ذلك ما قاله العلامه الحلّى قدّس اللّه روحه فى كتاب نهج الحقّ حيث قال:

شاهدت جماعه من الصوفيه فى حضره مولينا الحسين عليه السّلام و قد صلّوا المغرب سوى شخص واحد منهم كان جالسا و لم يصلّ، ثم صلّوا بعد ساعه العشاء سوى ذلك الشخص، فسألت بعضهم عن ترك ذلك الشخص لصلاته فقال: و ما حاجته هذا إلى الصلاه و قد وصل أ يجوز أن يجعل بينه و بين اللّه حاجبا، فقلت: لا فقال: الصلاه حاجب بين العبد و الربّ.

قال «قد»: فانظر أيها العاقل إلى هؤلاء و عقايدهم فى اللّه تعالى كما تقدّم و عبادتهم كما سبق و اعتذارهم فى ترك الصلاه كما مرّ، و مع هذا فانهم عندهم الأبدال، فهؤلاء اسم أجهل الجهال، انتهى كلامه رفع مقامه.

و روى بعض أصحابنا عن ابن أبى جمهور الاحسائى فى كتابه الموسوم: مجلى مرآه المنجى قال: قال فى أواسط الكتاب المذكور:

من هذا التقرير علم أنّ التكليف البدنى لا يتمّ بدون التكليف العقلى، و أنه متى خلا منه كان غير صحيح فالتوجّه و الاقبال و دوام الفكر شرط فى صحه العباده البدنيه، و لا يكفى حصولها من البدن من دون ذلك التوجّه و الاقبال المستلزمين لدوام الفكر و الحضور المعنوى عند المعبود على ما تحقّق عند أهل هذه الطريقه ردّا على أهل الظاهر.

و علم أيضا أنّ التوجّه و الاقبال و الحضور المعنوى من دون الأعمال الصّوريه الظّاهره بالقوى البدنى غير كاف، و لا مخرج من عهده التّكليف العقلى، خلافا للاباحيّه القائلين بأنّ العارف الواصل لا يحتاج إلى هذه الصّوره الظاهره لانقطاعه عنها و وصوله إلى ما ورائها، فتكون حاجبه له، و هو عند التّحقيق و أهل اللّه من الأوهام الشّيطانيّه، فانّ ملاحظه الصّور كما لا يتمّ بدون المعانى كذا لا يتمّ المعانى بدون الصّور، و الأعمال مظاهر هذه المعانى، فلا يتمّ حصولها بدون مظاهرها،

و المقصود من الوصول ترک ملاحظه العمل لا ترک العمل فتدبّره فانّه به تمّ هذا الموضع، و ما أحسنه من سرّ لا یطّلع علیه إلّا بفکره صادقه.

و به ینحلّ ما یرد من الشّکوک من جماعه الاباحیّه کما قد وقع لی مع بعض الاباحیّه من المباحثه فأجبته بهذا الجواب فانقطع.

و ذلک انّه قد ذکر لی و أنا یومئذ مقیم بأرض نجد ببلاد یقال لها الدّرعیه إنّ فی جبل بها رجلا منقطعا عن النّاس معتزلا بنفسه عن مخالطه أحد من بنی نوعه و أنّه فی الأصل رجل من أهل الیمن ورد غریبا و انقطع إلی هذا الجبل.

فجئت إلی موضعه و سلّمت علیه فردّ السّلام فرأیت رجلا نبیلا حسن المنطق علیه أثر الصلاح، فحادثته فی فنون العلم فرأیت له ذوقا جیّدا.

فقلت له: ما أحسن ما أنت فیه من هذا الانقطاع إلّا أنّی سمعت أنّک لا تصلّی الصّلاه الشّرعیه بالصّوره الظاهره الّتی جاء بها الشرع المحمّدی، أفلست علی ملّته؟ فقال: بلی و لکن ما أعمل بهذه الصّوره الظاهره أنّها حجاب للواصل مرتبه الحضور المنقطع عن هذه الصّور المشاهد الحقّانی الذی لم یفارق باب الملک، أو لا تعلم أنّ الصّلاه مشتقّه من الصّله و بها یتوصّل المحجوب بالصّور إذ لاحظ بها القرب المعنوی؟ قلت: بلی فقال: فما احتیاج الواصل إلی ما به یتوصّل إنّه قد استغنی بالوصول عن الموصل و ما یعمل الحاجّ بالرّاحله إذا وصل إلی مکّه و تمّ نسکه و قصده المجاوره فانّه حینئذ لغنیّ عنها فقلت: و أنت من أهل الوصول و الاتصال بحضره ذی الجلال؟ فقال: نعم.

فقلت: علی تقدیر تسلیم وصولک فهل وصولک أتمّ من وصول نبیّک محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم؟ و هل اتّصالک أعلی من اتّصاله؟

فقال: حاشا و كلاّ- بل الواصل الحقيقى هو لا- غيره و به يتّصل الكلّ و جميع الخاصّه و خاصّه الخاصّه عنه أخذوا مراتبهم و مقاماتهم فى النشأتين.

فقلت: فكيف هو مع ذلك الوصول التام و الاتصال الكامل لم يترك هذه الصور الظاهره و لا العبادات الشرعيه، بل كان دايم المواظبه عليها شديد العنايه بها.

فقال: إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وصل و ردّ و أنا وصلت و ما رددت.

فعجبت من كلامه و فهمت منه ظاهره و خفى علىّ فى بادى الحال باطنه، فقلت: إذا يلزمك أن تكون أفضل منه إذ لا يشكّ كل عاقل أنّ غير المردود أفضل من المردود.

فضحك عن تهافت فهمى عن إدراك ما أراد من معنى الرّد.

فقال لى: و هذا منك ضمّ جهل إلى جهل.

فقلت له: أبن لى عن مقصودك و افهمنى مرادك لأقوم لك بالعذر.

فقال: إنه ردّ إلى تكميل الخلق و ايصالهم إلى بارئهم و منشئهم على الطريقه المرضيه لما علم اللّه فيه من القوّه الملكيه و النفس القدسيه البالغه فى حدّ الكمال إلى مرتبه القدره على التكميل و الارشاد لهذا الخلق و الجمع بين الجانبين، فلا يمنعها الاشتغال بتكميل الخلق عن الحضور بين يديه فى أغلب أوقاته و أخذ ما يحتاج إليه الخلق منه، و لا يمنعها الحضور بين يديه و الاشتغال بخدمته عن هدايه الأنام و تكميلهم لما فيه من القوّه الجامعه بين الأمرين، و أنا المسكين لما لم أكن فى هذه المرتبه بل و لا قريبا من بعض البعض منها لم أكن من أهل الردّ و لا من المستحقين له، بل شأنى و منتهى ما تقتضيه قوّتى لزوم باب الملك و الحضور بين يديه و التلقى لنفحات و ارداته، فأنا فى مرتبه قولهم: لو نطق العارف هلك، فهذا معنى قولى: إنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وصل و ردّ و أنا وصلت و ما رددت، لا كما ذهب إليه وهمك الرّدى و فهمك القاصر.

ثمّ قال: فاذا علمت أنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المردودين لتكميل الخلق و ايصالهم إليه بطريق الشريعه و الطريقه و الحقيقه على مراتبهم لم يحسن منه بل و لم يجز له ترك

الصوره الظاهره و لا رفض الأعمال البدنيه لأنه المقتدى به و المتبوع اثره فصلاته و عباداته لا للتوصّل و التقرّب بها، لأنه فى الحقيقه و اصل قريب بل هو الأقرب الذى ليس وراء قربه قرب و لا بعد وصوله وصول، بل لتقتدى به العامه و يتوصّل باثاره و أطواره الخاصه، و أما أنا فلا حاجه لى إلى هذه الصوره لانقطاعى عنها بمشاهده الحقائق.

فسحرنى بكلامه و بهر عقلى بزخارف تقريراته حتى غلب علىّ الوهم أنه محقّ أو قريب من التحقيق، ثمّ أيّدنى اللّه بمنّه فرجعت إلى نفسى و ثاب إلىّ عقلى و قلت له فى الحال بلا إمهال: ليس بالوصول ينقطع العمل، و لا لأجله يترك الأوامر الشرعيه، فانّ ذلك وهم شيطانىّ مهلك، و خيال إبليسىّ مرد، بل الوصول عند أهل الوصول ترك ملاحظه العمل لا ترك العمل.

فسكت و انقطع عن الجواب و بقى ساعه متفكرا ثمّ قال: يا هذا قد أشغلتنى عمّا أنا فيه فلا تكثر علىّ الكلام و لا تعاودنى بشىء من الخطاب. فقم عنّى عجلا و دعنى و شغلى فما انقطعت فى هذه المفازه إلّا خوفا من أمثالك.

فخرجت عنه و انقطعت حجّته و بان عجزه و علمت أنّ الوهم المردى هو الّذى أهلكه، فعلم أنّ انقطاع حجج الاباحيه إنّما يكون بملاحظه هذا السّر فلا تغفل عن تدبّره، انتهى.

أقول يا أهل البصيره و البصر و اولى الاربه و الفكر انظروا بنظر الدّقه و العبر إلى عقيده هذا الصوفى الذى عن الخلق اعتزل، و بزعمه إلى مقام الزّلفى وصل، و الحال أنّه تاه و ضلّ، و هو بمعزل عن الحقّ عزّ و جلّ، فليكفك من العيان السّماع، و من الغيب الخبر، فقس على اعتقاده عقيده من مضى منهم و من غبر، تعرف بذلك أنّ من دان بهذه العقيده كالأنعام، بل أضلّ سبيلا، فلعن اللّه المتديّن بها بكره و أصيلا، و عذّبهم عذابا أليما و بيلا.

و العجب من ابن أبى الجمهور كيف سلّم لهذا الجاهل هذه التّرهات، و لم يردعه من تلك السقطات، و لم يكفّره فى أوّل الأمر و لم يقل إنّ دعواك الوصول

نفخ بغير ضرم، و مشى بلا قدم. كنت تدعى أنك من المسلمين مع أنّك من المشركين، و تزعم أنك على ملّه سيد المرسلين و أنت فى تلك الدعوى من المبطلين.

لأنّ الواجب على المتديّن بدين الاسلام، و المستنّ بسنه سيّد الأنام أن يطيع اللّه و رسوله و أولياء أمره الكرام، فى جميع ما جاء به الكتاب و السنه من التكاليف و الأحكام.

و أعظم تلك التكاليف الصلاه التى هى عمود الدين، و معراج المؤمنين، و كم من آيه متضمنه لخطاب أقيموا الصلاه، و كأيّن من روايه قائمه على وجوب إقامتها فى الأوقات الموظفات، بل ضروره الدين قاضيه بعدم جواز تركها فى شىء من الحالات، حتى حاله الاشراف على الموت و الاياس من الحياه، فما هذا شأنها كيف يمكن سقوطها فى حاله الوصول، مع أنّ الوصول بالمعنى الّذى تقول غلط غير مقبول.

و بالجمله فاللازم على ابن أبى الجمهور أن يجيب هذا الجاهل السّفيه المعتوه بمجرّد اعترافه بأنّه من المسلمين بأنّ وجوب الصّلاه فى جميع الحالات من ضروريّات الدّين، فأىّ دليل دلّ على سقوطها من الواصلين، بل لما جعلها سيّد المرسلين بمنزله عمود الفسطاط كان تاركها هادما لفسطاط دينه متردّيا فى أسفل السّافلين.

و لكنّه لمّا كان صوفىّ المذاق و لذلك سلك فى كتبه مسلك الملاحده اللّئام و المتصوّفه العوام أصغى إلى طول مقال هذا الجاهل، و أطال فى سؤاله و جوابه بلا طائل، ثمّ أجاب بمصطلحات الصّوفيّه على مقتضى مذاقه و سليقته، و لم يجبه بالأصول الشّرعيه الممهّده حسبما أجبناه، لأنّ الأرواح جنود مجنّده، و إنّما الفيل يألف الفيلا.

فو اللّه العظيم جلّ جلاله إنّ الاباحيه من الصوفيه بل جميع المدّعين للوصول لناكبون عن طريق السداد، و زائغون عن نهج الرشاد، مستحقّون اللعن و الطرد و الابعاد، محجوبون عن حضره ربّ العباد، و من أضلّ اللّه فما له من هاد،

و لنكتف من ذكر عقايدهم الفاسده بما أوردناه و نعطف عنان القلم إلى ما سواه فأقول و باللّه التوفيق:

و أما الافعال و الاعمال

التى انحرفوا فيها عن النهج المقرّره فى الشريعه و استبدّوا فيها بارائهم الفاسده و عقولهم السخيفه فأكثر من أن تحصى و لنشر إلى بعضها فأقول:

منها

اعتمادهم على الأحاديث المجهوله و تأويلهم على الأخبار المجعوله

كما يظهر ذلك لمن راجع إلى كتبهم، بل يجوّز بعضهم وضع الأحاديث الكاذبه مع ما سمعوه من قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الحديث المتّفق عليه بين الفريقين: من كذب علىّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار حسبما يأتى فى المختار الاتى.

و يشهد بتجويزهم للوضع ما قاله قاضى القضاه أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانى القاهرى الشافعى فى شرح رساله كتبها فى علم الدّرايه و سمّاها بنخبه فى مصطلح أهل الأثر بعد ما ذكر بعضا من القراين التى يدرك بها الوضع:

و الحامل للواضع على الوضع إما عدم الدّين كالزنادقه أو غلبه الجهل كبعض المتعبّدين، أو فرط العصبيّه كبعض المقلّدين، أو اتّباع هوى بعض الرّؤساء أو الأحزاب بقصد الاشتهار و كلّ ذلك حرام باجماع من يعتدّ به.

إلاّ أنّ بعض الكراميه و بعض الصوفيه نقل عنهم إباحه الوضع فى الترغيب و الترهيب، و هو خطاء من فاعله نشأ من جهل، لأنّ الترغيب و الترهيب من جمله الأحكام الشرعيه و اتّفقوا على أنّ تعمد الكذب على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من الكبايز.

و بالغ أبو محمّد الجوينى فكفّر من تعمّد الكذب على النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و اتّفقوا على تحريم روايه الموضوع إلاّ مقرونا ببيانه لقوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: من حدّث عنّى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذّابين، أخرجه مسلم، انتهى.

و قال السيد نظام الدّين أحمد بن إسحاق من كتاب الأربعين المسمّى بنظم اللّئالى الملاح فى الأحاديث العوالى الصّحاح:

لا فرق فى تحريم الكذب عليه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بين ما كان فى الأحكام و فيما لا حكم فيه كالترغيب و الترهيب و المواعظ و غير ذلك، فكلّه حرام من أكبر الكبائر و أقبح القبايح باجماع المسلمين الذين يعتدّ بهم.

خلافا للكراميه المبتدعه فى زعمهم الباطل أنه يجوز وضع الحديث فى الترغيب و الترهيب، و تابعهم على هذا كثير من الجهله المنتسبين إلى الزهد، و شبهه زعمهم الباطل أنه جاء فى روايه من كذب علىّ متعمدا ليضلّ به الناس فليتبوّأ مقعده من النار.

و قد أجاب العلماء عنه بأجوبه أحسنها و أخصرها أنّ قوله: ليضلّ به الناس زياده باطله باتّفاق الحفاظ على إبطالها و أنها لا تعرف صحيحه بحال.

الثانى جواب أبى جعفر الطحاوى أنها لو صحّت لكانت للتأكيد كقوله تعالى «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النّاسَ ».

الثالث أنّ اللام فى ليضلّ ليست لام التعليل بل هى لام الصيروره و العاقبه معناه أنّ عاقبه كذبه و مصيره إلى الاضلال كما فى قوله تعالى: «فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَناً »، و نظائره فى القرآن و كلام العرب أكثر من أن تحصى و على هذا يكون معناه فقد يصير أمر كذبه إضلالا.

و نقل الجامى فى شرحه على منتخب الفصوص: إنّ سلطان العارفين أبا يزيد البسطامى قال لبعض علماء الرسوم و نقله الأحكام و الاثار و الأخبار: أخذتم علمكم ميّتا عن ميّت و أخذنا علمنا من الحىّ الّذى لا يموت.

أقول: و هذا تعريض منه على المحدّثين و رواه أحاديث المعصومين عليهم السّلام بل هو تصريح بنقصهم و انحطاط درجتهم سلام اللّه عليهم.

و نقل مثل ذلك الجزايرى فى الأنوار النعمانيه قال: و قد كان فى زماننا رجل من الصوفيّه يزعم أنّه من علماء الشّيعه و كان يخطب أصحابه يوما فقال و هو على

المنبر: إنّی کتبت الاصول الأربعه یعنی الکافی و التهذیب و الاستبصار و الفقیه و قرأتها و صحّحتها و لمّا رأیتها عدیم الفایده بعتها بدرهم واحد و رمیت ذلک الدّرهم بالماء، فانظر إلی ایمان هذا الرّجل علیه لعنه اللّه و الملائکه و النّاس أجمعین.

فقد علم بذلک أنّ الصّوفیه ستیّا کانت أو شیعیا لا جریحه لهم فی أمر الدّین، و لا مبالاه فی ملاحظه مدارک الشّرع المبین، فتاره یجوّزون وضع الأحادیث، و تاره یعتمدون علی الأخبار المرسله و المجهوله، بل علی الموضوعه و المجعوله فی إثبات مطالبهم الفاسده، و ثالثه یستخفون الأخبار المعتبره و یستحقرون رواتها و یستهزءون لنقله الأحادیث و الأخبار، و ذلک کلّه لبعدهم عن قوانین الشّریعه، و مع ذلک یزعمون أنّهم وصلوا الحقیقه، و الحال أنّهم لم یعرفوا الشّریعه فضلا عن الطریقه و الحقیقه.

و منها

التزامهم بکون ورودهم و صدورهم فی مقام السیر و السلوک بدلاله المرشد

زعما منهم أنه أعرف بطرق السیر و متابعته أسرع فی الایصال و الوصول، و ذکروا فی آداب السالک انه:

یجب أن یکون کامل الاعتقاد فی حقّ الشیخ بحیث لا یری أکمل منه فی عصره من حیث الارشاد و التربیه و التهذیب و التأدیب، إذ لو کان ضعیف الاعتقاد لم یکن له وقع عنده فلا یؤثر فیه أقواله و افعاله، و کلما کان اعتقاده به أشدّ کان تاثیر أقواله و أفعاله فیه آکد.

و یجب أیضا أن یقوم فی مقام التسلیم و الاذعان حتی لو رأی منه منکرا لا ینکره و لا یطعن به علیه و یذکر فی ذلک قصه موسی و الخضر علیهما السّلام.

و یجب أیضا أن یسلب عن نفسه بکلّیته الاختیار و یکون مطیعا له فی کلّ ما یأمر و ینهی من الأمور الدّنیویّه کالأکل و الشّرب و النّوم و اللّباس و القیام و القعود و الحرکه و السّکون و غیرها، أو الأمور الدّینیّه حتّی العبادات المندوبه

من الصّوم و الافطار و الاكثار من النّوافل و الاقتصار على الفرائض و الذّكر و التلاوه و المراقبه و غيرها، فلا يقدم على شىء منها إلّا باذنه و لو رأى أنّه يكرهها لا يجوز إقدامه عليها.

و يجب أيضا أن ينتظر و يترصّد ما يصدر عن لسان الشّيخ فيتبعه لكونه واسطه كلام الحقّ إلى غير ذلك ممّا ذكروه فى آداب السّالك و محصّل ذلك كلّه أن يشرب المريد قلبه حبّ الشّيخ و يكون راسخ الاعتقاد فى حقّه و يأخذ معالم دينه عنه، لأنّه صاحب الولايه الجزئيه، و من مجالى الولايه الكليّه و للولىّ أن يكون نافذ التّصرف فى حقّ المولّى عليه.

و أوّل من أسّس هذا الأصل الفاسد و ادّعى لنفسه الولايه و تلقّاه أتباعه منه بالقبول هو الرّجس الخبيث ابن العربى، فانّه لكونه ستيّا ضالّا منحرفا عن أولياء الدّين و الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين ادّعى أنّه خاتم الأولياء ثمّ سرى ذلك الوهم الباطل و الغلط الفضيح منه إلى الأعقاب حتّى جهّال الشيعه المتصوّفه فسمّوا مرشديهم بالأولياء.

و ينبغى إشباع الكلام فى المقام لأنّه ممّا زلّت فيه أقدام أقوام من العوام فأقول:

زعم ابن العربى ما حى الدّين و هادم أساس الشّرع المبين أنّه خاتم الولايه المحمّديّه، و قد أشار إلى ذلك فى مواضع من الفصوص و الفتوحات و لنشر إلى موضع واحد.

قال فى الفصوص فى الفصّ الشّيثى «و لما مثل النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم النّبوّه بالحائط من اللّبن و قد كمل سوى موضع لبنه واحده فكان صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تلك اللّبنه غير أنّه لا يراها إلّا كما قال لبنه واحده و أمّا خاتم الأولياء فلابدّ له من هذه الرّؤيا فيرى ما مثّله به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يرى فى الحائط موضع لبنتين و اللبنتان من ذهب و فضّه فيرى اللبنتين اللتين ينقص الحائط عنهما و يكمل الحائط بهما لبنه ذهب و لبنه فضّه فلابد أن يرى نفسه تنطبع فى موضع تينك اللبنتين فيكمل الحائط»

قال القيصرى: أى لمّا مثل خاتم الرّسل النّبوّه بالحايط و رأى نفسه تنطبع فيه لا بدّ أن يرى خاتم الولايه نفسه كذلك لما بينهما من المناسبه و الاشتراك فى مقام الولايه.

«و السبب الموجب لكونه رآها لبنتين انه تابع لشرع خاتم الرّسل فى الظاهر و هو» أى كونه تابعا «موضع اللبنه الفضيّه و هو ظاهر و ما يتبعه فيه من الأحكام» أى موضع اللبنه الفضيّه صوره متابعه خاتم الأولياء لخاتم الرّسل عن الأحكام و صوره ما يتبعه فيه و انطباعه موضع اللبنه يكمل المتابعه و لا يبقى بعده متابع آخر كما لا يبقى بعده ولىّ آخر.

«كما هو آخذ عن اللّه فى السرّ ما هو بصوره الظاهره متّبع فيه» أى خاتم الولايه تابع للشرع ظاهرا كما أنه آخذ عن اللّه باطنا لما هو متّبع فيه للصوره الظاهره «لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلابدّ أن يراها هكذا» أى لأنه مطلع على ما فى العلم من الأحكام الالهيه و مشاهد له و إلاّ لم يكن خاتما «و هو موضع اللبنه الذّهبيه فى الباطن» أى كونه رائيا للأمر الالهى على ما هو عليه فى الغيب هو موضع اللّبنه الذّهبيّه «فانّه يأخذ من المعدن الّذى يأخذ منه الملك الّذى يوحى به إلى الرّسول» و هو الحق تعالى، هذا.

و نقل القيصرى عنه فى شرح هذا الفص انّه قال فى فتوحاته:

أنّه رأى حائطا من ذهب و فضّه و قد كمل إلاّ موضع لبنتين إحداهما من فضّه و الاخرى من ذهب، فانطبع موضع تلك اللّبنتين و قال فيه و أنا لا اشكّ انّى أنا الرّائى و لا أشكّ انّى أنا المنطبع موضعهما و بى كمّل الحائط، ثمّ عبّرت الرّؤيا بانختام الولايه بى و ذكرت المنام للمشايخ الّذين كنت فى عصرهم و ما قلت من الرّائى فعبّروا بما عبّرت به.

و الظّاهر ممّا وجدت فى كلامه فى هذا المعنى أنّه خاتم الولايه المقيّده المحمّديه لا الولايه المطلقه الّتى لرتبته الكلّيه.

و لذلک قال فی أوّل الفتوحات فی المشاهده: فرآنی أی رسول اللّه و رأی الختم لاشتراک بینی و بینه فی الحکم فقال له السّید هذا عدیلک و ابنک و خلیلک و العدیل هو المساوی.

قال فی الفصل الثالث عشر من أجوبه الامام محمّد بن علیّ التّرمذی: الختم ختمان ختم یختم اللّه به الولایه مطلقا، و ختم یختم اللّه به الولایه المحمّدیّه.

فأمّا ختم الولایه علی الاطلاق فهو عیسی علیه السّلام فهو الولیّ بالنبوّه المطلقه فی زمان هذه الامّه و قد حیل بینه و بین نبوّه التشریع و الرّساله فینزل فی آخر الزمان وارثا خاتما لاولیّ بعده فکان أوّل هذا الأمر نبیّ و هو آدم علیه السّلام و آخره نبیّ و هو عیسی علیه السّلام أعنی نبوّه الاختصاص فیکون له حشران حشر معنا و حشر مع الأنبیاء و الرّسل.

و أمّا ختم الولایه المحمّدیه فهو لرجل من العرب أکرمها أصلا و بدءا و هو فی زماننا الیوم موجود عرفت به سنه خمس و تسعین و خمسمائه و رأیت العلامه التی قد أخفاها الحقّ فیه عن عیون عباده و کشفها لی بمدینه فامن حتّی رأیت خاتم الولایه منه و هی الولایه الخاصّه لا یعلمه کثیر من النّاس و قد ابتلاه اللّه بأهل الانکار علیه فیما تحقّق به من الحقّ فی سرّه.

و کما أنّ اللّه ختم بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نبوّه التّشریع کذلک ختم اللّه بالختم المحمدی الولایه التی تحصل من الوارث المحمّدی لا الّتی تحصل من سایر الأنبیاء فانّ من الأولیاء من یرث إبراهیم و موسی و عیسی و هؤلاء یوجدون بعد هذا الختم المحمّدی، هذا ختم الولایه المحمدیّه و أمّا ختم الولایه العامّه الذی لا یوجد بعده ولیّ فهو عیسی.

و قال فی الفصل الخامس عشر منها: فانزل فی الدّنیا من مقام اختصاصه استحقّ أن یکون لولایته الخاصّه ختم یواطی(۱) اسمه اسمه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یجوز خلقه و ما هو بالمهدی المسمّی المعروف المنتظر فهو ذلک من عترته و سلالته الحسّیه و الختم لیس من سلالته الحسّیه و لکن من سلاله أعرافه و أخلاقه و الکلّ إشاره إلی

۱- (۱) یشیر إلی نفسه لأنّ اسمه محمد بن علی العربی الاندلسی منه ()

نفسه، انتهى ما نقله القيصرى.

فقد علم بذلك كلّه أنّ هذا الخبيث الملحد قد ادّعى دعوى أعظم من فيه حيث إنّه ادّعى تاره أنّه خاتم الولايه، و اخرى أنّه عديل النّبوّه و مساو له صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الرّتبه، و ثالثه أنّه أفضل من الأنبياء و الرّسل لتلقّيه الوحى بلا واسطه من الحقّ و تلقّى الرّسل له بواسطه الملك كما قال فى آخر كلامه: فانّه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الّذى يوحى به إلى الرّسل و هو الحقّ تعالى و لمّا سمع أصحابه منه هذه الهذيانات سلموا له ذلك لما استحوذ عليهم الشيطان اللّعين و أضلّهم عن السّبيل و سرى ذلك الفساد و الضّلال إلى الأعقاب و إلى أتباع كلّ ناعق من متصوّفه العامه فسمّوا مرشدهم بالشيخ و الولى و وصفوهم بالولايه.

ثمّ تعدّى عنهم إلى جهّال الخاصّه المتصوّفه فاحتذوا حذوهم و اتّخذ كلّ سلسله منهم مرشدا مخصوصا و وصفوه بالولايه و فوّضوا عليه زمام امورهم الدّنيويّه و الدّينيه و عنه أخذوا الاذكار المخترعه و الأوراد المبتدعه، و وقّروه و عظّموه و مجّدوه و زاروه، بل ربما ينقشون صورته المنحوسه فى قرطاس أو لوح و يجعلونه فى مصلاهم يزورن تلك الصوره و يقبّلونها و يضعونها على رؤوسهم فى الغدوّ و الرّواح يلتمسون بذلك الخير و البركه و التقرّب إلى اللّه تعالى، زعما منهم أنّ تقرّبه موجب لتقرّبه عزّ و جلّ كما قال عبده الأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه.

و لم يدروا أنّ ذلك كلّه بدعه و ضلاله لكونه مخالفا للأصول الشرعيّه و لقواعد مذهب الاماميه.

و ذلك لأنّ الولايه الكلّيه و السلطنه الالهيه و وجوب الاطاعه بنصّ آيه: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ » و آيه: «أَطِيعُوا اللّهَ » الايه و غيرها من آيات الكتاب و أحاديث الأئمه الأطياب منحصره فى اللّه سبحانه و فى رسوله و اولى الأمر من ذرّيته أعنى الأئمه الهداه و القاده الدّعاه و الساده الولاه سلام اللّه عليهم أجمعين، فيجب طاعتهم و الرّجوع إليهم و أخذ معالم الدّين عنهم فى زمان حضورهم.

و أما فى زمان الغيبه الكبرى و الطامه العظمى فيجب الرّجوع إلى من

أرجعنا أولياء الأمر عليهم السّلام إليه و فرضوا علينا أخذ التكاليف الشرعيه منه و أوجبوا علينا متابعته و طاعته، و هم المجتهدون الجامعون لشرائط الافتاء و القابلون لنيابه الامام فقط.

فلقد قال صاحب الأمر عجّل اللّه فرجه فى حقّهم: و أما الحوادث الواقعه فارجعوا فيها إلى رواه أحاديثنا فانهم حجّتى عليكم و أنا حجّه اللّه.

و قال الصادق عليه السّلام فى مقبوله عمر بن حنظله الطويله الوارده فى حقّ المتخاصمين:

ينظران إلى من كان منكم ممّن قد روى حديثنا و نظر فى حلالنا و حرامنا و عرف أحكامنا فليرضوا به حكما فانى قد جعلته عليكم حاكما فاذا حكم بحكم فلم يقبل منه فانما استخفّ بحكم اللّه و علينا ردّ و الرّاد علينا كافر رادّ على اللّه و هو على حدّ الشرك باللّه.

و نحوهما أخبار لا حاجه إليها فبمقتضى هذه الأخبار و ساير الأدلّه التى ذكرها أصحابنا رضى اللّه عنهم فى كتب الاصول لا يجوز التعويل و الاعتماد على غير هؤلاء.

فالصوفيه الذين يتّخذون لهم مرشدا و دليلا و يسمّونه شيخا و وليا و يأخذون آداب السير و السلوك إلى اللّه منه مع كونه جاهلا ضالاّ عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى مثلهم إنما مثلهم كمثل العنكبوت اتّخذت بيتا و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون، بل مثل من أسّس بنيانه على شفا جرف هارفا نهار به فى نار جهنم.

و ذلك لأنهم قد سلكوا الطريق بغير دلاله الدّليل الواجب الاتباع و هو المجتهد الجامع لشرائط الافتاء، بل قلّدوا جاهلا لا يعرف الباطل و الحقّ و لا يفرّق بين النعق و النهق، و لئن قلت لهم: أنتم قلّدتم هذا الجاهل فيستوحشون منه و ينكرون غايه الانكار مع أنّ التقليد ليس عباره إلاّ عن أخذ قول الغير من غير مطالبه الدليل و هذا حالهم مع هذا الضليل.

و قد أشير إلى بطلان مثل هذه المتابعه و التقليد و إلى النهى عنها فى آيات

و أخبار كثيره.

مثل ما رواه فی الوسایل عن الكلینی باسناده عن محمّد بن عبید قال: قال لی أبو الحسن علیه السّلام: یا محمّد أنتم أشدّ تقلیدا أم المرجئه؟(۱) قال: قلت: قلّدنا و قلّدوا فقال علیه السّلام: لم أسألك عن هذا، فلم یكن عندی جواب أكثر من الجواب الأوّل فقال أبو الحسن علیه السّلام: إنّ المرجئه نصبت رجلا لم تفترض طاعته و قلّدوه و أنتم نصبتم رجلا و فرضتم طاعته ثمّ لم تقلّدوه فهم أشدّ منكم تقلیدا.

و باسناده عن أبی بصیر(۲) عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت له: اتّخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون اللّه، فقال علیه السّلام: أما و اللّه ما دعوهم إلی عباده أنفسهم و لو دعوهم ما أجابوهم و لكن أحلّوا لهم حراما و حرّموا علیهم حلالا فعبدوهم من حیث لا یشعرون.

و باسناده عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عزّ و جلّ: «اِتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَ رُهْبانَهُمْ أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ» فقال علیه السّلام: و اللّه ما صاموا لهم و لا صلّوا لهم و لكن أحلّوا لهم حراما و حرّموا علیهم حلالا فاتّبعوهم.

و باسناده عن عبد اللّه بن مسكان قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: ایّاكم و هؤلاء الرّؤساء الذین یتراسون فو اللّه ما خفقت النّعال خلف رجل إلّا هلك و أهلك.

و باسناده عن أبی حمزه الثّمالی قال: قال أبو عبد اللّه علیه السّلام إیّاك و الرّیاسه و إیاك أن تطاء أعقاب الرّجال، قلت: جعلت فداك أمّا الرّیاسه فقد عرفتها و أمّا أن أطاء أعقاب الرّجال فما نلت ما فی یدی إلّا ممّا وطئت أعقاب الرّجال، فقال علیه السّلام

۱- (۱) - و فی الأحادیث المرجیء یقول من لم یصل و لم یصم و لم یغتسل من الجنابه و هدم الكعبه و نكح امه فهو علی ایمان جبرئیل و میكائیل قال بعض أهل المعرفه بالملل: المرجئه هم الجبریه سمّیت مرجئه لانهم یؤخّرون أمر اللّه و یرتكبون الكبائر، و ذكر فی مجمع البحرین له معانی اخر. منه.

۲- (۲) - یعنی المرادی

لی: لیس حیث تذهب ایّاک أن تنصب رجلا دون الحجّه فتصدّقه فی کل ما قال.

و فی الوسائل من الاحتجاج فی حدیث طویل عن الحسن العسکری علیه السّلام قال: و کذلک عوامنا إذا عرفوا من علمائهم الفسق الظاهر و العصبیه الشّدیده و التکالب علی الدّنیا و حرامها فمن قلّد مثل هؤلاء فهو مثل الیهود الّذین ذمّهم اللّه بالتقلید لفسقه علمائهم، فأمّا من کان من الفقهاء صائنا لنفسه حافظا لدینه مخالفا علی هواه مطیعا لمولاه فللعوام أن یقلّدوه، و ذلک لا یکون إلاّ بعض فقهاء الشّیعه لا کلّهم، فانّ من رکب من القبایح و الفواحش مراکب علماء العامه فلا تقبلوا منهم عنّا شیئا و لا کرامه، و إنّما کثر التّخلیط فیما یتحمّل عنا أهل البیت لذلک لأنّ الفسقه یتحمّلون عنّا فیحرّفونه بأسره لجهلهم و یضعون الأشیاء علی غیر وجهها لقلّه معرفتهم، و آخرون یتعمّدون الکذب علینا، إلی غیر هذه ممّا لا نطیل بروایتها.

و الحدیث الأخیر و إن کان فی حقّ العلماء السّوء و مقلّدیهم إلاّ أنه یشمل کلّ من یأخذ أمر دینه ممن لیس له قابلیه لأن یؤخذ منه مثل ذلک إما لجهله أو لفسقه کالصوفیه و مشایخهم الفسقه الجهال.

و أیّ فسق أعظم من تجویز التصفیق و الرّقص و الغناء و اختراع الأذکار و الأوراد المبتدعه بکیفیات خاصه و شرایط مقرّره عندهم من حیث العدد و الوقت و الزّمان و المکان و غیرها مما لیس منها فی الکتاب و السنه عین و لا أثر.

ثمّ العجب أنّ أتباع هؤلاء الفسقه یقصدون بالتقرّب إلیهم و بتوقیرهم و تمجیدهم و تعظیمهم التقرّب إلی اللّه، و هکذا کانت حال عبده الأصنام کما قال اللّه تعالی فی وصفهم: «وَ الَّذِینَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِیاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاّ لِیُقَرِّبُونا إِلَی اللّهِ زُلْفی إِنَّ اللّهَ یَحْکُمُ بَیْنَهُمْ فِی ما هُمْ فِیهِ یَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللّهَ لا یَهْدِی مَنْ هُوَ کاذِبٌ کَفّارٌ».

و الضمیر فی یختلفون للکفره و مقابلیهم أولهم و لمعبودیهم، فانهم یرجون شفاعتهم و هم یلعنونهم.

و أعجب من ذلک تبرّکهم بتمثال المرشد و تعظیمهم و تقبیلهم و زیارتهم له

و قد قال إبراهيم عليه السّلام لعبده الأصنام: «ما هذِهِ التَّماثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَها عاكِفُونَ قالُوا وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ قالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَ آباؤُكُمْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ ».

و منها

الغناء و الرّقص و التصفيق

، و هو أعظم عباداتهم يقومون بها فى الأوقات الشريفه المخصوصه و قد عاتب اللّه أهل الجاهليه الكفار بذلك فقال: «وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكاءً وَ تَصْدِيَةً »، أى يقيمون الصفير و التصفيق مكان الصلاه.

قال الصوفيه فى أسباب حصول الجذبه و الحاله التى تحصل للمريد يلازم سماع الغنا.

قال الغزالى: اعلم أنّ السماع أوّل الأمر و يثمر السماع حاله فى القلب تسمّى الوجد و يثمر الوجد تحريك الأطراف إما بحركه غير موزونه فتسمّى الاضطراب و إما موزونه فتسمّى التصفيق و الرّقص.

قال أبو طالب المكّى: لم يزل الحجازيّون عندنا بمكه يسمعون السماع فى أفضل أيام السنه و هى الأيام المعدودات التى أمر اللّه عباده فيها بذكره كأيام التشريق، و لم يزل أهل المدينه مواظبين كأهل المكه على السماع إلى زماننا، فأدركنا أبا مروان القاضى و له جوار يسمعن الناس التلحين و قد أعدّهنّ للصوفيّه.

قال: و قال الجنيد: ينزل الرّحمه على هذه الطايفه فى ثلاثه مواضع: عند الأكل لأنهم لا يأكلون إلاّ عن فاقه، و عند المذاكره لأنهم لا يتحاورون إلاّ فى مقامات الصديقين، و عند السماع لأنهم يسمعون بوجد و يشهدون حقا.

قال بعد الاستدلال على حلّيته بالقياس و الاستحسانات العقليه الفاسده و بالأخبار الموضوعه و بعد تفصيل الموارد الّتى يتغنّى فيها مثل الغناء لتهيّج الحجيج و تشويقهم إلى الحجّ و لتحريض الغزاه على الجهاد و فى أيّام السّرور و العيد و نحوها و استقصاها إلى سبعه ما لفظه:

السّابع سماع من أحبّ اللّه و عشقه و اشتاق إلى لقائه، فلا ينظر إلى شىء

إلّا رآه فيه سبحانه و لا يقرع سمعه قارع إلّا سمعه منه أو فيه، فالسماع فى حقّه مهيّج لشوقه و مؤكد لعشقه و مور زناد قلبه، و مستخرج منه أحوالا من المكاشفات و الملاطفات لا يحيط بها الوصف يعرفها من ذاقها و ينكرها من كلّ حسّه عن ذوقها و تسمّى تلك الأحوال بلسان الصّوفيّه و جدا مأخوذ من الوجود و المصادفه أى صادف من نفسه أحوالا لم يكن يصادفها قبل السماع، ثمّ تكون تلك الأحوال أسبابا لروادف و تتابع لها تحرق القلب بنيرانها و تنقيه من الكدورات كما تنقى النّار الجواهر المعروضه عليها من الخبث، ثمّ يتبع الصّفاء الحاصل به مكاشفات و مشاهدات و هى غايه مطالب المحبّين للّه فالمفضى إليها من جمله القربات لا من جمله المعاصى و المباحات.

ثمّ ذكر آداب مجلس السّماع للغناء إلى أن قال:

الأدب الرّابع أن لا يقوم و لا يرفع صوته بالبكاء و هو يقدر على ضبط نفسه و لكن إن رقص و تباكى فهو مباح إذا لم يقصد به المرآه لأنّ التباكى استجلاب للحزن و الرّقص سبب فى تحريك السّرور و النّشاط فكلّ سرور مباح فيجوز تحريكه إلى أن قال:

و الأدب الخامس موافقه القوم فى القيام إذا قام واحد منهم فى وجد صادق من غير رياء و تكلّف أو قام باختيار من غير إظهار و جد و قامت له الجماعه، فلابدّ من الموافقه فذلك من آداب الصّحبه و كذلك إن جرت عاده طائفه بتنحيه العمامه على موافقه صاحب الوجد إذا سقطت عمامته أو خلع الثياب إذا سقط عنه ثوبه بالتمزيق فالموافقه فى هذه الامور من حسن الصحبه و العشره إذ المخالفه موحشه و لكلّ قوم رسم و لا بدّ من مخالقه النّاس بأخلاقهم، و قول القائل: إنّ ذلك بدعه لم يكن فى الصحابه، فليس كلّ ما يحكم باباحته منقولا من الصحابه و إنما المحذورات ارتكاب بدعه تراغم سنه مأثوره إلى أن قال:

و من الأدب أن لا يقوم للرّقص مع القوم إن كان يستثقل رقصه و لا يشوّش عليهم أحوالهم إذ الرّقص من غير إظهار التواجد مباح و المتواجد هو الذى يلوح

للجمع منه أثر التكلف و من يقوم عن صدق لا تستثقله الطباع فقلوب الحاضرين اذا كان من أرباب القلوب محك للصدق إلى أن قال:

فقد خرج من جمله التفصيل السابق أنّ السماع قد يكون حراما محضا، و قد يكون مباحا، و قد يكون مكروها، و قد يكون مستحبا.

أما الحرام فهو لأكثر الناس من الشّبان و من غلبت عليهم شهوه الدّنيا، فلا يحرّك السماع منهم إلّا ما هو الغالب على قلوبهم من الصفات المذمومه.

و أما المكروه فهو لمن لا ينزله على صوره المخلوقين و لكن يتّخذه عاده له فى اكثر الأوقات على سبيل اللهو.

و أما المباح فهو لمن لا حظّ له منه إلّا التلذّذ بالصوت الحسن.

و أمّا المستحبّ فهو لمن غلب عليه حبّ اللّه و لم يحرّك السماع منه إلاّ الصّفات المحموده، انتهى ما أهمّنا نقله من لغويّات كلامه.

و إنّما أطنبنا بنقله تنبيها لك على سوء أعمالهم و أفعالهم و استباحتهم لما تثبت حرمته بالكتاب و السّنه بل حكمهم باستحبابه بمقتضا قياساتهم الفاسده و الاستحسانات السّاقطه عن درجه الاعتبار، و كفانا مؤنه أدلّه التّحريم ذكر أصحابنا رضوان اللّه عليهم لها فى كتاب المكاسب من الفقه و فى كتب الأخلاق و غيرها، و لنعم ما قيل فى حقّ هؤلاء:

أيا جيل التّصوّف شرّ جيل لقد جئتم بشىء مستحيل

أ فى القرآن قال لكم إلهى كلوا مثل البهايم و ارقصوا لى

و إذا عرفت أقوالهم فى جواز التّغنّى و السّماع و الرّقص فلنذكر مواظبتهم بأعمالها فى مجالس ذكرهم لأنّ إلحاق ذكر الفعل بالقول و إقران العمل بالعلم أكمل و أبلغ فى ايضاح مذاق هؤلاء الفسّاق فأقول:

قال هبه اللّه بن محمّد فى شرح الحديث الخامس من رساله المسمّاه بالأحاديث الخمسين المروّيه عن آل يس: سمعت من قطب الأولياء و السّالكين ظهير الملّه و الدّين حكايه أبيه الشيخ الرّبانى نجيب الدّين علىّ بن يزعش الفارسى أنّه قد حضر

سماعا فی دار شیخ مشایخ الاسلام شهاب الملّه و الدین السّهروردی و کان الشیخ علی أعلی السطح، فلمّا شرع المطرب القول و الضّرب اقتصر الاصحاب علی السّماع المجرّد و هو بلا حرکه مبرّد، فصاح الشیخ من فوق و قال یا أصحابی:

السّماع بلا کشکش کبستان بلا مشمش.

فتواجد القوم کلّهم و أنشد مطربهم هذا:

أیا جبلی نعمان باللّه خلّیا نسیم الصّبا یخلص إلیّ نسیمها

فانّ الصباریح إذا ما تنسّمت علی قلب محزون تجلّت همومها

أجد بردها او تشف منی حراره علی کبد لم یبق إلاّ صمیمها

ألا إنّ أو دائی بلیلی قدیمه و أقتل داء العاشقین قدیمها

و کان هناک فقیر قاعد فی الحاشیه عند مواقف الحاشیه إذ اقرء المطرب هذه الأبیات وقع فی الاضطراب علی أعجب الحالات و تلالا منه نور و حرقه بحیث أدهش جماعه الفرقه، فأخذوا فی الذّوق و البکاء و الجزع و الغلق إلی آخر المجلس فما أفاقوا.

قال ذلک الفقیر: أ تدرون یا صحبی ما معنی جبلی نعمان و أیّ شیء وقع فی خاطری من المناسبه و ما المراد للفقراء عند إطلاق هذا اللّفظ؟ فقال بعضهم الخوف و الأمل، و قال بعضهم: النّفس الحیوانیّه و الطبیعیّه، و قال: بعضهم الملک و الشیطان، و قال بعضهم: الامّاره و اللّوامه، و هو ما التفت إلی هذه الأجوبه فقالوا قد رضینا بجوابک و سیرک فمرنا بأمرک فقال: ما أقول إلاّ بحضور الشیخ، فاستحضروا خدمه شیخهم و جلس و قال: أجب لهم یستفیدون منک فقال: إنّهما محمّد و إبراهیم صلوات اللّه علیهما و شرایعهما ما یخلیان أن یهب نسیم الرّوح إلی العشاق و قد سدّ طرق الانبساط و الأذواق و وضعا سلاسل الأحکام علی أیدی الخواص و العوام، و رسما مراتب العبادات و وسما کلّ شخص بسمه فی الدّرجات و الدّرکات، فاستحسنه الشیخ و أصحابه، و فتحوا للعیش أبوابه، و اشتغلوا بالسّماع إلی الصباح من المصباح، و أمر الشیخ بأنّ السّماع عند من له قلب و سمع من أشرف الطاعات بعیدا عن أرباب العادات انتهی.

و هذا المجلس أنموذج ساير مجالسهم و به عرف أنّ الغناء الّذى استحلّوه لأجل كونه مهيّجا للوجد و المكاشفات على زعمهم لم يكن مهيّجا له بل منتجا للأقوال و الأباطيل و الهزل و الهذيان، و محصّلا لاعلان عداوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عداوه خليل الرّحمن، حيث قيّداهم بقيد الشريعه و لم يخليّاهم و أنفسهم كالبهائم المرسله و الانعام المهمله يرتعون ما يشتهون و يعملون ما يشاءون تبعا لوليّهم الشيطان، و ذلك لأنّهم فى تحليل الغناء به اقتدوا و من بحره استقوا، و على منهاجه جروا.

كما يدلّ عليه ما عن العياشى فى تفسيره عن جابر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله قال:

كان إبليس أوّل من ناح و أوّل من تغنّى و أوّل من حدا، قال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لمّا أكل آدم من الشّجره تغنّى، فلمّا اهبط حدا به، فلمّا استقرّ على الأرض ناح فاذكره ما فى الجنّه الحديث، هذا.

و العجب كلّ العجب من متصوّفه الاماميّه أنّهم مع اذعانهم بأئمّه الدّين و اعتقادهم بولايه الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين قد أخذوا فى مقام العمل مسلك العامّه العميا المنحرفين عن أئمه الهدى و التّاركين للحنيفيّه البيضاء، فاحتذوا حذوهم فى أصل التّصوف و تشييد بنيانه، ثمّ فى الأخذ بفروعه و أغصانه، و أوردوا فى مؤلفاتهم نظما و نثرا ما هو مفيد لحسن السّماع و الرّقص، مع أنّه خلاف الاجماع و الكتاب و النّص، حسبما تعرفه فى ضمن الأخبار الاتيه إنشاء اللّه قال بعض أقطابهم:

و حين يسمع ذكر اللّه سامعهم فى لحن داود عهد اللّه يدّكر

طوبى لهم يا جبال أوّبى معهم و الطير عن ذكره للسمع يبتدر

و حين يسمع الأشعار منصتهم من نظم امجاد أهل اللّه يبتدر

يتلو بنغمه حسن الصوت مطربهم نظما بديعا به يصّعّد الحجر

كلامهم من جنود اللّه يأخذ من هو الأسير لدى الدنيا و ينتصر

يكاد يندكّ من ألحانه طربا شمّ الجبال و منها يخضع الخدر

هم كالمجانين عند الغافلين و هم مسافرون و فى الرّجعى لهم سفر

و روی قطبهم الاخر فی کتابه أنّه أنشد بحضره رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم شعر مشتمل علی ذکر الحبیب فطفق صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یهتزّ و یهرول و یکرّر قول: یا حبیب یا حبیب، فقال معاویه: ما أحسن لعبک یا رسول اللّه، فقال: مه یا معاویه لیس بکریم من لم یهتزّ بذکر الحبیب.

و لعلّه نقله من کتب العامّه و الاّ فلیس الاهتزاز و الهروله و اللعب بسماع الشعر لایقا به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بمنصب النبوّه.

و قد روی مثله فی کتب العامّه قالوا: و قد انشد شخص بحضرته:

لسعت حیّه الهوی کبدی فلا طبیب و لا راق

إلاّ الحبیب الذی کلفت به فانّه منیتی و ترياقی

فتمایل علیه و سقط رداؤه من أعلاه فتقاطعوه تبرکا فوا عجبا من رکون قوم علی الافک و الأباطیل، و عکوفهم علی ترّهات الأقاویل، و من اعتمادهم فی الاصول و الفروع علی الاخبار الموضوعه المجعوله، و إعراضهم عن الصحاح و موثقات المقبوله، و اتّخاذهم ثقات العلماء و المحدّثین حربا، و الأفّاکین من الشیاطین حزبا، و من إقبالهم علی النوافل و المندوبات، و إدبارهم عن الواجبات و المفروضات، و عنایتهم بالعبادات المبتدعه، و العادات المخترعه، و توقّیهم عن المکروهات، و تقحّمهم فی الشّبهات و المحرّمات، إن سألت أحدهم عن أشعارهم الجاهلیّه و غزلیّات الصوفیّه ینبسط و یجیب بلا مهل، و إذا سألت عن حدود الصلاه المفروضه من الأجزاء و الأرکان و السهو و الشّک و الطمأنینه ینقبض و یرتطم ارتطام الحمار فی الوحل، یترکون الأدعیه المأثوره بالاسناد المعتبره، و یداومون بالأذکار الجلیّه و الخفیّه المتلقّاه من مشایخهم الفجره، و لو قرءوا القرآن فی بعض الأحیان من باب التقیّه یتغنّون فی تلاوته بجمیع النّغمات الموسیقیّه.

فما أشبه حالهم بحال مولا جاریه حکاه الزّمخشری فی ربیع الأبرار عن أبی العیناء قال: رأیت جاریه فی النّخاس تحلف لا ترجع إلی مولاها فقلت: لم؟ قالت:

یواقعنی من قیام، و یصلّی من قعود، و یشتمنی باعراب، و یلحن فی القرآن،

و يصوم الاثنين و الخميس و يفطر فى رمضان، و يصلّى الضّحى و يترك الفجر، هذا.

و أمّا ما ورد فى الأخبار العاميّه من قوله عليه السّلام: ما أذن اللّه لشىء كاذنه لنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يتغنّى بالقرآن.

فالجواب عنه بعد الغضّ عن سنده ما أجاب به الشّريف الرّضى رضى اللّه عنه حيث قال فى محكىّ كلامه من كتابه الموسوم بمجازات الاثار النّبويه: و من ذلك قوله عليه السّلام ما اذن اللّه لشىء كاذنه لنبىّ يتغنّى بالقرآن، و هذا القول مجاز و المراد ما استمع اللّه لشىء كاستماعه لنبىّ يدوام تلاوه القرآن فيجعله دأبه و ديدنه و هجيرانه و شغله كما يجعل غيره الغناء متروّح حزنه و مستفسح قلبه ليس هناك غناء به على الحقيقه، و هذا كما يقول القائل: قد جعل فلان الصّوم لذّته و الصلاه طربه إذا أقامهما مقام شغل غيره باللّذّات و طربه إلى المستحسنات و قد قيل إنّ المراد بذلك تحزين القراءه ليكون أشجى للسّامع و آخذ بقلب العارف، فسمّى هذه الطريقه غناء على الاتّساع لأنّها يقوّد زيّنوا أصواتكم بالقرآن فى حديث آخر، و ليس المراد بذلك تلحين القراءه و تطريبها، فانّ الأخبار قد وردت بذمّ هذه الطريقه حتّى ذكر عليه السّلام فى أشراط الساعه امورا عدّدها ثمّ قال:

و أن يتّخذ القرآن مزامير.

و قال بعضهم: معنى يتغنّى بالقرآن إى يذكر القرآن، من قولهم تغنّى فلان بفلان إذا ذكره فى شعره إمّا هجوا و إمّا مدحا.

فأمّا الحديث الاخر و هو قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن، فليس المراد به هذا المعنى، و إنّما أراد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليس منّا من لم يستغن بالقرآن عمّا سواه، و تغنّى ههنا بمعنى استغنى و هو تفعّل من الاستغناء لا من الغناء، قال العجاج:

أرى الغوانى قد غنين عنّى و قلن لى عليك بالتّغنّى

أى استغنين عنّى و قلن لى استغن عنّا كما استغنينا عنك، و هذا عند موت الشّباب و انقضاء الاراب، و يؤكّد ذلك الحديث الاخر و هو قوله عليه السّلام: من قرء

القرآن فرأى أنّ أحدا اعطى أفضل ممّا اعطى فقد عظّم صغيرا و صغّر عظيما، و لو كان المراد بالتغنّى فى هذا الخبر ترجيع الصوت بالقرآن لكان من لم يقصد هذه فى تلاوته و يعتمدها فى صلاته داخلا تحت الذّم و مقارفا للذنب، لأنّه عليه السّلام قال:

ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن، فبان أنّ المراد به الاستغناء لا الغناء، انتهى كلامه رفع مقامه.

و لبعض الأعلام كلام فى المقام ليس فوقه كلام فى ايضاح المرام فى ابطال ديدن الصوفيّه فى مسأله الغناء و كشف ساير سوآتهم و بيان نكته سرايه التّصوف من العامّه إلى الخاصّه، يعجبنى نقله تنبيها للمتصوّفه الخاصه من نومه الغفله و الجهاله، و ايقاظا لهم من رقده الضلاله فأقول:

قال الشيخ علىّ بن الشيخ محمّد العاملى فى محكىّ كلامه من كتاب الدّر المنثور من المأثور و غير المأثور عند شرحه الحديث السابع فى الغناء نقلا من الكافى ما هذه عبارته:

و من ذلك ما روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: اقرءوا القرآن بألحان العرب و أصواتها و إيّاكم و لحون أهل الفسوق و أهل الكبائر فانّه سيجىء من بعدى أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء و النّوح و الرّهبانيّه لا تجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبه و قلوب من يعجبه شانهم.

أقول: هذا الحديث يدلّ صريحا على أنّ الغناء يحصل بترجيع القرآن على النحو المتعارف فى هذا الزّمان، و يدلّ على تفسير الغناء بالتّرجيع المطرب و الطرب خفه تصيب الانسان لشدّه حزن أو سرور كما ذكره أهل اللّغه، و فى كون فعلهم كفعل أهل الفسوق و الكبائر و عدم جوازه التراقى و قلب قلوبهم و قلوب من يعجبه ذلك ما هو ظاهر لمن عقله كيف لا؟ و هو كلام سيّد البشر صلوات اللّه و سلامه عليه و آله، و هل سمعت أو رأيت أحدا يقرأ القرآن بالمثانى و الطنبور و الأوتار و نحوها حتّى تخصّ الغناء بمثل ذلك و يسهل طريق سماع ما صار متعارفا شايعا بعد ما ظهر أنّه عناء فى غير القرآن أيضا لصدق الغناء عليه بما عرفته، و سنوضحه

فیما بعد و هل لذلک وجه غیر إجابه الشیطان و میل الطبع.

و قد سری ذلک من صوفیه المخالفین و ملاحدتهم میلا إلی طریقتهم و اعتقادهم و کراهه لما ورد من طرقنا من النّهی عن مثله.

و قد خصّ المحرّم منه مثل الغزالی و أحزابه بما یستعمل فی مجالس الشرب و أهل الفسوق، فقلّده فی ذلک من أعجبه و أحسن الظّن به مع إساءه ظنّه بالأئمه علیهم السّلام و علماء شیعتهم، و لم ینظر إلی نصبه و عداوته للأئمّه علیهم السّلام و علمائهم، فالغناء إن کان هو الترجیع الذی ذکره علماءنا فهو صادق علی مثل ذلک، و إن کان راجعا إلی العرف کما قیل کان صادقا أیضا فانّا لم نعرف فی عرف بلاد العرب إذا سمعوا من ینشد الشعر و غیره علی الطریق المعهود إلّا أنّهم یقولون هذا یغنّی و هذا مغنّ و قد ذکر الصوفیّه فی أسباب حصول الجذبه و الحاله الّتی تحصل للمرید أنّه یلازم سماع الغناء، و تاره یقولون: إنّ من أسبابها سماع الغناء، فهذا اعتراف منهم بأنّ مثل ما یفعلونه و یسمعونه غناء، فان قلت بالعرف فقد اعترفوا به، و ان رجعت إلی التّرجیع المطرب فکونه کذلک بدیهی، و إذا ثبت ما یتحقّق معه الغناء کان حراما علی مذهب الامامیّه للأدله الوارده فی الکتاب و السنّه و اتّفاق علمائنا.

فظهر أنّ تقسیم الغناء إلی المحرّم و غیره لا یجامع مذهب الامامیّه بوجه، و قد استثنا أهل شرعنا من الغناء الحدی للابل بدلیل خاصّ، فلیت شعری کون الحدی من الغناء عرفا و ما یدّعی انّه لیس منه هل هو إلّا من حبّک الشّیء یعمی و یصمّ.

و ما ورد من لفظ الألحان کما فی هذا الحدیث و فهم المعنی المنهیّ عنه منه ناش من ضیق الفطن عن معرفه مواقع الألفاظ و مقامات استعمالها، و ذلک لتألف طبیعه أهل الغناء بکون مثل النغمه و الألحان تنصرف إلی المعنی المتعارف بینهم، کما یحمل بعض الحکمه فی مثل قوله تعالی: «وَ مَنْ یُؤْتَ الْحِکْمَهَ فَقَدْ أُوتِیَ خَیْراً »

«كَثِيراً »، على حكمتهم فيتوهّمون أنّه قد يفارق الغناء فيكون الحانا و لا يكون غناء و إلّا فالألحان و النّغمات و الأصوات معان متقاربه تختلف معانيها باختلاف مقاماتها فتصدق من الغناء و غيره و الكلام فى لحن يصدق عليه الغناء او لا يصدق و ممّا يثبته من له قلب ما فى هذا الحديث من التّعبير بألحان العرب و لحون أهل الفسوق.

و بالجمله فميل النفس إلى شىء مع مساعده الشيطان يزيّنان للانسان ارتكاب ما لا يحسن و لا يليق، و هذا شأن صاحب كلّ شيمه ركبت فى ذهنه و طبعه و كره النّزوع عنها، فانّه يتشبث لاثباتها بمثل هذه التّمحلات لئلّا يغلب هواه على ما استقرّ عنده و دعاه.

و لو فرض عدم تحقّق كون مثل هذا غناء فاحتماله راجح أو مساو و من يميل إلى تقوى اللّه هل اللايق بحاله اجتناب مثله أم لا، كيف و ما ذكر سابقا من الحديث و غيره شاهد عدل على كون مثله غناء و قد سرى هذا و ما هو أعظم منه من معاشره أهل الخلاف و من ضارعهم و مطالعه كتبهم و عدم تميز الغثّ منها من السمين و الميل إلى طريقتهم لما فيها من التساهل و غير ذلك، نسأل اللّه الهدايه و نعوذ به من الخذلان و الاملاء و الغوايه إنّه جواد كريم.

و اعلم أنّ هذا الاسم و هو التصوّف كان مستعملا فى فرقه من الحكماء الزّائغين عن طريق الصواب، ثمّ من بعدهم كان يستعمل فى جماعه من الزّنادقه و جماعه من أهل الخلاف بعد حصول الاسلام و كان أعداء آل محمّد كالحسن البصرى و سفيان الثورى و أبى هاشم الكوفى و نحوهم و من أعظم رؤسائهم حسين بن منصور الحلاج، و له قصص منقوله فى كتب أصحابنا ككتاب الغيبه و الاقتصاد للشيخ الطوسى و غيرهما، و ادّعى الالهيّه و ورد التوقيع من صاحب الأمر بلعنه كما فى كتاب الاحتجاج و غيره، و صنّف الشيخ المفيد كتابا فى الرّدّ عليه و على متابعيه.

و لم يستعمل هذا الاسم أحد من الاماميّه لا فى زمن الأئمه عليهم السّلام و لا بعد غيبه

صاحب الأمر عليه السّلام.

ثمّ لمّا انتهى الأمر إلى هذا الزمان و ما قاربه طالع بعض الاماميّه كتب الصّوفيّه فمنهم من أعجبه منها ما يليق و لا منافاه له لقواعد الشّريعه فأعجبه ذلك لكن كان متمسّكا بقوانين الشّرع فلم يتجاوز ما هو موافق و لم يلتفت إلى ما سوى ذلك.

ثمّ سرى الأمر إلى تعلّق بعض بجميع طريقتهم و رأوا أنّ من تبع بعض مسالكهم كان من هذه الفرقه فصار لهم كالمستند فى ذلك فانتهت الحال إلى جعل الرّقص و الصّفق و الغناء من العباده، بل صارت أفضلها و أكملها عندهم، و نسوا أو تناسوا ما ورد ممّن ينتسبون إليهم ظاهرا من النّهى عن ذلك، و صار اعتقادهم فى النّواصب و الزّنادقه انّهم على الحقّ فتركوا امور الشّريعه و أظهروا لضعيفى العقول و العوام حسن هذه الطريقه، و موّهوا عليهم أشياء يدّعون أنّها من باب الكشف و الكرامات، و استخفّوهم لذلك فأطاعوهم و ساعدهم على ذلك رفع المشاق التّكاليف الشّرعيه و ميل الطبع إلى ما فيه لذّه النّفس حتّى النظر إلى صوره الذّكور الحسنه، و ادّعوا انّهم تنكشف عليهم الامور من غير واسطه بشر أو غيره، فتبعهم رعاء النّاس و غثاؤهم، و أتعبوا أنفسهم فى الرّياضات المنهىّ عن مثلها فى شرعنا لعلّ أذهانهم تصفو بذلك.

و ليت شعرى لو حصل من هذا شىء ممّا يدّعون فأىّ فرق بين المؤمن و الكافر و المسلم و الزّنديق، فانّه قد شاع و ذاع أنّ كفار الهند و غيرهم لكثره ما يرتاضون ربّما أخبروا بمثل ما يدّعونه بل بما هو أبلغ، و أهل التّسخير و الشّعبده و السحر ربّما ظهر منهم أشياء فوق ما يدّعيه هؤلاء من غير صحه لمن تفحّص و تحقّق ذلك.

و أهل الكرامات و المعجزات هم الذين كانت تظهر لهم هذه الامور من غير الرياضه و لم يكونوا من أهل التّسخير و الشّعبده و السّحر و نحو ذلك، و أهل التّقوى الّذين هم محلّ لأن تظهر منهم الكرامات لم يدّعوا و لا ادّعى لهم شىء من ذلك، و كانت

تريدهم الدّنيا فيفرّون منها فرارك من الاسد.

و ترى هؤلاء يضيّعون العمر فيما يلبّسونه لغايه انقياد العوام إليهم ليبلغ ذلك الأكابر و الحكام و يشيع خبرهم فيصلون بهم و بخدمتهم و يجعلون ذلك وسيله إلى التقرّب إليهم و جلبا لقلوبهم و سببا إلى التردّد إليهم، و مع ذلك يتوقّعون منهم و يأخذون منهم الأموال و ربّما تعزّز بعضهم بعدم قبول اليسير شركا لوقوع الكثير أو حبّا لثبات الجاه و بقاء الميل إليهم.

و لو كان تركهم الدّنيا للّه و للاخره لم يكن شيء من ذلك و لعملوا:

بقول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لا يستكمل العبد الايمان حتّى يكون قلّه الشيء أحب إليه من كثرته و حتى يكون أن لا يعرف أحبّ إليه من أن يعرف.

و بقول الباقر عليه السّلام فى وصيّته لجابر: اغتنم من أهل زمانك خمسا: إن حضرت لم تعرف، و إن غبت لم تفتقد، و إن شهدت لم تشاور، و ان قلت لم يقبل قولك، و إن خطبت لم تزوّج الحديث و هو طويل و هذا و أمثاله هو الزّهد و التقوى كما قيل:

هذى المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثمّ وصل الأمر إلى أن صار التّصوف غير مشروط بالعلم و لو بعلمهم الذى يدّعونه، بل بمجرّد تغيير اللّباس المتعارف عند أكثر النّاس، و تلبيس الظاهر بذلك و ترك الباطن إمّا فارغا ممّا ينبغى أو مملوا ممّا يعلمه اللّه و صار من زهده و صلاحه بطريق الشّريعه ممقوتا عندهم و ما ذاك الاّ أنّه لو سئل لقال قال رسول اللّه و قال أمير المؤمنين و غيرهما، و هم يدّعون أنّهم يقولون قال اللّه من غير واسطه، و قد يقول بعضهم قال الرّسول و لكن بدعوى مشافهته له و ان كان بينهما ألف سنه فما زاد فيلبّس أنّه رآه فى صوره المثال و كذلك الأئمه عليهم السّلام و أنّهم يسألونهم عن كلّ ما يريدون و نحو ذلك من الخرافات الّتى لا تقبلها عقول المجانين.

نعم لا يبعد أنّ الشّياطين تترائى لهم فى صور مختلفه أو أنّه يحصل لهم خبط و تغيّر مزاج بحيث يرون ما يوهم مثل ما يدّعون و قد ينضمّ إلى ذلك استعمال بعض المغيّرات للمزاج الباعثه على مثل ذلك

و انی لأعجب ممّن یدّعون ذلک علی اختلاف مذاهبهم فکلّ یدّعی کشفا یوافق اعتقاده، فالغزالی مع دعواه الوصول إلی هذه المرتبه انکشف له فضل أبی بکر علی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام بمراتب کما هو ظاهر علی من طالع إحیاءه الذی هو إحیاء الباطل.

و کما انکشف له عدم جواز سبّ یزید لعنه اللّه لأنه رجل مسلم و لو کان قاتلا للحسین علیه السّلام لم یجز ذلک، لأنّ غایه هذا أنّه فعل کبیره و ذلک لا یجوّز سبّه.

و انکشف له بطلان مذهب الامامیه بعد أن ترک التدریس و انقطع فی دمشق و مکّه المشرّفه نحو عشر سنین ملازما للخلوه فی آخر عمره، فصنف کتابا سمّاه المنقذ من الضلال، یتضمّن الرّد علی من یدّعی العصمه و ابطال مذهبهم و سمّاهم أهل التعلیم، و ضرب لهم مثلا- بأخذهم عن المعصوم بمن تلوّث بجمیع النجاسات ثمّ طلب ماء یتطهر به منها و سعی فی ذلک، فلما انتهی إلی ذلک الماء لم یجده ماء یطهّره و یزیل عنه الاخباث فبقی مرتکسا فی النجاسات طول عمره و تکرّر منه فی الاحیاء و غیره: قالت الرّوافض خذلهم اللّه.

و قال فیه: إنه لو جاء إلینا رافضیّ و ادّعی أنّ له طلب دم عند أحد قلنا له:

دمک هدر، لأنّ استیفاءه مشروط بحضور إمامک فاحضره حتّی یستوفی لک، و مثل ذلک کثیر و ما نقلته مضمون کلامه و معناه کان بخاطری و لم یحضرنی عین ألفاظه و عباراته و إن لم تصدق فعلیک بالمراجعه.

و قد صرّح فی کتابه المنقذ أنّه کان یستفید من الأنبیاء و الملائکه مع مشاهدتهم علی وجه القطع کلّما یرید.

نعم ینسب إلیه کتاب یسمّی سرّ العالمین فیه مقاله(۱) یظهر منها میله إلی الحقّ أو نطقه به لیکون حجّه علیه، فان کان سابقا فقد ضلّ بعده عن الحقّ،

۱- (۱) - و قد تقدّم لک المقاله فی أواخر المقدّمه الثانیه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقیه فلیراجع هناک (منه)

و ظاهر المنقـذ انّه كتب فی أواخر عمره حتّی أنّ بعضـهم ینکر کون سرّ العالمین له أو أنّ المقاله المذکوره تلحقه من غیره، فانّ بقیّه الکتاب لیس فیها شیء من هذا القبیل.

و لو فرض کونه له و أنّه کتبه آخر جمیع ما کتب صار یسـتحقّ بـذلک جمیع ما یذکر فی شأنه، و کان ممّن قد صـرفوا أعمارهم فی حفظ شـریعه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أهل بیته علیهم السّلام و خاطروا بأنفسهم حتّی بلغت لذلک أمرهم علی غیر الحقّ بسبب سلوکهم غیر هذا الطریق المظلم الّذی لا یستضاء فیه بمصابیح الدّنیا.

و حکی الشّـیخ محیی الدّین فی فتوحاته: أنّه أسـری به مرارا أظنّها سبعا أو تسعا فی کلام طویل یتضمّن صوره الاسراء و ذکر فی هذا المقام أو ما یناسـبه أنّه رأی أبا بکر الصّدّیق لمّا وصل إلی العرش بعد أن کان یری فی کلّ سـماء واحدا من الأنبیاء مثل نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم و موسـی و عیسـی و إبراهیم صـلوات اللّه علیهم، فکـانت مرتبته أعلی من مرتبتهم و مسـاویه لمرتبته تعالی أو مقاربه لها.

و ادّعی فی أوّل الفصوص انّه من إملاء رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أمره له بعین ما کتبه، و سمّی نفسه خاتم الولایه لمنام رآه و غیر ذلک له و لغیره مما یتعجّب منه.

فیا للّه العجب من مکاشـفات یظهر منها للناصبی أنه علی الحقّ و للملحـد أنه علی الحقّ و لعابـد الوثن، أنه علی الحقّ، و للامامی أنه علی الحقّ و کـذا غیرهم فمـا أدری أیّ حق و أیّ دین هـذا؟ و أیّ مکاشـفه هـذه؟ و مـا وجه الجمع و التوفیق فی ذلک؟ فلو کانت هـذه المکاشـفات للغزالی و نحوه حقا کان للامامی أن یعتقد بطلان مذهب الامامیه إن قلّدهم و إن انکشف ذلک له کما انکشف لهم کان أظهر فی البطلان.

و من العجب الاعتقاد فی مثل هؤلاء و الشّـهاده لهم بالتحقیق و التّکفیر أجلّاء علماء الامامیّه بل کلّهم بکنایات أبلغ من التّصـریح کتسمیتهم: انّا وجدنا، یکون إشاره إلی قوله تعالی: «إِنّا وَجَدْنا آباءَنا عَلی أُمَّهٍ وَ إِنّا عَلی آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ »، و مثل

«يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا »، أى و لا تكن من الكافرين بعد التّشنيع عليهم بالخصوص كالسّيد المرتضى و الشّيخ المفيد و أمثالهما، و بما يقتضى شمول الجميع باستلزامه ذلك من حيث ثبوت ذلك لكلّ من خالف طريقته الّتى اخترعها، و لم يوجد من الاماميّه عالم سلك هذا الطّريق و حاصل بعضه انّه سلك طريقا لا يفضى إلى الاختلاف فى شىء كدعوى الغزالى فى كتابه المنقذ من الضّلال و الاختلاف جعله من أسباب التكفير.

و قد جعل الراسخين فى العلم الّذين يعلمون تأويل القرآن فى قوله تعالى «وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ »، الصّوفيّه و فى هذا ردّ على من خصّهم بالرّسول و الأئمه عليهم السّلام كما هو مذكور فى باب من الكافى و غيره مشتمل على أحاديث عنهم عليهم السّلام تدلّ على اختصاصهم بذلك.

و هذا سبيل من يدّعى العلم منهم و الكشف بسبب تحصيل هذا العلم و الرّياضه فما ظنّك بأقوام منهم و هم أكثرهم فى هذا الزّمان فانّك لو فتّشت عن حالهم و اختبرت حقيقه مقالهم وجدتهم كالبهائم الهائمه لا يعرفون مسأله من دين اللّه و لا حراما و لا حلالا و لا يجدون لهم إلى حسن التكلّم مجالا و ترى النّاس يقبلون عليهم و يهرعون إليهم و يكادون يسجدون لهم كفعل الكفّار بأصنامهم و مال اعتقادهم فيهم إلى ما قيل فى أبى بكر انه أفضل الصحابه لأمر وقر فى نفسه، و حاش البهايم أن يشبه بها مثل هؤلاء فانها ليست مكلّفه و تركت ما كلفت به بل منقاده لما سخّرت له مسبّحه بحمد ربها منزّهه عن مثل هذه الرّذايل.

و لقد شاهدت بعض هولاء و تفحّصت عمّن لم أره منهم فانكشف إلىّ من حالهم ما ليس من باب الكشف الذى يدّعونه أو يدّعى لهم، و قلّ تعجّبى ممّن يعبد الخشب و الحجر و زاد يقينى فى هوان الدّنيا و سوء أحوالها.

و من تأمل أحوال الدّنيا و خستها قديما و حديثا رأى لهذا نظائر و أشباها، و ليس من أعطاه اللّه العقل مع ارسال الرّسل و انزال الكتب و الأمر باتّباعهم بمعذور فى ترك التأمل و المتابعه و المجاهده، فانّ كلا ميسّر لما خلق له و لا تكليف

لما لا يطاق.

و اعلم أنه لما سرت سيره الصوفيه إلى الامامیه كان فی أوّل الأمر من يفرّق بين القشر و اللباب و الذّهب و التراب، فكان من يميل إلى طرف من مقالتهم يختار منه اللباب و يترك القشر إذا كان اللباب حسنا إما مأخوذا من كلام الأنبياء و الأوصياء أو من يحذو حذوهم من العلماء و الأتقياء، فانهم كانوا يدخلون مثل ذلك فی كتبهم و مؤلفاتهم ليحسن الظنّ بهم لكونه مثل كلام أمير المؤمنين و نحوه.

ثمّ بعد ذلك يترقّون إلى تأويله تدريجا بما يوافق مطالبهم و يناسب ماربهم، و كان من يختار و ينتخب ما ذكر بجعله وسيله إلى تطهير النفس و تزكيتها و ابعادها عن الرّذائل، و مع ذلك فالمطلب الأسنى عنده و الخلّه الحسنى لديه سلوك طريق الشرع و إنفاد العمر فيه كما يراه من عرف حال مثل جدّی الشهيد الثانی و غيره من علماء الفرقه المحقه.

ثمّ تلاشی الأمر و وصل إلى ارتكاب ما سلكوه و الاعتماد على ما قالوه و لو بسماع بعضه من غير تميز و فرق إلى أن وصل الأمر إلى التنفّر من الشرع و أهله و دخل تحت هذا الاسم و هو الصوفيّه من يسمّی به، و ينتسب إليه فقط، فاقتصر المدّعی على ذلك و اكتفى المريد به فصار الملحوظ محض الاسم فی الغالب و إلّا فلا مشاحه فی التّسميه إذا كان المسمّی مبنيا على أساس صحيح ثابت.

و هذا من مفاسد هذا الاسم المشتمل على ما ذكرناه، و لو بقی ما هو متعارف سابقا من الزّهد و الصّلاح و التّقوى و الورع و أمثال ذلك و هو الّذی كان شايعا بين أهل الايمان و ورد به القرآن و الأخبار لم يتطرّق إليه هذا الغشّ و لم يترتّب عليه هذه المفاسد الّتی ترتّبت على لفظ التّصوّف و معناه.

فدخل الغشّ فيهما و التبس على غير المميّز أمرهما بل على المميّز أيضا إذا لم يعمل بعقله و تميزه، و محك الفرق و التّميز الميل إلى جانب الشّرع و أهله و التّنفر منه و من أهله. و علامه التنفّر منه التنفّر من أهله و ربّما اظهروا التّنفر من أهله متعلّلين بتقصير يدّعونه فيهم، و هذه خدعه

إبليس، لأنّ التّنفر عن الشرع ليس لهم فيه مصلحه و لا صرفه فأبطنوه و أخّروه إلى وقت يمكنهم اظهاره، و تعلّلوا بالقدح فى أهله فلو كان تقصير من حاملى الشّرع لا يلزم منه القدح منه فى الشريعه و عدم متابعتها.

و كأن هذا الزّمان الّذى ذكره سيّد المرسلين صلوات اللّه و سلامه عليه و آله فى وصايا طويله لأبى ذرّ رضى اللّه عنه حيث قال من جملتها:

يا أبا ذرّ يكون فى آخر الزّمان قوم يلبسون الصّوف فى صيفهم و شتائهم يرون الفضل بذلك لهم على غيرهم اولئك تلعنهم ملائكه السماء و الأرض نقل ذلك ورّام ابن أبى فراس و غيره بالسّند المذكور فى محلّه و هى مشهوره فى كتب أصحابنا.

و من مواعظ عيسى عليه السّلام و حكمه من الانجيل و غيره و هى مشهوره مكرّره فى كتب أصحابنا أيضا:

بحقّ أقول لكم إنّ شرّ النّاس لرجل عالم آثر دنياه على علمه فأحبّها و طلبها و جهد عليها حتّى لو استطاع أن يجعل الناس فى حيره و ما ذا يغنى عن الأعمى سعه نور الشّمس و هو لا يبصرها، و كذلك لا يغنى من العالم علمه إذا هو لم يعمل به، ما أكثر ثمار الشجر و ليس كلّها تنفع و لا يؤكل، و ما أكثر العلماء و ليس كلّهم ينتفع بما علم، و ما أوسع الأرض و ليس كلّها يسكن، و ما أكثر المتكلّمين و ليس كلّ كلامهم يصدق، فاحتفظوا من العلماء الكذبه الذين عليهم ثياب الصّوف منكسوا رؤوسهم إلى الأرض يزوّرون بها الخطايا، يطرفون من تحت حواجبهم كما ترمق الذّئاب، و قولهم يخالف فعلهم، و هل يجتنى من العوسج العنب؟ و من الحنظل التّين؟ و كذلك لا يثمر قول العالم الكاذب إلاّ زورا و ليس كلّ من يقول يصدق، انتهى المنقول من كلامه صلوات اللّه عليه.

فان قيل: كلام عيسى يدخل تحته كلّ عالم غير عامل و ترى كثيرا من علماء الشرع من هذا القبيل.

قلت: قد ورد فى شأن العالم بغير عمل فى كلام غير عيسى أيضا من كلام الأنبياء و الأئمّه و الحديث القدسى ما يقصم الظهور كما هو معلوم لمن تتبّع،

و لكن علماء الشرع إن تساهلوا فى العمل و مالوا إلى حبّ الدّنيا و هم الأقلّون قبل هذا الزّمان فانّهم مع تساهلهم فى العمل طريقهم و اعتقادهم فى العلم غير مستودع و إن كانوا ملومين غير معذورين بالنّسبه إلى العمل.

و هذا بخلاف ترك ما هو طريق العمل فانّه مع عدم العلم أو مع عدم اعتقاد العلم يكون العمل مبتيّا على غير أساس إن حصل ما يسمّى عملا فى الجمله أو لم يكن عمل، على أنّ ما لا طريق له من العمل لا يستحقّ صدق اسم العمل عليه فالّذى يفنى عمره فى مثل ذلك لا أرضا قطع، و لا ظهرا أتى و الأوّل يكون تاركا لأقبح القبيحين و الاخر تابع له و إن كان العلم مقرونا إلى العمل فان أجابه و الّا ارتحل عنه.

و احتجاج أبى عبد اللّه عليه السّلام على الصوفيّه لمّا دخلوا إليه فيما ينهون عنه من طلب الرّزق بما يتعلّق بسفيان الثورى و غيره مشهور فى الكافى و غيره، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول هذا كلام جيّد فى توضيح المقام و رفع الحجاب عن وجه المرام لكنّه ينبغى أن نفصّل بعض ما أجمله و نبّه على ما أهمله من خبط الغزالى و ابن العربى و غلطهما، فأقول:

تذييل

أمّا محيى الدين فقد نقلنا فى إبطال القول بوحده الوجود فصلا وافيا من كلامه و أردفناه بالتّنبيه على هفواته و آثامه، و أمّا دعويه الاسراء به إلى السماء فهو من ثمرات رياضاته و نتايج مجاهداته الّتى حصلت له مرض الخيالات الّتى نشأت منه أمثال تلك الخرافات، و يشهد بصحّه ما ادّعاه رؤيته أبا بكر فى أعلى الطبقات و الأنبياء فى أدناها، كدعوى الثعلب و الشاهد عليه ذنبها.

و أمّا الغزالى فما أشار إليه من أغاليطه و أباطيله و ترّهاته و هذياناته امور

الاول

عدم تجويز اللّعن على يزيد

.

و أنا أتقرّب إلى اللّه و إلى رسوله بلعنهما كليهما و أقول: عليهما لعاين اللّه و الملائكه و النّاس أجمعين بما لا مزيد و على من حذا حذوهما من كلّ كفّار عنيد و شيطان مريد.

و تفصيل ما قاله فى ذلك العنوان ما ذكره فى إحياء العلوم فى باب آفات اللّسان حيث قال:

الافه الثّامنه اللّعن و اللّعن عباره عن الطرد و الابعاد من اللّه تعالى، و ذلك غير جائز إلاّ على ما يتّصف بصفه تبعده من اللّه تعالى و الصّفات المقتضيه ثلاثه:

الكفر، و البدعه، و الفسق. و اللّعن فى كلّ واحده منها ثلاث مراتب.

الاولى اللّعن بالوصف الأعمّ كقولك: لعنه اللّه على الكافرين و المبتدعين و الفسقه.

الثّانيه اللّعن بأوصاف أخصّ منه كقولك: لعنه اللّه على اليهود و النّصارى و المجوس و على القدريه و الخوارج و الرّوافض.

الثّالثه اللّعن للشّخص المعيّن، و هذا فيه خطر كقولك: زيد لعنه اللّه و هو كافر أو فاسق أو مبتدع.

و التّفصيل فيه أنّ كلّ شخص ثبتت لعنته شرعا فيجوز لعنته كقولك:

فرعون لعنه اللّه و أبو جهل لعنه اللّه، لأنّه ثبت أنّ هؤلاء ماتوا على الكفر و عرف ذلك شرعا أمّا شخص بعينه فى زماننا كقولك: زيد لعنه اللّه و هو يهودىّ مثلا فهذا فيه خطر لأنّه ربّما يسلم فيموت مقرّبا عند اللّه فكيف يحكم بكونه ملعونا.

فان قلت: يلعن لكونه كافرا فى الحال كما يقال للمسلم: رحمه اللّه لكونه مسلما فى الحال و إن كان يتصوّر أن يرتدّ.

فاعلم أنّ معنا قولنا: رحمه اللّه أى ثبّته اللّه على الاسلام الّذى هو سبب الرّحمه و على الطاعه، و لا يمكن أن يقال: ثبت اللّه الكافر على ما هو سبب اللّعنه، فانّ هذا سؤال الكفر و هى فى نفسه كفر بل الجايز أن يقال: لعنه اللّه إن مات على الكفر و لا لعنه اللّه إن مات على الاسلام، و ذلك غيب لا يدرى، و المطلق تردّد بين الجهتين.

ففيه خطر.

و إذا عرفت هذا فى الكافر ففى زيد الفاسق أو زيد المبتدع أولى إلى أن قال:

فلا خطر فى السّكوت عن لعن إبليس مثلا فضلا عن غيره.

فان قيل: هل يجوز لعنه يزيد لكونه قاتل الحسين أو آمرا به؟ قلنا: هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال إنّه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنه، لأنّه لا يجوز نسبه مسلم إلى كبيره من غير تحقيق.

فان قيل: فهل يجوز أن يقال قاتل الحسين لعنه اللّه أو الامر بقتله لعنه اللّه قلنا: الصّواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التّوبه لعنه اللّه، لأنّه يحتمل أن يموت بعد التّوبه، فانّ وحشيا قاتل الحمزه قتله و هو كافر ثمّ تاب عن الكفر و القتل جميعا و لا يجوز أن يلعن و القتل كبيره و لا تنتهى إلى رتبه الكفر فاذا لم يقيّد بالتّوبه و اطلق كان فيه خطر و ليس فى السكوت خطر و هو أولى انتهى كلامه لعنه اللّه تعالى و خذله و ضاعف فى عذابه.

أقول: لمّا صادف نقل كلام هذا النّاصب اللّعين فى ليله القدر و هى الليله الثالثه و العشرون من شهر الصّيام كما يستفاد من أكثر أخبار الأئمه عليهم السّلام و كان النّاس مشتغلين وقتئذ فى المساجد الجامعه و المشاهد المشرّفه بالعبادات و الطاعات، متقرّبين إليه تعالى بالتلاوه و التّسبيح و التّقديس و الدّعوات، مبتهلين متضرّعين إليه عزّ و جلّ فى غفران الذّنوب و الزّلات، فرأيت اشتغالى بما يلوح من المطاعن على هذا النّاصب الملعون أهمّ و أحرى، و أحتسب بذلك الأجر و الزّلفى لديه تعالى و أتقرّب به إلى أئمه الهدى تعصّبا لخامس آل العباء سلام اللّه عليه و عليهم تترى، و أستشفع بهم إلى اللّه سبحانه أن يثبت ما أكتبه هنا فى صحايف حسناتى، و يجعله ممحاه سيئاتى، و يحشرنى فى زمره موالى و ساداتى إنّه مجيب الدّعوات، و ولىّ الخيرات و الحسنات، و هو الغفور الرّحيم و الشّكور الكريم.

فأقول: يتوجّه على هذا النّاصب وجوه من الكلام و ضروب من المثالب و الملام:

الاول أنّ اللعن فى اللغه هو الطرد و الابعاد من اللّه و رحمته، و من الخلق طلب الطرد و الدعاء بالعذاب، فمعنى قولنا: لعن اللّه الكافرين و الظالمين و المبتدعه

و النّواصب و منهم الغزالی باعدهم اللّه من رحمته و ضاعف علیهم العذاب لاستحقاقهم له بما صدر عنهم من الکفر و الظلم و النصب و البدعه، و الکتاب و السنه مشحونه بلعن هؤلاء و قد ثبت الاذن و التّرخیص لنا قولا و فعلا و تقریرا فی لعنهم، و لا فرق فیه بین الأنواع و الأشخاص.

و التّفرقه بین النّوع و الشخص بتجویزه فی الأوّل دون الثانی کما توهّمه النّاصب شطط من الکلام و غلط.

أمّا اوّلا- فلأنّ احتمال توبه الشّخص الکافر و جواز رجوعه إلی الاسلام لا یوجب رفع الید عن لعنه المترتّب علی کفره المحقّق کسایر الأحکام المترتّبه علی کفره، لأنّ الیقین لا تنقض إلّا بیقین مثله، و لو کان مجرّد الاحتمال کافیا لجاز الصّلاه علیه و دفنه فی مقابر المسلمین و تجهیزه و تکفینه مثل سایر المسلمین و لیس فلیس.

و أمّا ثانیا فلأنّ معنی لعن أشخاص الکفّار طلب العذاب فی حقّهم لاستحقاقهم بالفعل له، و تجویز توبتهم لا یمتنع من جواز الدّعاء علیهم، لتبدّل الأحکام بتبدّل الموضوعات، ألا تری أنّ اللّه یکره الفاسق و یبغضه حال فسقه و یحبّه حال توبته مع أنّه عالم بما یؤل أمره.

و أمّا ثالثا فلأنّ قوله: معنی قولنا رحمه اللّه أی ثبّته اللّه علی الاسلام الّذی هو سبب الرّحمه و لا یمکن أن یقال ثبّت اللّه الکافر علی ما هو سبب اللّعنه فیه أنّه لم یفهم معنی الرّحمه و اللعنه إذ لیس معناهما طلب التثبیت علی الاسلام و الکفر، بل طلب الثواب لمن کان ثابتا علی اسلامه، و طلب العقاب علی من کان ثابتا علی کفره.

و أمّا رابعا فلأنّه لا- فرق بین جواز اللعن علی الیهود عموما و بین جوازه علی أشخاصهم، لأنّه إن کان معناه طلب الثبات و الاستمرار علی الکفر علی ما توهّمه فلا- یجوز مطلقا، و إن کان المراد منه الابعاد عن رحمه اللّه فالکلّ بعید منها حاله الیهودیّه الأشخاص و الانواع، و جواز التّوبه کما یمکن فی حقّ الشخص یمکن

فی حقّ النوع، و القرب و البعد لا یتفاوت فیه أحکام الشریعه، و بالجمله النّوع لیس إلّا عباره عن الأشخاص المجتمعه، و التفرقه بینهما سفسطه.

الثانی أنّ قوله: فلا خطر فی السّکوت عن لعن إبلیس فضلا عن غیره، یظهر منه أنّ بینه و بین إبلیس محابّه و اخوّه لا یرضی بلعنه، و لا غرو فی ذلک لأنّه قائد الضّلال بوسوسته و هذا قائد الضلال بسفسطته، و هو کافر باللّه، و هذا کافر بولایه ولیّ الاله، فلهما اشتراک فی المذهب، و مشارکه فی المذاق و المشرب، و إلّا فلم لا یرضی بلعنه مع أنّ استحقاق الکفّار و الظالمین للعن و الطرد و الابعاد إنّما هو لأجل الکفر و الظلم و هذا الملعون أوّل کافر باللّه کما یدلّ علیه قوله تعالی:

«أَبی وَ اسْتَکْبَرَ وَ کانَ مِنَ الْکافِرِینَ ».

و أیضا فلنا برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم اسوه حسنه، و کلّما جری علی لسانه الشّریف ذکر هذا الملعون أردفه بالطعن و اللعن فیجب لنا اتّباعه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی أقواله و أفعاله، و لو کان السّکوت عن لعنه حسنا لم یتّخذه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، سنّه.

مع أنّ التّبری من أولیاء الضلال ظاهرا و باطنا بأیّ نحو کان واجب، و اللعن من جمله أنحاء التبرّی کالاهانه و الاذلال و التّوهین و السبّ و الازراء و نحوها.

الثالث ما قاله فی حقّ یزید اللّعین ابن اللّعین من أنّه لم یثبت کونه آمرا بقتل الحسین علیه السّلام دلیل علی جهله بکتب التّواریخ و السّیر الّتی صنفها علماؤهم فضلا عن علمائنا، إذ لم ینکر أحد منهم ذلک و لا خلاف بینهم فی أنّ یزید ولّی ابن زیاد علیه اللعنه و العذاب علی العراقین لهذا الغرض، و أنّه أنهض العساکر و عبّأ الجیوش و الکتائب لقتاله سلام اللّه علیه و أمره بالقتل أو البیعه فال الأمر إلی ما آل.

و قد قیل لبعض القضاه: کیف یستحقّ یزید اللعن علی قتل الحسین بن علیّ و کان فی الشام و قتل هو بالعراق؟ فأنشد:

سهم أصاب و رامیه بذی سلّم من بالعراق لقد أبعدت مرماک

فاذا ثبت أمره بقتله ثبت وجوب لعنه، لأنّ فرط محبّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للحسين و لأخيه الحسن عليهما السّلام و مزيد اختصاصهما به غنىّ عن البيان، مستغن عن البيّنه و البرهان.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهما: من أبغضهما أبغضته و من أبغضته أبغضه اللّه أصلاه جهنّم و سائت مصيرا، رواه المحدّثون فأوجب النّار فى بغضهما فكيف لقتلهما.

و قد روت الخاصّه و العامّه حتّى الغزالى قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيهما: هما وديعتى فى امّتى.

و رووا أيضا قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اللّهم إنّى أستودعكهما و صالح المؤمنين.

و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنا من حسين و حسين منّى إلى غير ذلك ممّا لا حاجه إلى ذكرها.

و يدلّ ذلك كلّه على أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يؤذيه ما يوذى الحسين عليه السّلام فضلا عن قتله و الّذين يؤذون رسول اللّه لهم عذاب أليم كما فى آيه التّوبه، و فى آيه الأحزاب «إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذاباً مُهِيناً » الرابع قوله: لا يجوز نسبه المسلم إلى كبيره من غير تحقيق.

أقول: هذا مسلّم و لكن كفر يزيد و ظلمه و ارتكابه ما لم يرتكبه أحد من الكفّار بلغت مبلغ اشتهار الشّمس فى رابعه النّهار، لأنّ زمان ذلك الملعون كان كلّه ظلما و فتنه، فانّه بعد قتل الحسين عليه السّلام و قتل من قتل معه جهّز الجيوش إلى ابن الزّبير و بعث بها إليه مع عقبه بن مسلم إلى مدينه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و هى حرمه الّذى حرّمه كما أنّ إبراهيم حرّم مكّه و لعن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من أحدث فى المدينه حدثا فقتل أهلها، و أباح قتلهم ثلاثه أيّام يقتل فيها الرّجال و يسبى النّساء و تنتهب الأموال، ثمّ سار إلى مكّه فمات فى طريق مكّه لعنه اللّه تعالى فولى يزيد ابن الحصين مكانه، فانتهى إلى مكّه فأباحها و أضرم النّار فى أستار الكعبه فاحترقت و أحرق سقفها و سقط جدارها و هى حرم اللّه الّذى حرّمه و عظّمه غايه التعظيم و قال فى حقّه: «وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ ».

و لم يقدم المشركون مع شركهم و لا أهل الجهاله على جهالتهم على أدنى شيء مما فعل تعظيما له و رعايه لحرمته، و من هذا شأنه فكيف يكون مسلما.

نعم هذا الملعون كأبيه و جدّه معاويه و أبى سفيان الملعونين أظهر الاسلام توسلا به إلى ارابه و أبطن الكفر و قد نقل أنه ذكر عنده رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوما فقال الملعون:

تلاعب بالبريّه هاشميّ بلا وحى أتاه و لا كتاب

و هذا منه قدح قديح فى النبوّه و سنذكر مثله منه فى الأشعار الاتيه.

الخامس أنّ قوله: الصواب أن يقال قاتل الحسين إن مات قبل التوبه لعنه اللّه لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبه فيه: أنّ مجرّد الاحتمال غير كاف فى ارتفاع اللعن و الطعن و الويل و النكال.

و كيف يكون تائبا و قد صدر منه بعد قتله سلام اللّه عليه ما هو أعظم خزيا من الحركات الشنيعه فى حقّ العتره الهاشميه من سبى الحريم و النساء و أمره بأن يسار بهم فى سكك الشام على أقتاب بغير وطاء سوق السبايا و الاماء ثمّ إحضارهم إلى مجلسه مكرّرا ابتهاجا به و فخرا و سرورا.

و يكشف عن عدم ندمه مضافا إلى هذا وضعه الرّأس الشريف بين يديه و تمثله بقول ابن الزّبعرى:

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

لأهلّوا و استهلّوا فرحا ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

لست من حندف إن لم انتقم من بنى أحمد ما كان فعل

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحى نزل

أ فى حقّ من بتلك الأشعار يتمثّل يجوز الندم و يحتمل و لنعم ما قال ابن هانى المغربى:

بأسياف ذاك البغى أوّل سلّها أصيب علىّ لا بسيف ابن ملجم

و بالحقد حقد الجاهليه أنه إلى الان لم يذهب و لم يتصرّم

فلعن اللّه تعالى على يزيد بن معاويه عدد الحجر و المدر و النبات و الشجر

و على المتعصّبين له من أمثال الغزالى اللعين ذوى الأنفس الخبيثه، و العقول المختلّه، و العقائد الفاسده، و الهمم الساقطه، و الأديان المدخوله، و الأحلام الطايشه، و الأقوال الواهيه، و القلوب التى لا تهتدى إلى رشاد، و العيون التى لا تنظر إلى سداد، و قد غطى عليها الغين، و فيهم يقال: أعمى القلب و العين، و من كان فى هذه أعمى فهو فى الاخره أعمى و أضلّ سبيلا.

الثانى من اغلاط الغزالى

دعويه أنه يستفيد من الملائكه و الأنبياء و مشاهدته لهم على وجه القطع

كلما يريد.

و على ذلك الغلط جرت سيره الصوفيه فانك ترى كثيرا منهم يستندون ما يأفكون إلى الأنبياء و الرسل، و يدّعون رؤيتهم إما بالكشف و الشهود، و إما فى المنام، بل ربما يترقّى بعضهم و يدّعى رؤيه اللّه تعالى ظاهرا بحسّ البصر، و لا بأس بنقل بعض خرافاتهم.

فأقول: من أعظم مشايخ هذه الفرقه محيى الدّين الملحد و الغزالى الناصب و قد نقلنا من كلام الأوّل فيما سبق كثيرا.

و أعظم مما مرّ كلّه ما نقله أبو الفتح محمّد بن مظفر الدّين المعروف بالشيخ المكى فى كتابه المسمى بالجانب الغربى فى حلّ مشكلات ابن العربى قال فى محكىّ كلامه من خاتمه الكتاب المذكور عند ذكر كراماته.

و منها أنّ الشيخ - يعنى محيى الدّين - قال: كان محبوبى يتجسّد لى كما أنّ جبرئيل يكون مجسّدا لرسول اللّه و أنا لا أقدر على النظر إليه، و كان يتكلّم بى و أنا أسمع كلامه و أفهمه، و كان مشاهدته يمنعنى من الغذاء عدّه أيام، و كلما احضرت المائده كان يقف فى جانب منها و يقول بلسان أسمعه: تأكل و أنت تشاهدنى، و كان ذلك مانعا لى من الطعام، و ما كنت أجد ما كان بى من الجوع و كان النظر إليه عوضا عن الغذاء و الماء، و هكذا كان حالى فى أكثر الأيام لا أذوق فيها شيئا و لا يكون محبوبى غايبا عن نظرى، و كان يقوم لقيامى و يقعد

لقعودی، انتهی.

و هـذه منه دعوی مشاهـده الرّب تعالی و تقدّس بالصوره الجسـمیه بعین الکشف و لا یبعد أنّ شـیطانه تجسّد له لیحکّم إغواءه و یشدّد إضلاله حسبما نشیر الی تفصیله تحقیقا إنشاء اللّه.

و أما رؤیته للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقد ادّعاه فی دیباجه الفصوص حیث قال:

أما بعـد فانی رأیت رسول اللّه فی مبشـره(۱) اریتها فی العشـر الاخر من المحرّم لسـنه سـبع و عشـرین و ستّمأه بمحروسه دمشق و بیـده کتـاب فقـال لی: هـذا کتاب فصوص الحکم خـذه و اخرج به إلی الناس ینتفعون به، فقلت: السـمع و الطاعه للّه و لرسوله و اولی الأمر منّا(۲).

و ادّعی أیضا رؤیته و رؤیه ساير الأنبیاء جمیعا فی الفصّ الهودی قال هناک:

و اعلم أنه لما اطلعنی الحقّ و أشـهدنی أعیان رسـله و أنبیائه کلّهم البشـریین من آدم إلی محمّـد صـلوات اللّه علیهم أجمعین فی مشهد(۳) أقمت فیه بقرطبه(۴) سـنه ستّ و ثمانین و خمسـمائه ما کلّمنی أحد من تلک الطایفه إلاّ هود علیه السّـلام فانه أخبرنی بسبب جمعیتهم و رأیته رجلا ضخما فی الرّجال حسن الصوره لطیف المحاوره عارفا بالامور کاشفا لها.

قـال القیصـری: قیـل: کان سـبب جمعیتهم إنزاله مقام القطبیّه لیکون قطب الأقطاب فی زمانه و کلام هود علیه السّـلام بشارته انه خاتم الولایه المحمدیه و وارث الأنبیاء و المرسلین کما ذکره من نفسه فی مواضع من فتوحاته تصریحا و تلویحا.

و أما رؤیه الغزالی للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقد نقل عن شرح المثنوی انه قال:

إنّ الامام أبا حامد الغزالی المشـهور قال لأخیه أحمد الغزالی یوما: نعم الفقیه أنت لو اجتهدت فی الشـریعه أکثر من هذا، فقال له الشیخ أحمد: و نعم

۱- (۱) - أی رویا مبشره.

۲- (۲) - أی من جنسنا و أهل دیننا، شرح الفصوص

۳- (۳) - أی مقام حصل هذا الشهود فیه، قیصری.

۴- (۴) - مدینه ببلاد المغرب

العالم أنت لو اهتممت فی الحقیقه أکثر من هذا، فقال الامام: ازعم أنّ لی السّبق فی مضمار الحقیقه، فقال الشّیخ: متاع التّصوّر و الحسبان لیس کثیر رواج فی سوق الاسرار، فقال: و لیکن بیننا حکم، فقال الشیخ: و حکم هذا الطریق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فقال الامام: و کیف لنا به صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حتّی نری مکانه و نسمع بیانه، قال: و لما یجد حظّا من الحقیقه من لم یره حیث أراد و لم یسمع من أسراره و حقایقه فاشتعل من أثر هذا الملام نائره الغیره فی باطن الامام.

ثمّ إنّهما جعلا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حکما لأنفسهما و افترقا، حتّی إذا جاء اللّیل أخذ کلّ منهما طریق تعبّده.

فبالغ الامام فی التّضرّع و البکاء و التّوسّل إلی أن سخنت عیناه، فرأی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دخل علیه مع رجل من أصحابه و بشّره بشرف المعرفه بهذا الأمر و کان علی یدی ذلک الصحابی طبق من الرّطب، ففتح عن طرف منه و أعطاه من ذلک تمیرات، فلما أفاق الامام رأی تلک التّمیرات موجوده فی یده علی خلاف سایر مناماته، فقام مبتهجا مسرورا إلی حجره أخیه، و جعل یدقّ الباب بقوّته فاذا هو یقول من وراء الباب: لا ینبغی مثل هذا العجب و الّدلال علی تمیرات معدوده.

فزاد تحیّر الامام من دهشه هذا القول: فلمّا دخل علی أخیه فقال: و کیف علمت ما لحقنی من التشریف؟ فقال الشّیخ: و لم یعطک رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما أعطاک حتّی لم یعرضه علیّ سبع مرّات، و إن لم تصدّقنی فی ذلک فقم إلی رفّ الحجره و انظر ما ذا تری.

فلمّا قام الامام رأی ذلک الطّبق الّذی کان علی یدی الصّحابی هناک و قد نقص من طرف منه بمقدار تلک التّمیرات، فعلم أنّ ما بلغه منه أیضا کان من برکات أنفاس الشّیخ.

ثمّ إنّه أخذ فی طریقه السّیر و السّلوک و استکشاف أسرار الحقائق إلی أن صار مقتدی أصحاب الطریقه بلا کلام، انتهی.

أقول: هذه القصه إمّا مجعوله من ناقلها، أو من المنامات الشّيطانيه و إلاّ فكيف يتصوّر من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عنايته و موادّته لمن حادّ اللّه و رسوله؟ و قد منع اللّه سبحانه المؤمنين من موادّتهم و قال: «لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوادُّونَ مَنْ حَادَّ اللّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْناءَهُمْ أَوْ إِخْوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ».

و من أعظم محادّه للّه تعالى و لرسوله من النّاصب المتعنّت؟ و قد علمت نصب أبى حامد الغزالى بما لا مزيد عليه و نصب أخيه أحمد يعلم ممّا ذكره القاضى نور اللّه فى مجالس المؤمنين عند ترجمه أخيه أبى حامد، بل قد علمت سابقا كفره و الحاده حيث حكينا عنه تعصّبه لابليس عليه اللّعنه و تسميته له: بسيّد الموحّدين و غير ذلك من ترّهاته.

و كم للصّوفيه من دعوى أمثال تلك المكاشفات و ادّعاء مشاهده النّبىّ و الأئمه عليهم السّلام إما بالرّؤيه أو بالرّؤياء.

و أعظم من ذلك دعوى رؤساء كلّ طبقه و الكملين منهم على زعمهم تجلّى الرّب تقدّس و تعالى فيهم و معاينتهم له سبحانه بالكشف و الشهود، مع أنّ بعضهم مؤمن و بعضهم ملحد و بعضهم شيعى و بعضهم سنّى و الشيعى أيضا بعضهم إمامى و بعضهم غير إمامى، و السنّى بعضهم ناصبى و بعضهم غير ناصبى.

على أنّ كلّا من هذه الفرق على اختلاف مذاهبهم و لعن بعضهم بعضا و تبرّى بعضهم من بعض مشاربهم فى السير و السلوك و الرّياضات و الأوراد و الأذكار و العبادات المبتدعه أيضا مختلفه.

فبعضهم جلالىّ، و بعضهم خاكسارىّ، و بعضهم نقشبندىّ، و بعضهم طيفورىّ و بعضهم نعمه اللهىّ، و بعضهم ذهبى، و بعضهم سفارىّ إلى غير هذه من سلاسلهم الكثيره، و كلّ سلسله يخطىء السلسله الاخرى، فلو كانت هذه المكاشفات التى يدّعيها الكلّ صحيحه صادقه لصحّت مذاهب هذه الفرق كلّها و لم تكن الناجيه

منحصره فی واحده.

مع ان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال فی الحدیث الذی رواه الکلّ: إنّ امه موسی افترقت بعده علی احدی و سبعین فرقه فرقه منها ناجیه و سبعون فی النار، و افترقت امه عیسی بعده علی اثنتین و سبعین فرقه فرقه منها ناجیه و احدی و سبعون فی النار و انّ امتی ستفترق بعدی علی ثلاث و سبعین فرقه فرقه منها ناجیه و اثنتان و سبعون فی النار.

فعلم بذلک کلّه أنّ ما یدّعون کلّه تدلیس و تلبیس و تمویه و تخریق و تزویق(۱) کسراب بقیعه یحسبه الظمان ماء حتی إذا جاءه لم یجده شیئا و وجد اللّه عنده فوفّاه حسابه و اللّه سریع الحساب.

فان قیل: سلّمنا هذا کلّه و لکن یستبعد جدا اتّفاق هؤلاء علی کثرتهم علی الکذب فی دعوی المعاینه.

قلت: هو کذلک و لکن مرجع تلک الدّعوی إلی أحد أمور:

الاول أنهم بما اعتادوه من تحمل المشاقّ و الریاضات المبتدعه و الجلوس فی بیت مظلم أربعین یوما و التزام ترک الحیوانی و نحو ذلک ربما یحصل لهم خبط و تغیر مزاج مضافا إلی شرب بعضهم للبنج و نحوه من الأدویه المسبته، فیوجب ذلک الاختراعات الخیالیه فیتوهّم المتخیّل محسوسا مع أنه لا أصل له کالسراب الذی یراه الناظر من بعد ماء.

و قد أشار الی ذلک النفیسی فی شرح الأسباب حیث قال: و قد یبلغ الفساد فی بعضهم إلی حدّ یظنّ أنه یعلم الغیب و کثیرا ما یخبر بما سیکون قبل کونه، و قد یبلغ الفساد فی بعضهم إلی حدّ یظنّ أنه صار ملکا، و قد یبلغ فی بعضهم إلی أعلا من ذلک فیظنّ أنه الحقّ تعالی عن ذلک، و اکثرهم یرون انهم یلزمون التقوی و حسن السیره بتوحّشهم و انصرافهم عن الناس، و قال بعد شطر من کلامه:

۱- (۱) - موه الشیء طلاه بذهب أو فضه و تحته نحاس أو حدید، و التخریق کثره الکذب و التزویق التحسین و التزیین (منه).

قد عرض هذا المرض لكثير من الفلاسفه كأفلاطون و نظرائه.

و قال الطبرى: قد رأيت جماعه من الأفاضل تفرّدوا بأنفسهم و تركوا الاشتغال بغير العلوم و لزموا مجانبه الناس فاحترقت أخلاطهم و حدث بهم الماليخوليا، منهم الفارابى فانه كان لا يختلط بالناس و يتجنّبهم و اذا عاب إنسانا عابه بأنه يجالس العامه و السوقه، فحدث به ضرب من الماليخوليا كان يخرج إلى السوق و يقعد و يهذى بالمنطقيات و يلعب به الصبيان و السوقه، انتهى مجملا.

الثانى أنهم لانحرافهم عن النهج القويم و عدولهم عن الصراط المستقيم و أخذهم بالبدعات و ركوبهم للضلالات، شملهم من اللّه الخذلان، و ترى لهم الشيطان و تجسّم فى نظرهم و حضر فى مجلسهم و تكلّم معهم و خاطبهم، فأسمعهم و تلاطف بهم تثبيتا لما أسّسوه من بنيان الزّيغ و الضلال، و تشييدا لما أقاموه من أركان الوزر و الوبال و قد أشار إلى ذلك الشيخ على سبط الشهيد الثانى قدّس اللّه روحهما فى محكى كلامه من كتابه المسمّى بالسهام المارقه من أغراض الزّنادقه حيث قال: نعم لا يبعد أنّ الشيّاطين تترائى لهم فى صور مختلفه فربّما يغويهم الشيطان و يقول لهم: أنا امامكم بل أنا إلهكم، و حضور الجنّ و الشّياطين عند أهل الرّياضيات و التسخير و غيرهم شايع مشهور و لا بعد فيه من جهه العقل و النّقل.

و فى الأحاديث تكرّرت تشكّل الجنّ بأشكال بنى آدم فاستبعاد هذا أو نفيه نفى و استبعاد لكمال قدرته تعالى و ردّ لأحاديث أهل بيت العصمه عليهم السّلام.

قال: و حكى فى بلادنا جماعه عن رجل قريب من هذا العصر أنّ أباه كان يخبر بأخبار البلاد المتباعده و ما يقع بها و يرسل كتابات يصل من مثل الشّام إلى مكّه فى أوقات يسيره يعلم ذلك من تاريخها، و كان الناس يتعجّبون من ذلك و نحوه، فلمّا توفّى الأب أخبر الولد أنّ بعد وفات أبيه جاء شخص بصوره عبد أسود طويل فقال له: أنا كنت خادما لأبيك فى حياته فان أردت أن أكون لك كما كنت لأبيك فعلت

إن تقوم بشرط كان بينى و بينه، و هو أنّى شرطت عليه أن يسجد لى دون اللّه فقبل و فعل، فامتنع الولد من ذلك فانصرف و لم يره بعده نقل جماعه و أظنّ أنّ بعضهم حكى أنّه أدرك ذلك الولد.

قال «ره» و لا بعد أيضا فى أنّه يحصل لهم خبط و تغيّر مزاج بحيث يرون ما يوهم مثل ما يدّعون، و قد ينضمّ إلى ذلك تناول كثير من التّراكيب المغيّره للمزاج الباعثه على مثل ذلك و نحوها من المغيّرات، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: ما قاله قدّس سرّه من ترائى الشّياطين لهم فى صور مختلفه فهو نصّ الكتاب الكريم و الأخبار الكثيره الدّالّه على ظهورهم و ترائيهم لأولياء الضّلال قال سبحانه: «هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّياطِينُ تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ » أى تنزّل الشّياطين على كلّ كذّاب فاجر كثير الاثم.

قال الطبرسى: يلقون السّمع معناه أنّ الشّياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنه و الكذابين و يخلطون به كثيرا من الأكاذيب و يوحونه إليهم.

و فى الصّافى أى الأفّاكون يلقون السّمع إلى الشّياطين فيتلقون منهم ظنونا و امارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيّلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها، انتهى.

و لعمرى أنّ الصّوفيّه هم أظهر مصاديق هذه الايه، و كذا الايه الاخرى فى سوره الجاثيه و هو قوله تعالى «وَيْلٌ لِكُلِّ أَفّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آياتِ اللّهِ تُتْلى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْها فَبَشِّرْهُ بِعَذابٍ أَلِيمٍ وَ إِذا عَلِمَ مِنْ آياتِنا شَيْئاً اتَّخَذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ وَ لا يُغْنِى عَنْهُمْ ما كَسَبُوا شَيْئاً وَ لا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّهِ أَوْلِياءَ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ ».

و من أحاط خبرا بما قدّمناه من افك ابن العربى و أباطيله الكثيره كدعويه رؤيه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تجلّى الحقّ فيه و إسرائه الى السّماء و تلقّيه الأحكام من المعدن الّذى يأخذ منه الملك الّذى يوحى به إلى الرّسل، و ادّعائه أنّه خاتم الولايه

و استهزائه بايات اللّه و تأويله لها على المعانى الباطله و تصحيحه لعباده من دون اللّه من الأصنام و الأوثان إلى غير ذلك ممّا قدمناه نقله منه، عرف أنّ ذلك الملحد أظهر أظهر مصاديق تلك الايه.

و أما الاخبار فمنها ما رواه فى الكافى عن أبى جعفر الباقر عليه السّلام فى حديث طويل قال: ليس من يوم و ليله إلّا و جميع الجنّ و الشياطين تزور أئمه الضّلال و يزور امام الهدى عددهم من الملائكه حتّى إذا أتت ليله القدر فيهبط فيها من الملائكه إلى وليّ الأمر خلق اللّه أو قال قيض اللّه عزّ و جلّ من الشّياطين بعددهم، ثمّ زاروا اولى الضّلاله فأتوه بالافك و الكذب حتّى لعلّه يصبح فيقول: رأيت كذا و كذا فلو سئل وليّ الأمر عن ذلك لقال رأيت شيطانا اخبرك بكذا و كذا حتّى يفسّر له تفسيرا و يعلمه الضّلاله.

و منها أنّ الحسن البصرى و هو رئيسهم مرّ به أمير المؤمنين بعد حرب الجمل و هو يتوضّأ فقال عليه السّلام: يا حسن اسبغ الوضوء، فقال يا أمير المؤمنين لقد قتلت بالأمس اناسا يشهدون أن لا إله إلّا اللّه و أنّ محمّدا عبده و رسوله و يصلّون الخمس و يسبغون الوضوء، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: قد كان ما رأيت فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ فقال: و اللّه صدّقنّك يا أمير المؤمنين لقد خرجت فى أوّل يوم فاغتسلت و تحنّطت و صببت علىّ سلاحى و أنا لا أشّك فى أنّ التخلّف عن امّ المؤمنين كفر فلمّا انتهيت إلى موضع من الخريبه نادا مناديا حسن إلى أين ارجع فانّ القاتل و المقتول فى النّار، قال علىّ عليه السّلام: صدقت، أ فتدرى من ذلك المنادى؟ قال:

لا، قال عليه السّلام: أخوك ابليس و صدقك أنّ القاتل و المقتول منهم فى النّار.

و قد مرّ روايه ذلك الحديث بتمامه من الاحتجاج عن ابن عبّاس فى شرح المختار الثالث عشر فليراجع هناك.

و يفهم منه أنّ الشياطين ربّما ينادون أولياءهم و يخاطبونهم من غير أن يظهروا لهم.

و يدل على ذلك ما قدّمنا روايته فى التّذييل الثانى من شرح الفصل الثانى

من فصول المختار المأه و الحادى و الثمانين عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى قصّه أصحاب الرّس بعد ما ذكر أنّه كانت لهم اثنتى عشره قريه و فى كلّ منها صنوبره يعبدونها.

قال عليه السّلام و قد جعلوا فى كلّ شهر من السّنه فى كلّ قريه عيدا يجتمع اليه أهلها فيضربون على الشّجره الّتى فيها كلّه من حرير فيها أنواع الصّور، ثمّ يأتون بشاه و بقر يذبحونها قربانا للشجره و يشعلون فيها النّيران بالحطب، فاذا سطع دخان تلك الذّبايح و قتارها فى الهواء و حال بينهم و بين النّظر إلى السّماء خرّوا سجّدا يبكون و يتضرّعون إليها أن ترضى عنهم، فكان الشياطين يجىء فيحرّك أغصانها و يصيح من ساقها صياح الصّبى أن قد رضيت عنكم فطيبوا نفسا فيرفعون رؤوسهم عند ذلك إلى أن قال عليه السّلام: حتّى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم و كبيرهم فضربوا عند الصنوبره و العين سرادقا من ديباج عليه من أنواع الصّور و جعلوا له اثنى عشر بابا كلّ باب لأهل قريه منهم و يسجدون للصّنوبره خارجا من السّرادق و يقرّبون لها الذبائح أضعاف ما قرّبوا للشجره فى قربتهم، فيجىء ابليس عند ذلك فيحرّك الصّنوبره تحريكا شديدا و يتكلّم من جوفها كلاما جهوريّا، و يعدهم و يمنّيهم بأكثر ما وعدتهم و منّتهم الشياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم عن السجود و لهم من الفرح و النشاط ما لا يفيقون و لا يتكلّمون الحديث، و الأخبار فى هذا المعنى كثيره و لا حاجه إلى الاطاله.

الثالث تعمّد بعضهم فى الكذب و الافك و ادّعائه ما ليس له أصل أصلا.

فانهم لانحرافهم عن جادّه الشريعه و ضلالهم عن الحقّ و اضلالهم كثيرا من العوام كالأنعام و الرّعاع الدين يصغون إلى كلّ ناعق بما أظهروه من خوارق العادات التى نشير إلى منشئها إنشاء اللّه، نسبوا إلى أنفسهم ما لا أصل له من رؤيه الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام، تثبيتا لمتابعيهم المفتتن بهم على ما اعتقدوه فى حقّهم من مقام القطبيه و الولايه.

و نظير ذلك ما نقل من أنّ أبا الطيب المتنبى الشاعر المعروف ادّعى لنفسه النّبوه بحبسه للمطر، فافتتن به كثير من أهل أطراف الشّام.

نقل عن الخطيب التبريزى أنّه قال فى شرح ديوان أبى الطّيب، قال أبو عبد اللّه معاذ بن إسماعيل اللاذقى، قدم المتنبّى اللاذقيّه فى سنه نيّف و عشرين و ثلاثمأه، وضوى(۱) إلىّ فأكرمته و عظمته لما رأيت من فصاحته و حسن سمته، فلما تمكّن الانس بينى و بينه و خلوت معه فى المنزل اغتناما لمشاهدته و اقتباسا من أدبه و أعجبنى ما رأيت، قلت و اللّه إنك لشابّ خطر تصلح لمنادمه ملك كبير، فقال لى: ويحك أ تدرى ما نقول؟ أنا نبىّ مرسل، فظننت أنه يهزل، ثم ذكرت أنى لم احصل عليه كلمه هزل منذ عرفته، فقلت له: ما تقول؟ فقال: أنا نبىّ مرسل، فقلت له:

مرسل إلى من؟ قال: إلى هذه الامّه الضّالّه المضلّه، فقلت تفعل ما ذا؟ قال:

املئها عدلا كما قد ملئت جورا، فقلت: بماذا؟ قال: بإدرار الأرزاق و الثواب العاجل و الاجل لمن أطاع و أتى، و ضرب الأعناق و قطع الأرزاق لمن عصى و أبى فقلت: إنّ هذا أمر عظيم أخاف منه عليك و عذلته على قوله، فقال بديها:

أيا عبد الاله معاذ أنّى خفىّ عنك فى الهيجا مقامى

القطعه، فقلت له: ذكرت أنّك نبىّ مرسل إلى هذه الامّه أ فبوحى يوحى إليك؟ قال: نعم قلت: فاتل علىّ شيئا من الوحى إليك، فأتى بكلام ما مرّ بسمعى أحسن منه، فقلت: و كم اوحى عليك من هذا؟ فقال: مأئه عبره و أربع عشر عبره، فقلت: و كم العبره؟ فأتى بمقدار أكبر الاى من كتاب اللّه تعالى، فقلت: ففى كم مدّه اوحى اليك؟ قال: جمله واحده، قلت: فاسمع فى هذه العبرات كلّ طاعه فى السّماء فما هى قال: حبس المدرار لقطع أرزاق العصاه و الفجار قلت: أتحبس من السماء قطرها؟ قال: أى و الّذى فطرها أ فما هى معجزه؟ فقلت: بلى و اللّه، قال: فان حبست ذلك عن مكان تنظر اليه و لا تشكّ فيه هل تؤمن بى و تصدّقنى على ما أتيت به من ربّى؟ قلت: اى و اللّه، قال: سأفعل فلا تسألنى عن شىء بعدها حتّى آتيك بهذه المعجزه و لا نظهر شيئا من هذا الأمر حتّى يظهر، و انتظرت ما وعدنيه من غير أن أسأله.

فقال لى بعد أيّام: أتحبّ أن تنظر الى المعجزه الّتى جرى ذكرها؟ فقلت:

۱- (۱) - أى أتى ليلا. م.

بلی و اللّه، فقال لی: إذا أرسلت احد العبید فارکب معه و لا تؤخّر و لا یخرج معک أحد قلت: نعم.

فلما کان بعد أیام تغیّمت السماء فی یوم من أیّام الشتاء و إذا عبده قد أقبل فقال: یقول ارکب للوعد، فبادرت بالرّکوب معه و قلت أین رکب مولاک؟ قال:

إلی الصحراء، و لم یخرج معه أحد غیری و اشتدّ وقع المطر فقال: بادربنا حتّی نستکنّ معه من هذا المطر فانّه ینتظرنا بأعلی تلّ لا یصیبه فیه المطر، قلت: و کیف عمل قال: أقبل ینظر إلی السماء أوّل ما بدء السحاب الأسود و هو یتکلّم بما لا أفهم ثمّ أخذ السّوط فأدار به فی موضع ستنظر الیه من التّل و هو یهمهم و المطر ممّا یلیه و لا قطره منه علیه.

فبادرت معه حتّی نظرت الیه و اذا هو علی تلّ علی نصف فرسخ من البلد فأتیته و إذا هو قائم ما علیه من ذلک المطر قطره واحده و قد خضت فی الماء إلی رکبتی الدّابّه و المطر فی أشدّ ما یکون، و نظرت إلی مأتی ذراع فی مثلها من ذلک التّل یابس ما فیه ندی و لا قطره مطر، فسلمت علیه فردّ علیّ فقال لی: أ تری؟ قلت:

ابسط یدک فانی اشهد أنّک رسول اللّه، فبسط یده فبایعته بیعه الاقرار بنبوّته.

ثمّ قال لی: ما قال هذا الخبیث لما دعی بک یعنی عبده فشرحت له ما قال لی فی الطریق لما استخبرته، فقتل العبد و قال و قد جاوز حدّ الاساءه:

أیّ محلّ ارتقی أیّ عظیم اتّقی.

و کلّ ما قد خلق اللّه و ما لم یخلق محتقر فی همّتی کشعره فی مفرقی

و أخذت بیعته لأهلی، ثمّ صحّ بعد ذلک أنّ البیعه قد عمّت کلّ مدینه بالشّام، و ذلک بأصغر حیله تعلّمها من بعض العرب و هی صدحه المطر یصرفه بها عن أیّ مکان أحبّ بعد أن یحوی علیه بعصا و ینفث بالصّدقه الّتی لهم و رأیت لهم کثیرا منهم بالسّکون و حضرموت و السّاسک من الیمن یفعلون هذا و لا یتعاظمونه حتّی أنّ أحدهم یصدح عن غنمه و ابله و بقره و عن القریه من القری، فلا یصیبها من المطر قطره و یکون المطر ممّا یلی الصّدقه، و هو ضرب من السحر،

و رأيت لهم من السّحر ما هو أعظم من هذا و سألت المتنبّى بعد ذلك هل دخلت السّكون؟ فقال: نعم و والدى منها أما سمعت قولى؟

أمنسى السّكون و حضرموتاو والدتى و كنده و السبيعا

فقلت: و من ثمّ استفاد ما جوّزه على طغام أهل الشّام، و جرت له أشياء بعد ذلك من الحروب و الحبس و الانتقال من موضع إلى موضع حتّى حصل عند سيف الدّوله، انتهى.

أقول: و إلى مثل ذلك يرجع خرافات أكثر رؤساء الفرق الثلاث الضالّه المضلّه:

الصّوفيّه، و الشيخيّه، و البابيّه خذلهم اللّه جميعا هذا كلّه تحقيق ما يتعلّق بالمكاشفه بعنوان الشهود و الرّؤيه و العيان.

و أمّا الكشف بالرّؤيا و المنام و عليه مدار أكثر دعاوى المتصوّفه و أباطيلها حيث إنّ أعظم بضاعتهم: اريت البارحه و قد جرت عادتهم على أنّهم ينقلون ما يرون فى المنام إلى مرشديهم فيعبّره على ما هو مناسب لمذاق التّصوّف.

فتحقيق الكلام فيه ما أفاده المفيد قدّس اللّه سرّه.

فقد روى فى البحار من كنز الفوايد للكراجكى قال: وجدت لشيخنا المفيد رضى اللّه عنه فى بعض كتبه أنّ الكلام فى باب رؤيا المنامات غزير، و تهاون أهل النّظر به شديد، و البليّه بذلك عظيمه، و صدق القول فيه أصل جليل.

و الرّؤيا فى المنام تكون من أربع جهات:

إحداها حديث النفس بالشىء و الفكر فيه حتّى يحصل كالمنطبع فى النفس فيخيّل إلى النّائم ذلك بعينه و أشكاله و نتائجه، و هذا معروف بالاعتبار.

و الجهه الثانيه من الطباع و ما يكون من قهر بعضها لبعض، فيضطرب له المزاج و يتخيّل لصاحبه ما يلايم ذلك الطبع الغالب من مأكول و مشروب و مرئى و منكوح و ملبوس و مبهج و مزعج، و قد ترى تأثير الطبع الغالب فى اليقظه و المشاهد حتّى أنّ من غلبت عليه الصفراء و يصعب عليه الصعود إلى المكان العالى يتخيّل إليه وقوعه منه و يناله من الهلع و الزّمع ما لا ينال غيره، و من غلبت عليه السوداء يتخيّل به أنّه

قد صعد فی الهواء و ناجته الملائکه و یظنّ صحّه ذلک حتّی أنّه ربما اعتقد فی نفسه النّبوّه و أنّ الوحی یأتیه من السّماء و ما أشبه ذلک.

و الجهه الثالثه ألطاف من اللّه عزّ و جلّ لبعض خلقه من تنبیه و تبشیر و اعذار و انذار، فیلقی فی روعه ما ینتج له تخیلات امور تدعوه إلی الطاعه و الشکر علی النعمه و تزجره عن المعصیه و تخوّفه الاخره و یحصل له بها مصلحه و زیاده فایده و فکر یحدث له معرفه.

و الجهه الرّابعه أسباب تأتی من الشیطان و وسوسته یفعلها الانسان یذکّره بها امورا تحزنه و أسبابا تغمّه و تطمعه فیما لا یناله أو تدعوه علی ارتکاب محظور یکون فیه عطبه، أو تخیّل شبهه فی دینه یکون منها هلاکه، و ذلک مختصّ بمن عدم التوفیق لعصیانه و کثره تفریطه فی طاعات اللّه، و لن ینجو من باطل المنامات و أحلامها إلاّ الأنبیاء و الأئمه صلوات اللّه علیهم و من رسخ فی العلم من الصالحین.

و قد کان شیخی رضی اللّه عنه قال لی: کلّ من کثر علمه و اتّسع قلّه مناماته فان رأی مع ذلک منامات و کان جسمه من العوارض سلیما فلا یکون منامه إلاّ حقّا، و یرید بسلامه الجسم عدم الامراض المهیّجه للطّباع و غلبه بعضها علی ما تقدّم به البیان، و السّکران أیضا لا یصحّ له منام و کذلک الممتلی من الطعام لأنّه کالسّکران.

و لذلک قیل: إنّ المنامات قلّ ما یصحّ فی لیالی شهر رمضان، فأمّا منامات الأنبیاء فلا یکون إلاّ صادقه و هی وحی فی الحقیقه و منامات الأئمه جاریه مجری الوحی و إن لم تسمّ وحیا و لا تکون قطّ إلاّ حقّا و صدقا و إذا صحّ منام المؤمن لأنّه من قبل اللّه کما ذکرناه.

و قد جاء فی الحدیث عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم انّه قال: رؤیاء المؤمن جزء من سبعه و سبعین جزء من النّبوه.

و روی عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: رؤیا المؤمن تجری مجری کلام تکلّم به الرّب عنده فأمّا وسوسه شیاطین الجنّ فقد ورد السّمع بذکرها، قال اللّه تعالی: «مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الْخَنّاسِ اَلَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النّاسِ مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّاسِ » و قال: «وَ إِنَّ الشَّیاطِینَ »

«لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيائِهِمْ لِيُجادِلُوكُمْ » و قال: «شَياطِينَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً » و ما ورد به السّمع فلا طريق إلى دفعه.

فأمّا كيفيّه وسوسه الجنّى للانسى فهو إنّ الجنّ أجسام رقاق لطاف فيصحّ أن يتوصّل أحدهم برقّه جسمه و لطافته إلى غايه سمع الانسان و نهايته فيوقّر فيه كلاما يلبّس عليه إذا سمعه و يشبّه عليه بخواطره، لأنه لا يرد عليه ورود المحسوسات من ظاهر جوارحه و يصحّ أن يفعل هذا بالنائم و اليقظان جميعا و ليس هو فى العقل مستحيلا.

و روى جابر بن عبد اللّه أنه قال: بينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يخطب إذ قام اليه رجل فقال: يا رسول اللّه إنى رأيت كأنّ رأسى قد قطع و هو متدحرج، فقال له رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

لا تحدث بلعب الشيطان بك. ثمّ قال: إذا لعب الشيطان بأحدكم فى منامه فلا يحدّثنّ به أحدا.

و أما رؤيه الانسان للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو أحد الأئمه عليهم السّلام فى المنام، فانّ ذلك عندى على ثلاثه أقسام:

قسم أقطع على صحّته، و قسم أقطع على بطلانه، و قسم أجوّز فيه الصحّه و البطلان فلا أقطع فيه على حال.

فأما الذى أقطع على صحّته فهو كلّ منام رأى فيه النبىّ أو أحد الأئمه عليهم السّلام و هو فاعل لطاعه أو آمر بها و ناه عن معصيه أو مبيّن بقبحها، و قائل لحقّ أو داع اليه، و زاجر على باطل أو ذامّ لمن هو عليه.

و أما الذى أقطع على بطلانه فهو كلّما كان ضدّ ذلك لعلمنا أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و الامام صاحبا حقّ و صاحب الحقّ بعيد عن الباطل.

و أما الذى اجوّز فيه الصحّه و البطلان فهو المنام الذى يرى فيه النبىّ و الامام و ليس هو آمرا و لا ناهيا، و لا على حال يختصّ بالدّيانات مثل أن يراه راكبا أو ماشيا أو جالسا و نحو ذلك.

فاما الخبر الذى يروى عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قوله: من رءانى فقد رءانى فانّ

الشيطان لا يتشبّه بى، فانه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون فى كلّ حال، و يكون المراد به القسم الاوّل من الأقسام الثلاثه لأنّ الشيطان لا يتشبّه بالنبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى شىء من الحقّ و الطاعات.

و أما ما روى عنه من رءانى نائما فكأنما رءانى يقظانا، فانّه يحتمل الوجهين.

أحدهما أن يكون المراد به روياء المنام، و يكون خاصّا كالخبر الأوّل على القسم الأوّل الّذى قدّمناه.

و الثانى أن يكون أراد رؤيه اليقظه دون المنام، و يكون قوله: نائما حالا للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليست حالا لمن رآه، فكأنّه قال: من رآنى و أنا نائم فكأنّما رآنى و أنا منتبه، و الفائده فى هذا المقام أن يعلّمهم بأنّه يدرك فى الحالتين إدراكا واحدا فيمنعهم ذلك إذا حضروا عنده و هو نائم أن يغيظوا فيما لا يحسن أن يذكروه بحضرته و هو منتبه.

و قد روى عنه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه غفى ثمّ قام يصلّى من غير تجديد وضوء، فسئل عن ذلك فقال: إنّى لست كأحدكم تنام عيناى و لا ينام قلبى، و جميع هذه الرّوايات اخبار آحاد، فان سلمت فعلى هذا المنهاج.

و قد كان شيخى رضى اللّه عنه يقول: إذا جاز من بشر أن يدّعى فى اليقظه أنّه إله كفرعون و من جرى مجراه مع قلّه حيله البشر و زوال اللبس فى اليقظه فما المانع أن يدّعى ابليس عند النّائم بوسوسته له انّه نبىّ مع تمكّن ابليس بما لا يتمكّن عنه البشر و كثره اللّبس المعترض فى المنام.

و ممّا يوضح لك أنّ من المنامات الّتى يتخيّل للانسان أنّه قد رأى فيها رسول اللّه و الأئمه صلوات اللّه عليهم ما هو حقّ و منها ما هو باطل:

أنّك ترى الشّيعى يقول: رأيت فى المنام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و معه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يأمرنى بالاقتداء به دون غيره و يعلمنى أنّه خليفه من بعده و أنّ أبا بكر و عمر و عثمان ظالموه و أعداؤه، و ينهانى من موالاتهم و يأمرنى بالبراءه منهم و نحو ذلك ممّا يختصّ بمذهب الشيعه.

ثمّ یری النّاصبی یقول: رأیت رسول اللّه فی النّوم و معه أبو بکر و عمر و عثمان و هو یأمرنی بمحبّتهم و ینهانی عن بغضهم و یعلمنی أنّهم أحقّاء فی الدّنیا و الاخره و أنّه معهم فی الجنّه و نحو ذلک ممّا یختصّ بمذهب النّاصبیّه.

فنعلم لا- محاله أنّ أحد المنامین حقّ و الاخر باطل فأولی الأشیاء أن یکون الحقّ منهما ما ثبت الدّلیل فی الیقظه علی صحّه ما تضمّنه، و الباطل ما أوضحت الحجّه عن فساده و بطلانه، و لیس یمکن الشّیعی أن یقول للناصبی: إنک کذبت فی قولک إنّک رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأنه یقدر أن یقول له مثل هذا بعینه.

و قد شاهدنا ناصبیّا تشیّع و أخبرنا فی حال تشیّعه بأنه یری منامات بالضدّ مما کان یراه فی حال نصبه، فبان بذلک أنّ أحد المنامین باطل و أنه من نتیجه حدیث النفس أو من وسوسه إبلیس و نحو ذلک، و أنّ المنام الصحیح هو لطف من اللّه سبحانه لعبده علی المعنی المتقدّم وصفه.

و قولنا فی المنام الصحیح: إنّ الانسان رأی فی نومه النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إنما معناه انه کان قد رآه، و لیس المراد به التحقیق فی اتصال شعاع بصره بجسد النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أیّ بصر یدرک به حال نومه، و إنما هی معان تصوّرت فی نفسه تخیّل له فیها امر لطف اللّه تعالی له به قائم مقام العلم، و لیس هذا بمناف للخبر الذی روی من قوله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

من رءانی فقد رءانی، لأنّ معناه فکأنما رءانی و لیس یغلط فی هذا المکان إلّا من لیس له من عقله اعتبار، انتهی کلامه رفع اللّه تعالی فی أعلا علیّین مقامه.

و انما نقلناه بطوله لاشتماله علی فواید جمه و فیه قلع أساس منامات الصوفیه حیث إنهم یستندون أکثر أباطیلهم إلی الرّؤیاء و المنام، فان کانوا صادقین فی أصل الرّؤیاء فانّما هی من أضغاث الأحلام و عمل الشیطان.

و کفی بذلک شاهدا أنّ محیی الدّین حسبما نقلناه عنه سابقا نسب کتاب الفصوص الذی هو من کتب الضلال یقینا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ذکر فی أوّل الکتاب أنه رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی المنام بمحروسه دمشق و بیده کتاب فقال له: هذا کتاب فصوص الحکم خذه و اخرج به إلی الناس ینتفعون به، و قد ذکر فی الکتاب المذکور

مضافه إلی سایر أباطیله منامات کلّها مخالفه لدین الاسلام و شریعه سید الأنام کما یعرفه من رجع إلیه من ذوی البصایر و الأفهام.

و منها

منعهم من طلب الرّزق

زعما منهم أنه مناف للتوکل.

و قولهم بذلک إفراط حیث إنهم یحرّمون ما أحلّ اللّه کما أنّ تجویزهم للغناء و الرّقص و نحوهما تفریط و تحلیل لما حرّم اللّه.

قال آیه اللّه فی العالمین العلاّمه الحلّی قدّس اللّه روحه و جعل مقامه فی أعلا علیّین فی کتاب مناهج الیقین فی اصول الدّین:

منع الصوفیه من طلب الرّزق لأنّ الحلال قد اختلط بالحرام بحیث لا یمکن تمییزه فیجب اجتنابه، و لأنّ فیه مساعده الظالمین لطلب الخروج و الضمان، و لأنه تعالی أمر بالتوکل و هو ینافی الطلب، و هذا خیال ضعیف، فانّ المکلف إذا عرف الشیء المعیّن قد اختلط فیه الحلال بالحرام اجتنبه اما مع فقد العلم فلا، و المساعده لیست مقصوده بالذات، و التوکل لا ینافی الطلب.

و قال الشیخ مقداد فی کتابه إرشاد الطالبین إلی نهج المسترشدین عند شرح قول العلامه قدّس اللّه روحه: و یجوز طلبه، یعنی الرّزق لأنه یندفع به الضرر و لقوله تعالی: «فَانْتَشِرُوا فِی الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ » و غیر ذلک من الایات ما لفظه:

اعلم أنّ الرّزق یجوز طلبه بل قد یجب کما إذا لم یکن ثمّ وجه غیره، و قد یستحبّ، و قد یباح، و قد یحرم کما إذا اشتمل علی وجه نهی الشّارع عنه، و قد یکره کما إذا اشتمل علی ما ینبغی التنزّه عنه.

ثمّ إنّ الرزق قد یکون تفضلا منه تعالی بأن لا یکون للمکلّف فیه لطف و قد یکون فیه لطف و ذلک فیما یجتهد فی تحصیله، و وجه لطفیّته أن یحصل للطّالب عقیده بأنّ المنافع الدّنیویّه إنّما تحصل بالتّعب و کذا الاخرویه، و ذهبت الصّوفیه إلی أنّه لا یجوز السّعی فی طلبه

و الدّليل على ما قلناه من وجوه:

الأوّل أنّ طلب الرّزق ممّا يدفع به الضّرر عن النّفس و دفع الضّرر عن النّفس واجب.

الثّانى قوله تعالى: «فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ »، و قوله: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ » و قال المفسّرون: الابتغاء التّكسّب و الفضل الرّزق و غير ذلك من الايات.

الثّالث قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: سافروا تغنموا، و قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: الرّزق عشره أجزاء تسعه منها فى التجاره، و غير ذلك من الأخبار.

و احتجّت الصوفيه بوجوه:

الأول أنّ الحلال مختلط بالحرام و لا يتميّز فلا يجوز طلبه.

الثانى أنّ فى الطلب مساعده للظالم باعطائه الطمغاء و غيرها و مساعده الظالم حرام فكذا ما يؤدّى إليها.

الثالث قوله تعالى: لو توكّلتم على اللّه حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغد و خماصا و تروح بطانا، و إذا كان التوكّل مأمورا به كان الطلب منهيا عنه.

و الجواب عن الأول إن أردتم أن كلّ الحلال مختلط فهو ممنوع، و إن أردتم بعضه فمسلّم لكن التكليف مشروط بالعلم فمع عدم العلم لا حرمه خصوصا و اليد ظاهره فى الملك، و أورد عليهم شيخنا سالم بن محفوظ أنه يلزم من هذا أنه لا يجوز أكله كما لا يجوز طلبه، و لهم أن يقولوا إنا نأكل قدر الضروره لكن الواقع منهم بخلافه.

و عن الثانى أنّ المساعده ليست مقصوده و لا مراده بل تؤخذ قهرا.

و عن الثالث أنّ التوكّل لا ينافى الطلب و المكتسب فى حال طلبه متوكّل أيضا و لهذا أردفه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالغدوّ، مع أنه ليس فى الحديث نهى عن الطلب الذى هو مناط البحث بل بيّن فيه أنكم لو اشتغلتم بالطاعه عن الطلب لرزقكم ما يقيم به أبدانكم كما يرزق الطير ما يقيم به أبدانها بتهيه الأسباب، لكن أردفه بالغدوّ الذى

هو الطلب، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: و يرد على دليلهم الأوّل أيضا أنّ قولهم: الحلال مختلط بالحرام، إن أرادوا به الحلال و الحرام الواقعين ففيه أنا لسنا مكلّفين بتحصيل الحلال الواقعى و لا بترك الحرام الواقعى لعدم السبيل إليهما، و إن اريد بهما ما هو حلال و حرام فى ظاهر الشرع فالاختلاط إنما هو فى بعضها لا الجميع و على ذلك فكلّ شىء فيه حلال و حرام فهو لنا حلال حتى نعرف الحرام منه بعينه فندعه، و لو كان جميع الحلال مختلطا بالحرام لم يقل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: حلال بيّن و حرام بيّن و شبهات بين ذلك، و لا قال أمير المؤمنين عليه السّلام مثل ذلك، فتقسيمهما الأشياء إلى ثلاثه أقسام دليل على وجودها جميعا، و قد حققه الأصحاب فى كتب اصول الفقه بما لا مزيد عليه، نعم لو كان المختلط شبهه محصوره لوجب الاجتناب أيضا و التفصيل فى محلّه.

و الأخبار فى طلب الرّزق كثيره:

منها ما رواه فى مجمع البيان عن عمرو بن زيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنه قال إنى لأركب فى الحاجه التى كفاها اللّه ما أركب فيها إلاّ التماس أن يرانى اللّه اضحى فى طلب الحلال أما تسمع قول اللّه عزّ اسمه: «فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ » أرأيت لو أنّ رجلا دخل بيتا و طين عليه بابه ثمّ قال:

رزقى ينزل علىّ كان يكون هذا؟ و نقل عن كتاب نور الحقيقه و نور الحديقه لوالد شيخنا البهائى قدّس سرّهما قال: ذكر جماعه عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجلا بخير فقالوا يا رسول اللّه خرج معنا حاجّا فاذا انزلنا منزلا لم يزل يصلّى حتّى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر اللّه تعالى حتّى ننزل، فقال، من كان يكفيه علف ناقته و صنع طعامه؟ فقالوا: كلّنا، فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كلّكم خير منه.

و عن الكافى عن عدّه من أصحابنا عن البرقى عن محمّد بن علىّ عن هارون بن حمزه عن علىّ بن عبد العزيز قال: قال لى أبو عبد اللّه عليه السّلام ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل على العباده و ترك التّجاره، فقال: ويحه أما علم أنّ

تارک الطلب لا- یستجاب له إنّ قوما من أصحاب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لما نزلت: «وَ مَنْ یَتَّقِ اللّهَ یَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَ یَرْزُقْهُ مِنْ حَیْثُ لا یَحْتَسِبُ » أغلقوا الأبواب و أقبلوا علی العباده و قالوا: قد کفینا، فبلغ ذلک النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فأرسل إلیهم فقال: ما حملکم علی ما صنعتم؟ فقالوا: یا رسول اللّه تکفّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا علی العباده، فقال:

إنّه من فعل ذلک لم یستجب له علیکم بالطلب.

و الأخبار فی هذا المعنی کثیره جدّا لا حاجه الیها، و نعم ما قیل: الزّهد فی الدّنیا قصر الأمل لا لبس العبا، و لیس الزّاهد من لا یملک شیئا و لکنّه الذی لا یملکه شیء، و إنّ الدّراهم مراهم لأنّها تداوی کلّ جریح و یشتری بها الاخره کما یشتری بها الدّنیا.

إذا عرفت ذلک فاستمع لما نحکیه علیک من عجیب مزخرفات ابن العربی فی فتوحاته، قال فی محکی کلامه من الباب التّاسع و العشرین من الفتوحات.

کلّ عبد إلهیّ توجّه لأحد علیه حقّ من المخلوقین فقد نقص من عبودیته للّه سبحانه بقدر ذلک الحقّ فان ذلک المخلوق یطلبه بحقّه و له علیه سلطان فلا یکون عبدا مخلصا للّه، و هذا هو الّذی یرجّح عند المنقطعین إلی اللّه انقطاعهم عن الخلق و لزومهم السّیاحات و لزومهم البراری و السّواحل و الفرار من النّاس و الخروج من ملک الحیوان، فانّهم یریدون الحرّیّه من جمیع الأکوان و لقیت منهم جماعه کثیره فی أیّام سیاحتی.

و من الزّمان الّذی حصل لی هذا المقام ما ملکت حیوانا أصلا و لا الثّوب الّذی ألبسه فانّی لا ألبسه إلّا عاریه لشخص معیّن أذن لی فی التّصرف فیه، و الزّمان الذی أتملّک الشیء فیه أخرج عنه ذلک الوقت إمّا بالهبه أو بالعتق إن کان ممّا یعتق.

و هذا حصل لی لمّا أراد التحقّق بعبودیّه الاختصاص للّه.

قیل لی: لا یصحّ ذلک حتّی لا یقوم لأحد علیک حجّه.

قلت: لا و اللّه و لا للّه إنشاء اللّه.

قیل لی: و کیف یصحّ أن لا یقوم للّه علیک حجّه؟

قلت: إنّما يقوم الحجج على المنكرين لا على المعترفين، و على أهل الدّعاوى و أصحاب الحظوظ لا على من قال ما لى حقّ و لا حظّ، انتهى كلامه هبط مقامه.

اقول: و يتوجّه على هذا الجاهل:

أوّلا أنّ المخلص للعبوديّه للّه سبحانه هو من يستنّ بسنّه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يسلك مسلكه و يكون له فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم اسوه حسنه، و الرّهبانيه و الانقطاع عن الخلق و السياحه خلاف سنّته، و قد قال عليه السّلام: إنّ سياحه امّتى و رهبانيّتهم الجهاد و يأتى انشاء اللّه أخبار كثيره فى هذا المعنى.

و ثانيا أنّ الخروج من ملك الحيوان و إراده الحرّيه من جميع الأكوان محال عاده، و قد خلق اللّه سبحانه الانسان مدنيّا بالطبع و جعل كلّ فرد منه محتاجا إلى غيره و لو فى أقلّ ضروريات العيش، فكلّ من قام بحاجه غيره و هيّأ أسباب معيشته و رفع عنه الضروره و الحاجه و لو فى أقلّ مراتبها التى لا يمكن التّعيش و البقاء بدونه يكون له بقدر ما قام بمحاويجه حقّا عليه و إن كان الحقوق فى الحقيقه كلّها للّه سبحانه إلّا أن من لم يشكر الخلايق لم يشكر الخالق.

و قد ورد فى الحديث: من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه، فاراده الحرّيه من جميع الأكوان و الخروج من ملك الحيوان لا يصدر إلّا عن سفيه جاهل.

ثمّ الحقوق ليست منحصره فى الحقوق الماليّه، بل للوالد حقّ على الولد و للولد حقّ على الوالد، و للأرحام حقّ و للجار حقّ و للمعلّم حقّ و للمتعلّم حقّ و للاخوان المؤمنين حقّ، بل لكلّ من أعضائك و جوارحك من قرنك إلى قدمك عليك حقّ كما أشار إليه الأئمه عليهم السّلام فى أبواب الحقوق، فالانقطاع عن الخلق لا يبطل تلك الحقوق، ثمّ القيام بها من أجل أمره سبحانه و تعالى به من جمله العبادات فلا ينافى العبوديّه و الاخلاص كما توهّم.

و ثالثا أنّ قوله: فانّى لا ألبس الثوب إلّا عاريه لا ملكا عجيب جدّا.

إذ لو كان المراد به أنّ للثّوب المملوك حقّا على لابسه دون المستعار فهو

غلط بل يجب فى العاريه من الحفظ و المواظبه و عدم التّفريط ما ليس فى الثّوب الّذى هو له، لأنّه مال الغير و لا يجوز الخيانه فيه بخلاف ماله مع أنّ للعاريه حقا للمعير على المستعير حقّ الاسترداد و حقّ الضّمان لو فرّط، و ليس فى الثوب المملوك له لأحد حقّ عليه.

و إن كان المراد به أنّه كان يلبس العاريه دون الملك لزهده و تركه ملاذ الدّنيا ففيه أنّ الملك و العاريه لا مدخليّه لهما فى الزّهد و عدمه، و قد كان أزهد الزّاهدين فى الدّنيا رسول اللّه و أمير المؤمنين عليهما السّلام و لم نسمع منهما إلى الان أنّهما يلبسان اللباس عاريه لا ملكا، و قد كان عليه السّلام يشرى لباسا و يلبسه و يقول: الحمد للّه الّذى ألبسنى من الرّياش ما أتجمّل به فى الناس و أوارى به عورتى و رابعا أنّ ادّعاءه أن ليس للّه حجّه عليه لكونه من المعترفين لا من المنكرين فهو ناش من خبطه و سفهه و جهله و ضلاله و عجبه، فما أعظم جرءته و أشدّ جسارته حيث لم يدّع هذا المقام أحد من الأنبياء و المرسلين و الحجج المعصومين على عصمتهم و جدّهم فى مقام العمل و بلوغهم الغايه فى المعرفه.

و قد تقدّم فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و التسعين عند شرح قوله عليه السّلام فى وصف المؤمنين: و لا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متّهمون و من أعمالهم مشفقون أخبار نافعه فى المقام.

منها قول أبى الحسن موسى عليه السّلام لبعض ولده: يا بنىّ عليك بالجدّ و لا تخرجنّ نفسك من حدّ التّقصير فى عباده اللّه عزّ و جلّ فانّ اللّه لا يعبد حقّ عبادته.

و قول أبى جعفر عليه السّلام ثلاث قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله و نسى ذنوبه و أعجب برأيه.

و قول أبى عبد اللّه عليه السّلام قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى حديث: قال موسى بن عمران لابليس: أخبرنى بالذّنب الذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا أعجبته نفسه و استكثر عمله و صغر فى عينه ذنبه إلى غير هذه ممّا لا نطيل باعادتها.

ثمّ أقول: لو لم يحتجّ اللّه عليه إلّا بعدم معرفه إمام زمانه على ما اعترف به نفسه حسبما حكينا من فتوحاته فيما تقدّم و بادّعائه أنّه خاتم الولايه و أنه يتلقّى الوحى بدون واسطه من اللّه عزّ و جلّ فضلا عن قوله بوحده الوجود و عن ساير أباطيله المتقدّمه حكايتها، لكان فى ذلك الاحتجاج ما لا يقوم به السماوات و الأرض و لتدكدك من نكاله الجبال، نعوذ باللّه من الضلال و سوء الخاتمه و المال و عظيم العقوبه و النّكال، و الحمد للّه الّذى هدانا إلى الصراط المستقيم و ما كنّا لنهتدى لو لا أن هدانا اللّه، و نصلّى و نسلّم على محمّد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم و خلفائه الذين هم أولياء اللّه.

المقام الرابع

اشاره

فى نبذ من صلائف الصوفيه

(۱)

و واقعاتهم العجيبه و هذياناتهم المفرطه التى تضحك منها الثكلى و تعجب لها الصّبيان، و الظاهر أنّ منشئها إفراط الخبط و شدّه الأمراض الخياليّه.

فمنها

ما عن شيخهم برهان الدّين المالیقى و هو من أعاظم مرتاضيهم و أكابر مشايخهم و مشاهيرهم لا سيّما فى بلاد الهند و نحن نذكر عنه من كتاب الواقعات له ثلاثا منها لتكون أنموذجا لما طوينا عن ذكرها، قال:

الواقعه الاولى

أمّا بعد حمد اللّه تعالى و الصلاه و السلام على حبيبه محمّد و آله:

لمّا برزت الاشاره المولويه الشيخيّه الرّبانيّه أنّ كلما حدث من الواقعات فى أثناء السّلوك ينبغى أن تقيّد بالكتابه امتثل هذا الحقير أوامره الشريفه و كتب ما بقى منها فى خاطره بعد التّعوذ و الاستعانه باللّه تعالى.

۱- (۱) الصلف التمدّح بما ليس عندك أو مجاوزه قدر الظرف و الادّعاء فوق ذلك تكبرا، ق.

لما كان اليوم الثانى من أيام بعض الخلوات كنت فى الذّكر مستغرقا إذا رأيت كأنّى فى البرّ و شخص واقع كأنّه ملك و ستر معلّق من السّماء إلى الأرض و كأنّ شخصا يقول لى: إلى أين تذهب؟ قلت: إلى الحقّ، فقال: بين الحقّ و العبد سبعون ألف حجابا بحمايه من تذهب إليه؟ فقلت: بحمايه الشيخ نور الدين عبد الرّحمن، فلمّا سمع كلام العبد لم يثن عليه القول و حضر الشيخ فى الحال.

فلمّا رأى هذا الحقير أنّ أمر المريد لا يتيسّر بدون شيخ مرشد و الشّيخ المرشد لا بدّ له من ولايه الحمايه إذا توجّه إليه المريد حضر فى الحال بالعنايه الرّبانيّه فلمّا توجّه العبد نحوه رآه حضر و بيده عصا و هو واقف.

و قد ظهر بهذا الحقير أنواع من الصّور الشيطانيّه المختلفه و غيره يقصده و الشيخ يدفعها عنه بعصاه، و فى أثناء ذلك حضر شخص بخارى يقال له النّور البيمارستانى و كان لهذا الحقير به قديما يسير إراده و قصد نحو هذا الحقير فحمل الشيخ بعصاه فهرب، ثمّ قصد هذا الحقير ثانيا فحمل الشيخ عليه ثانيا بعصاه فهرب فلمّا قصد نحو هذا الحقير ثالثا ضرب الشيخ بالعصا رأسه فكأنّه شجّه فرمى نفسه على أقدام الشيخ ثمّ هرب.

فلمّا رأى هذا الحقير أنّ اللّه أظهر له ولايه الشيخ على هذه الصوره التجأ إليه سبحانه و تعالى أن يلهم الشيخ القعود حيث طال قيامه، فجلس الشيخ كمن جلس على صفه و ولىّ برجليه الأرض مستنفذا، فلم يطمئنّ القلب لذلك حتى التجأ إليه سبحانه ثانيا و طلب سكون الشيخ و قراره بالقعود عنده، فتربّع الشيخ بعد ذلك عنده فالتجأ إليه سبحانه ثالثا أن يقرّ الشيخ عنده على صوره لا يهاب منها المخالفه فرأى كأن الشيخ دخل باطن هذا الحقير دخول لابس ثوب و يدا هذا الحقير كمّاه.

فلمّا لبس الشيخ هذا الحقير صار الشيخ هو و فنى هو فى الشيخ بحيث لم يبق منه شىء سوى العلم بوجود الشيخ و فناء نفسه فيه.

ثمّ هذا الحقير سأل الشيخ بتوفيق اللّه إيّاه و قال: أيّها الشيخ ما سبب أن

صرت هذا الحقير؟ فأجاب و قال: لمّا لم يكن قوّه صيروره نفسک إيّای صيّرت نفسی إيّاک لتصير إيّای.

ثمّ بعد ذلک كان اللّه تعالى أظهر لهذا الحقير أنّ الشيخ قد جلس فی باطن هذا الحقير مرّبعا كما رأى ظاهرا أوّلا، و كلّما ذكر اللّه تعالى ذكر الشيخ أيضا فی باطنه، فاذا شرع فی ابتداء الذّكر يقول الشيخ فی باطنه: اذكر فانّک حسن الذّكر.

فلمّا استقرّ بفضل اللّه تعالى سرّ الشيخ فی باطن هذا الحقير تواترت عليه الالهامات الرّبانيه الرّوحانيه ساعه فساعه، فلو حصل اذن الحقّ سبحانه و تعالى إلهاما بذكر الالهامات كلّها و تحقيق كونها ليست من الالهامات الرّوحانيه و الملكيه و غيرها بل هی ربّانيّه حقّا لأمتثل انشاء اللّه تعالى.

الواقعه الثانيه

كان هذا الحقير فی أثناء الذّكر ليله و الشيخ فی باطنه متمكّن إذا رأى كأنّه تولّد من باطنه من جانبه الأيسر ممّا يلی القلب جرو(۱) كلب أبيض اذناه سود و فی ظهره عند ذنبه سواد و كان تاره يقعد و تاره ينام و لا يقرّ قلقا من ذكر هذا الحقير.

فحصل لهذا الحقير من ذلک خوف فالتجأ إلى الحضره الالهيه و استمدّ من باطن الشيخ خفاره(۲) الالتجاء، لأنّ كلّ دعاء و التجاء لا خفاره له لا وصول له إلى الحضره، و لذلک صار الاخلاص خفير جميع العبادات قال اللّه تعالى: «وَ ما أُمِرُوا إِلاّ لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » و لمّا لم يجد للالتجاء به اخلاصا استمدّ بالعنايه الالهيّه من باطن الشيخ خفاره ذلک الالتجاء، فنظر فی الحال إذا الشيخ قد مدّ يده و أخذ ذلک الجرو من باطن هذا الحقير و مضی، فتبعه الحقير فی اثره فرأى فی عنق الجرو حبلا أبيض و رأس

۱- (۱) - الجرو بتثليث الجيم صغير كلّ شیء و غلب على ولد الكلب و الاسد، و العجب أنّ النسخه فی جميع المقامات بالدّال. المصحح.

۲- (۲) - الخفاره شده الحياء و خفره و به و عليه خفرا اجاره و منعه و آمنه و الخفر المجار و المجير و تخفّر اشتدّ حياؤه و به التجأ و سأله ان يكون له خفيرا، ق.

الحبل بيد الشيخ.

فلمّا مشينا قليلا قتل الشيخ ذلك الجرو و مسح قدمه به و مع ذلك يخاف هذا الحقير أن يعيش ثانيا، فلمّا مسح الشيخ رجله به صار الجرو المقتول تحت رجله طينا، فلمّا رجع رجله عنه عاش ثانيا فأخذه الشيخ ثانيا ليقتله فلم يمكّنه من نفسه و كان حقيرا فى العين قوّيا فى نفسه، فوقع على هذا الحقير منه خوف فرأى كأنّ الشيخ قلع رأسه من بدنه و رمى به و خرق بطنه بسكّين فرمى به أيضا إلى الأرض و وضع عليه حجرا ثقيلا و مع هذا كان مفتوح العين ينظر الى هذا الحقير سرّا، فوضع الشيخ قدمه إليه فصار تحت قدمه طينا لكن الخوف غالب على هذا الحقير أن يعيش ثالثا فما التفتّ إلّا و قد رمى بالحجر عن نفسه و خرج من تحته فأخذه الشيخ ثالثا و قتله.

فقال هذا الحقير: ينبغى أن يحرق، فأخذ و جعل فى تنّور و كان كلّما احترق يعود كما كان حيّا، فأخذه الشيخ و أحرقه مرّه بعد اخرى إلى أن احترق و صار رمادا.

فقال الشيخ: ما ذا ينبغى أن يفعل بعد هذا؟ فقال هذا الحقير: ينبغى أن يرمى بالرّماد إلى الماء الجارى، فلمّا رمى صار الرّماد كلّه على رأس الماء و أمطرت السّماء فقال هذا الحقير: أيّها الشيخ ينبغى أن نتبع اثر هذا الماء كيلا يعيش هذا الجرو مرّه اخرى، فتقدّم الشيخ و هذا الحقير فى اثره فوصل ذلك الماء الجارى إلى بحر فقال الحقير للشيخ: نخاف أن يعيش هذا الجرو فلينظر هذا البحر إلى أين ينتهى، فنزل الشيخ إلى البحر و هذا الحقير فى أثره فرأى كان ماء البحر يدخل فى شقّ فوقف الشيخ على رأس الشّق و هذا الحقير فى خدمته إلى أن دخل جميع ماء البحر ذلك الشّق، فظهر فى قعر البرء حوض و فيه ماء فابتلعت الأرض ماء البحر فظهر فى أسفل الحوض سمكه صغيره فقتلها الشيخ.

و قال: ما ذا ينبغى أن يفعل بعد هذا؟ فالتمس الحقير من الشيخ أن يطلع الشّمس حتّى ييبس طين البحر، فلما أن طلعت الشمس و يبس الطين.

قال الشيخ ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال هذا الحقير: يمكن أن ينبت من هذا نبات ينبغى أن نحرقه فالتفتّ فاذا بالحشيش قد نبت.

فقال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نحصد الحشيش و نحرقه فحصدناه و تركناه فى الشمس حتّى يبس ثمّ أحرقناه ثمّ قال الشيخ ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن يرمى برماد الحشيش إلى شقّ الجبل ثمّ قال الشيخ ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نملأ الحوض بالحجاره ليعتدل من الأرض و نسدّ باب الشقّ بالحجاره فلمّا فعل الشيخ ذلك كلّه.

قال الشيخ: ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: لو امطرت السّماء بماء يغتسل فيه هذا الحقير و ابتلعت الأرض ذلك الماء كان حسنا كلّ ذلك من غلبه الخوف من ظهور آثار ذلك الجرو، فالتفتّ فاذا بالغيث قد نزل و سال و دخل جميعه فى ثقب قد لا يسع انسانا من ضيقه فلمّا اغتسل الحقير و اذا به قد حضر عنده من العنايه الالهيّه ثوب أبيض فلبسه.

فقال الشيخ أيضا ما ينبغى أن يفعل؟ و فى تكرار قول الشيخ ما ينبغى أن يفعل سرّ يعرفه الشيخ، فقال الحقير: نقصد الكعبه المعظمه، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره إلى أن وصلنا الكعبه و دخلنا الحرم الشريف، فاغتسل الحقير بماء زمزم و حضر ثوب أبيض فلبس الحقير بين يدى الشيخ و دخلنا الكعبه و صلّينا فيه.

ثمّ قال الشيخ: ما ذا ينبغى أن يفعل؟ فقال هذا الحقير بالعنايه الالهيّه ينبغى أن نذهب إلى التّنور الّذى أحرقنا فيه الجرو و الحجر الّذى وضعناه على رأسه و الموضع الّذى قتلناه فيه و نأخذ الجميع و نلقى فى الثّقب الّذى كان الماء يدخله كيلا يبقى فى هذا الموضع للجرو أثر، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره و جئنا و جمعنا كلّ ذلك فأراد الحقير أن يحمله فاذا بحبشىّ قد ظهر فى الحال و جعلنا الكلّ فى وعاء و حملناه إيّاه فلمّا دخلنا إلى الثّقب الّذى دخله تلك الماء العظيمه

ألقيناه فيه ثمّ قتل هذا الحقير بالعنايه الالهيّه ذلك الحبشىّ، و ألقيته فى النّقب أيضا.

ثمّ قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبه المعظمه، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره قد دخلنا الحرم الشّريف و اغتسل الحقير ثانيا بماء زمزم و كان الشيخ يغسله ثمّ بعد الغسل حضر ثوب صوف أخضر فلبسه الحقير و صلّينا فى مقام إبراهيم عليه السّلام ثمّ دخلنا الكعبه فلمّا أن صلّينا فيه.

قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نشدّ رأس الثقب الّذى ألقينا فيه الحبشىّ المقتول و التّنور و الحجر كيلا يظهر منه أثر، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره فجئنا و شددنا رأس النّقب.

ثمّ قال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نرجع إلى الكعبه المعظمه فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره فدخلنا الحرم الشّريف و جئنا إلى بئر زمزم فخلع الحقير ثوبه و وضعه على ميزاب الكعبه و اغتسل بماء زمزم و كان الشيخ يغسله.

ثمّ قال الحقير بالعنايه الالهيّه للشيخ: اقطع بطن الحقير و اغسل بهذا الماء قلبه و كبده و باطنه كيلا يكون قد بقى فى باطن هذا الحقير شىء من أثر الجرو، فقطع الشيخ بطن هذا الحقير بالسّكين و غسل باطنه بالماء.

فبينا الشيخ كذلك إذ ألقى اللّه سبحانه فى نفسى منّى نفره عظيمه فضربت عنقى بالعنايه الالهيّه و أخذت باحدى يدى شعر رأسى و بيدى الاخرى رجلى و رميت به خارج الحرم و لم أزل أضرب برأسى الّذى بيدى عتبه الحرم إلى أن نفيت و رميت به خارج الحرم و دخلت الحرم و اغتسلت بماء زمزم بحضور الشيخ و حضر ثوب ازرق و عمامه بيضاء فلبستهما.

ثمّ قال: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: نصعد سطح الكعبه، فتقدّم الشيخ و الحقير فى أثره فصعدنا سطح الكعبه.

فقال الشيخ: ما ينبغى أن يفعل؟ فقال الحقير: ينبغى أن نصعد السماء، ففى أثناء هذا الكلام حضر فرسان بسرجيهما فركب الشّيخ أحدهما و الحقير الاخر، فلما وصلنا

إلى السّماء الاولى فاذا ملكان جالسان، فدخل الشّيخ بلا اذن و الحقير فى أثره فسأل أحد الملكين صاحبه من هذا؟ فقال له: الشّيخ عبد الرّحمن و مريده، و كان الشّيخ أماما يخرق السّماء و يصعد و الحقير فى أثره ينظر فرآه كيلا يصل بنا أثر الجرو فيرى مواضع عروجنا يعود كما كان مسدودا فاطمئنّ لذلك باطنه.

فلمّا وصلنا إلى السّماء الثّالثه كان الملائكه كانوا يمنعون الحقير و يأمرونه بالتّجريد، و يعدهم الحقير بذلك، و كان الشّيخ قد أخذ بعناق فرس الحقير و يمدّه، فلم يبق لهم إمكان منع الحقير.

و كان الشّيخ كلّما عرج إلى السّماء يقول: أين تذهب؟ فيقول الحقير إلى الجنّه، و لون السّماء و كيفيّاتها كما ذكرها العلماء فى كتبهم فلا حاجه إلى ذكرها.

و كان الشّيخ كلّما جاء إلى باب السّماء يدخل بلا اذن الملائكه و لا يلتفت إليهم و إن حصل فى بعض أبواب السّماوات تمانع يأخذ بعنان هذا الحقير و يمدّه و يدخل و كان سبعه و كلّ باب من أبواب السّماوات أضيق من الذى قبله، و كان فى اثناء العروج فى السّماوات السّبع يأتى خيول مختلفه الألوان بسروجها غير الّتى قبلها.

فلمّا عرجنا إلى السّماء السّابعه و وصلنا إلى الجنّه الاولى و دخلناها جائتنا خيول غير تلك الخيول بسروجها، و كانت الحور العين يتعلّق بالشيخ و فرسه و لم يلتفت اليهنّ أصلا، و كان كلّما وصل إلى باب جنّه من الجنّات يستقبلنا خزنتها و يدخل الشيخ الجنّه بلا التفات إلى أحد منهم.

فلمّا وصلنا إلى جنّه الفردوس استقبلنا خزنتها بالاطباق أو بالطّباق المغطاه الرّؤوس و كان فى طبق منها الفاكهه مكتوب فيها: اللّه، و فى طبق منها فاكهه أيضا مكتوب فيها: الحقّ، فأكل هذا الحقير جميعها.

فلمّا قربنا من جنّه الفردوس دخل الشّيخ و الحقير فى اثره فلمّا أراد الشّيخ أن يدخل جنّه الفردوس و كانت طبقتين ردّوا باب طبقه منها، فأخذ الشيخ

بیـد الحقیر و أدخله الیها و هکذا إلی أن عبرنا ثمانی جنّات کلّما حصل تمانع من واحد منها إمّا أن یأخذ الشـیخ بید الحقیر و إمّا أن یأخذ بعنان فرسه و یدخله و ادخلنا إلی أربع جنات منها رکبانا و الی أربع منها مشاه.

و کان فی أثناء عروجنا من هذه الجنات الثمانیه تأتینا خیول مختلفه الألوان خضر و صفر و زرق بسروجها.

فلما عبرنا من الجنات الثمانیه کلّها قال الشیخ: أین تذهب؟ قال الحقیر إلی العرش و الکرسی، و کنا نری فی أثناء ذلک الملائکه علیهم السلام بعضهم فی القیام و بعضهم فی الرّکوع و بعضهم فی السجود و الشیخ و الحقیر راکبان یعبران.

و کلما حصل تمانع من الملائکه لهذا الحقیر کان أکثره من قبل التجرید و کان الحقیر یتقبل لهم به و الشیخ یدفعهم عنه بالعنایه الالهیه، حتی وصلنا إلی العرش.

فقال الشـیخ: ما ینبغی أن یفعل؟ فقال الحقیر نصـعد فوق العرش، فحضـر طیران علی شـکل النعامه و علیها سـرجان فرکب الشیخ أحـدهما و رکب الحقیر الاـخر و کـأنه کـان کلمـا حرکنا جناحهما قطعنا مسافه الشـرقیه أقلّ و أکثر إلی أن عییا، و حضـر طیران آخران علی شـکل الطـاوس و علیهمـا سـرجان و کـان الخطـاب یصـل سـاعه فسـاعه من الحقّ: تجرّد لتصـیر محفوظا بتجلّیاتی و اجلسک علی العرش فتجرّد الحقیر بالعنایه الالهیه و رمی بالمحقر الـذی کان معه من جیفه الـدّنیا و مع حقارته و قلّته کان حجابا عظیما، سـبحان من هذا بعض مقدوراته تاره یجعل التجرید حجابا، و تاره یجعل عدم التجرید حجابا أعوذ باللّه من اللّه فی جمیع الأحوال.

ثمّ بعد ذلک رقاه الحقّ الی العرش الشـیخ أمامه و الحقیر فی أثره فلما صـعدنا العرش طلب من الحقّ سبحانه موضع نعلی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فاشیر إلی موضع معین و کان الحقیر یقبّل الموضع و یعفّر خدّه فیه، ثمّ صلینا رکعتین فیه کان الشیخ إمامـا و الحقیر مأمومـا، و قرء فی الرّکعه الاـولی إنـا فتحنا و فی الثانیه الم نشـرح و اذا جاء نصـر اللّه، فان وقعت الاشاره من الحقّ سبحانه أن یذکر عبور بحر النارى

و سير دركات الجحيم طبقه بعد طبقه امتثلت بالتوفيق الالهى بالسمع و الطاعه انشاء اللّه تعالى.

الواقعه الثالثه

و هـذه الواقعه انما كتبت باشاره الرسول صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم، و فى أثناء الاشاره اسـتخار الحقير من النبىّ صـلوات اللّه و سلامه عليه فى أنه يلقب نفسه المسكين أو الحقير فاختار لى الحقير و أشار به.

رأى هـذا الحقير مرّه كأنه يأكل الكعبه المعظمه زادها اللّه شـرفا و كان الكعبه تمطر من هذا الحقير و فى أثناء ذلك صار الحقير الكعبه و بمقتضـى الحكمه الربانيه ظهر هـذا الحقير على سـطحها و ظهر عنـد ذلك أيضا روح النبىّ صـلى اللّه عليه و على آله و سلم مع أرواح جميع الأنبياء صـلوات اللّه عليهم على سـطح الكعبه المعظمه ثمّ إن الأرواح الشـريفه النبويه نزلت كلّها من السطح باذن اللّه تعالى سوى روح نبينا محمّد صـلّى اللّه عليه و على آله و سـلم، ثمّ بعد ذلك أوحى اللّه تعالى إلى الأنبياء عليهم السّلام أن هـذه كعبتى طوفوا حول كعبتى، فطـاف الأنبيـاء كلّهم عليهم السـلام، ثمّ أوحى اللّه إليهم أن آمنوا به و اسـجدوا فقالوا كلّهم: آمنا باللّه و سجدوا حول الكعبه و الكعبه فى الوسط.

ثمّ بعـد ذلك رأى كأنّ الحقّ سـبحانه و تعالى من التشبيه و التعطيل بيده عصا ضـرب بها سـطح الكعبه المعظمه، فصارت شـجره كأنها تمطر منها كلمه لا إله إلاّ اللّه.

ثمّ ظهر من حيطان الكعبه أيـد لا يعلم عددها إلاّ اللّه تعالى و قد التزم بكلّ يد منها نبىّ من الأنبياء و يقول: أنا النبىّ الفلانى حتّى أن نوحا عليه السّـلام ملتزم بيـد منها يقول: أنا النوح النبىّ، و كلّ منهم يقول مشـيرا نحوى يا برهان قـد جعلك اللّه مشـيرا فاعمل أعمال الأنبياء و الأولياء، و كذا الأولياء رحمهم اللّه على ما ذكرنا و هذه الأيدى باذن اللّه تعالى يجذب بعضها المتعلق بها إليها و بعضـها يقطع رأس المتعلق بها و يرميه ثمّ بعد ذلك خرج هذا الحقير من تلك الصوره و ظهر باذن اللّه تعالى و هو سـبحانه فوق رأسه كرحمته تعالى عن التكيف و التمثيل، و روح النبىّ صلّى اللّه عليه و على

آله جالس متمكن، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: يا أهل المعرفه و الايمان و العلم و الأيقان و ذوى الفطن الثاقبه، انظروا إلى مقالات هذه الطايفه و عقايد اخوان عبده الأوثان و الصائبه كيف زيّن لهم أعمالهم الشيطان و صدّهم عن السبيل.

ثمّ انظروا إلى هذيانات هذا الجاهل السفيه النجس المرتكس فى أحداثه و الملحد المغتذى من أرواثه، كيف ارتقى مرتقى صعبا دحضا، و ادّعى تاره رفعا و اخرى خفضا، و خبط خبطه عشواء، و ركب ركاب الجاهليه الجهلاء.

فوا عجبا عجبا من تلبيسات ابليس و تدليسات النفس و طول باع الشيطان فى فنون الاغواء و الاضلال، و قوّه تصرّفه فى أوهام الجهال، و من شدّه تصاريف قوّه المتخيّله و سعه مجال القوّه المتوهّمه كيف نسجت على ألسنتهم نسيجات العنكبوت و حيّرتهم فى ظلمات الجهل و الغياهب، و اغرقتهم فى بحر لجىّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض و من لم يجعل اللّه له نورا فما له من نور، نعوذ باللّه من فساد الاعتقاد و الانحراف عن السّداد و الالحاد فى المبدأ و المعاد بمحمّد و آله الأمجاد.

المقام الخامس

فى كرامات الصوفيه و حماقاتهم

و ما نسبوه اليهم من الأفعال و الأحوال الخارقه للعاده و الكرامات التسلم «كذا» يتّفق مثلها لاولى العزم من الرّسل، و فيما ادّعاه بعض متصلّفيهم و احموقيهم من الصّلف و الرّعونه و الشّطح الّذى ليس منشأه الاّ الحمق و الجنون و السّفاهه.

قال القيصرى فى شرح الفصّ الهودى من الفصوص:

قال: - اى محيى الدّين فى فتوحاته - إنّ اللّه تجلّى لى مرارا و قال: انصح عبادى، و قال:

قال فی آخر الباب الثانی عشر من الفتوحات: و قد ورد أنّ المؤذّن یشهد له مدی صوته من رطب و یابس، و الشرائع و النّبوات من هذا القبیل مشحونه و نحن زدنا مع الایمان بالأخبار الکشف، فقد سمعنا «رأینا خ ل» الأحجار تذکر اللّه رؤیه عین بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفین بجلال اللّه ممّا لیس یدرکه کلّ انسان.

و قال فی شرح الفصّ النوحی: ظواهر العالم من الانسان و الحیوان و النبات و الجماد و غیرهم یثنی بألسنتهم و ألسنه قویهم الرّوحانیه و الجسمانیّه علی روحه الحقیقی الذی هو الحقّ و تسبّحه و تنزّهه عن النقائص اللاّزمه لهم اللاّحقه بهم، و لکن لا یقصد هذا التّسبیح و التّنزیه إلاّ من تنور باطنه بنور الایمان أوّلا، ثمّ الأیقان ثانیا، ثمّ العیان ثالثا ثمّ یوجدان نفسه و روحه ساریا فی عین کلّ مرتبه و حقیقه کلّ موجود حالا و علما و شهودا فقط کسریان الحقّ فیها: فیدرک تسبیح الموجودات بذلک النّور و یسمعه إلی أن قال:

قال الشیخ فی آخر الباب الثانی عشر من الفتوحات: فانّ المسمّا بالجماد و النّبات عندنا لهم أرواح بطنت عن إدراک غیر أهل الکشف إیّاها فی العاده، فلا یحسّ بها مثل ما یحسّ بها من الحیوان، فالکلّ عند أهل الکشف حیوان ناطق غیر أنّ هذا المزاج الخاص یسمّی إنسانا لا غیر، و نحن زدنا مع الایمان بالأخبار الکشف، فقد سمعنا الأحجار تذکر اللّه رؤیه عین بلسان نطق تسمعه آذاننا منها و تخاطبنا مخاطبه العارفین بجلال اللّه ممّا لیس یدرکه کلّ إنسان قال:

و قال فی موضع آخر منه: و لیس هذا التّسبیح بلسان الحال کما یقوله أهل النّظر ممّن لا کشف له، هذا شأن من تحقّق بالمراتب الثلاث الاول. و أمّا صاحب المقام الرّابع فهو مسبّح لربّه بلسان تلک الحقائق و حامد له فی تلک المراتب، فهو العبد التّام للّه یعبده فی کلّ موطن و مقام عباده جمیع العالم، و یحمده حمدهم و یری جمیع ما یراه بالبصر و بالبصیره عند تحقّقه بمقام الجمادیه و یسمع ما کان یسمع. و یعقل ما کان یعقل من غیر خلل و نقصان، و فی هذا المقام

يطوى الزّمان و المكان، و يتصرّف فى جميع الأكوان تصرّف النّفوس فى الأبـدان و يظهر فى الحاله الواحده فى مراتب الأرواح النّورانيه و النفوس القدسيه الروحانيه و الأجسام الكثيفه الظلمانيّه، و لهذه المراتب أسرار غامضه جدّا يحرم كشفها، انتهى كلامه قاتله اللّه.

و هو كما ترى صريح فى أنّ هؤلاء الزّنادقه فضلا عن دعويهم سريان هويه الحقّ فى حقايق الأشياء ادّعوا سريان هويه المكاشفين منهم أيضا فى حقايقها.

فلم يبق بينهم و بينه سبحانه على زعمهم فصل و لا له عليهم فضل، قاتلهم اللّه فأنّى يؤفكون.

و قـد صـرّح بـذلك القيصـرى فى الفصل الثامن من ديباجه شـرح الفصل حيث قال فى تحقيق أن حقايق العالم فى العلم و العين كلّها مظاهر للحقيقه الانسانيه الّتى هى مظهر لاسم اللّه بعد جمله من الكلام ما لفظه:

و لذلك قيل: الانسان الكامل لا بدّ أن يسرى فى جميع الموجودات كسريان الحقّ فيها، و ذلك فى السفر الثالث من الحقّ إلى الخلق بـالحقّ، و عنـد هـذا السّـفر يتمّ كمـاله و به يحصـل حقّ اليقين من المراتب الثلاـث و قال الجامى فى رسالته الّتى كتبها فى تحقيق مـذهب الصوفيّه و المتكلمين و الحكمـاء المتقـدّمين، يروى عن قضـيب البان الموصـلى أنّه كان يرى فى زمان واحـد فى مجالس متعدّده مشتغلا فى كلّ بأمر غير ما فى الاخر، و لمّا لم يسع هذا الحديث أوهام المتوغّلين فى الزّمان و المكان تلقّوه بالرّد و العناد و حكموا عليه بالبطلان و الفساد، و أمّا الّذين منحوا التّوفيق للنّجاه من هذا المضـيق فلمّا رأوه متعاليا عن الزّمان و المكان علموا أنّ نسبه جميع الأزمنه و الأمكنه إليه نسبه واحده متساويه، فجوّزوا ظهوره فى كلّ زمان و مكان بأىّ شأن شاء و بأىّ صوره أراد، انتهى كلامه خـذله اللّه تعالى سـبحانه و قال محيى الـدين فى الفصّ العيسوى: إنّ أبا يزيد نفخ فى النّمله الّتى قتلها فحييت، فكان عيسوى المشهد.

و قال الغزالی فی احیاء العلوم: قیل لبعض العارفین بلغنا انّک تری الخضر علیه السّلام؟ فتبسّم و قال: لیس العجب ممّن یری الخضر و لکن العجب ممّن یرید الخضر أن یراه فیحتجب عنه.

قال: و قیل لأبی یزید البسطامی مرّه: حدّثنا عن مشاهدتک من اللّه تعالی، فصاح ثمّ قال: ویلکم لا یصلح لکم أن تعلموا ذلک، قیل: فحدّثنا بأشدّ مجاهدتک لنفسک فی اللّه تعالی فقال: هذا أیضا لا یجوز أن اطلعکم علیه، قیل: فحدّثنا عن ریاضه نفسک فی بدایتک، فقال: نعم دعوت نفسی إلی اللّه فجمحت علیّ فعزمت علیها أن لا أشرب الماء سنه و لا أذوق النّوم سنه فوفت لی بذلک.

قال: و یحکی عن یحیی بن معاذ أنّه رأی أبا یزید فی بعض مشاهداته من بعد صلاه العشاء الی طلوع الفجر مستوفزا علی صدور قدمیه، رافعا أخمصیه مع عقبیه عن الأرض، ضاربا بذقنه علی صدره، شاخصه بعینیه لا یطرف.

قال: ثمّ سجد عند السّحر فأطاله، ثمّ قعد فقال: اللّهم إنّ قوما طلبوک فأعطیتهم طیّ الأرض فرضوا بذلک و إنّی أعوذ بک من ذلک، و إنّ قوما طلبوک فأعطیتهم المشی فی الماء و المشی فی الهواء فرضوا بذلک و إنی أعوذ بک من ذلک و انّ قوما طلبوک فأعطیتهم کنوز الأرض فرضوا بذلک و انّی أعوذ من ذلک حتّی عدّ نیفا و عشرین مقاما من کرامات الأولیاء، ثمّ. التفت فرآنی فقال:

یحیی؟ فقلت: نعم یا سیّدی، فقال: مذ متی أنت ههنا؟ قلت: منذ حین، فسکت فقلت: یا سیّدی حدّثنی بشیء فقال: أحدّثک بما یصلح لک.

أدخلنی فی الفلک الأسفل فدوّرنی فی الملکوت السّفلی و أرانی الأرضین و ما تحتها إلی الثری ثمّ أدخلنی فی الفلک العلوی فطوف بی فی السماوات و أرانی ما فیها من الجنان إلی العرش، ثمّ أوقفنی بین یدیه فقال: سلنی أیّ شیء رأیت حتّی أهبه لک، فقلت: یا سیدی ما رأیت شیئا أستحسنه فأسألک ایّاه، فقال: أنت عبدی حقّا تعبدنی لأجلی صدقا لأفعلنّ بک و لأفعلنّ، فذکر أشیاء.

قال یحیی: فهالنی ذلک و امتلأت به و عجبت منه فقلت: یا سیّدی لم لا سألته

المعرفه به و قد قال لک ملک الملوک: سلنی ما شئت، قال: فصاح بی صیحه و قال: اسکت ویلک غرت علیه منّی حتّی لا احبّ أن یعرفه سواه.

قال الغزالی: و حکی أنّ أبا تراب الخشبی کان معجبا ببعض المریدین فکان یدنیه و یقوم بمصالحه و المرید مشغول بعبادته و مواجدته، فقال له أبو تراب یوما:

لو رأیت أبا یزید فقال: إنّی عنه مشغول، فلمّا أکثر علیه أبو تراب من قوله لو رأیت أبا یزید هاج و جد المرید. فقال: ویحک ما أصنع بأبی یزید قد رأیت اللّه فأغنانی عن أبی یزید.

قال أبو تراب: فهاج طبعی و لم أملک نفسی فقلت ویلک تغترّ باللّه عزّ و جلّ لو رأیت أبا یزید مرّه واحده کان أنفع لک من أن تری اللّه سبعین مرّه قال: فبهت الفتی من قوله و أنکره فقال: و کیف ذلک؟ قال له: ویلک أما تری اللّه عندک فیظهر لک علی مقدارک و تری أبا یزید عند اللّه قد ظهر له علی مقداره، فعرف ما قلت فقال:

احملنی إلیه فذکر قصّه قال فی آخرها فقال:

فوقفناه علی تلّ نتظره لیخرج الینا من الغیضه و کان یأوی إلی غیضه فیها سباع، قال: فمرّ بنا و قد قلب فروه علی ظهره. فقلت للفتی: هذا أبو یزید فانظر إلیه، فنظر إلیه الفتی، فصعق فحرّکناه فاذا هو میّت، فتعاونا علی دفنه فقلت لأبی یزید: یا سیّدی نظره إلیک قتله، قال: لا و لکن صاحبکم صادقا و استکنّ فی قلبه سرّ لم ینکشف له بوصفه، فلمّا رآنا انکشف له سرّ قلبه فضاق عن حمله لأنّه فی مقام الضّعفاء المریدین فقتله ذلک.

قال الغزالی: و لمّا دخل الزّنج البصره فقتلوا الأنفس و نهبوا الأموال اجتمع إلی سهل إخوانه فقالوا: لو سألت اللّه دفعهم، فسکت ثمّ قال: إنّ للّه عبادا فی هذه البلده لو دعوا علی الظالمین لم یصبح علی وجه الأرض ظالم إلّا مات فی لیله واحده و لکن لا یفعلون، قیل: لم؟ قال: لأنّهم لا یحبّون ما لا یحبّ، ثمّ ذکر من إجابه اللّه أشیاء لا یستطاع ذکرها حتّی قال و لو سألوه أن لا یقیم السّاعه لم یقمها، و هذه امور ممکنه فی أنفسها فمن لم یحظ بشیء منها فلا ینبغی أن یخلو

عن التّصديق و الايمان بامكانها، فانّ القدره واسطه و الفضل عميم، و عجايب الملك و الملكوت كثيره، و مقدورات اللّه تعالى لا نهايه لها، و فضله على عباده الّذين اصطفى لا غايه له.

و لذلك كان أبو يزيد يقول: إن أعطاك مناجاه موسى و روحانيه عيسى و خلّه إبراهيم فاطلب ما وراء ذلك أضعافا مضاعفه فان سكنت إلى ذلك حجبت به، و هذا بلاء مثلهم و من هو فى مثل حالهم لأنّهم الأمثل فالأمثل.

و قد قال بعض العارفين: كوشفت بأربعين حوراء رأيتهنّ يتساعين فى الهواء عليهنّ ثياب من ذهب و فضّه و جوهر يتخشخش و ينثنى معهنّ، فنظرت إليهنّ نظره فعوقبت أربعين يوما، ثمّ كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهنّ فى الحسن و الجمال، و قيل لى: انظر إليهنّ قال فسجدت و غمضت عينى فى سجودى لئلاّ أنظر إليهنّ و قلت: أعوذ بك ممّا سواك لا حاجه لى بهذا، فلم أزل حتّى صرفهنّ اللّه عنّى.

و فى كتاب قوائم الأنوار تأليف قطب السّلسله الذّهبيّه المسمّى بميرزا أبو القاسم الشّهير ميرزا بابا الذّهبى ألّفه بالفارسيّه قال فى الشّطر الثالث فى بيان حقيقه العشق الالهى ما ترجمته مخاطبا لابنه محمّد و هو رئيس السّلسله الّذهبيّه و قطبهم فى زماننا هذا:

يا بنىّ إن شئت أن تطّلع على سير السّلاّك و المجذوبين و العشاق الالهيّين فاستمع قصّه سلطان العارفين الشيخ أبى يزيد البسطامى فى سير معراجه قال الشيخ: إنّى بعد ما خدمت مأئه و ثلاثين شيخا من المشايخ الكملين، و لازمت الرّياضه و المجاهده ثمانين عاما آتانى اللّه تعالى عينا من نور وحدانيته و جناحين من آثار قدرته، فطرت ثلاثين ألف عام فى عالم الواحدانيّه، و ثلاثين ألف عام فى مرتبه الفردانيّه، و ثلاثين ألف عام فى مرتبه الصّمديّه، فشاهدت قد بقيت بقيّه من الانيّه فاهتزنى غيره شوق الوحده فطرت أربعين ألف عام آخر فى الوحده فبلغت غايه ما يمكننى من السّير فشاهدت أنّ وجودى المتوّهم لم ينعدم بعد، فعجزت و قلت: إلهى أعلم أنّ

وجودی بوجودک شرک و أنا لا أقدر الوصول الیک بوجودی فکیف لی فی فناء وجودی قال سبحانه: ضع رأسک علی عتبه باب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

قال أبو یزید: فغلبنی شوقه فقلت أحالنی سبحانه إلی بابه فطرت بجناحی الهمه و العشق حتّی وصلت أرواح الأنبیاء علیهم السّلام فسلّمت علی کلّ واحد منهم و سلّموا علیّ حتی جاوزت من الأنبیاء و سعیت فی الطّیران إلی أن وصلت فناء حضرت محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فرأیت مأئه آلاف ألف بحر من نار لا بدّ من العبور منها، ثمّ نظرت فرأیت آلاف ألف حجاب من حجب النور و علمت أنّه ما لم أعبر من بحار النار لا یمکن لی الوصول إلی حجب النّور، و لو أضع قدمی علی أوّل بحر منها لاحترقت و هلکت، ثمّ أمعنت النظر فرأیت أطناب سرادق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مضروبه فی منتهی حجب النّور، فقلت: هذا هو الّذی قاله رؤساء الدّین: إنّ الوصول إلی اللّه سهل و إلی الرّسول صعب فلمّا یئست من الوصول إلی حضرته، فقلت: باب الرّسول فی هذا العصر هو ابنه جعفر الصّادق علیه السّلام، فقدمت إلی حضرته فقلت: یا مولای جعلت فداک إنّ اللّه تعالی بعد ثمانین عاما من المجاهدات و الرّیاضات فی سلوک طریقه و خدمه مأئه و ثلاثین من الأولیاء أحالنی إلی بابک و إنّی بعد طول الرّیاضه فی هذه المدّه و المواظبه علی العباده و الانقطاع من الخلق و العزله و التفرید و التجرید جئت إلی بابک غیر معجب بشیء من ذلک، فهب أنّی مجوسیّ أو یهودیّ أو نصرانیّ جئت إلی حضرتک لطلب دین الحقّ فأدخلنی فی الاسلام، فقال علیه السّلام: قل لا إله إلاّ اللّه.

قال أبو یزید: فلمّا قلت لا إله کلمه النّفی فشاهدت المحو و الفناء فی جمیع العالم حتّی فی وجودی، فلمّا قلت: إلاّ اللّه کلمه الاثبات فظهرت صوره الصّادق علیه السّلام فقلت: سبحان اللّه الفناء و البقاء و المحو و الاثبات الّذی کنت أطلبه فی تسعین عاما مع طول الرّیاضات و المجاهدات و خدمه مأئه و ثلاثین من الأولیاء و سیر مأئه و ثلاثین ألف عام فی الوحده قد حصل لی فی دقیقه واحده بتلقینه علیه السّلام کلمه لا إله إلاّ اللّه.

فلزمت حضره الصادق علیه السّلام و سألت أن یفوّض إلیّ بعض خدماته ففوّض سقایه

بيته الشريف إليّ فكنت سقاء فى بيته سبع سنين، فقال الصّادق عليه السّلام لى يوما من الأيام:

يا طيفور هات الكتاب من الرّف، فقلت: جعلت فداك و أين الرّف؟ فقال: فوق رأسك و قد كنت منذ سنين عندنا فى هذه الدّار و البيت و ما رأيت الرّف فوق رأسك؟ فقلت: باللّه الّذى أجلسك فى مسند الخلافه شغلى بك و بأنوارك منعتنى عن هذا، فقال عليه السّلام: قد تمّ لك الأمر امض إلى بسطام و ادع النّاس إلى اللّه سبحانه و إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أوليائه، و أرسل معه بعض ولده فقدما متّفقين إلى بسطام و دعى أهله إلى الصّادق عليه السّلام، و كان يوم الجمعه مشغولا بارشاد الخلق و هدايتهم إلى السّير و السلوك و ساير أيّام الاسبوع مشغولا بالفتاوى و الأحكام، انتهى ما نقله بطوله.

أقول: هذه القصّه لم أجدها فى مؤلّفات أحد من المتصدّين لنقل كرامات الصّوفيّه حتّى فى كتاب تذكره الأولياء لهم أيضا مع أنّ أصل مقصود صاحب التذكره من تأليفه ليس إلاّ ذكر أمثال ذلك، و العهده فى ذلك على ناقله، نعم كون أبى يزيد سقاء فى دار الصادق عليه السّلام قد ذكره صاحب التذكره و غيره.

لكن ردّه الشيخ نور الدين المحدّث كما حكاه القاضى نور اللّه فى مجالس المؤمنين عنه، فانّه بعد ما حكى كونه سقّاء فى داره عن جماعه قال:

و قال الشيخ نور الدين أبو الفتوح المحدّث إنّه صحّ عن علماء التاريخ أنّ وفاه مولينا الصّادق عليه السّلام كانت فى سنه ثمان و أربعين و مأئه و أنّ وفاه السلطان أبى يزيد المذكور فى سنه احدى و ستّين و مأتين، و لم يختلف أحد من العلماء فى هذين التاريخين مع أنّ التفاوت ما بينهما مأئه و ثلاثه عشر سنه، و لم يذكروا أيضا عمر أبى يزيد أكثر من الثمانين، فاحتمل أن يكون ملازمته فى الخدمه لباب مولينا علىّ بن موسى بن جعفر الرّضا عليهم السّلام و وافقه على ذلك المحقّق الشريف فى شرح المواقف حيث قال: و أما أبو يزيد فلم يدرك جعفرا عليه السّلام بل هو متأخّر، و لكنّه استفاض من روحانيّه جعفر و لذا اشتهر انتسابه اليه انتهى.

و كيف كان فقد نسبت إلى أبى يزيد ذلك كرامات كثيره و قد أطروا فى حقّه

حتّى قال جنيدهم البغدادى: إنّه كان بين الأولياء كجبرئيل بين الملائكه.

و لكن هذا كلّه ينافى ما رواه غير واحد من العامّه و الخاصّه منه من قوله:

سبحانى ما أعظم شانى فانّه تنزيه يليق بالخالق و يختصّ به دون المخلوق.

و أعظم من ذلك ما رواه بعضهم عنه من قوله: ليس فى جبّتى سوى اللّه، و روى بعضهم ذلك من حسين بن منصور الحلاج، و الظاهر صدور هذا الهذيان من خبيث لسان كلا الرّجلين بلا اختصاص له بأحدهما، لأنّه مقتضى القول بوحده الوجود و من لوازمه، و العجب من بعض المتصوّفه أنّه بعد نقل هذه الخرافات عن الرّجلين الجلفين جاء إلى مقام الاعتذار.

قال أبو حامد الغزالى فى محكىّ كلامه من كتاب مشكاه الأنوار بعد ما ذكر فصلا طويلا فى حال الحلاج: إنّ قوله: أنا الحق و ما فى الجبّه إلاّ اللّه من فرط المحبّه و شدّه الوجد، و هذا مثل قول القائل:

أنا من أهوى و من أهوى أنا فاذا أبصرتنى أبصرتنا

و تبعه على ذلك قطب الذّهبيّه فى كتابه قوائم الأنوار، قال فى ذكر الشرط الخامس من شرايط السلوك بعد جمله كلام له ما ترجمته: إنّ السالك بعد ترقّيه إلى غايه مقام القرب من الحضره الأحديّه لا يبقى له طريق التّرقى إلى ما فوق ذلك و هو باب الولايه الالهيّه، و لا يمكن له دخول ذلك الباب بالرّياضات و المجاهدات إلاّ بجذبه عنايه إلهيّه تفوح من مكمن الغيب الّذى هو باطن باب الولايه و تجذب السالك حتّى تدخله فى ذلك الباب و تجعله عارفا بأسرار الولايه العلويّه روح العالمين فداه، و هذه الأسرار هى الّتى برزت من أولياء أهل العصمه كما أنّ السلطان با يزيد البسطامى الّذى كان سقاء الصّادق عليه السّلام قال فى خلساته و عند استغراقه فى نور الولايه من غير اختيار منه: ليس فى جبّتى سوى اللّه، و كان الحسين بن منصور الحلاج يسجد تراب عتبته عليه السّلام و يقول من غير شعور: أنا الحقّ، و بعد ما قتلوه و أحرقوا جسده و صار رمادا ألقوا رماده فى دجله فكانت حبا باب الدّجله متشكل بشكل: اللّه اللّه، و كانت دماؤه المتقاطره على وجه الأرض تنقّش بنقش: أنا الحقّ

و ذلک لأنّهم لمّا لم یسمعوا کلام مواليهم المعصومين عليهم السّلام فی عدم إذاعه أسرارهم فأذاعوها من غير اختيار منهم فی الاذاعه ذاقوا ألم الحديد و نالوا بالشهاده و لا يعلم أسرار ولايتهم عليهم السّلام الّتی هی ولايه اللّه إلاّ اللّه سبحانه و الّذين تنصّوا فمن جری علی لسانه اختيارا هذه کلمات الکفر فهو کافر بلا ريب، و أمّا هؤلاء فقد جری علی لسانهم من غير اختيار، و الدّليل علی عدم الاختيار انتقاش الدّم و الرّماد بنقش أنا الحقّ و اللّه اللّه و قد رأی بعضهم الحلّاج فی المنام فسأل عنه کيف عومل معک؟ قال:

عاتبنی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و قال لی: لم ثلمت ثلمه فی شريعتی؟ فقلت: جعلت فداک و إن ثلمت و لکن جعلت رأسی موضع الثلمه حتّی لا يجتری علی ذلک أحد من بعدی فعفا عنّی رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم انتهی کلامه.

أقول: و يتوجّه علی المعتذرين لا سيّما علی الثّانی منهما وجوه من الکلام و ضروب من الملام.

أمّا أوّلا فلأنّ کون هذه الکلمات من کلمات الکفر کما اعترفا به أيضا ليس عليه غبار، و الاعتذار بأنّ صدورها من الرّجلين لم يکن بالاختيار باطل لمنع عدم الاختيار، و علی تقدير تسليمه فأقول:

افّ و تفّ علی مذهب و طريقه يکون أعلی أعلی مقام ترقّياتها و غايه غايات جذباتها و وجدها أن يخرج سالکها عن حدّ التميز و العقل و الشعور و الاختيار و يتکلّم بالهجر و الهذيان، أ بهذا أمرهم صاحب الشريعه؟ معاذ اللّه ثمّ معاذ اللّه من الضّلال و الخذلان و إغواء الشيطان.

ثمّ العجب کلّ العجب ممّا ذکره الثانی فی تعليل عدم الاختيار من انتقاش الدّم و الرّماد، و قد ذکره غيره أيضا من أولياء هذا المقتول الملحد المرتدّ و أتباعه تعالی اللّه عمّا يقول الظالمون علوا کبيرا و کيف يذهب و هم العاقل إلی صدق ذلک فضلا عن الاعتقاد به.

و الذی يدلّ علی بطلانه ضروره و أنه افک محض أنّ ثانی سيدی شباب أهل الجنه و درّه صدف الطهاره و العصمه و سبط رسول الامه الموصوف و المخصوص بالکرامه

صاحب الولايه المطلقه سابق مضمار المعرفه و المحبه القائل فی مناجاته:

ترکت الخلق طرّا فی هواکا و أیتمت العیال لکی أراکا

فلو قطّعتنی فی الحبّ إربا لما حنّ الفؤاد إلی سواکا

سلام اللّه علیه و علی جدّه و أبیه و امّه و أخیه و ذریّته و بنیه مع کونه مجاهدا فی دین اللّه مقتولا فی سبیل اللّه و کون دمه الطاهر المطهّر ثار اللّه و کون ثائره هو اللّه عزّ و جلّ، لم یر و لم یرو احد فی دمه الانتقاش، و لو جاز فی حقّ أحد ذلک لکان هو أحری بذلک بمقتضی معرفته الکامله و محبّته التّامه البالغه لا الدّم النجس للرّجس السّاحر الکافر الملحد المشعبد حسبما تعرف کفره و الحاده و شعبدته تفصیلا إنشاء اللّه.

و أمّا ثانیا فلأنّ ارتکاب التأویل فی کلمات هذه الکفره قد ورد فیه النهی الصریح من الأئمّه علیهم السلام.

مثل ما رواه مولینا الأردبیلی فی کتاب حدیقه الشیعه عن أحمد بن محمّد بن أبی نصر البزنطی قال: قال رجل للصّادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام: قد ظهر فی هذا الزّمان قوم یقال لهم الصّوفیّه فما تقول فیهم؟ قال علیه السّلام إنّهم أعداؤنا فمن مال الیهم فهو منهم و یحشر معهم و سیکون أقوام یدّعون حبّنا و یمیلون إلیهم و یتشبّهون بهم و یلقّبون أنفسهم بلقبهم و یؤوّلون أقوالهم ألا فمن مال إلیهم فلیس منّا و إنّا منهم برءاء، و من أنکرهم و ردّ علیهم کان کمن جاهد الکفّار بین یدی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، هذا.

مضافا إلی أنّ فتح باب التّأویل کما قیل أوّل مراتب الالحاد و بدء الضّلال عن السّداد، إذ بانفتاح تلک الأبواب و قبول الاحتمالات السخیفه فی التکلّم و الخطاب و مقام السّؤال و الجواب ینهدم أساس الدّین و ینثلم أحکام الشرع المبین و یبطل إقامه التعزیرات و الحدود علی المستحقّین لها من أهل الفسق و الارتداد و الجحود کما یبطل تکفیر المتشرّعین لسائر الکفّار إذا تکلّموا بکلمات الکفر ثمّ اعتذروا بعدم الاختیار أو ادّعوا الخذف و الاضمار.

و ظاهر أنّ بناء علماء الاسلام بل سایر الملیّین علی خلاف ذلک فی جمیع الأعصار

فانّهم لا يقبلون تأويلا من غير دليل و بمجرد سماع كلمه الكفر يحكمون بالتكفير و التّضليل.

و قد ورد فى الحديث المعتبر المتين عن أولياء اليقين و الحجج المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين إنّ لنا فى كلّ خلف عدولا ينفون عن الدّين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

فالى اللّه نشكو من فقد نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و غيبه وليّنا و كثره عدوّنا و شدّه الفتن بنا و تظاهر الزّمان علينا.

إذ بغيبه الامام عليه و على آبائه آلاف التحيّه و السلام و الاكرام و بموت نوّابه الكرام و نقصان خلفائه العظام من العلماء الأعيان و المشايخ و المجتهدين الأعلام فى الأصقاع و البلدان، ثلم ثلمه عظيمه فى الاسلام، و اشتدّت البليّه و عظمت الرّزيّه و عاد الزمان زمان الجاهليّه فتفرّق أهلها أيادى سبا و أيدى سبا باتّباع الأهواء و اختلاف الاراء و اقتداء الاباء، فسلك كلّ منهم مسلكا و سبيلا، و اتّخذوا الشيطان لهم ملاكا و دليلا.

فتاه بعضهم فى باديه البابيّه و ركب آخرون مركب المغيريّه(۱) و الخطابيه، و مال ثالث إلى الحلاجيّه، و شرب راجع من قدح الشيخيه، و ارتوى خامس من كأس التّصلّف و الكشفيّه، كلّ ذلك لقصورهم عن العروج إلى معارج العلم و اليقين، و فتورهم عن نهج مناهج المجتهدين، و جهلهم بقوانين الاجتهاد و التقليد فى الاصول و فروع الدّين.

و العجب من بعض رؤساء هذه الفرق حيث إنّه على جهله و بلادته و عدم تميزه بين(۲) الهرّ و البرّ، و تفرقته بين الشعير و البرّ، يؤلف كتابا و رسائل و يودع

۱- (۱) - المغيريه طائفه منسوبه إلى مغيره بن سعيد، خرج على أبى جعفر (عليه السلام) و قال:انه كان يكذب علينا، و كان يدعو الى محمد بن عبد اللّه بن الحسن (عليه السلام) و الخطابيه طائفه منسوبه الى الخطاب محمد بن وهب الاسدى، و كانوا يدينون بشهاده الزور على من خالفهم مجمع البحرين.
۲- (۲) - فلان لا يعرف هرا من بر ما يهره مما يبره، أو القط من الفار أو دعاء الغنم من سوقها أو العقوق من اللطف، أو الكراهيه من الاكرام، ق

فيها ما ألقاه الشيطان فى روعه من الضّلال، و أجراه على لسانه من مقالات الجهّال و ترّهات الأقوال الّتى تضحك من سخافتها الثّكلى، و تسقط الطير من السّماء، ثمّ يذيعها على سخافتها بين أتباعه الجهله العوام الّذين هم كالأنعام، و ينشره بين الهمج الرّعاع الّذين يصغون إلى كلّ ناعق و يتبعون على كلّ حمار ناهق، فهم الأخسرون أعمالا الّذين ضلّ سعيهم فى الحياه الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا.

و نسأل اللّه سبحانه من فضله الواسع و كرمه العميم السابغ بمقتضى ما جرت عادته عليه فى البلاد و العباد عند غلبه الضّلال و الفساد و إشراف آثار الشريعه من الاندراس، و قرب شموس العلوم الحقّه من الانطماس:

أن يرسل شهابا ثاقبا من كبراء المجتهدين و الفقهاء المجدّدين على الضالين و المضلّين من أولياء الشياطين الّذين يكاد أن يهدم أساس الشريعه بكيفيّات خيالهم و يسقط أعلام الشيعه بكشفيّات مقالهم ليقذفهم من كلّ جانب دحورا حتّى لا يدعوا ثبورا واحدا بل يدعون ثبورا كثيرا، و ليكون حاميا لبيضه الدين، ماحيا لاثار المفترين ناشرا لناموس الهدايه، كاسرا لناقوس الغوايه، متمّما للقوانين العقليه متقنا للفنون النقليه مجدّدا لماثر الشريعه المصطفويه، محدّدا لجهات الطريقه المرتضويّه، فانّ فقيها واحدا كما قال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أشدّ على ابليس من ألف عابد إذ به ارغام(۱) كلّ شيطان مارد، و ادغام كلّ ملحد معاند.

و أمّا ثالثا فلأنّ ما يستفاد من كلام ثانى المتعذرين من كون أبى يزيد و الحلاج من أولياء أهل العصمه عليهم السلام و حامل أسرارهم، فيه منع ظاهر.

أما أبو يزيد فانّه و ان اختلف فى كونه من أهل زمن الصادق عليه السّلام و فى كونه سقاء فى داره كما هو المشهور أو من أهل زمن الرضا أو الجواد عليهما السّلام كما قاله بعضهم و اشتهر أنه شيعى المذهب، أمّا أنّه من الكاملين من ولايه الأئمه عليهم السّلام و من جمله حمله الأسرار فلا، إذ الكامل فى مقام الولايه لا بدّ أن يكون فى أقواله و أفعاله و حركاته

۱- (۱) - أرغمه اللّه أسخطه و أدغمه سوّده، ق

و سكناته تابعا لمولاه.

و هذا الرّجل و إن نقل منه ما يفيد متابعته لهم عليهم السلام و مواظبته على الوظايف الشرعيه.

مثل ما نقله أبو القاسم القشيرى عنه أنّه قال: لو نظرتم إلى رجل اعطى من الكرامات حتّى تربع فى الهواء فلا تغترّوا به حتّى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر و النهى و حفظ الحدود و آداب الشريعه.

و قال القشيرى أنّه سئل بأىّ شىء وجدت هذه المعرفه؟ قال ببطن جايع أو بدن عارى.

قال: و قيل: لم يخرج أبو يزيد من الدّنيا حتّى استظهر القرآن بمعنى حفظه من ظهر القلب.

قال: أخبرنا أبو حاتم السجستانى قال: أنبانا أبو نصر السّراج قال: سمعت طيفور البسطامى يقول: سمعت المعروف بعمىّ البسطامى - بفتح العين المهمله و كسر الميم و تشديد الياء - يقول: سمعت أبى يقول قال أبو يزيد: قم نبا حتّى ننظر إلى هذا الرّجل الذى قد شهر نفسه بالولايه و كان رجلا مقصورا مشهورا بالزهد، فمضينا فلما خرج من بيته و دخل المسجد رمى ببزاقه تجاه قبله فانصرف أبو يزيد و لم يسلم عليه، و قال: هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فكيف يكون مأمونا على ما يدّعيه.

و بهذا الاسناد قال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل اللّه أن يكفينى مؤنه الاكل و مؤنه النساء ثمّ قلت: كيف يجوز لى أن أسأل اللّه هذا و لم يسأله رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فلم أسأله، ثمّ إنّ اللّه سبحانه كفانى مؤنه النساء حتّى لا ابالى استقبلنى امرأه أو حايط.

و فى تذكره الأولياء نقل أنّه كان بين داره و بين المسجد أربعون قدما و لم ير منه أن يرمى ببزاقه إلى الأرض رعايه لحرمه المسجد، إلى غير ذلك ممّا رووه عنه من مواظبته بحدود الشريعه و آدابها.

لكنه كلّه ينافى ما قدّمنا نقله عنه من معراجه و ساير صلائفه، و من قوله:

لیس فی جبّتی سوی اللّه، و قوله: سبحانی ما أعظم شأنی کما نقله غیر واحد.

و ما نقله فی تذکره الأولیاء من أنّه عزم الحجّ و سار منازل عدیده ثمّ رجع فقیل له ما رأینا منک فسخ العزم فما بدا لک؟ قال: رأیت فی الطریق امرأه سلّت سیفها و قالت لی: ارجع و إلاّ ضربت عنقک ترکت اللّه ببسطام و قصدت البیت الحرام؟ و فی التذکره أیضا انه رأی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیله فی المنام فقال: یا رسول اللّه خدمت مأئه و ثلاثه عشر شیخا و ما وجدت ما طلبته من الکمال، فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: اذهب إلی أهل بیتی و اخدمهم حتی تکمل، فاستیقظ من منامه و ذهب إلی المدینه فرأی الصادق علیه السّلام و هو ابن سبع سنین مع أطفال یتلاعبون و هو ینظر الیهم قال ابو یزید:

فتردّدت بین السلام علیه من حیث کونه ابن رسول اللّه و بین عدم السلام من حیث کونه طفلا صغیرا ثمّ سلّمت علیه فردّ علیّ السلام ثمّ قال: یا أبا یزید طب نفسا تعال نلعب معک، فقال: یا ابن رسول اللّه أیّ لعب نلعب؟ فقال: غب أنت فأنا أجدک ثمّ أغیب أنا فأنت تجدنی، فغاب أبو یزید أوّلا فدار الامام علیه السّلام تمام وجه الأرض فلم یجده، ثمّ ذهب إلی السّماوات فطلبه فی السماء الاولی و الثانیه و الثالثه فلم یجده فیها، و وجده فی السماء الرابعه فی عین الشمس و أخذ بیده و جاء به إلی الأرض فقال له: ها أغیب الان فلتجدنی، فغاب علیه السّلام فطلبه أبو یزید فلم یجده فی تمام الأرض ثمّ طلبه فی السماوات السبع و لم یجده فیها، ثمّ رجع إلی الأرض و عجز عن طلبه، فقال: یا ابن رسول اللّه إنی عجزت عن وجدانک فأظهر لی نفسک بعمیم کرمک، فخرج الصادق علیه السّلام من قلب أبی یزید، فقال: أنا معک فاین تدور و کان هذا إشاره منه علیه السّلام و ارشادا له فهداه إلی ما طلب و فتح له بابا انغلق.

إلی غیر ذلک مما نقلوه عنه من هذا النمط و الاسلوب المخالف للاصول الشرعیه و المنافی لطریقه صاحب الشریعه.

و لا یکاد ینقضی عجبی منه حیث إنه لاحظ رمی البزاق فی المسجد و فی طریق المسجد مع أنه إما مکروه أو مباح، و لم یلاحظ کلمه الکفر الجاریه علی لسانه من قوله:

لیس فی جبّتی سوی اللّه، و نحو ذلک، و لیت شعری فی أیّ مقام و أیّ حدیث رخّص

صاحب الشّريعه بالتفوّه بهذه الهذيانات.

هذا كلّه بناء على التّنزل و المماشاه و إلاّ فأقول: يكفى فى كفره و الحاده و كونه سنّيا شهاده مثل مولينا المقدّس الأردبيلى «قد» على ذلك.

قال فى حديقه الشّيعه: إنّ هذه الطايفه أى الصوفيّه كانوا يؤدّون فى المجالس بعض أسرارهم الكفرّيه بالرّمزوا لاشاره إلاّ أبا يزيد، فانّه يقول مكررا غير هائب و لا محتشم: ليس فى جبّتى سوى اللّه و سبحانى سبحانى ما أعظم شأنى، و رأيت اللّه فى المنام فى صوره شيخ هرم، و كان هو فى الاصول ظاهرا علىّ التّشبيه و الحلول و فى الفروع عاملا بمذهب مالك، و كان فى الباطن زنديقا ملحدا و كونه سقّاء فى بيت الصادق عليه السّلام من مفتريات العامّه بل كان ذلك الشّقى معاصرا للحسن العسكرى عليه السّلام و خدم عدّه أيّام للجعفر الكذّاب، انتهى كلامه رفع مقامه.

و اما الحلاج فلا خفاء فى كفره و الحاده و بعده عن طريقه الموحّدين و قربه من أهواء الملحدين، و يظهر ذلك بشرح حاله فأقول:

قال فى روضات الجنّات: إنّه كان جدّه مجوسيّا كما فى الوفيات و يا ليته كان على دين جدّه، و أصله فارسيّا بيضاويّا لم يصل البياض إلى صفحه قلبه و خدّه و توجّه فى حداثه سنّه إلى ديار الأهواز فاشتغل بها على الشيخ أبى محمّد سهل بن عبد اللّه التسترى زمانا، ثمّ إلى العراق و هو ابن ثمانى عشره سنه و خالط بها الصوفيه و صحب الجنيد البغدادى و أبا الحسين الثورى و غيرهما.

ثمّ رجع إلى تستر و تأهل، فخرج منها بعد زمان فى جمع من خلطائه إلى بغداد، و منها إلى مكّه المشرّفه ثمّ لما رجع منها إلى بغداد بقصد زياره الجنيد و دخل عليه سأله عن مسأله فلم يجبه، و قال له: أنت مدّع فى سؤلك، فتكدّر منه الحلاّج و عاود إلى تستر و حصل له وقع عظيم فى هذه المرّه عند أهلها بحيث قد خاف على نفسه فاستتر عنهم نحوا من خمس سنين، و كان فى هذه المدّه يتردّد إلى بلاد خراسان و ما وراء النّهر و سجستان و فارس، و يظهر لهم الدّعوه و يصنّف فيهم الكتب حسبما يريد، و كان يدعا عندهم بأبى عبد اللّه الزاهد.

ثمّ لمّا رجع فی هذه الکرّه إلی الأهواز نطقوا عنه بحلاج الأسرار لکثره ما کان یخبر عن ضمائرهم إلی أن جعل له الحلاج لقبا علی التدریج، فسافر منها إلی البصره و منها إلی مکّه ثانیا و هکذا إلی تمام أربعه أسفار إلیها بینهنّ سفر منه إلی طرف الهند و الصّین و بلاد التّرک، و تشنیع شدید من الشیخ أبی یعقوب النهر جوری علیه.

ثمّ رجع إلی بغداد و کان قد توّفی الجنید فتوطن هناک فی هذه الکرّه إلی أن تغیّر علیه وجوه الفقهاء و القضاه و آل أمره إلی ما آل إلی أن قال:

و العجب أنّ کلّ من کان له أدنی فائحه من نسیم الجنّه و رایحه من شمیم الکتاب و السّنه لم یذکره إلّا لسوء الرّأی و فساد العقیده و نهایه التّزویر و المهاره فی فنون التّسخیر و التقریر إمامیا کان أو سنیّا و ظاهریا کان أم صوفیا و کأن ذلک لأنّه اختصّ بقبایح امور فی هذه الشریعه لم یعهد مثلها لأحد من المتصوّفه الاسلامیّین.

منها أنّه أظهر الدّعاوی الشدیده من عند نفسه و أیّه دعاو.

ففی بعض المواضع أنّه ادّعی الرّبوبیه و العیاذ باللّه العظیم مرارا کثیره، و فی بعضها أنّه ادّعی قطبیّه الأرض و علوم الغیب و الاتحاد مع اللّه تعالی شأنه العزیز، و فی بعضها أنّه لمّا ورد قم کان مدّعیا لرؤیه صاحب الزّمان و النّیابه عنه و البابیه له، فلم یتهنّأ له فیها العیش فخرج منها إلی مکّه المشرّفه و هو یدّعی الامامه لنفسه و قطبیّه الأرض ثمّ لمّا دخل مکّه زاد فی طنبور ملعنته نغمه إلی داعیه الرّبوبیه، قاتلهم اللّه أنّی یؤفکون.

و منها أنّه لم یمت إلّا و قد ظهر منه خلافات و انکشف منه خرافات بحیث لم یبق لأحد من العقلاء شکّ فی فساد عقیدته و بطلان طریقته.

و ذلک أنّ شیخنا الأقدم المفید رضوان اللّه تعالی علیه قد عمل فی الرّد علی الحلاجیّه کتابا، و فتح الصدوق ابن بابویه القمی فی کتاب اعتقاداته الحقّه إلی کفر اولئک بابا، و رفع شیخنا الطوسی أیضا فی کتاب الغیبه و الاقتصاد عن وجه هذا المرام حجابا و نقابا، حیث عدّه فی الأخیر من السحره الکافرین، و قال فی الأول:

و منهم يعنى و من الكذّابين الملعونين بلسان أهل البيت لادّعائهم الرّؤيه و البابيه بعد الغيبه الكبرى و وفاه خاتمه السفراء و المقرّبين، هو الحسين بن منصور الحلاج.

أخبرنا الحسين بن إبراهيم عن أبى العباس أحمد بن علىّ بن نوح عن أبى نصر هبه اللّه بن محمّد الكاتب ابن بنت امّ كلثوم بنت أبى جعفر العمرى قال: لمّا أراد اللّه أن يكشف أمر الحلاج و يظهر فضيحته و يخزيه وقع له أنّ أبا سهل إسماعيل ابن على النوبختى رضى اللّه عنه ممّن تجوز عليه مخرفته و تتمّ عليه حيلته، فوجه إليه يستدعيه و ظنّ أنّ أبا سهل كغيره من الضّعفاء فى هذا الأمر بفرط جهله و قدر أن يستحبره إليه فيتمخرق و يتسوّف بانقياده على غيره فيتطيب له ما قصد إليه من الحيله و البهرجه على الضّعفه لقدر أبى سهل فى أنفس الناس و محلّه من العلم و الأدب أيضا عندهم و يقول له فى مراسلته إيّاه: إنّى وكيل صاحب الزّمان عليه السّلام و بهذا أوّلا كان يستجرّ ثمّ يعلو منه إلى غيره و قد أمرت بمراسلتك و إظهار ما تريده من النّصره لك لتقوّى نفسك و لا ترتاب بهذا الأمر.

فأرسل إليه أبو سهل رضى اللّه عنه يقول لك إنّى أسألك أمرا يخفّ مثله عليك فى جنب ما ظهر على يديك من الدلائل و البراهين و هو: إنّى رجل احبّ الجوارى و أصبوا اليهنّ و لى منهنّ عدّه أتخطاهنّ و الشّيب يبعدنى منهنّ و أحتاج إلى أن أخضبه فى كلّ جمعه و أتحمّل منه مشقّه شديده لأستر عنهنّ ذلك و إلّا انكشف أمرى عندهنّ فصار القرب بعدا و الوصال هجرا، و اريد أن تغنينى عن الخضاب و تكفينى مؤنته و تجعل لحيتى سوداء فانّنى طوع يديك و صائر إليك و داع إلى مذهبك مع مالى فى ذلك من البصيره و لك من المعونه فلمّا سمع ذلك الحلاج من قوله و جوابه علم أنّه قد أخطأ فى مراسلته و جهل فى الخروج إليه بمذهبه و أمسك عنه فلم يرد إليه جوابا و لم يرسل إليه رسولا.

و صيّره أبو سهل رضى اللّه عنه احدوثه و ضحكه و تطرءه عند كل أحد

و شهّر أمره عند الصّغير و الكبير، و كان هذا الفعل سببا لكشف أمره و تنفير الجماعه عنه.

و أخبرنى جماعه عن أبى عبد اللّه الحسين بن علىّ بن الحسين بن موسى بن بابويه: أنّ الحلاج صار إلى قم و كاتب قرابه أبى الحسن يستدعيه و يستدعى أبا الحسن أيضا و يقول: أنا رسول الامام و وكيله.

قال: فلمّا وقعت المكاتبه فى يد أبى رضى اللّه عنه خرقها و قال لموصلها اليه:

ما أفرغك للجهالات، فقال له الرجل و أظنّ انّه قال أنّه ابن عمّته أو ابن عمّه:

فانّ الرّجل قد استدعانا فلم خرقت مكاتبته و ضحكوا منه و هزئوا به، ثمّ نهض الى دكانه و معه جماعه من أصحابه و غلمانه.

قال: فلمّا دخل الى الدّار الّتى كان فيها و كأنّه نهض له من كان هناك جالسا غير رجل رآه جالسا فى الموضع فلم ينهض له و لم يعرفه أبى، فلمّا جلس و اخرج حسابه و دوائه كما تكون التجار أقبل على بعض من كان حاضرا فسأله عنه فأخبره فسمعه الرّجل يسأل عنّى فأقبل عليه و قال له: تسأل عنّى و أنا حاضر، فقال له أبى: أكبرتك أيّها الرّجل و أعظمت قدرك أن أسألك، فقال له: تخرق رقعتى و أنا اشاهدك تخرقها فقال له أبى: فأنت الرّجل اذا ثمّ قال: يا غلام برجله و بقفاه، فخرج من الدّار العدوّ للّه و لرسوله، ثمّ قال له: أتدّعى المعجزات عليك لعنه اللّه أو كما قال فاخرج بقفاه فما رأيناه بعدها بقم، انتهى.

أقول: المراد بأبى الحسن هو علىّ بن موسى والد الصدوق و انّما كنّى به لمكان ابنه الأوسط الذى كان مشتغلا بالعباده و الزّهد لا يختلط بالناس و لا فقه له بخلاف الأخويين الباقيين أبى جعفر محمّد و أبى عبد اللّه الحسين راوى هذا الحديث، فانهما كانا فقيهين ماهرين فى الحفظ يحفظان ما لا يحفظه غيرهما من أهل قم، لأنهما ولدا بدعاء الامام عليه السّلام على ما فى كتاب الغيبه للصدوقين القمّى و الطوسى «فهما» و غيرهما بل هذا أمر مستفيض عند أهل قم.

و قال العلامه «قد» الحلّى فى محكى كلامه من خلاصته: الحسين الحلاج ابن

المنصور ظهر ببغداد و كان أعجميّا و ادّعى أنّه الباب و ظفر به الوزير علىّ بن عيسى فضربه ألف عصا و فصّل أعضاءه و لم يتأوّه و كان كلّما قطع منه عضو قال:

و حرمه الودّ الّذى لم يكن يطمع فى إفساده الدّهر

ما قدّ لى عضو و لا مفصل إلّا و فيه لكم ذكر

و قال فى فوائد الخلاصه: إنّه من الكذّابين، و ذكر الشيخ له أقاصيص و مراده بالأقاصيص ما نقلناه آنفا.

و قال مولينا المقدّس الأردبيلى «قد» فى كتابه حديقه الشّيعه: أما حسين بن منصور الحلاج فقد أفرط و جاوز الحدّ فى الفضاحه و أظهر الكفر و الالحاد بلا حجاب و خرج التّوقيع بلعنه و من جمله من أفتى بقتله و كتب خطه فى وجوب قتله هو الحسين بن روح رضى اللّه عنه وكيل صاحب الزّمان عليه السّلام.

و قال أبو ريحان البيرونى السّندى من أكابر المنجمين فى تاريخه حين ذكر تاريخ المتنبّين و اممهم المخدوعين عليهم لعنه ربّ العالمين: ثمّ ظهر رجل متصوّف من أهل فارس يعرف بالحسين بن منصور الحلاج، فدعى إلى المهدى أوّلا و زعم أنّه يخرج من الطالقان الّذى بالدّيلم فاخذوا دخل مدينه السّلام، و حبس شهرا فاحتال حتّى تخلّص من السّجن، و كان رجلا مشعبدا متصنعا مازجا نفسه بكل انسان على حسب اعتقاده و مذهبه، ثمّ ادّعى حلول روح القدس فيه و تسمّى بالاله، و صارت له رقاع إلى أصحابه معنونه بهذه الألفاظ.

من الهوهو الأزلىّ الأوّل النّور السّاطع اللامع و الأصل الأصلى و حجّه الحجج و ربّ الأرباب و منشىء السّحاب و مشكاه النّور و ربّ الطّور و المتصوّر فى كلّ صوره إلى عبده فلان.

و كان أصحابه يفتتحون كتبهم إليه بسبحانك يا ذات الذّوات و منتهى غايه اللّذات يا عظيم يا كبير أشهد أنّك البارى القديم المنير المتصوّر فى كلّ زمان و أوان و فى زماننا بصوره الحسين بن منصور عبيدك و مسكينك و فقيرك و المستجير بك و المنيب إليك و الرّاجى رحمتك يا علّام الغيوب يقول كذا و كذا.

و صنّف کتابا فی دعواه مثل کتاب نور الأصل و کتاب جمّ الأکبر و کتاب جمّ الأصغر، فعثر علیه المقتدر باللّه فی سنه إحدی و ثلاثمأه للهجره و ضربه ألف سوط و قطع یدیه و رجلیه و ضرب عنقه، ثمّ زرقه بالنّفط حتّی احترقت جثته و رمی برماده فی دجله و لم یتکلّم بحرف فیما فعل به و لم یقطب وجهه و لم یحرّک شفته و بقیت بقیّه من أتباعه منسوبون إلیه یدعون إلی المهدی و أنه یخرج بالطالقان انتهی و قال الشّیخ محمّد الشّهیر بحاجی مؤمن الخراسانی: و الّذی اعتقد فیه یعنی الحلاج الرّد علیه و علی أصحابه، لأنّ کلّ حقیقه ردّته الشریعه فهی مردوده کما حقّقناه و قد ردّ علیه کبار المشایخ المتقدّمین و المتأخّرین کالجنید، و الشیخ أبی جعفر محمّد ابن علیّ بن الحسین بن بابویه القمّی رئیس المحدّثین المتألّهین، و شیخ الطائفه أبی جعفر محمّد بن الحسن الطّوسی، و الشّیخ الطّبرسی، و الشّیخ المفید، و السیّد المرتضی علم الهدی، و الشّیخ جمال الدّین المطهّر الحلّی، و السیّد ابن طاوس صاحب المقامات و الکرامات، و الشّیخ أحمد بن فهد الحلّی المتألّه شیخ المتأخرین رضی اللّه عنهم، و کلهم اتّفقوا علی أنّه من المذمومین و بعضهم علی أنّه خرج من النّاحیه توقیع بلعنه و أنت إذا تأمّلت أدنی تأمّل وجدت أکثر من ینتمی إلی الحلّاج و یعتقد رأیه قائلین بالحلول و التّجسیم و التّشبیه و الزندقه و ترک الشرائع و الأحکام و الأمر و النّهی، و یدّعی الوصول إلی أعلی مرتبه العرفان و التّوحید و الاباحه و ینفی الحلال و الحرام کالفرقه المردفیه المشرکه المجوسیّه، انتهی.

أقول: و یؤیّد ما ذکره أخیرا من المتصوّفه الحلاجیّه ما قاله الصّدوق فی اعتقاداته: علامه الحلاجیّه من الغلاه دعوی التجلّی بالعباده مع تدیّنهم بترک الصّلاه و جمیع الفرائض، و دعوی المعرفه بأسماء اللّه العظام، و دعوی انطباع الحق(۱) لهم و أنّ الولی إذا خلص و عرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الأنبیاء علیهم السّلام، و من علامتهم أیضا دعوی علم الکیمیا و لا یعلمون منه إلّا الدّغل و التلفیق بالشّبه و الرّصاص علی المسلمین، اللهمّ لا تجعلنا منهم و العنهم جمیعا. انتهی کلامه

۱- (۱) - الجن خ ل.

رفع مقامه.

و فی کتاب روضات الجنّات من کتاب روض المناظر فی علم الأوائل و الأواخر تألیف الشّیخ محبّ الدّین الحنفی ألّفه فی بیان سوانح کلّ سنه من لدن زمن أنبیاء بنی إسرائیل إلی سنه ثلاث و ثمانمائه قال:

إنّ فی سنه تسع و ثلاثمأه قتل حسین بن منصور الحلاج کان یخرج فاکهه الشّتاء فی الصّیف و بالعکس و یمدّ یده فی الهواء و یعیدها و فیها دراهم و علیها مکتوب قل هو اللّه أحد، یسمّیها دراهم القدره و یخبر النّاس بما صنعوا فی بیوتهم و یتکلّم بما فی ضمائرهم، و فتن به خلق کثیر و اختلفوا فیه اختلاف النّصاری بالمسیح، و کان یصوم الدّهر و یفطر علی ماء و ثلاث عضاه من قرص.

قدم من خراسان إلی العراق و صار إلی مکّه و جاور بها سنه ثمّ عاد إلی بغداد فالتمس حامد الوزیر من المقتدر أن یسلمه إلیه، و جدّ الوزیر فی قتله و استنطقه عدّه مجالس بحضره العلماء آخرها أنّه ظهر منه بخطه کتاب یتضمّن أنّ من لم یمکنه الحجّ إذا أفرد فی داره بیتا نظیفا و لم یدخله أحدا فطاف حوله أیام الحجّ و فعل ما یفعله الحاج ثمّ جمع ثلاثین یتیما و أطعمهم أجود الطعام فی ذلک البیت و کساهم و أعطی کلّ واحد منهم سبعه دراهم کان کمن حجّ.

فقال القاضی أبو عمرو الحجاج من أین لک هذا؟ فقال: من کتاب الاخلاص للحسن البصری، فقال القاضی: کذبت یا حلال الدّم قد سمعناه بمکه و لیس فیه هذا، فطالبه الوزیر بکتابه خطه أنه حلال الدّم أیاما ثمّ أجابه و کتب باباحه دمه و وافقه جماعه من العلماء، فقال الحلاج: ما یحلّ لکم دمی و دینی الاسلام و مذهبی السنه و لی فیها کتب موجوده یکون عند الوراقین، فاللّه اللّه فی دمی و لم یزل یردّد هذا.

و عن تاریخ حبیب السیر أنه قال بعد ذکره لهذه الواقعه بالفارسیه إلی قوله و مذهبی السنه: و تفضیل الخلفاء و العشره المبشره، و لی فی السنه کتب موجوده یکون عند الوراقین، فاللّه اللّه فی دمی، و لم یزل یردّد هذا و هم یکتبون خطوطهم حتی استکملوا ما أرادوا، و نهضوا من المجلس.

فحمل الحلاج إلى السجن و كتب الوزير إلى المقتدر باللّه الخليفه فهرست الوقايع، فصدر منه الجواب بعيد ساعه بأنّ قضاه البلد إذا كانوا قد أفتوا بقتل الرجل فليسلم إلى صاحب الشرطه و ليتقدم إليه يضربه ألف سوط فان هلك و إلّا يضربه ألفا آخر و يضرب عنقه.

فسلّمه إلى الشرطى و أخبره بما رسم به المقتدر و قال: فان لم يتلف بالضرب فاقطع يده ثمّ رجلاه ثمّ نحر رقبته و تحرق جثته، و إن خدعك و قال أنا أجرى لك الفرات و دجله ذهبا و فضه فلا تقبل ذلك منه، و لا ترفع العقوبه عنه.

فتسلّمه الشرطى ليلا فأصبح يوم الثلثا لسبع بقين من ذى القعده سنه تسع و ثلاثمأه فأخرجه الى باب الطاق و كان يتبختر فى قيوده و اجتمع عليه من العامه خلق كثير لا يحصون.

فضربه الجلّاد ألف سوط فلم يتأوّه شيئا بل قال للشرطى لما استوفى ستّ مأئه:

ادع بى إليك فانّ لك عندى نصيحه تعدل فتح قسطنطنيه الروم فقال له: قد قيل لى: إنك تقول هذا الكلام و أكثر منه و ليس الى رفع السياط عنك سبيل، فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعه ثمّ جزّ رأسه و أحرق جثته بالنار، و لما صارت رمادا ألقاها فى دجله و نصب رأسه على الجسر و اتفق أن ارتفع ماء دجله فى تلك السنه فادّعى بعض أصحابه أن ذلك ببركه ما القى فيها من الرماد، و تواعدوا فى أنفسهم أيضا على السرّ أنه سيعود إليهم بعد أربعين يوما من ذلك التاريخ، و ادّعى بعضهم أنه لم يقتل و إنما ألقى شبهه على عدوّ له فقتل.

ثمّ إن فى تاريخ روض المناظر أنه قتل و حرق و نصب رأسه ببغداد قال: و قد ترجمه الذّهبى فى عدّه أماكن من كتبه و كذا الخطيب و غيره ترجمه قبيحه و أنّه كان ساحرا مشعبدا محلولا و اللّه أعلم، انتهى.

و فى وفيات الأعيان نقلا عن أبى بكر بن ثوابه القصرى انه قال: سمعت الحسين ابن منصور و هو على الخشبه يقول:

طلبت المستقرّ بكلّ أرض فلم أر لى بأرض مستقرّا

أطعت مطامعی فاستعبدتنی و لو أنّی قنعت لکنت حرّا

فقد علم بذلک کله أنّ الرّجل من أهل الغلوّ و الالحاد، و الحلول و الاتحاد فکیف یکون من أولیاء أئمه الدّین سلام اللّه علیهم أجمعین، و لو کان من أهل الولایه لورد فیه منهم علیهم السّلام ما یدلّ علی مدحه و فضله و علوّ شأنه، لا ما یدلّ علی لعنه و طعنه قال فی روضات الجنّات: لو شئت زیاده بصیره بأحوال و أباطیل الملاحده من هذه الطایفه فعلیک بمراجعه رساله الشیخ الحرّ العاملی الموضوعه للتشنیع علیهم و تحذیر أهل الاسلام من اتباعهم، و بیان جمله من قبایح أفعالهم، فانّها البالغه حدّ الکمال فی هذا الباب، و کذلک کتاب مولینا محمّد طاهر القمی المعاصر له المشنع علی المولی محسن الفیض الکاشی صاحب الوافی فی میله إلی هذه الطایفه، بل المکفّر إیاه من هذه الجهه، و رسالتی الشیخ علیّ بن الشیخ محمّد الشهیدی و المولی إسماعیل الخاجوئی بالعربیه و الفارسیّه، فی تخطئتهم و تنفیر قلوب عوام الناس عنهم، و غیر ذلک من تضاعیف مصنّفات الشیعه و أهل السنّه و الجماعه، فانّهم فی الحقیقه مصداق قوله تعالی «مُذَبْذَبِینَ بَیْنَ ذلِکَ لا إِلی هؤُلاءِ وَ لا إِلی هؤُلاءِ » و منکرون لأساس الشّریعه الغرّاء، أعاذنا اللّه و جمیع المؤمنین و المؤمنات من متابعه أهوائهم و سلوک سبیلهم آمین ربّ العالمین.

المقام السادس – فی منشا الکرامات و خوارق

اشاره

العادات الصادره من هذه الطائفه

کالإخبار عن المغیبات و استجابه الدعوات و تأثیر الأنفاس و طیّ الأرض و نحوها، ممّا رویت عنهم و نسبت الیهم فی کتبهم المدوّنه لهذا الغرض مثل کتاب تذکره الأولیاء و غیره فأقول و باللّه التّوفیق:

إنّ ظهور الکرامات من أولیاء اللّه الجامعین بین مرتبتی العلم و العمل علی اصطلاح المتشرّعه و بین الشریعه و الطریقه و الحقیقه و المعرفه

و بعباره اخرى علم اليقين و عين اليقين و حقّ اليقين و برد اليقين على اصطلاح المتصوّفه، غير قابل للانكار و ليس عليه غبار، لأنّ العبوديه جوهره كنهها الربوبيّه.

و قد نقل من أصحاب النّبى و اتباع الأئمه عليهم السّلام الكاملين فى مقام المعرفه و الولايه، و من العلماء الرّاسخين و غيرهم من عباد اللّه الصالحين المتّقين المتصفين بالصّفات المتقدّمه فى الخطبه المأه و الثانيه و التّسعين فى حديث همام و غيرها كرامات متجاوزه عن حدّ الاحصاء، و ظهورها منهم عنايه خاصّه من اللّه عزّ و جلّ بهم، و لطف مخصوص فى حقّهم إكراما لهم و إظهارا لشرفهم لديه و قربهم إليه.

و أمّا غير هؤلاء من أهل التّصنع و التّكلف و التصوّف و التصلّف، فظهور بعض خوارق العاده منهم مستند إلى أحد امور:

منها الشعبده

و هى حركات سريعه تترتّب عليها أفعال عجيبه بحيث يخفى على الحسّ الفرق بين الشىء و شبهه لسرعه الانتقال منه إلى شبهه فيحكم الرائى له بخلاف الواقع.

فالمشعبد الحاذق يظهر عمل شىء يشغل أذهان الناظرين و يأخذ عيونهم إليه حتّى إذا اطمأنّ باستغراق نظرهم إليه عمل شيئا آخر بسرعه شديده، و بذلك يحصل عند الناظر أمر عجيب، و سببه الاشتغال بما أظهره أوّلا و السرعه المزبوره.

و هذا هو المراد بقولهم: إنّ المشعبد يأخذ بالعيون، لأنّه فى الحقيقه يأخذ بالعيون إلى غير الجهه الّتى يحتال، و كلّما كان أخذه للعيون و جذبه للخواطر إلى سوى مقصوده أقوى كان أحذق فى عمله.

و لها أقسام اخر معروفه بين المشعبدين من الافرنج و غيرهم

و منها التنجيم

و هو الاستدلال بحركات النّجوم على بعض الحوادث الواقعه فقد أخبر آذر بطريق النجوم على إبراهيم.

قال الصادق عليه السّلام فى المروىّ عنه فى تفسير علىّ بن إبراهيم: إنّ آذر أبا إبراهيم كان منجّما لنمرود بن كنعان فقال له: إنّى أرى فى حساب النّجوم أنّ هذا الزّمان يحدث رجلا فينسخ هذا الدين و يدعو الى دين آخر، فقال نمرود: فى أىّ

بلاد يكون؟ قال: فى هذه البلاد، الحديث.

و عن صاحب كتاب التجمل أنّ آذر كان منجّما لنمرود فقال: له يوما:

رأيت فى النّجوم أمرا عجيبا، قال: و ما هو؟ قال: رأيت مولودا يولد فى زماننا يكون هلاكنا على يديه و لا يلبث إلّا قليلا حتّى يحمل به، قال: فتعجّب من ذلك ثمّ قال: هل حملت النّساء؟ قال: لا، فحجب الرّجال عن النساء و لم يدع امرأه إلّا جعلها فى المدينه قال: فوقع آذر على أهله فحملت بابراهيم فظنّ أنّه صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزّمان و كنّ أعلم الناس بالجنين فنظرن فالزم ما فى الرحم الظهر فقلن ما نرى فى بطنها شيئا، قال: و كان ممّا اوتى من العلم أنّ المولود سيحرق بالنّار و لم يؤت أنّ اللّه سينجيه منها.

و قد تضمّنت كتب التّواريخ و غيرها الأخبار بنبوّه موسى و رسالته من النّجوم، و كذا نبوّه نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ظهور العرب على الفرس كما لا يخفى على من لاحظها.

و الاخبار النّجوميّه للمنجّمين من الوقايع المستقبله فوق حدّ الاحصاء، و قد مرّ فى شرح الكلام الثامن و السّبعين مطالب نافعه فى هذا المقام.

و منها الكهانه

و هى عمل تقتضى طاعه بعض الجانّ.

قال العلامه «قد» فى محكى القواعد: الكاهن هو الّذى له رائد من الجنّ يأتيه بالأخبار.

و عن النهايه الكهانه هى تعاطى الأخبار عن الكائنات فى مستقبل الزّمان، و قد كان فى العرب كهنه فمنهم من كان يزعم أنّ له تابعا من الجنّ يلقى إليه الأخبار، و منهم من كان يزعم أنّه يعرف الامور بمقدّمات أسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله.

و منها السحر

قال فخر المحقّقين فى المحكى عن الايضاح: إنّه استحداث الحوادث و الخوارق، إما بمجرّد التّأثيرات النفسانيه و هو السّحر، أو بالاستعانه بالفلكيّات فقط و هو دعوه الكواكب، أو على تمزيج القوى السّماويه بالقوى

الأرضيّه و هو الطلسمات أو على سبيل الاستعانه بالأرواح السّاذجه و هو العزائم، و يدخل فيه النّيرنجات و الكلّ حرام فى شريعه سيد المرسلين.

و فى الجواهر أنّه عباره عن ايجاد شىء تترتّب عليه آثار غريبه و أحوال عجيبه بالنسبه إلى العاده بحيث تشبه الكرامات و توهم أنّها من المعجزات المثبته للنّبوات من غير استناد إلى الشّرعيات بحروز أو دعوات أو نحوها من المأثورات.

و منها استخدام الجن و الشياطين

و عن المسالك دخوله فى الكهانه و فى الدّروس دخوله فى السّحر قال: يحرم الكهانه و السحر بالكلام و الكتابه و الرقعه و الدّخنه بعقاقير الكواكب و تصفيه النفس و التصوير و العقد و النّفث و الأقسام و العزائم بما لا يفهم معناه و يضرّ بالغير فعله.

و من السّحر الاستخدام للملائكه و الجنّ و الاستنزال للشياطين فى كشف الغايب و علاج المصاب.

و منه الاستحضار بتلبس الرّوح ببدن منفعل كالصّبى و المرأه و كشف الغائب على لسانه.

و منه النّيرنجات، و هى اظهار غرايب خواص الامتزاجات و اسرار النّيرين و يلحق به الطلسمات و هى تمزيج القوى العاليه الفاعله بالقوى السافله المنفعله ليحدث عنها فعل الغرائب، فعمل هذا كلّه و التّكسب به حرام أمّا علمه ليترقى أو لئلا يعتريه فلا، و ربّما وجب على الكفايه لدفع المتنبّى بالسّحر و يقتل مستحلّه، انتهى.

و عن الصادق عليه السّلام أنّه لمّا سأله الزّنديق عن السحر ما أصله و كيف يقدر الساحر على ما يوصف من عجايبه و ما يفعل؟ قال: إنّ السحر على أقسام وجوه شتّى، منها بمنزله الطب كما أنّ الأطباء وضعوا لكلّ داء دواء فكذلك علماء السحر احتالوا لكلّ صحه آفه و لكّ عافيه سقما و كلّ معنى حيله و نوع منه آخر خطفه و سرعه و مخاريق و خفه و نوع منه ما يأخذ أولياء الشياطين منهم.

و ذكر بعضهم أنه على أقسام:

الاول سحر الكذابين

و هم قوم يعبدون الكواكب و يزعمون أنّها المدبّره لهذا العالم إلّا أنهم فرق ثلاث:

الاولى

زعمت أنّ الأفلاك و الكواكب واجبه الوجود لذاتها، و هى المدبّره لهذا العالم و الخالقه له.

و الثانيه

أنّها مخلوقه إلّا أنها قديمه لقدم العلّه التّامه المؤثره فى وجودها فالساحر عند الفرقتين هو الذى يعرف قوى العاليه الفعاله بسايطها و مركباتها، و يعرف ما يليق بكلّ واحد من العوالم السفليه، و يعرف المعدّات ليعدّها، و يعرف العوائق لينحيها معرفه بحسب الطاقه البشريه، و بذلك يكون متمكنا من استجذاب ما يخرق العاده.

الفرقه الثالثه

أنها حادثه مسبوقه بالعدم إلّا أنّ خالقها خلقها عاقله مختاره، و فوّض تدبير العالم إليها و الساحر حينئذ من عرفته بالتقريب السابق

القسم الثانى سحر أصحاب الأوهام و النفوس القوّيه

، و هو يكون بتجريد النفس عن الشواغل البدنيه و عن مخالطه الخلق و امورهم، و به يحصل تأثيرها فى جميع ما تريده من الأشياء، و توجد صورته فى ذهنها و يقتدر بذلك على الاتيان بما هو خارق للعاده، نعم النفوس فى ذلك مختلفه.

فمنها القويه المستعليه على البدن الشديده الانجذاب إلى عالم السماوات، بل كأنّها من الأرواح السّماويه، و هذه لا تحتاج التّاثير إلى هذا العالم إلى آله و أداه.

و منها ما لا يكون كذلك، فيحتاج إلى تصفيه و تجربه، و ربّما استعانت على ذلك بالرّقى المعلومه ألفاظها بل و غير المعلومه باعتبار حصول دهشه للنّفس و حيره، و ربّما حصل فى أثناء ذلك انقطاع عن المحسوسات و إقبال على ذلك الفعل و جدّ عظيم، و يقوّى التاثير النّفسانى و ربّما استعانت على ذلك أيضا بالدّخنه على الوجه الّذى سمعته فى الرّقى.

الثالث الاستعانه بالأرواح الأرضيّه و هى الجنّ

، فانّ اتّصال النّفوس

ص:۳۵۷

النّاطقه بها أسهل من اتّصالها بالأرواح السّماويّه، لشدّه المشابهه و المشاكله و إن كان التأثير مع الاتّصال بتلك الأرواح أعظم بل هو كالقطره بالنّسبه إلى البحر، و قد قالوا: إنّ الاتّصال بها يحصل بأعمال سهله قليله من الرّقى و الدّخن و التجريد، و هذا النّوع هو المسمّى بالعزائم و عمل تسخير الجنّ، انتهى.

أقول: و هذا كلّه من فروعات علم السّيميا الّذى قيل فى تعريفه: هو علم بامور يتمكّن به الانسان من إظهار ما هو مخالف للعاده أو منع ما هو موافق للعاده، بعضه متعلّق بالطّلسمات، و بعضه بدعوه الكواكب و تسخير السيارات، و بعضه بتسخير الوحوش و الطيور، و بعضه بالتعظيم و التنجيم و استخدام الجنّ و الانس و الشّياطين بأعمال و شرايط مقرّره عند أهل هذا الفنّ و هو علم طويل عريض عميق و الوصول إليه و القيام بشرايطه فى غايه الصعوبه و عجايبه لا تحصى.

فقد نقل عن بعض التفاسير أنّ سبب تمرّد نمرود اللّعين عن طاعه اللّه تعالى أنّ الحكماء قد عملوا فى مقرّ سلطنته أرض بابل طلسمات ستّه تحار فيها العقول:

أوّلها بطه من نحاس إذا دخل فى البلد سارق أو جاسوس كانت هذه البطّه تصوّت بأعلى صوت يسمعه كلّ من بالبلد، و يعرفون علّه تصويته فيطلبون الداخل و يدركونه.

الثانى طبل إذا ضلّل أحدهم شيئا يجىء إلى ذلك الطبل و يضربه بعود فيخرج منه صوت و يعرّفه مكان الضّاله.

الثالث مرآه كلّ من كان أهل البلد له غايب لا يعرف خبره و أراد أن يطلع عليه جاء إلى هذه المرآه فينظر فيها و يشاهد فيها الغايب بحالته الّتى هو عليها و العمل الّذى هو مشتغل به و بالمكان الّذى هو فيه.

الرّابع حوض كان نمرود فى كلّ سنه يجلس يوما عنده للعيش و يجتمع إليه بطانته من الامراء و الوزراء و الأشراف، و يأتى كلّ منهم بأشربه مختلفه و يصبّونها جميعا فى الحوض، فاذا امتلاء أمر نمرود سقايته فيسقونهم منه و يشرب كلّ

منهم ما جاء به من الشّراب.

الخامس غدير ماء إذا ورد فيه المتخاصمان كان الماء يعلو المبطل منهما، فان أناب إلى الحقّ و الاّ غرق.

السّادس شجره فى بابه يستظل بها تمام جيشه و جنوده.

و نقل عن أرسطاطاليس أنّه كان بين برهماطوس و بيداغوش منازعه فى أرض بابل، قال بيداغوش: كيف تقاومنى و مرّيخ و زحل عاجزان من مقاومتى؟ فلمّا سمعه برهماطوس دخن اترجه و استعان بروح المرّيخ و أحرق بيداغوش و استراح النّاس من شرّه بدون حاجه إلى المحاربه.

و نقل عن أبى معشر البلخى أنّه قال: كان فى بلاد الهند ملك عالم بأسرار النّجوم و قد سخّر المرّيخ فقصده ملك آخر للحرب فلم يهتم به، و كلّما قال له وزراؤه و أتباعه: قد وصل الخصم لم يلتفت إليهم حتّى إذا دنا من بلده و كان الملك مشغولا مع ندمائه فى مجلس العيش فرجع إلى المريخ و استعان منه على دفع الخصم، فما مضت هنيئه إلاّ و رأوا شيئا هابطا من السّماء، فاذا هو مرآه من نحاس مثلّث الشّكل و معه رأس مذبوح، فلمّا رأوه هابوا منه و هربوا، فضحك الملك ثمّ أحضرهم و قال لهم: ابشروا هذا رأس من كان قاصدا لبلادكم، فقد دفعت شرّه بعلم كنتم تلومونني فى تحصيله و تنسبوننى إلى الحمق و السّفه و الجنون.

و فى نفايس الفنون أنّ بهذا العلم يتمكّن من رؤيه الأشياء المتباعده غايه البعد و لو بمقدار ألف فرسخ و يتمكّن من التّصرف فيها.

قال ثابت بن قرّه: كان من أهل هذا العلم من صنع كحلا إذا اكتحل به يرى الأشياء من الأماكن البعيده و كنت أنا و قسطاء بن لوقا أردنا امتحانه فجلسنا فى بيت و كتبنا فيه خطّا بغايه الخفاء لا يكاد يقرأ، و كان ذلك الرّجل جالسا فى بيت اخر فكان يقرأ كلّما نكتب حرفا حرفا، و لو رام غيره أن يقرأه لا يمكن له ذلك لخفائه، و سأله قسطاء من حال أخيه و كان غايبا منه فقال: انّه مريض و قد

تولّد له ولد و طالعه الثّور بثلاث درجات فاستخبرنا منه و كان كما قال: الى غير هذه ممّا نقل من عجايب هذا العلم.

و هـذه المنقولات و ان لم تكن محلّ اعتماد يصـلح التّعويل عليها، و لكنّها مثل العجايب المنقوله من مشايخ المتصوفه لا تفاوت بينهما فى الصحّه و البطلان و الرّد و القبول.

فقـد علم بمـا ذكرنـا أنّ ظهور بعض الامور الخارقه للعاده من أحـد من هؤلاء الطّايفه أو من غيرهم لا يـدلّ على كونه عارفا باللّه كاملا فى معرفه اللّه و من أهل الزّلفى و الكرامه لديه، لما عرفت من أنّ جلّ مدارك الخوارق و عمده أسبابها امور غير شرعيّه.

فانّ الشّـعبده و السّـحر و الكهانه و علم السّيميا و النّيرنجات كلّها محرّمه بالأدّله الشّرعيّه المحكمه، كما فصلها فقهاؤنا رضوان اللّه عليهم فى أبواب المكاسب من الفقه.

و أعظم أسباب ظهور الخوارق من هذه الطايفه من جانب وليّهم ابليس، فانهم لأخذهم فى الاصول و الفروع خلاف مسلك أهل الشّـرع كان للشـيطان بهم مزيـد عنايه، و فى اعـداد معدات ضـلالهم و خذلانهم زياده اهتمام، فيوحى اليهم زخرف القول غرورا حسبما عرفت سابقا، و ينطق على لسانهم و يريهم العجائب و يتبّههم بالغرائب ليطيب بذلك أنفسهم و ليقرّوا به عينا، و يفرحوا به ليثبتوهم على ما دانوا به من الدّين الفاسد، و لتصـغى اليه أفئده الذين لا يؤمنون بالاخره و ليقترفوا ما هم مقترفون و لئن سلّمنا أنّ صدور العجائب و الغرائب منهم مستند الى اللّه سبحانه كاستجابه دعواتهم و تأثير أنفاسهم فهو أيضا لا يدلّ على القرب و الزّلفى مع زيغهم عن نهج الهدى و ضلالهم عن الحنيفيه البيضاء، لجواز كون ذلك من قبيل الاستدراج.

بيان ذلك أنهم لما تحملوا المشاق و ارتاضوا بالرّياضات الشاقه نيلا إلى ما طلبوه من الارباب الدنيويه، فلا يبعد أن يؤتيهم اللّه ما طلبوه بمقتضى رحمته الرحمانيه فانه تعالى لا يضيع عمل عامل برا كان أو فاجرا كما ورد فى الأخبار، و قال فى كتابه

الكريم: من كان يريد حرث الدنيا نزد له فى حرثه و ما له فى الآخره من خلاق و قال: «فَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِى الدُّنْيا وَ ما لَهُ فِى الْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنا آتِنا فِى الدُّنْيا حَسَنَهً وَ فِى الْآخِرَهِ حَسَنَهً وَ قِنا عَذابَ النّارِ أُولئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمّا كَسَبُوا ».

و يقرب ما ذكرناه أنّ الشيطان بعد ما عبد اللّه تعالى فى السماوات سته آلاف سنه، ثمّ صار رجيما بإبائه عن السجود لادم أعطاه اللّه النظره جزاء لعمله، و سلّطه على ابن آدم و أعطاه ساير ما سأل حسبما عرفته فى شرح الخطبه الاولى.

و مثله أنّ فرعون اللعين مع قوله: أنا ربكم الأعلى، أمهله اللّه أربعمائه عام لحسن خلقه و كونه سهل الحجاب، و استجاب دعاءه فى إجراء النّيل، فانّه لمّا غار النّيل و أتاه أهل مملكته و سألوه إجراءه فخرج معهم إلى الصّعيد و تنحّى عنهم حيث لا يرونه و لا يسمعون كلامه، فألصق خدّه بالأرض و أشار بالسّبابه و قال: اللهمّ إنّى خرجت اليك خروج العبد الذّليل إلى سيّده و إنّى أعلم أنّك تعلم أنّه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فأجره، قال: فجرى النّيل جريا لم يجر مثله، فأتاهم و قال لهم: إنّى قد أجريت لكم النّيل فخرّوا له سجّدا، رواه فى البحار من علل الشرائع و أوضح من ذلك كلّه أنّ كفّار الهند مع ما هم عليه من الكفر و الجحود ربما يخبرون بالمغيبات إذا تكلّفوا بالمشاق و الرّياضات.

قال السّيد المحدّث الجزائرى فى الأنوار النّعمانيّه: و ربّما جرت على أيديهم الأفعال العجيبه و الامور الغريبه و ليس هذا إلّا جزاء لأفعالهم و رياضاتهم الّتى زعموا أنّها عباده، و قد شاهدت فى اصفهان فى عشر السّبعين بعد الألف رجلا من كفّار الهند رافعا يديه إلى السّماء و قد يبستا و صارت أظفاره كالمناجل فرأيت الكفّار يعظّمونه و يسجدون له فسألتهم عن أحواله فقالوا له سبع سنين على هذه الحاله و بقى له خمس سنين حتّى يكون المجموع اثنا عشر سنه فاذا بلغ إلى هذا العدد و هو على هذا الحال صار شيخا فى العباده يخبر بالأخبار الغايبه و تنكشف له الامور، و رأيت انسانا جالسا إلى جانبه و الكفّار تعظّمه أيضا فقيل لى: إنّ هذا وقف

على رجليه اثنى عشر سنه لم يجلس على الأرض إلى غير ذلك من الرّياضات، انتهى فقد تحصل ممّا ذكرنا كلّه أنّ ظهور العجايب و الغرايب تاره يكون مستندا إلى أسباب صحيحه و اخرى إلى مقدّمات فاسده و أنّ المدار فى الكرامات على صحّه الاعتقاد و مواظبه الرّياضات الشّرعيّه.

و على ذلك فاذا رأيت من أحد امورا خارقه للعادات أو إخبارا عن الغايبات أو استجابه للدّعوات، فلا تحكم بمجرّد رؤيه ذلك على أنّه من أهل الزهد و الصلاح و الفوز و الفلاح و أنّ ذلك من فضل اللّه عليه، بل انظر إلى عقيدته و عمله.

فان كان موافقا للاصول الشرعيّه و القواعد لمذهب الحقّه الاماميّه، فاعلم أنّ ما ظهر منه كرامه و تفضّل من اللّه الكريم إليه و لطف ربّانى فى حقّه و ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم.

و ان لم يكن كذلك سواء كان كافرا أو مسلما سنيّا أو اماميّا آخذا فى سلوك طريق العبوديّه غير ما قرّره صاحب الشّريعه، فليس ما يظهر منه بكرامه و إنّما هو وزر و وبال، معقّب لويل و نكال لاستناده إمّا إلى مقدّمات فاسده و أسباب محرّمه أو إلى إضلال شيطانى أو إلى استدراج رحمانى كما قال تعالى: «وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ »

المقام السابع – فى مطاعن الصوفيه

اشاره

و ذكر ما ذكره أساطين علمائنا الأعلام و مشايخنا العظام قدّس اللّه ضرايحهم و طيّب اللّه أرماسهم، و ما صدر من غيرهم من علمائنا الأبرار و فقهائنا الأخيار من الفرقه النّاجيه الاماميه رضوان اللّه عليهم، و من علماء العامّه العمياء أيضا من الطّعن و الازراء على هذه الطايفه و كشف سوءاتهم و فضايحهم بعناوين مختلفه بعضها بعنوان العموم و بعضها بعنوان الاختصاص بطايفه خاصّه منهم، و بعضها على صوفيه زمانه، و بعضها على شخص معيّن منهم خذلهم اللّه جميعا، فأقول و باللّه التوفيق:

منهم رئيس المحدّثين و المتألهين الشّيخ الصّدوق أبو جعفر محمّد بن علىّ بن

الحسين بن بابويه القمّى قدّس اللّه روحه فقد قال فى اعتقاداته حسبما نقلنا عنه فى المقام الخامس:

علامه الحلاجيّه من الغلاه دعوى التجلّى بالعباده مع تدينهم بترك الصّلاه و جميع الفرائض، و دعوى المعرفه بأسماء اللّه العظام، و دعوى انطباع الحقّ لهم فانّ الولىّ اذا خلص و عرف مذهبهم فهو عندهم أفضل من الأنبياء، و من علامتهم أيضا دعوى علم الكيميا و لا يعلمون إلّا الدّغل و تلفيق الشّبه و الرّصاص على المسلمين اللهمّ لا تجعلنا منهم و العنهم جميعا.

و منهم الحبر المتبحّر الفريد الشيخ المفيد محمّد بن محمّد بن النعمان بن عبد السلام رفع اللّه فى عليّين له المقام.

فقد ألف فى الرّد على الحلاجيّه كتابا مخصوصا كما ذكره النّجاشى و ساير علماء الرّجال فى تضاعيف تعداد كتبه، و لم أظفر بعد على أصل نسخه الكتاب و نقلنا عنه فى أوائل المقام الثّالث من شرح عقايده للصّدوق كلاما متضمّنا للطعن عليهم.

و منهم شيخ الطائفه الحقّه و رئيس الفرقه المحقّه الشيخ المطلق محمّد بن الحسن الطّوسى قدّس سرّه القدّوسى.

فقد نقلنا عنه من كتاب الغيبه له فى المقام الخامس من الطّعن و الازراء على الحلاج ما عرفت.

و قال فى ذلك الكتاب أيضا قال الصّفوانى: سمعت أبا علىّ بن همام يقول:

سمعت محمّد بن علىّ العزاقرى الشلمغانى يقول. إنّ الحقّ واحد و إنّما تختلف قمصه، فيوم يكون فى أبيض، و يوم يكون فى أحمر، و يوم يكون فى أزرق، قال ابن همام: فهذا أوّل ما انكرته من قوله لأنّه قول أصحاب الحلول.

أقول: و هذا مثل ما قاله بعض متأخّرى الصّوفيّه فى كتابه المسمّى بمنهاج الولايه: تفطّن للذّه أهل العشق الانسانى من رؤيه معشوقهم، فانّ اللّه تجلّى فى صوره العاشق بالعاشقيّه، و فى صوره المعشوق بالمعشوقيّه بحيث يتصوّر العاشق معشوقه غيره تصوّرا صحيحا، لأنّهما غيران فى تعيّنهما و إن كان الحقّ المتجلّى

فیهما واحدا لیحصل اللّذه الأتمّ الأکمل، یسمّی أهل المحبّه ذلک التجلّی الثنوی تجلّی المکر و الخدیعه، لأنّه یتجلّی لنفسه بنفسه فی مظهرین بحث لا یعلمان اتّحاد المتجلّی و المتجلّی له.

عاشق خود که بود معشوق خود بهر لذّت در دو پیکر سرزند

انتهی و هذا کفر عظیم و الحاد قبیح لا یتصوّر فوقه کفر، لعن اللّه القائل به و المعتقد له ملاء السماوات و الأرضین و عذّبه عذابا الیما لا یعذّبه أحدا من العالمین.

و عن شرح کتاب التّوحید للشّیخ أبی منصور الماتریدی شیخ الطایفه الماتریدیّه قال:

قال قوم من الصّوفیّه: إذا رأیت غلاما أمرد حسنا فانّه ربّک، و قال بعضهم:

و یسمّون بالحلولیّه إنّ الغلام الّذی هو حسن الوجه قد حلّه بعض صفات اللّه تعالی فمن ثمّ ظهر فیه آثار القدره و یسمّونه شاهدا و یقولون: إنا نشاهد فیه بعض الصفات و یحبّونه و یعانقونه و یقبّلونه و یقولون: إنّ محبتنا إیاه لهذا المعنی، انتهی.

و فی وصف حالهم و الفرق بین الأمرد و الملتحی قال بعض الشعراء:

إذا ما التحی الانسان طار جماله فلحیته ریش یطیر به الحسن

و منهم آیه اللّه فی العالمین جمال الملّه و الدّین العلامه الحلّی أعلی اللّه مقامه فی محکی کلامه من رسالته التی سماها بالسعدیه:

إنّ اللّه تعالی لا یحلّ فی غیره و لا یتّحد بغیره، هذا مذهب طوایف المسلمین إلّا ما نقل خواجه نصیر المله و الحقّ و الدّین قدّس اللّه روحه عن الصوفیه أنهم یذهبون إلی أنّ اللّه یحلّ أبدان العارفین و یتّحد بهم، و هذا مذهب ردیّ، لأنّ الضروره قاضیه ببطلان الاتحاد، فانه لا یعقل صیروره شیئین شیئا واحدا بغیر ممازجه و لا انفعال و لا زیاده فی مقدار أو کمّ، و الحلول غیر معقول فی حقّ واجب الوجود، فانّ المجرّد لذاته لا یمکن أن یحلّ المادیات و لا غیرها، و لأنّ الحالّ مفتقر فی قیامه إلی المحلّ فکلّ مفتقر ممکن و واجب الوجود لیس بممکن فلا یکون حالّا،

و إذا بطل هذا المذهب ثبت الأول.

و قال أيضا فى كتاب نهج الحقّ: إنّ اللّه لا يتّحد بغيره، و الضروره قاضيه ببطلان الاتحاد، فانه لا يعقل صيروره الشيئين شيئا واحدا، و خالف فى ذلك جماعه من الصوفيه من الجمهور، فحكموا أنّ اللّه تعالى يتّحد بأبدان العارفين حتى تمادى بعضهم و قال: انه تعالى نفس الوجود، فكلّ موجود هو اللّه تعالى، و هذا عين الكفر و الالحاد، الحمد للّه الذى فضلنا باتباع أهل البيت عليهم السّلام دون أهل الأهواء الباطله.

ثمّ قال رضى اللّه عنه: و انه تعالى لا يحلّ فى غيره لأنه من المعلوم القطعى أنّ الحالّ مفتقر إلى المحلّ، و الضروره قاضيه بأنّ كلّ مفتقر إلى الغير ممكن، فلو كان اللّه تعالى حالاّ فى غيره لزم امكانه فلا يكون واجبا هذا خلف.

و خالفت الصوفيه من الجمهور فى ذلك، و جوّزوا عليه الحلول فى أبدان العارفين تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا.

فانظر إلى هؤلاء المشايخ الّذين يتبرّكون بمشاهدهم كيف اعتقادهم فى ربّهم و تجويزهم عليه تاره الحلول و اخرى الاتحاد، و عبادتهم الرّقص و التصفيق و الغناء، و قد عاب اللّه تعالى على أهل الجاهليه الكفار فى ذلك فقال عزّ من قائل: «وَ ما كانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكاءً وَ تَصْدِيَهً » أى تغفيل أبلغ من تغفيل من يتبرّك بمن يتعبّد اللّه بما عاب به الكفار، فانها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

و منهم الشيخ السعيد و القطب المجيد الفقيه المتبحّر الاكمل المعروف بالشهيد الأوّل شمس المله و الدّين أبو عبد اللّه محمّد بن جمال الدّين المكى رفع اللّه درجته كما شرف خاتمته، فى الدّروس فى كتاب الوقف منه فى بيان مصارف الوقف:

و الصوفيه المشتغلون بالعباده و المعرضون عن الدّنيا و الأقرب اشتراط الفقر و العداله فيهم لتحقّق المعنى المقتضيه للفضيله و أولى منه اشتراط أن لا يخرجوا عن الشريعه المحقّه، و فى اشتراط ترك الحرفه تردّد، و يحتمل استثناء التوريق و الخياطه و ما يمكن فعلها فى الرّباط، و لا يشترط سكنى الرّباط و لا لبس الخرقه من الشيخ و لا زىّ مخصوص، انتهى.

فانّ اشتراطه للعداله و عدم الخروج من الشريعه المحقّه صريح فى أنّ الفاقد.

للوصفين ليس له من التّصوف إلاّ الاسم و لا فضيله له أصلا.

و قد أفصح عن ذلك فى أشعاره الرّاتقه الفاتقه المحكيّه عنه فى روضات الجنات بروايه السيّد محمّد العاملى رحمه اللّه عليه قال:

بالشوق و الذّوق نالوا عزّه الشرف لا بالدّلوف و لا بالعجب و الصّلف

و مذهب القوم أخلاق مطهّره بها تخلّقت الأجساد فى النّطف

صبر و شكر و ايثار و مخمصه و أنفس تقطع الانفاس باللّهف

و الزّهد فى كلّ فان لا بقاء له كما مضت سنّه الأخيار و السلف

قوم لتصفيه الأرواح قد عملوا و أسلموا عرض الأشباح للتّلف

ما ضرّهم رثّ أطمار و لا خلق كالدّر ما ضرّه مخلولق الصّدف

لا بالتخلّق بالمعروف تعرفهم و لا التّكلّف فى شىء من الكلف

يا شقوتا قد تولّت امّه سلفت حتّى تخلفت فى خلف من الخلف

ينمّقون تزاوير الغرور لنا بالزّور و البهت و البهتان و السرف

ليس التّصوف عكّازا و مسبحه كلاّ و لا الفقر رؤيا ذلك الشرف

و ان تروح و تغدو فى مرفّعه و تحتها موبقات الكبر و السرف

و تظهر الزّهد فى الدّنيا و أنت على عكوفها كعكوف الكلب فى الجيف

الفقر سرّ و عنك النفس تحجبه فارفع حجابك تجلو ظلمه التّلف

و فارق الجنس و اقر النفس فى نفس و غب عن الحسّ و اجلب دمعه الأسف

و اتل المثانى و وحّد إن عزمت على ذكر الحبيب وصف ما شئت و اتّصف

و اخضع له و تذلّل إذ دعيت له و اعرف محلّك من اباك و اعترف

وقف على عرفات الذّل منكسرا و حول كعبه عرفان الصفا فطف

و ادخل إلى خلوه الأفكار مبتكرا وعد إلى حانه الأذكار بالصحف

و إن سقاك مدير الرّاح من يده كأس التجلّى فخذ بالكأس و اغترف

و اشرب و اسق و لا تبخل على ظماء فان رجعت بلا ريّ فوا أسفى

ص:۳۶۶

أقول ما ذكره «قد» فى مطلع القصيده و ذيلها هو الزّهد الحقيقى و روح الفقر و حقيقه العرفان الّذى حثّ عليه الرّسل و الأنبياء و ندب إليه الحجج و الأولياء، و لأجله انزال الصّحف و الكتب من السّماء فان كان التّصوّف عباره عن ذلك فنفسى للمتّصفين به الفداء و أجزل اللّه لهم الجزاء.

و إن كان عباره عن التصنّع و التكلف و الرّياء و التّصلّف و التّطريب بالغزليات و الاشعار و التّرنّم بمخترعات الأذكار بخفيّها و جليّها آناء الليل و أطراف النّهار، مثل النّهيق و الشّهيق للحمار فويل لمن حاله ذلك من النار، ثمّ ويل له من سخط القهّار.

ثمّ أقول: للّه درّ الشهيد فانّه مع كونه من العلماء الأعيان و الفقهاء الأركان انظر إلى غايه ارتفاعه فى مراتب الذوق و العرفان، و أخذه لقصب السّبق فى مضمار القريض و البيان، و تدبّر فى لطايف نظمه من بديع الاسلوب و محاسن البلاغه و حسن الانسجام و الرّقه و السلاسه و النّظام، و لعمرى أنّه أرقّ و أروح من نسيم السّحر، و آخذ لقلوب العارفين من سحر السّاحر إذا سحر، و أحلى عند أهل الذّوق من الشّهد و الشكر.

و منهم الشيخ الامام و العلم العلّام و قدوه علماء الاسلام الغائص فى بحار المعالى و المعانى المشتهر بالشهيد الثانى زين الدّين ابن علىّ بن أحمد بن محمّد بن علىّ العاملى الشّامى أفاض اللّه على تربته سجال رحمته، و أسكنه فى بحبوحه جنّته قال فى محكى كلامه من شرح رسالته الّتى كتبها فى علم درايه الحديث عند ذكر أصناف الواصفين «الواضعين ظ» للأحاديث الكاذبه:

و أعظمهم ضررا من انتسب منهم إلى الزّهد و الصّلاح بغير علم فاحتسب بوضعه أى زعم أنّه وضعه حسبه للّه و تقرّبا اليه ليجذب بها قلوب النّاس إلى اللّه بالتّرهيب و التّرغيب، فقبل النّاس موضوعاتهم ثقه منهم بهم، و ركونا اليهم لظاهر حالهم بالصّلاح و الزّهد، و يظهر لك ذلك من أحوال النّاس الّتى وضعها هؤلاء فى الوعظ

و الزّهد، و ضمّنوها أخبار عنهم و نسبوا اليهم أفعالا و أحوالا خارقه للعاده، و كرامات لم يتّفق مثلها لاولى العزم من الرّسل بحيث يقطع العقل بكونها موضوعه و ان كانت كرامات الأولياء ممكنه فى نفسها - إلى آخر ما يأتى نقله فى شرح المختار الاتى إنشاء اللّه تعالى، و فى آخر كلامه حسبما يأتى تصريح بأنّ مراده بهذه الطايفه هو الصوفيه.

و قال فى كتاب منيه المريد: عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: إذا مررتم فى رياض الجنّه فارتعوا، قالوا: يا رسول اللّه و ما رياض الجنّه؟ قال: حلق الذّكر،(۱) فانّ للّه سيّارات من الملائكه يطلبون حلق الذّكر، فاذا أتوا عليهم حفّوا بهم.

قال بعض العلماء: حلق الذّكر هى مجالس الحلال و الحرام كيف يشترى و يبيع و يصلّى و يصوم و ينكح و يطلق، انتهى.

فانه صريح فى الطعن على الصوفيه القائلين بأنّ المراد بحلق الذكر مجالس الذّكر الجلىّ لهم.

و قد صرّح بذلك فى البحار حيث قال: حلق الذكر المجالس التى يذكر فيها اللّه على قانون الشرع و يذكر فيها علوم أهل البيت عليهم السّلام و فضايلهم و مجالس الوعظ الذى يذكر فيها وعده و وعيده، لا المجالس المبتدعه المخترعه التى يعصى اللّه فيها، فانها مجالس الغفله لا حلق الذكر، انتهى.

و العجب من المتصوّفه الذهبيه يزعمون أنّ الشهيد «قد» منهم و يذكرون فى تأليفاتهم أنه من طبقاتهم قصدا بذلك رواج بدعاتهم و إن هذه النسبه إلّا اختلاق و افتراء، و أين الثرى من الثرياء، و أعيان العلماء من الجاهليه الجهلاء، و الظلام من الضياء، و أىّ نسبه بين الزّبد و السيل، و النهار و الليل، و السهل و السهيل.

و كيف يكون مثل الشهيد الذى عقمت النساء أن يلدن مثل هذا الدّر اليتيم

۱- (۱) - قوله: حلق الذكر و هو بكسر الحاء و فتح اللام جمع حلقه كقصعه و قصع و هو الجماعه من الناس يستديرون كحلقه الباب و غيره، هكذا فى النهايه، و قال الجوهرى: جمع الحلقه حلق بفتح الحاء، منه.

الفريد المتقلّب فى فنون العلوم الدّائر فى أدوار الفروع و الاصول، و السائر فى أطوار المعقول و المنقول، الصّاعد مصاعد الدّقايق، و العارج معارج الحقائق، الموزع أوقاته فى اصلاح أمر المعاش و المعاد، الموظف نهاره فى التّصنيف و التّأليف و التدريس و البحث و الاجتهاد، و ليله فى الاحتطاب لقوت عياله و الصّلاه و الدّعاء و مناجاه ربّ العباد، من الصّوفيه الّذين لا يعرفون من الشريعه إلّا الاسم، و من الطريقه إلّا الرّسم، و بين مذاق المجتهدين و الصّوفيّين بون بعيد بعد المشرقين.

فانّ مدار الأولين فى مقام العلم على الاستدلال و الاجتهاد و الاستنباط، و الأخذ بظواهر المحكمات من الايات و الرّوايات، و فى مقام العمل على العبادات الموظفات و الأذكار المأثورات.

و مدار الاخرين فى مقام العلم على دعوى الكشف و الشهود و الأخذ بالمتشابهات فى ترويج بضاعتهم المزجاه، و فى مقام العمل على بدعات العادات و الرّياضات، و مخترعات الأذكار و العبادات.

و بالجمله فالمدار على الحقيقه دون الاسم، و على المعنى دون اللفظ.

فمن كان سالكا مسالك الشريعه آخذا بحدودها و قوانينها المتقنه فى الاصول و الفروع، مواظبا على الحلال و الحرام، و التكاليف و الأحكام، فنعم الرّجل هو.

و من كان بخلاف ذلك فبئس الرّجل، فان كان المسمّى بلفظ الصوفى و المراد به حيثما يطلق هو الأوّل فلا مشاحه فى التّسميه، و إن أرادوا به الثانى فويل لمن حاله ذلك، ثمّ ويل له من وقوعه فى المهاوى و المهالك.

و منهم عمده العلماء المتّقين، و نخبه الأتقياء المرتقين محمّد تقىّ بن مقصود علىّ المشتهر بالمجلسىّ الأوّل أفاض اللّه على روحه من شابيب الرّحمه، قال فى محكى كلامه من شرح الفقيه عند شرح ما رواه الصّدوق عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قوله:

بادروا إلى رياض الجنّه قالوا: يا رسول اللّه و ما رياض الجنّه؟ قال: حلق الذّكر:

قوله: حلق الذّكر، أى المجامع الّتى يطلب فيها العلوم الدّينيّه، فانّ الحلق الّتى وصلت إلينا من طرق الأصحاب إلى النّبىّ و الأئمّه صلوات اللّه عليهم هى

هذه أو مجامع الوعظ كما روى عنهم عليهم السّلام أنّهم كانوا يعظون.

و أمّا الّتى اشتهرت من الاجتماع للّذكر الجلى فلم يصل علينا عنهم صلوات اللّه عليهم و هذه بطرق العامّه أشبه، كما رواه الكلينى فى القوى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: من ذكر اللّه فى السّر فقد ذكر اللّه كثيرا إنّ المنافقين كانوا يذكرون اللّه علانيه و لا يذكرونه فى السّر، فقال عزّ و جلّ: «يُراؤُنَ النّاسَ وَ لا يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاّ قَلِيلًا » إلى آخر ما أورده رضى اللّه عنه فيه من الأحاديث الدّاله على نفاقهم و فساد طريقتهم و مناقضتها لطريقه أصحاب الأئمّه صلوات اللّه عليهم، و ا شوقاه إلى تلك الأشباح، سلام اللّه على تلك الأرواح، رحل اولئك السّاده، و بقى قرناء الوساده، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: و هذا الرّجل كان أفضل أهل عصره فى فهم الحديث، و أحرسهم على إحيائه، و أعلمهم برجاله، و أعملهم بموجبه، و أعدلهم فى الدّين، و أقواهم فى النفس، و أجلّهم فى القدر، و أزهدهم فى الدّنيا، و أكملهم فى التّقوى، و أوقفهم لدى الشّبهات، و أجهدهم فى العبادات.

و قد كتب حاشيه نافعه على الفقيه و شرحا جامعا على الخطبه المأه و الثّانيه و التسعين المسوقه لوصف حال المتّقين، بل قيل: إنّه أوّل من نشر حديث الشيعه بعد انتهاء السّلطنه إلى سلاطين الصّفويّه.

و مع ذلك كلّه فالعجب أنّه اشتهر بين الصّوفيه نسبته إلى التّصوف، و ربّما ينسب إليه كتاب صغير مؤلّف على مذاق المتصوّفه، و هو بعيد منه غايه البعد، بل الظّاهر أنّه افتراء فى حقّه.

و يشهد بذلك ما قاله ابنه المحدّث العلامه المجلسى الثانى قدّس اللّه رمسه فى آخر رساله اعتقاداته ما صريح عبارته:

و ايّاك أن تظنّ بالوالد العلامه نور اللّه ضريحه أنّه كان من الصوفيّه و يعتقد مسالكهم و مذاهبهم، حاشاه عن ذلك، و كيف يكون كذلك؟ و هو كان آنس أهل زمانه بأخبار أهل البيت، و أعملهم و أعملهم بها، بل كان مالك الزّهد و الورع، و كان

فی بدو أمره یتسمّی باسم التصوّف لیرغب الیه هذه الطایفه و لا یستوحشوا منه فیردعهم عن تلک الاقاویل الفاسده و الأعمال المبتدعه، و قد هدی کثیرا منهم إلی الحقّ بهذه المجادله الحسنه، و لما رأی فی آخر عمره أنّ تلک المصلحه قد ضاعت و رفعت أعلام الضلال و الطغیان و غلبت أحزاب الشیطان و علم أنهم أعداء اللّه صریحا تبرّء منهم، و کان یکفرهم فی عقایدهم الباطله، و أنا أعرف بطریقته و عندی خطوطه فی ذلک، انتهی کلامه رفع اللّه مقامه.

و شهاده مثل العلامه المجلسی علی براءه ساحه رجل أجنبی من دنس نسبه ردیه کافیه فی تزکیته و طهارته، فکیف فی حقّ والده مع خبرویته بسرّه و علانیته، فانّ الولد سرّ أبیه، و أهل البیت أدری بما فیه.

و منهم غوّاص بحار أنوار الأخبار، ناشر ماثر الأطهار الأخیار، مروّج مذهب الشیعه فی الأصقاع و الأقطار، محیی شریعه سید المرسلین، راغم انوف المخالفین و المعتدین، دامغ صولات أضالیل المبطلین، و أباطیل المبدعین، سیما الصوفیه المبتدعین محمّد باقر بن محمّد تقی المتقدّم الذکر المشهور بالعلامه المجلسی أفاض اللّه علی روحه نور القدوسی.

فانّه قد بثّ فی تصانیه من مطاعن الصوفیّه ما هو فوق حدّ الاحصاء، متجاوز عن طور الاستقصاء و لا بأس بالاشاره إلی بعضها، فأقول:

منها ما ذکره فی رساله اعتقاداته تصریحا و تلویحا بل یفهم من دیباجتها أنّ أصل غرضه من وضع تلک الرّساله إبطال مذهب هذه الفئه الضالّه حیث قال بعد حمد اللّه و ثنائه و الصلاه عن رسول اللّه و آله:

أمّا بعد فیقول المفتاق إلی ربّه الغافر ابن محمّد تقی محمّد باقر اوتیا کتابهما یمینا و حوسبا حسابا یسیرا: إنّه قد سألنی بعض من هداه اللّه إلی طلب مسالک الحقّ و الرّشاد، و أودع قلبه خوف المعاد أن ابیّن له ما هدانی اللّه الیه من طریق النّجاه فی هذا الزّمان الّذی اشتبه علی النّاس الطرق، و أظلم علیهم المسالک، و استحوذ الشّیطان علی أولیائه فأوردهم المهالک، فنصب الشّیطان و أحزابه من الجنّ و الانس

على طريق السّالكين فخوخهم و مصائدهم يمينا و شمالا، و مشوا لهم على مثال الحقّ بدعه و ضلالا، فوجب علىّ أن ابيّن لهم مناهج الحقّ و النجاه بأعلام نيّره و دلائل واضحه و إن كنت على وجل من فراعنه أهل البدع و طغاتهم.

فاعلموا يا اخوانى أنّى لا الوكم نصحا و لا أطوى عنكم كشحا فى بيان ما ظهر لى من الحقّ و ان ارغمت منه المراغم، و لا أخاف فى اللّه لومه لائم.

و ساق الكلام فى فضل النّبى و أهل بيته سلام اللّه عليه و عليهم و كونهم المقصودين من ايجاد عالم الوجود و المخصوصين بالشفاعه الكبرى و المقام المحمود و انّهم وسايط الفيوضات النّازله و النّعم الواصله من اللّه سبحانه إلى عباده فى هذه النّشأه و النّشأه الاخره، إلى أن ذكر وجوب متابعه النّبى بنصّ قوله تعالى: «وَ ما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ ما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » فى اصول الدّين و فروعه و امور المعاش و المعاد ثمّ ذكر أنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أودع حكمه و معارفه و أحكامه و آثاره و ما نزل عليه من الايات القرآنيه و المعجزات الرّبّانيّه فى أهل بيته، ثمّ إنّهم تركوا بيننا أخبارهم فليس لنا فى هذا الزّمان إلّا التّمسك بأخبارهم و التّدبّر فى آثارهم، فترك النّاس فى زماننا آثار أهل بيت نبيّهم و استبدّوا بارائهم، فمنهم من سلك مسلك الحكماء الّذين ضلّوا و أضلّوا و لم يقرّوا بنبىّ و لم يؤمنوا بكتاب، و اعتمدوا على عقولهم الفاسده و آرائهم الكاسده فاتخذوهم أئمّه و قاده، و معاذا اللّه أن يتكل النّاس على عقولهم فى اصول العقائد فيتحيّرون فى مراتع الحيوانات إلى أن قال:

و طائفه من أهل دهرنا اتّخذوا البدع دينا يعبدون اللّه به و سموه بالتصوّف فاتّخذوا الرّهبانيه عباده مع أنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد نهى عنها و أمر بالتزويج و معاشره الخلق و الحضور فى الجماعات و الاجتماع من المؤمنين فى مجالسهم و هدايه بعضهم بعضا و تعلّم أحكامها و تعليمها، و عياده المرضى و تشييع الجنائز و زياره المؤمنين و السّعى فى حوائجهم و الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامه حدود اللّه و نشر

أحكامه، و الرّهبانيّه الّتى ابتدعوها تستلزم ترک جميع الفرائض و السّنن ثمّ انّهم فى تلک الرّهبانيه أحدثوا عبادات مخترعه.

فمنها الـذّکر الّذى هو عمل خاصّ على هيئه خاصّه لم يرد به نصّ و لا خبر و لم يوجد فى کتاب و لا أثر، و مثل بدعه محرّمه بلا شکّ و لا ريب قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم کلّ بدعه ضلاله و کلّ ضلاله سبيلها إلى النّار.

و منها الذّکر الجلىّ الّذى يتغنّون فيه بالاشعار و يشهقون شهيق الحمار، يعبدون اللّه تعالى بالمکاء و التّصديه، و يزعمون أن ليس عباده إلّا هـذين الـذّکرين المبتدعين، و يترکون جميع السّـنن و النّوافل و يقنعون من الصّـلاه الفريضه بنقره کنقره الغراب و لو لا خوف العلماء لکانوا يترکونها رأسا.

ثمّ إنّهم امّه لاـ يقنعـون بالبـدع، بـل يحرّفـون اصول الـدّين و يقولون بوحـده الوجود، و المعنى المشـهور فى هـذا المسـموع من مشايخهم کفر باللّه العظيم، و يقولون بالجبر و سقوط العبادات و غيرها من الاصول الفاسده السخيفه.

فاحـذروا يـا اخوانى و احفظوا ايمانکم و أديانکم من وساوس هؤلاء الشّـياطين و تسويلاتهم، و ايّاکم أن تنخـدعوا عن أطوارهم المتّصفه الّتى تعلّقت بقلوب الجاهلين.

فهـا أنـا ذا احرّر مجملا ما تبيّن لى من الأخبار المتواتره من اصول المـذهب لئلا تضـلّوا بخـدعهم و غرورهم، و اتمّم حجّه ربکم عليکم و اؤدّى ما وصل إلىّ من مواليکم إليکم ليهلک من هلک عن بيّنه و يحيى من حى عن بيّنه، و أتلو عليکم ما أردت ايراده فى بابين:

الباب الأوّل فيما يتعلّق باصول العقائد، و ساق الکلام فيه على اصول المتشرّعه، و قال فى تضاعيفه و القول بحلوله تعالى فى غيره کما قال بعض الصوفيه و الغلاه أو اتّحاده مع غيره کما قاله بعض الصّوفيّه کفر إلى أن قال:

البـاب الثّـانى فيمـا يتعلّق بکيفيّه العمـل، قـد علمت يا خليلى ما أثبتناه أوّلا من لزوم متابعه أهل بيت العصـمه سـلام اللّه عليهم فى أقوالهم و أفعالهم و التّدبّر

فی أخبارهم و آثارهم.

فاعلم انّ الخیر کلّ الخیر وجدنا فی أخبارهم إذ ما من حکمه من الحکم الالهیّه إلّا و هی فیها مصرحه مشروحه لمن أتاها بقلب سلیم و عقل مستقیم، لم یعوج عقله بسلوک طریق الضّلال، و لم یأنس فهمه بأطوار أهل الزّیغ و الرّدی.

و طریق الوصول إلی النّجاه و الفوز بالسّعادات ظاهره بینه فیها لمن رفع غشاوه الهوی عن بصیرته، و توسل إلی ربّه فی تصحیح نیته، و قد قال اللّه تعالی:

«وَ الَّذِینَ جاهَدُوا فِینا لَنَهْدِیَنَّهُمْ سُبُلَنا » و محال أن یخلف اللّه وعده إذا أتی اللّه من الأبواب التی أمر اللّه أن یؤتی منها.

فالذی یجب أوّلا للسالک إلی اللّه أن یصحّح نیته، لأنّ مدار الأعمال فی قبولها و کمالها علی مراتب النیات و لا یتأتی ذلک إلّا بالتوسل التام بجنابه تعالی و الاستعاذه من شرّ الشیاطین و غلبه الأهواء إلی أن قال: فاذا توسل السالک بجنابه تعالی و صحّ نیته بقدر الجهد فی بدو الأمر یطلب ما یعلم أنّ خیر آخرته فیه و لا یبالی بأن یعدّه أهل الزّمان و جهله الدّوران حشویا أو قشریا أو زاهدا خشکا أو ینسبونه إلی الجهل.

و إذا کان بهذه المنزله یظهر له الحقّ عیانا فینبغی أن یبتغی بعد ذلک معلما مستأنسا بکلام أهل البیت و أخبارهم مصدّقه إلیها لا من یؤوّل الأخبار بالاراء بل من صحّ عقایده عن الأخبار و یشرع فی طلب العلم ابتغاء وجه اللّه و طلب مرضاته و یتدبر فی أخبار أهل البیت علیهم السّلام و یکون مقصده التحصیل، فلا العمل ینفع بدون العلم کما ورد عن الصادق علیه السّلام أنّ العامل علی غیر بصیره کالسائر علی غیر الطریق لا یزیده سرعه السیر إلّا بعدا، و لا العلم ینفع بدون العمل کما روی من عمل بما علم ورّثه اللّه علم ما لم یعلم.

ثمّ ساق الکلام فی المواظبه علی العلم و العمل من الصلاه و الأدعیات المأثورات و المناجاه المعروفه بالانجلیه و دعاء کمیل النخعی و غیرها و الصحیفه الکامله جلّها بل کلّها إلی أن قال:

ثمّ انّ أعظم سعادات النفس الأخلال الحسنه الزكيه من المصافاه و الجود و السخاوه و الاخلاص و المسكنه و غيرها من الأخلاق الحسنه التى استحسنها الشرع و العقل.

و أقوى مهلكات النفس الأخلاق الذميمه الرديه من البخل و الجبن و الكبر و العجب و الرّياء و الغضب و الحقد و غيرها من الملكات الرّديه التى استقبحها العقل و الشرع، فيجب على الانسان التخلّى عن الأخلاق السيئه و التحلّى بالأطوار المرضيه.

و زعمت الصّوفيّه أنّها يحصلان بترك المألوفات، و الاعتزال عن الخلق و ارتكاب المشاق، و ملازمه الجوع المنهمك و السّهر الدّايم و ساير ما هو طورهم و دأبهم.

و إنّى وجدت من يقاس تلك الشّدايد منهم تزيد أخلاقها الرّديه و تقل أخلاقها الحسنه إذ يغلب عليه السّوداء فلا يمكن لأحد أن يتكلّم معهم بكلمه لسوء خلقهم و يقوى تكبّرهم و عجبهم بحيث يظنّون أنّهم تجاوزوا عن درجه الأنبياء و يبغضون جميع الخلق و يستوحشون منهم و كذا ساير صفاتهم لكن لا يظهر ذلك للخلق لعدم معاشرتهم و معاملتهم معهم.

و منها ما قاله فى ديباجه مرآت العقول فى شرح أخبار آل الرّسول:

إنّى لمّا ألفيت أهل دهرنا على آراء مشتّته و أهواء مختلفه قد طارت بهم الجهالات إلى أركانها، و قاصت بهم الفتن فى غمارها، و جذبتهم الدّواعى المتنوّعه إلى أقطارها و حيّرتهم الضّلاله فى فيافيها و قفارها.

فمنهم من سمّى جهاله أخذها من حثاله من أهل الكفر و الضّلاله لشرايع النّبوّه و قواعد الرّساله حكمه، و اتّخذ من سبقه فى تلك الحيره و العمى أئمه يوالى من والاهم، و يعادى من عاداهم، و يفدى بنفسه من اقتفى آثارهم، و يبذل نفسه فى إنكار من أنكر آراءهم و أفكارهم، و يسعى بكلّ جهد فى إخفاء أخبار الأئمّه الهاديه صلوات اللّه عليهم و إطفاء أنوارهم، و يأبى اللّه إلاّ أن يتمّ نوره و لو

کره المشرکون.

و منهم من یسلک مسلک أهل البدع و الأهواء المنتهمین إلی الفقر و الفناء فلیس لهم فی دنیاهم و آخرتهم إلّا الشّقاء و العناء، فضحهم اللّه عند أهل الأرض کما خذلهم عند أهل السّماء، فهم اتّخذوا الطعن علی أهل الشرائع و الأدیان بضاعتهم و جعلوا تحریف العقائد الحقّه و صرف النّوامیس الشرعیّه من سماتها بضمّ البدع إلیها صناعتهم.

و منهم من تحیّر فی جهالته یخطفهم شیاطین الجنّ و الانس یمینا و شمالا، فهم فی ریبهم یتردّدون عمیانا و ضلالا فبصر اللّه نفسی بحمده تعالی هداها فألهمها فجورها و تقویها، فاخترت طریق الحقّ إلی آخر ما قال.

و منها ما ذکره فی أواخر کتاب عین الحیاه الّذی ألّفه بالفارسیّه فی شرح قول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لأبی ذرّ رضی اللّه عنه: یا با ذر یکون فی آخر الزّمان قوم یلبسون الصّوف فی صیفهم و شتائهم یرون أنّ لهم الفضل بذلک علی غیرهم اولئک یلعنهم ملائکه السّماوات و الأرض، یا با ذر ألا اخبرک بأهل الجنّه؟ قلت: بلی یا رسول اللّه قال: کلّ أشعث أغبر ذی طمرین لا یؤبه به(۱) لو أقسم علی اللّه لأبرّه قال (ره) ما ترجمته:

اعلم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لمّا کان عالما بالوحی الالهی بجمیع العلوم، و مطلعا بالامور الغیبیّه فمدح الفقر و التواضع لعلمه بأنه یأتی بعده قوم من أهل البدعه و الضلاله یلبسون هذا اللّباس أی لباس الصوف مکرا و تذویرا لیخدعون الناس فذکر صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علامتهم و أنهم ملعونون لئلا یغترّ الناس بهم، و هذه العلامه مخصوصه بالفرقه الضاله المبتدعه الصوفیه.

و هذا الکلام من جمله معجزاته حیث أخبر بهم قبل وجودهم فلا ریب فی حقیّه هذا الکلام المتضمّن للاعجاز فمن أنکره فعلیه لعنه اللّه تعالی و رسوله.

و لیس منشاء استحقاقهم للّعن هو لبس الصوف بل لما کان یعلم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالوحی

۱- (۱) - أی لا یلتفت إلیه م

الالـهی أنّ هـذه الفرقه یبطلون شـرعه و یهـدمون أسـاس دینه و یعتقـدون فی العقائـد بالکفر و الزّنـدقه و یترکون فی مقام العمل الموظفات الشـرعیه و یعملون البـدعات و المخترعات و یصـرفون الناس عن العبادات، لعنهم لذلک و وصـفهم بعلامتهم لیعرفهم الناس و یحذروا منهم.

فاکشف أیها العزیز عصابه العصبیّه من عینک، و انظر بنظر الانصاف و الاعتبار إلی کلامه صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فانّه کاف فی ظهور بطلان مذهب هذه الطّایفه فضـلا عن الأحادیث الکثیره الوارده تصـریحا و تلویحا فی بطلان أطوارهم و أعمالهم، و ذمّ مشایخهم و أکابرهم.

و قد ذمّهم أکثر علماء الشیعه من المتقدّمین منهم و المتأخرین و صنّف بعضهم کتابا فی الرّدّ علیهم.

مثـل علیّ بن بـابویه «قـد» الّـذی کـان بینه و بین صـاحب الأـمر علیه السّـلام مکاتبات، و ولـده الصّـدوق محمّـد بن بابویه رئیس المحدّثین الّذی کانت ولادته ببرکه دعاء صاحب الأمر علیه السّلام و هذا الدّعاء متضمّن لمدحه أیضا.

و مثـل شـیخ المفیـد عمـاد مـذهب الشّـیعه الّـذی کـان أکثر الفضـلاء و المحـدّثین من تلامـذته و خرج التّوقیع من صاحب الأمر صلوات اللّه علیه و هذا التّوقیع أیضا متضمّن لمدحه.

و مثل الشیخ الطوسی «قد» الّذی هو شیخ الطایفه المحقّه و أکثر أحادیث الشیعه إلیه منسوبه.

و مثل العلامه الحلّی «قد» المشهور علما و فضلا فی الافاق.

و مثل الشـیخ الشـهید، و الشیخ علی فی کتاب مطاعن المجرمیّه، و ابنه الشیخ حسن فی کتاب عمده المقام، و الشیخ العالی القدر جعفر بن محمّـد الدوریستی فی کتاب الاعتقاد، و ابن حمزه فی کتب عدیده، و السـیّد مرتضـی الرازی فی کتب متعدّده، و زبده العلماء و المتورّعین مولینا المقـدّس أحمد الأردبیلی قدّس اللّه أرواحهم و شـکر اللّه مساعیهم و غیرهم من علماء الشّـیعه رضوان اللّه علیهم

و نقل كلام هؤلاء الأفاضل و الأعيان و ما أوردوه من الأخبار فى ذلك الباب موجب لتطويل المقال، و أكتب إنشاء اللّه كتابا مستقلا فى ذلك.

فان كنت معتقدا بيوم الدّين فأعد حجّتك لغدك حتّى يكون لك جواب صحيح و عذر مقبول إذا احتجّ اللّه سبحانه و تعالى عليك.

و ما أدرى بعد ورود الأخبار الصحيحه الصّريحه من أهل بيت الرّساله عليهم السّلام و شهاده هؤلاء الأعاظم و الأجلّه من علماء الشيعه على بطلان طريقه هذه الطائفه بأىّ عذر تعتذر عند اللّه سبحانه فى متابعتهم.

أ فتقول: كنت تابعا للحسن البصرى الّذى قد وردت أحاديث عديده فى لعنه؟ أو تابعا لسفيان الثّورى المعلن بعداوه الصّادق عليه السّلام و المعارض له دائما؟ أو تابعا لأبى حامد الغزالى النّاصب يقينا الّذى كان يقول فى كتبه بالمعنى الّذى كان علىّ إماما أنا أيضا إمام؟ و يقول: اللّاعن على يزيد لعنه اللّه مذنب، و كتب كتبا فى اللّعن و الرّد على الشيعه مثل كتاب المنقذ من الضّلال و غيره.

أو تابعا لأخيه الملعون أحمد الغزالى الّذى كان يقول: إنّ الشّيطان من أكابر أولياء اللّه؟ أو متشفعا بالملا الرّومى الّذى يقول: إنّ أمير المؤمنين يشفع لابن ملجم المرادى عليه اللعنه و العذاب و يدخله الجنّه و كان عليه السّلام يقول له: لم يكن لك ذنب و إنّما كان المقدّر ذلك و كنت مجبورا فى هذا العمل يعنى قتله عليه السّلام، و ليست صفحه من صفحات المثنوى إلّا مشعره بالجبر أو وحده الوجود أو سقوط العبادات أو غيرها من العقائد الفاسده، و كما هو المشهور بين أتباعه و تلقوه منه بالقبول: أنّ الدّفّ و الطنبور و المزمار من جمله العبادات.

أو كنت ملتجئا بمحيى الدّين الملعون الّذى سمعت سابقا خرافاته و فضايحه و كان يقول: إنّ جماعه من أولياء اللّه يرون الرّفضه على صوره الخنزير، و يقول:

رأيت فى المعراج درجه علىّ أسفل من درجه أبى بكر و عمر و عثمان، و رأيت أبا بكر فى العرش، فلمّا رجعت قلت لعلىّ كيف كنت تدّعى فى الدّنيا أنّك أفضل من

هؤلاء و قد رايت انّک أسفل درجه منهم؟ و هذا الملعون و غيره کم لهم من هذه الکلمات الزّيفه ذکرها موجب للاطناب، فلو خدعت من دعاويهم العظيمه فلم لا تفکّر فی أنّ منشاتها لعلّه حبّ الدنيا الدّنيّه.

و إن شئت اختبار من ادّعی أنّه يعلم جميع الأسرار الغيبيّه بالکشف و أنّه يعرج کلّ ليله عشر مرّات إلی العرش فاسأل عنه مسأله من شکوک الصلاه أو من المواريث أو حديثا مشکلا من الأحاديث فان کان صادقا فيما ادّعاه فيجيبک عن هذه المسائل أيضا.

و قد روی عن الصّادق عليه السّلام بسند صحيح أنّه قال: علامه الکذّاب أنّه يخبرک بأخبار السّماء و الأرض و المشرق و المغرب، و لئن سألته عن الحلال و الحرام لا يعلم.

و العجب أنّ هذا الرّجل الّذی يدّعی أنّه يعرف وحده الوجود علی غموضها مع قصور عقول جميع الفضلاء الأذکياء من فهمها کيف لا يعرف معنی سهلا و لو لقن عليه خمسين مرّه، و کيف لا يفهم أولو الأفهام الثّاقبه ما ادّعی ذلک الرّجل فهمه.

و أيضا فانّهم مع اعترافهم باجتماع الکشف مع الکفر کما فی کفّار الهند فعلی فرض صحّه ما ادّعوه من الکشف و أنّ له حقيقه فأیّ منقبه فی هذا الکشف و أیّ دلاله فيه علی فضل صاحبه و کماله.

و لمّا کان مجال الکلام فی هذا المرام واسعا اقتصرت فی هذا المقام علی ذلک و اوردت فی أوّل الکتاب و فی مواضع عديده منه ما فيه کفايه لطالب الهدايه.

ثمّ ختم المقام «قد» بذکر أحاديث متضمّنه للطّعن و الازراء عليهم و سنشير إلی بعضها إنشاء اللّه فی المقام الاتی فانتظر.

و ذکر قدّس اللّه روحه أيضا فی هذا الکتاب فی شرح قوله صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: يا با ذر جعل اللّه جلّ ثناؤه قرّه عينی فی الصلاه آه لمعات عشر متضمّنه للطعن و الملام علی هذه الطائفه، و قال فی اللّمعه العاشره المتضمّنه لبيان معنی الذکر بعد جمله من الکلام ما ترجمته:

و اعلم أنه قد شاع بين الصّوفيّه نوعان من الذّكر و كلاهما بدعه و هم يزعمون أنّهما من أفضل العبادات و يصرفون أوقاتهم فيهما و يضلّون النّاس بالمداومه عليهما الاول الذّكر الجلىّ و هو مشتمل على امور.

الأوّل أنّ هذا النوع من العباده لم يتلقّ من الشّارع بل الأدلّه من الايات و الأخبار فى كيفيّه الذّكر الجلىّ قائمه على خلافه قال سبحانه: «اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَهً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ » و قال: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ وَ لا تَكُنْ مِنَ الْغافِلِينَ » و نقل جمله من الأخبار ثمّ قال:

الثانى أنّهم يتغنّون فيه و يترنّمون فى خلاله بالأشعار و الغزليّات العشقيّه بالنغمات الموسيقيّه و هو حرام باجماعنا فضلا عن أعمالهم الشّنيعه الّتى يظهرونها فى أثناء الذّكر من التّصفيق و الرّقص و نحوهما، و قد ذمّ اللّه كفار المشركين على ذلك.

الثالث أنّهم يأتون بذلك فى المساجد مع أنّ إنشاد الأشعار فى المساجد مذموم شرعا و قد روى بسند معتبر عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، أنّه قال: من سمعتموه ينشد الشعر فى المساجد فقولوا له فضّ اللّه فاك إنّما نصبت المساجد للقرآن و قد ورد النّهى أيضا من رفع الصّوت فيها و هم يعملون غالب تلك الأعمال فى ليله الجمعه و يومها مع أنّ إنشاد الشّعر فيهما مكروهه.

و لو قيل لهم: إنّ هذه الأعمال تشريع و بدعه يقولون: يحصل لنا منها قرب معنوى و يسمّونه بالحال، و ساق الكلام فيه إلى أن قال:

و لا دليل أعظم و أحكم على كون ذلك كلّه بدعه أنّه لم ينقل أحد من الشيعى و السّنى و الصّوفى و غير الصّوفى أنّ رسول اللّه و الأئمّه عليهم السّلام أو أصحابهم أو روات أخبارهم و علماء ملّتهم كان لهم مطرب يطربهم و يترنّم لهم أو كان لهم حلق الذّكر عقدوها، أو أمروا أصحابهم بعقدها، و لو كانت هذه عباده لها وقع فلم لم يأمروا أصحابهم بها.

نعم البدعات أحلی و ألذّ و العبادات ثقیله علی النّفس.

ألا ترى أنّه لو قال لهم خمسون من العلماء العدول: إنّه قد تواتر عن الصادق علیه السّلام أنّه قال: من صلّی لیله الجمعه صلاه جعفر غفر اللّه له ذنوبه مضافا إلی ما فیها من الفضایل الغیر المتناهیه لم یرغب إلیها واحد من عشره آلاف من النّاس؟ و أمّا إذا مرّوا ببقعه اجتمع فیها جماعه من الأجلاف و یصیحون یا ربّی یا ربّی، فیدخلون فی حلقتهم بتمام المیل و الرّغبه و یثبون و ثوبهم من أوّل اللیل إلی الصباح.

فهلا تفکّر فی أنّه أیّ یوم کانت لک هذه الرّغبه و الاقبال علی الخیرات؟ و لم لا تهتمّ بساير الخیرات مثل اهتمامک بها؟ فعلیک بالانصاف إذا کان قد ورد من أهل بیت النّبوه علیهم السّلام زهاء ألف حدیث فی أعمال لیله الجمعه و یومها و علّموک فیها الوفا من طرق العبودیّه و القربی فلا تعبأ بشیء منها أصلا بل تصرّف تمام تلک اللیله و الیوم فی عمل یحکمون جمیع علماء زمانک بحرمته مضافا إلی اعترافک بأنّه لم یرد به نصّ.

فأیّ عذر لک فی ذلک عند اللّه تعالی؟ و بأیّ جهه ترجو الثواب من اللّه؟ و أنت إذا أردت تعقیب صلاه مندوب شرعا تضمّ إلیه بدعات عدیده أ بهذا تستحقّ الثواب أم بترککک الأوراد و الأذکار و الأدعیات و المناجاه المأثوره من أهل بیت الرّساله سلام اللّه علیهم البالغه إلی مأئه ألف بیت؟ و باقبالک علی قراءه الأوراد الفتحیه الّتی جمعها جماعه من أهل السنه علی معان غیر مرتّبه و ألفاظ مغلوطه خالیه من قواعد الأدبیّه.

أفهولاء الجهّال من العامّه العمیاء کانوا أعرف بمناجاه الرّب المتعال و ذکره من قاده الدّین و أصفیاء ربّ العالمین و أفصح فصحاء أهل الأرضین.؟ و قد کان الأنبیاء و الرّسل یتمنّون متابعتهم و الدّخول فی زمره شیعتهم و أنت تستنکف عن اتباعهم و تقبل علی تلک الأذکار المخترعه و تترنّم بقراءتها، و تضیف معصیه الغناء إلی معصیه البدعه.

و قد روی انّه جاء رجل إلی الصادق علیه السّلام فقال له: اخترعت دعاء، فقال علیه السّلام

دع ما اخترعت و اقرء ما نقول.

الثانی الذّکر الخفی، و هو بالمعنی الّذی قدّمناه سابقا من أفضل العبادات، و هو أن یکون متذکر اللّه سبحانه دائما فی مقام المصیبه فیصبر عنها، و فی مقام الطاعه فیقوی علی مشاقها، و فی مقام المعصیه فیکفّ نفسه عنها.

و أمّا بالوجه الّذی اخترعه هذه الطائفه علی هیئه مخصوصه فممّا لم یثبت له سند صحیح من الشّارع، فالاتیان بهذه الهیئه بقصد العباده بدعه محرّمه کما علمت فی تعریف البدعه، و لم یرد تلک الهیئه فی حدیث من أحادیث الشیعه بل لم أجده فی کتب أخبار العامّه أیضا.

و هؤلاء یقولون: رواه المعروف الکرخی عن الرّضا علیه السّلام، و هو باطل من وجوه:

الأوّل أنّه لم یثبت وصول المعروف الکرخی إلی خدمه الرّضا علیه السّلام و ما یقولون من أنّه کان بوّابا له علیه السّلام غلط البتّه لضبط أصحابنا علماء الرّجال فی کتبهم جمیع خدّامه علیه السّلام و ملازمی حضرته شیعیّا کان أم سنیّا حتّی ذکروا فی تلک الکتب المتردّدین إلی حضرته من متعصّبی العامّه الّذین رووا عنه الحدیث، فلو کان هذا الرّجل بوّابا له لنقلوه البتّه.

الثانی أنّ داود الطائی قد ذکر فی تذکراته مشایخ طریقته، و المعلوم من أحواله أنّه کان من متعصبه العامه و لم یکن له أصلا توسل بالأئمه علیهم السّلام.

الثالث أنّ السّند الّذی یسندون باعتقادهم إلیه فیه جماعه لا یعجبنی ذکر قبایح اعتقاداتهم و أعمالهم، مثل السّید محمّد نور بخش و هو کما فی الکتب الصوفیّه قال:

إنّی المهدیّ صاحب الزّمان، و قال: اتّفق اولو الألباب علی ذلک، و کغیره ممّن هو معروف بالعصبیّه و البدعه.

الرّابع أنا قد سمعنا من مشایخهم أنّ الذّکر الخفیّ أنواع مختلفه أخذه أهل کلّ طریقه بنحو مخصوص من مشایخهم یغایر ما أخذه أهل الطریقه الاخری من شیخهم، فلو کانت صحیحه النّقل عن الأئمه علیهم السّلام لکان المنقول واحدا لا متعدّدا.

الخامس أنّه إذا كان هذه الاذكار من أفضل العبادات على ما يزعمون و يقولون إنّه يحصل بها مزيد قرب ليس فى الصلاه فكيف يمكن أن يضنّ بها الأئمه عليهم السّلام و يخصّون المعروف الكرخى فقط بها و لا يعلّمونها لغيره؟ فان قلتم: غيره لم يكن قابلا بذلك و إنّما كان المعروف بين جميع أصحاب الرّضا عليه السّلام قابلا لذلك المقام لعلوّ درجته.

قلت: إذا كان كذلك فلم تعلّمونها أنتم كلّ بليد أحمق؟ السادس لو كان معروف قابلا لهذا السرّ و لم يكن سلمان و لا أبو ذر رضى اللّه عنهما قابلين له، لزم أن يردّ من الأحاديث الكثيره البالغه إلى خمسمائه بل إلى ألف حديث وارد فى شأن سلمان و أبى ذرّ حديث أو حديثان فى شأن ذلك الرّجل، و لزم أن يعده واحد من العلماء من خواصّ أصحاب الرّضا عليه السّلام و ليس فليس.

السابع أنّه على فرض تسليم وروده فهو حديث مجهول، و ليس وظيفه الحزم و الاحتياط فى الدّين أن يرفع اليد من الأعمال المتواتره الثبوت من الأئمه عليهم السّلام و يواظب على عمل رواه رجال مجهوله الحال فنقتصر فى المقام على ذلك لأنّ التّطويل موجب للملال. انتهى ما أهمّنا نقله من كلامه زاد اللّه فى إكرامه و قد ذكر فى أوائل الكتاب المذكور أيضا فصلا وافيا فى هذا الباب طوينا عن نقله حذرا من الاطناب، و فيما نقلناه كفايه لمن اهتدى و ابتغى الرّشد و الصواب، ثبّتنا اللّه و إيّاكم على الصلاح و السداد، فى القول و الاعتقاد بمحمد و آله الأمجاد.

و منهم وحيد العصر فى الزّهد و الورع و الأمانه، و فريد الدّهر فى الفضل و التقدّس و الدّيانه، صاحب الملكات القدسيّه و الصّفات الملكيّه، و مظهر المقامات الزّاهره و الكرامات الباهره، الواصل إلى حضره وليّ الرّحمن سيّد الانس و الجان إمام العصر و الزّمان سلام اللّه عليه و على آبائه، العالم العلم الفقيه المتكلّم الأوحد مولينا أحمد بن محمّد المعروف بالمقدّس الأردبيلى أفاض اللّه على تربته أنوار رحمته فقد ذكر فصلا مفصّلا فى المجلّد الثانى من كتاب حديقه الشيعه عند ذكر أحوال

الصادق علیه السّلام فی مطاعن الصوفیّه و شرح أحوالهم و تفصیل فرقهم المختلفه من أراد الاطلاع علیها فلیراجع إلیه، و لا باس بالاشاره إلی بعض ما أورده «قد» هناک بغایه تلخیص و اختصار منّا فأقول:

إنّه ذکر أنّ أصل مذهب الصوفیّه من مخترعات العامّه و إنّ أوّل من تسمّی بهذا الاسم أی بالصوفی هو أبو هاشم الکوفی، من أجل لبسه بالصوف و کان قائلا بالحلول و الاتّحاد مثل النصاری لکن النصاری قالوا بالحلول فی عیسی علیه السّلام و هذا الملعون ادّعی الحلول فی حقّ نفسه، و کان فی الظاهر امویّا جبریّا و فی الباطن ملحدا دهریّا و کان غرضه من وضع هذا المذهب هدم مذهب الاسلام و قد ورد من الأئمه علیهم السّلام أحادیث عدیده فی الطعن علیه فنسب إلیه التّابعون له و قیل لهم صوفیه ثمّ ساق الکلام فی سایر اسمائهم حسبما حکینا عنه «ره» فی المقام الثانی إلی أن قال:

و أکثر هذه الطایفه فی الظاهر علی مذهب أحمد بن حنبل و مالک یعملون فی الفروع بعملهم، و کان الشبلی مالکیا و ذو النون تلمیذا لمالک و کثیر منهم فی الباطن کافر ملحد إلی أن قال:

و قد ورد من الأئمه علیهم السّلام أحادیث کثیره فی الردّ علی هذه الطائفه المبتدعه.

و أکثرها من الصادق علیه السّلام، و قد ورد اللّعن علیهم فی أخبار کثیره مرویّه عن الأئمه علیهم السّلام بل عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا، و قد أخبروا بأنّ اللّه سبحانه یلعنهم و الملائکه أیضا یلعنون ثمّ نقل بعض الأخبار ثمّ عقد بابا فی بیان مذاهبهم و قال فیه:

اعلم أنّ مذاهب الصوفیّه کثیره فقیل: إنّ أصل تلک المذاهب أربعه و الباقیه متفرّعه علیها اول تلک الأربعه مذهب الحلولیه و الثانی مذهب الاتّحادیه و الثالث مذهب الواصلیّه و الرابع مذهب العشّاقیّه.

و قیل: إنّ اصول مذهبهم ستّه و أضافوا إلی الأربعه التلقیه و الزراقیه و قیل: سبعه و أضافوا إلیها الوحدتیه المأخوذه من القول بوحده الوجود ثمّ قال:

و الحقّ أنّ أصل مذهبهم اثنان: القول بالحلول، و القول بالاتّحاد، و البواقی متفرّعه علیهما فالکلام فی فصلین الفصل الأوّل فی بیان المذهبین.

الأوّل فی مذهب الحلولیّه، فانّهم یقولون: إنّ اللّه سبحانه قد حلّ فینا و حلّ أیضا فی أبدان جمیع العارفین، و بطلان مذهبهم ظاهر لأنّ کلّ عاقل یعلم علما قطعیّا بأنّ الحالّ محتاج إلی المحلّ، و الضّروره قاضیه بأنّ کلّ محتاج ممکن فلو کان سبحانه حالاّ فی غیره لزم أن یکون ممکنا لا واجبا نعوذ باللّه من هذا الاعتقاد.

الثانی مذهب الاتّحادیه، و هم یقولون: إنّا قد اتّحدنا مع اللّه سبحانه و کذا اتّحد اللّه تعالی بنا، و العقل أیضا قاض ببطلان هذا المذهب، و هم یشبهون اللّه سبحانه بالنّار و أنفسهم بالحدیده المحماه بملاقاه النّار.

و هذا محض الکفر و الزّندقه إذ من له أدنی مسکه من العقل یعلم قطعا أنّ تبدّل طبیعه ممکن بممکن آخر أو صورته بصورته لا یستلزم تبدّل الوجوب بالامکان و الامکان بالوجوب و کون الواجب ممکنا و الممکن واجبا، و کیف یقاس الواجب بالممکن و الممکن بالواجب؟ و صاحب هذا الاعتقاد کالمعتقد بالحلول کافر خارج من الدّین، ملحد زندیق لعین، و علی اعتقاد کلتا الطائفتین یلزم تعدّد الاله و تکثّره، لجواز أن یکون فی کلّ عصر ألف عارف و زیاده.

و قال صاحب کتاب بیان الأدیان: إنّ القول بالحلول و الاتّحاد بعد الجرمانیّه من الصائبه قد نشأ من النصاری فأخذه منهم غلاه الشیعه یعنی الذین یقولون فی الأئمه الاثنی عشر بالالوهیّه، و غلاه أهل السنه یعنی الصوفیّه الّذین یقولون فی مشایخهم بالالوهیّه، و لیس مذهب من المذاهب أقرب إلی مذهب النصاری من هذین المذهبین، انتهی کلام صاحب بیان الأدیان.

و اعلم أنّ متقدّمی الصوفیّه کأبی یزید البسطامی و حسین بن منصور الحلاج کانوا علی أحد هذین المذهبین، و لاعتقادهم هذا الاعتقاد الفاسد یعنی الغلوّ عدّهم أکثر علماء الشیعه کالمفید و ابن قولویه و ابن بابویه قدّس سرّهم من الغلاه، سواء قالوا بالحلول أو بالاتّحاد، و هم غلاه النّواصب و أکثر طوایف الغلاه.

و تجاوز بعض متأخّری الاتّحادیه کمحیی الدّین الأعرابی و الشیخ عزیز النسفی و عبد الرّزاق الکاشی عن الحدّ فی الکفر و الالحاد، و قالوا بوحده الوجود و أنّ کلّ موجود هو اللّه، تعالی اللّه عمّا یقول الملحدون علوّا کبیرا.

و عله تمادی هذه الطایفه فی الکفر و الطغیان أنّهم لمّا طالعوا کتب الفلاسفه و اطلعوا علی قول أفلاطن القبطی و أتباعه فاختاروا بغایه الضّلال مقالهم، وکیلا یتفطّن أحد بأنّهم لصوص مقالات الفلاسفه و اعتقاداتهم الفاضحه الفاسده غیّروا لباس ما قالوا، و لبّسوه بلباس آخر و سمّوه بوحده الوجود، و لمّا سئلوا عن معنی هذه الکلمه قالوا تلبیسا و خدیعه إنّ هذا المعنی لا یمکن الافصاح عنه بالبیان، و لا یحوم حوم تقریره اللّسان، و إنّما یدرک بالرّیاضات و المجاهدات الکامله و خدمه الکملین من مشایخ الطریقه، فحیّروا بذلک الحمقاء من النّاس، و ضیّع السفهاء منهم أوقاتهم فی فهمه و تأویله و أوّلوا هذا الکفر العظیم بتأویلات مختلفه.

ثمّ أشار إلی سایر سرقات الصّوفیّه من مزخرفات الفلاسفه إلی أن قال:

و أمّا ما قاله افلاطن القبطی و متابعوه و تصرّف فیه هذه الطّایفه و سمّوه بوحده الوجود، فهو أنّهم قالوا إنّ العله الأوّل خلق الخلق من نفسه فکلّ موجود خالق و مخلوق خذلهم اللّه تعالی.

الفصل الثّانی فی ذکر بعض فروع مذهبی الصّوفیّه یعنی مذهب الحلول و مذهب الاتحاد و بیان قلیل من عقایدهم.

فاعلم أنّ فروع المذهبین کثیره فلنقتصر بذکر قلیل من عقاید فرقهم البالغه إلی إحدی و عشرین، ثمّ ساق الکلام فیها.

أقول: و لا حاجه بنا إلی نقل تمام ما قاله فیها و إنّما ینبغی نقل ما ذکره «قد» فی

عقايد الفرق الخمس الّتى تقدّمت إليه الاشاره.

الفرقه الاولى الوحدتيّه

و هم قالوا بوحده الوجود و اعتقادهم أنّ كلّ إنسان بل كلّ شيء هو اللّه تعالى شأنه كما اشير اليه، و هم أشدّ كفرا و أعظم خزيا من نمرود و شدّاد و فرعون لاعتقادهم بالهيه جميع الأشياء الغير الطاهره فضلا عن غيرها، فلو سمّيت تلك الفرقه بالكثرتيه كان أبلغ لمبالغتهم فى كثره الطاهره فضلا عن غيرها، فلو سميّت تلك الفرقه بالكثرتيه كان أبلغ لمبالغتهم فى كثره الاله بحيث لا يبقى شيء مما سوى اللّه تعالى إلّا و يقولون إنه اللّه و ان زعموا أنّ الجميع واحد.

و قد ذكر محيى الدّين فى كتبه من ذلك كثيرا لا- سيما فى الفصوص فقال فى الفصّ اللقمانى منه: إنّ الاختلاف بيننا و بين الأشاعره فى العباره، و قال فى الفصوص:

إنّ اللّه لطيف فمن لطافته و لطفه أنه فى الشيء المسمّى بكذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء حتى لا يقال فيه إلّا ما يدلّ عليه اسمه بالتواطوء و الاصطلاح فيقال هذا سماء و هذا أرض و صخره و شجره و حيوان و ملك و رزق و طعام و الحال أنّ العين واحده من كلّ شيء كما تقول الأشاعره إنّ العالم كلّه متماثل بالجوهر فهو جوهر واحد فهو عين قولنا العين واحده، ثمّ قالت أى الاشاعره و يختلف بالأعراض و هو قولنا و يختلف و يكثر بالصور و النسب، انتهى.

و قال فى الفصّ الموسوى: إنّ فرعون عين الحق قد ظهر بهذه الصوره و صريح عبارته هكذا: فصحّ قوله أنا ربّكم الأعلى و إن كان عين الحقّ فالصّوره لفرعون، و قد عرف العطّار فى كتاب الجوهر الذّات و قال أنت أيضا قل مثل أنا الحقّ و ادعى صريحا الالهيّه فى الكتاب المذكور.

و قال محيى الدّين فى أوّل الفتوحات: سبحان من أظهر الأشياء و هو عينها، و طعن عليه علاء الدّوله السّمنانى و هو من مشايخ هذه الطايفه بهذا القول.

أقول: أراد «قد» به ما كتبه علاء الدّوله فى حاشيه الفتوحات فى قوله سبحان من أظهراه ما لفظه: انّ اللّه لا يستحى من الحقّ أيّها الشيخ لو سمعت من أحد أنّه يقول:

فضله الشيخ هو عين وجود الشيخ لا تسامحه البته بل تغضب عليه فكيف يسوغ لك أن تنسب هذا الهذيان إلى الملك الدّيان؟ تب إلى اللّه توبه نصوحا لتنجو من هذه

الورطه الوعره التی یستنکف منها الدّهریون و الطبیعیون و الیونانیون، و السلام علی من اتبع الهدی، انتهی.

قال ره: و استحسن محیی الدّین و الشیخ عزیز النسفی و عبد الرّزاق الکاشی و العطار و ملا الرّومی و جمع کثیر من متأخری الصوفیه و صرّحوا به فی کلامهم نظما و نثرا، و قد شبه هؤلاء الحقّ سبحانه و تعالی بالبحر و الخلق بأمواجه و یقولون: إنّ موج البحر عین البحر، و هم یحبون کلّ من ادّعی الالوهیه کنایه کالقائلین بالحلول و الاتحاد و وحده الوجود، أو صراحتا کفرعون و شدّاد و نمرود، و ما أدری من الذی اشتبه من متأخری الشیعه فی حقّ هولاء حتی اعتقد فیهم الخیر و الصلاح فقلده غیره من متصوّفی الشیعه؟ نعم اعلم أنّ متقدّمی علماء الامامیه قد ذموهم کثیرا و ألفوا کتبا فی مطاعنهم و رووا أحادیث کثیره من الأئمه علیهم السّلام فی کفرهم و الحادهم و بطلان مذهبهم و الرّد علیهم مع أنه لم یکن فی زمانهم قائل بوحده الوجود أصلا.

و العاقل المنصف إن راجع الکافی و لاحظ فیه باب دخول الصوفیه علی أبی عبد اللّه علیه السّلام و احتجاجهم علیه یعرف البته أنّ هذه الطایفه من المخالفین.

و إن لاحظ کتاب الاعتقادات للصّدوق و قوله: إنّ تدیّنهم بترک الصلاه و جمیع الفرائض، و لاحظ قول المفید دینهم ترک الفرائض و المستحبّات و ارتکاب المناهی و المحرّمات، یعلم أنّهم من الزّنادقه و الملحدین.

و الدّلیل علی أنّهم من المخالفین وجوه کثیره.

الأوّل أنّ علماء الشیعه الّذین صنّفوا الکتب فی بیان الفرق الاسلامیّه عدّوهم من المخالفین.

و الثانی أنّ قدماء علماء الشیعه لم یوجد من أحدهم تصنیف فی التّصوف، بخلاف قدماء علماء العامّه فانّ لهم فیه تصانیف کثیره إلی غیر ذلک من الوجوه.

و مع الغضّ عنها نقول: إنّ المعصومین علیهم السّلام لمّا حکموا ببطلان مذهبهم کما یعلم ذلک بالرّجوع إلی روایاتهم المرویّه فی کتب الثقات، لزم أن یتبرّی

الشيعه من هذا القوم الزّائغين عن الحقّ و يتجنّب من عقايدهم.

فان قال قائل: إنى ما عثرت بعد على تلك الكتب و تلك الأخبار.

فالجواب إنّ شرط الاحتياط فى الدّين و وظيفه العبوديّه و التقوى هو التوقّف فى محبّه تلك الطائفه و التّسميه باسمهم و الامساك عن تأويل كلماتهم الكفريّه حتّى يظهر له الأمر الواضح.

و الظاهر أنّ جمعا من غفله الشيعه لمّا رأوا مدح أمير المؤمنين عليه السّلام فى كلامهم انخدعوا من أجل ذلك و لم يعلموا أنّ مذهبهم لو لم يكن الالحاد هو الجبر.

و لازم القول به استحسان كلّشىء و إظهارهم لمحبّته عليه السّلام و مدحهم له من جهه أنّه لما قال: من عرف نفسه فقد عرف ربّه، و أدله هؤلاء الملاحده على وفق مدّعاهم كما قال محيى الدّين فى الفصّ الشعيبى: من عرف نفسه بهذه المعرفه فقد عرف ربّه فانّه على صورته خلقه بل هو عين هويّته و حقيقته فأحبّوه عليه السّلام لذلك و أكثروا من مدحه و ربّما يكون مدحهم من أجل تفتين الشيعه و قد ورد فى الحديث أن لا تفتروا «لا تغتروا ظ» بمدحهم كما هو ظاهر لمن تتبّع الأخبار، و لم يعلم الغافلون المفترون «المغترون ظ» أنّ شرايط محبته عليه السّلام كثيره و ليس طايفه من النصارى و اليهود و ساير أهل الملل الباطله إلّا و لهم مع فساد مذهبهم كلمات حسنه، و لم يفهموا أنّ هذه الطائفه الضاله لهم مع الطايفه المحقه مخالفه كثيره فى الاصول الخمسه كما هو غير خفىّ على المنصف البعيد عن الهوى و العصبيه.

و لو فرضنا اعتقادهم بأنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خليفه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بلافصل و أنّه امام مفترض الطاعه، و لكن قولهم بالهيّه الحسين بن منصور الحلاج السّاحر الكافر، بل الهيّه جميع الموجودات له كمال المنافاه و المباينه بالايمان و الاسلام.

و أيضا فانّهم لمّا كانوا أهل مكر و خديعه يخدعون النّاس عن أديانهم و تقرّب جمع منهم إلى كلّ طائفه باظهار ما هوى تلك الطائفه فيه، كما أنّ الحلاج قبل الافتضاح كان يتقرّب إلى أهل السنّه باظهار السّنيه، و إلى الشيعه باظهار النيابه من

صاحب الزّمان علیه صلوات اللّه الملک المنّان، و إلی السفهاء من النّاس بادّعاء الالوهیّه، و سمّی بعض المفتونین به بأسماء الأنبیاء و فرّقهم فی البلدان یدعون النّاس إلی عبودیّته إلی أن قال:

و من جمله مطاعنهم تأویلهم للأخبار و الایات مثل الملاحده علی مذاهبهم الباطله و قولهم بالجبر و التشبیه و التجسیم و الرّؤیه و الصّوره.

و من جمله مطاعنهم دعویهم علم الغیب و تسمیتهم له بالکشف، و تمادی بعضهم و نسب العلم به إلی براهمه الهند أیضا إلی أن قال:

و ینبغی أن یعلم أنّ هذه الملاحده و المعتقدین بهم کما ورد فی الحدیث ثلاث طوایف: الضّالّون، و الخادعون، و الغافلون، و فی روایه بدل الغافلون: الأحمقون، و فی روایه اخری بدله: الجاهلون.

و ذلک لأنّ من کان عارفا بعقایدهم الباطله و کان مع ذلک معتقدا أیضا بعقیدتهم فهو ضالّ کافر بالأدله العقلیّه و النقلیّه، و من کان عارفا ببطلان عقایدهم غیر معتقد به باطنا إلاّ أنّه یتجاهل ظاهرا و یتسمّی بسمتهم صوره و یسلک مسلکهم تزویرا فهو الخادع المحتال، و غرضه أن یخدع السّفهاء و الجهّال فیخدعوا به و یکونوا مریدا لهم، و من سلک مسلکهم و أخذ بطریقتهم و مال الیهم سفها و حمقا و غفله و جهاله فهو الجاهل الأحمق الغافل فغیر العارف ببطلان عقایدهم و المعترف بحقیّه مذهبهم وقع بسبب جهالته فی الضّلاله، فلو ادّعی مع وجود هذا الجهل للعلم کان جاهلا مرکبا تاه فی متاه الضّلال، و ربّما یغترّ به العوام و یزیغ عن طریق الحقّ و یتیه فی وادی الخذلان.

و العارف بسوء اعتقادهم، و المعتقد علی بطلان مذهبهم، و المطلع علی سوء سریرتهم، و المذعن بفساده باطنا إن مدح مشایخهم ظاهرا لخداع الخلق و باطنا و وصفهم بالزّهد و الصّلاح و المعرفه و الکمال توسّلا بذلک إلی ملاذ الدّنیا، فقد باع دینه بدنیاه، و باء بسخط من اللّه حیث أضلّ الخلق بالدّنیا الدّنیّه و فوّت علی نفسه السعادات الأبدیّه.

و ان كـان العـارف بسوء اعتقـاداتهم مظهرا لحقيّه مـذهبهم و طريقتهم فقـد زاغ عن طريق الحق و أعرض عن دين الامـاميّه و هو أسوء حالا من السابقين.

فلو ادّعى الصوفى التشيع مع التصوّف لا بدّ أن لا تقبله الشيعه منه و أن لا يعدّوه منهم، لأنّه مضطرّ بسبب القول بالحلول و الاتّحاد و وحـده الوجود من القول بـالجبر و الحبّ لليهود و النصـارى و المجوس و التّولى لأـبى بكر و عمر و عثمان و ليزيـد و معاويه و أبى سفيان لعنهم اللّه جميعا، بل حبّ جميع الفساق و الفجار و المشركين و الكفار لأنهم جميعا مجالى الحقّ، بل إن أعلن بعداوه هؤلاء فلا بدّ أن لا يغترّ به الشيعه، بل إن لعنهم أيضا، لأنّ اللعنه عندهم عين الرّحمه، فلعنه اللّه عليهم و على مشايخهم الزّنديقين.

الفرقه الثانيه الواصليه

و هم يقولون: إنـا وصـلنا إلى اللّه تعـالى و اتّصـلنا به، قيـل إنّ هـذا المـذهب أيضـا من اصول مـذاهب الصوفيه كما تقـدّمت إليه الاشاره، و الحقّ أنه من فروع مذهب الاتحاديه لكنهم اختصّوا بأقوال شنيعه و أفعال قبيحه امتازوا بها عن ساير الاتحاديه.

فمن جملتها أنهم يقولون: إنّ الصوم و الصـلاه و الحجّ و ساير التكاليف إنما وضـعها الشارع لتهذيب الأخلاق و تكميل النفوس، و الوصول إلى الحقّ، و نحن قـد هـذّبنا الأخلاـق و حصـل لنا العلم بالأشـياء و المعرفه بالحقّ و الوصول اليه فسـقط عنا التكاليف الشرعيه، فليس شيء بواجب علينا، و جميع المحرّمات حلال فى حقنا.

و منهـا قولهم: بأنّ من وصل إلى هـذا المقام العالى فكلّ ما يصـدر منه من شـرب الخمر و الزّنا و اللواط و السـرقه و غيرها فليس لأحـد الاـعتراض عليه، و لاـ يجوز ردعه عن شـيء من ذلـك، لأنه مسـتحسن منه، و لو أراد الزّنا بامه و اخته و بنته و اللواط بابنه كان حلالا له، و لو وطى بنات غيره و أبنائهم و أزواجهم وصل منه الفيض إليهم، و لو كان ملوطا لغيره كان جائزا.

نعم إذا كان المفتى لهم ملا ميرزا جان الشيرازى القائل بأنّ ذلك لا يضرّ

بالنفس الناطقه يصدر عنهم هذه الأقوال و الأفعال الشنيعه.

قال ملّا الرّومی فی خطبه من خطب المثنوی: إذا حصلت الحقیقه بطلت الشریعه، و قصه ملاقاته للشمس التبریزی و عرضه لابنه و بنته علیه و شرائه للشراب له و حمله الشراب علی عاتقه کما ذکره الجامی فی کتاب نفحات الانس من القصص المشهوره.

و أورد الخواجه نصیر الدّین عبد اللّه بن حمزه الطوسی ره فی کتاب نهج الحق ما رآه بعینه و سمعه باذنه فی باب ترکهم للصلاه و اعتذارهم منه من أراد الاطلاع فلیراجع الیه و ینبغی أن یعلم أنّ ترک الصلاه و سایر الفرائض و استحلال جمیع المعاصی مذهب جمیع فرق الصوفیه کما صرّح به المفید و غیره من علماء الشیعه و ورد به النصّ أیضا إلّا أنّ بعض الفرق یظهرون ذلک و بعضها یخفونه و أکثرهم یخدعون السفهاء و الجهال باقامه الصلاه و مواظبه الفرائض و السنن و اظهار العباده و الزّهاده، و بعضهم یستحسنون التظاهر بالمحرّمات و بعضهم یستقبحونه.

و منها قولهم: بانه إذا غلب الشهوه علی واحد منا و أراد المجامعه بالغیر فامتنع هو منه فلم یبلغ الممتنع بعد إلی مقام الوصول بل هو کافر، و من مکّن المجامع له من نفسه و أجابه إلی ما یرید سواء کان ذکرا أو انثی فاز بدرجه الولایه و صار من الأولیاء الکمّلین.

قالوا: إنّ رابعه و جمع من النسوه وصلن إلی مرتبه الولایه لقضاء أوطار النّاس، و مزخرفات هذه الفرقه کثیره و دلائل کفرهم و الحادهم خارجه عن حدّ الاحصاء، و ذکرها موجب للملال و تطویل المقال.

الفرقه الثالثه العشاقیه

و هم جماعه یسمّون أنفسهم بالعشاق و محبّه اللّه سبحانه عشقا و فی هذا المعنی قال بعضهم:

العشق نور الّذی بالفقر یفتخر و کلّ نور بتلک الشمس ینسفر

العشق شدّه حبّ اللّه لیس سوی معناه مقصدنا و القصد معتبر

و شدّه الحبّ فی القرآن وارده و فی الحدیث بلفظ العشق تذّکر

طاعات أعداء أهل العشق احتبطت و لو بزمزم بل بالكوثر اطّهروا

لأنّها من لباب الحبّ خاويه و هى القشور له و اللّب يدّخروا

طوبى لقوم علت فى الكون همّتهم فأولجوا فى طريق العشق و ابتكروا

أما تغيّر حالات يهيّجهم عند السماع فلسنا عنه نعتذر

لأنّ احوال أهل العشق عارضه بلا اختياراتهم و العشق يعتذر

و هم غافلون من أنّ العشق اسم مرض من الامراض الدّماغيّه، و يقولون:

إنّ الاشتغال بغير الحقّ قصور فى معرفته تعالى و مع هذا الحال و تلك الدّعوى يتعشقون أبناء النّاس و بناتهم و يقولون: إنّ المجاز قنطره الحقيقه، و أكثرهم من غايه عدم المبالات فى الدّين و الخوف من ربّ العالمين يتعمّدون الكذب على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و يأفكون و يقولون: إنّ ذلك حديث مأثور عن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم نعوذ باللّه من ذلك.

و لأكثرهم مبالغه عظيمه فى تكلّف العشق بالمرد الحسان و ذوات الحسن من النّسوان زعما منهم أنّ ذلك عشق مجازىّ و العشق المجازى موصل إلى الحقيقه الّتى هو حبّ اللّه تعالى.

و هذه الفرقه لهم عداوه عظيمه مع الأنبياء يقولون: إنّ الأنبياء قد قيّدونا بقيد التكاليف الشرعيّه فحجبونا من الوصول إلى الحقّ فلا ينبغى للمرء أن يعبأ بقولهم عليهم السّلام، و مع هذا الحال يظهرون المحبّه لأبى بكر و عمر و عثمان، و يمدحونهم تطيبا لنفوس أهل السنه و ترضيه لخواطرهم، و إذا لقوا الشيعه يظهرون ولايه الأئمه و محبّتهم و لا يبرزون عداوه الأنبياء و الأوصياء عند العموم ملاحظه للتقيّه، و مزخرفاتهم كثيره و نقلها موجب للاطناب.

الفرقه الرّابعه التلقيّه

و يقال لهم النظريّه أيضا، و مذهبهم أنّ النظر فى الكتب العلميّه حرام إلاّ الكتب المدوّنه فى علم التّصوف بشرط قراءتها عند الشيخ الكامل، و زعموا أنّ المعرفه لا تحصل إلاّ بتلقين الشيخ و أنّ قراءه العلوم الشرعيّه مطلقا حرام

و أنّ ما يحصل للعلماء بالتعلم و التحصيل و المطالعه و التدريس فى مدّه سبعين سنه و أزيد يحصل بارشاد المرشد و تلقينه فى ساعه واحده، و أنّ ما وجده السالكون للطريقه الكاملون فى المعرفه فانّما وجدوه بارشاد الشيخ الكامل الّذى هو من علماء الباطن لا بالتعلّم من العلماء الظاهريه.

و زعموا أيضا أنّ ما اشتغل به علماء الشريعه علم رسمىّ ظاهرى و ليس لهم حظّ من علم الباطن، و إنّما العلم فى الحقيقه هو علم الباطن و أمّا علم الظاهر فلا خير فيه و لا منفعه و العارف الكامل المحقّق من علم علم الباطن.

ثمّ انّهم يزعمون أنّ الايمان ليس بمخلوق و أنّ الولايه أمر كسبىّ يحصل بالرّياضه و أكثرهم يزعمون أنّ النّبوه أيضا كسبيّه، و عاده هذا الفرقه كأكثر فرقهم على إعطاء الشيخ الخرقه و البرنس للمريد و أمره له بالجلوس فى الخلوه أربعين يوما و بترك أكل الحيوانى و يسمّونه بالچلّه، و هؤلاء أعداء الدّين قد وضعوا ذلك فى قبال الاعتكاف خرّب اللّه بنيانهم و دفع شرّهم و طغيانهم.

الفرقه الخامسه الزّراقيّه

و هم طايفه متّصفه بالخسه و الدّناءه يعاشرون النّاس بالمكر و الحيله، و يأتونهم من باب الخديعه لتحصيل الدّنيا و امتلاء البطون من الغذاء، و يميلون إلى السّماع و الرّقص، و أكثرهم يخلطون مذاهب أكثر فرق الصوفيّه و يجعلونه مذهبا واحدا و يدينون به.

و من عادتهم ترويج مشايخهم و تشهيرهم بين الناس تحبيبا للجهال إليهم و انكار العلماء و السادات و معاداتهم لا سيما من كان منهم غير مداهن للصوفيّه.

نعم من كان له حظّ من العلم و داهنهم و مدح مشايخهم إمّا حبّا للدّنيا أو غفله و جهلا عن إلحادهم و انحرافهم عن نهج الهدى فهم يهدون اليه و يحبونه و يبالغون فى تعظيمه و يسطرون مدحه و كما أنه يثنى عليهم و يروّج مذهبهم الفاسد فهم أيضا يثنون عليه و يروجون متاعه الكاسد.

و قد شاهدت مرارا جلاليس له نصيب من العلوم الشرعيه بل من مطلق العلم

إلّا أنه يترجم معانى أشعار كتاب گلشن راز لشيخهم الشبسترى و هم يقولون: إنه أعلم العلماء و أفضلهم إلى أن قال:

فاللازم على من تابع النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و آله عليهم السّلام أنه إذا رأى أحدا يدّعى التصوّف سواء كان عالما أو جاهلا أن يعرض عنه و لا يعتقد عليه، و إذا رأى من سلك مسلك الزّراقيه فيجب عليه انكاره، و إن ظهر منه القول بالحلول أو الاتحاد أو وحده الوجود فهو خارج من دائره الاسلام و الحال أنه لا يخلو أحد من الصوفيه من القول بأحدها و من القول بالجبر إلّا أن ينتحل التصوّف و يسمّى نفسه بهذا الاسم من أجل الحمق و الجهاله أو من باب المكر و الخديعه انتهى ما أهمنا نقله من كلامه زاد اللّه فى اكرامه بغايه تلخيص منا.

و طوينا عن نقل باقى ما أورده فى هذا الباب حذرا من الاطناب، و ربّما كان ما طوينا عنه يزيد على ما حكيناه أضعافا مضاعفه كما يظهر على من راجع إليه، و مع ذلك فما اقتصرنا بنقله أيضا غير خال من الاطناب.

كما أنّ ما نقلنا قبله من كلام المحدّث العلامه المجلسى روح اللّه روحه أيضا كذلك، و إنّما أطنبت بنقل كلاميهما تنبيها لسفهاء الشّيعه من نومه الغفله و الجهاله و انفاذا لهم من ورطه الضلاله.

فانّ شهاده مثل هذين الوحيدين الفريدين العادلين الأعدلين العالمين العلمين الأعلمين الخبيرين بالأخبار و آثار الأئمه الأطهار مع كونهما من أساطين الشيعه و أركان الشّريعه على فساد هذه الطريقه طريقه الصّوفيّه و كشفهما عن سوآتها و فضايحها و قبايحها و شنايعها كافيه فى رداءتها و شناعتها، و كفى بهما شهيدا فضلا عن غيرهما ممّن تقدّم حكايه كلامه و نذكره بعد ذلك إنشاء اللّه.

فهلكا لمن دان بمذهب و سلك مسلكا يكون مروّجه ماحى الدّين الاندلسى و مزيفه العلامه المجلسى، و مادحه الرّجس الغزالى و قادحه المقدّس الأردبيلى، و مزكّيه أبو يزيد و جارحه الشيخ المفيد، و المتدّينون به الملاحده اللئام و أتباعهم من سفهاء الأحلام، و الطاعنون عليه أئمّه الأنام و حجج الملك العلام.

و بعد ذلک فلا یجوز للعاقل أن یشتبه و یغترّ بما یذکرونه فی مطاوی مقالاتهم من الکلمات المزخرفه و الأقوال المستطرفه و المواعظ الحسنه و النّصایح المستحسنه و الکمالات المرغوبه الغیر المخالفه للاصول الشّرعیّه بل الموافقه لموظّفات الشّریعه.

لأنّ هذه کلّها من حبائلهم و حیلهم و فخوخهم و مصائدهم إنّما نصبوها لتصید العوام و صید الجهله کالأنعام و أکثر کلامهم الّذی من هذا النّمط فانّما هو مقتبس من کلام الأنبیاء و الحجج علیهم السّلام انتحلوه و نسبوه إلی أنفسهم و علی فرض کونه منهم أیضا فلا یجوز الاغترار و الافتتان به، لأنّ جمیع الفرق من الکفار و المشرکین الملاحده و المعاندین مع ما هم علیه من الکفر و الالحاد و الزّیغ عن نهج الرّشاد تری فی ضمن کلماتهم الکفریّه کلامات مقبوله عند ذوی العقول من مدح العدل و الاحسان و الصدق و الامانه و قلّه الأکل و قلّه النّوم و ذمّ الحرص و الحسد و البخل و الخیانه إلی غیر ذلک.

و الحاصل انّهم قد خلطوا الجیّد بالرّدی و الطیب بالخبیث و مزجوا الحقّ بالباطل لاصطیاد العوام.

و الی ذلک ینظر کلام أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو الخمسون من المختار فی باب الخطب: إنّما بدء وقوع الفتن أهواء تتّبع و أحکام تبتدع یخالف فیها کتاب اللّه و یتولی علیها رجال رجالا علی غیر دین، فلو أنّ الباطل خلص من مزاج الحقّ لم یخف علی المرتادین، و لو أنّ الحقّ خلص من لبس الباطل انقطعت عنه ألسن المعاندین، و لکن یؤخذ من هذا ضغث و من هذا ضغث فیمزجان فهنالک یستولی الشیطان علی أولیائه و ینجو الّذین سبقت لهم من اللّه الحسنی.

و منهم السّید السّند و المتبحّر المعتمد السّید نعمه اللّه المحدّث الجزائری قدّس سرّه، فقد أورد فی الأنوار النّعمانیّه فصلا مبسوطا فی ذکر عقایدهم الفاسده و أعمالهم الباطله و قال فی جمله کلامه هنا ما نقلناه سابقا فی المقام الثانی و هو قوله:

و أمّا الدّواعی لهم علی اختراع هذا المذهب و شهرته فامور:

الأوّل أنّ خلفاء بنی امیّه و بنی العباس لعنهم اللّه کانوا یحبّون أن یحصّلوا رجالا من أهل العباده و الزّهاده و التّکلّم ببعض المغیبات و ان لم یقع لأجل معارضات الأئمه الطاهرین علیهم السّلام و علمهم و زهدهم و کمالاتهم حتّی یصغر فی أعین الناس أهل البیت و أطوارهم، فلم یجدوا أحدا یقدم علی هذا سوی هذه الفرقه الضّاله، فمن هذا مال إلیهم سلاطین الجور لعنهم اللّه و بنوا لهم البقاع و حملوا إلیهم الأموال و طلبوا منهم الدّعاء فی مطالب دنیاهم و قاسوهم بأهل البیت علیهم صلوات اللّه الملک الحیّ المتعال و أین الثریّا من ید المتناول.

الثانی سهوله هذا المسلک و صعوبه طریقه العلم، فانّ العامی منهم قد یجلس فی بیت ضیق مظلم أربعین یوما و ربّما ترائی له إخوانه من الجنّ و الشیاطین، فاذا خرج صار من رؤسائهم و حصّل درجه العالم الّذی یحصّلها فی خمسین سنه و أکثر، بل ربّما کان اعتبار هذا بین رعاع الناس أزید من اعتبار ذلک العالم الثالث أنّ هذا المذهب شرک لصید الأولاد و جمع الأموال و الجاه و الاعتبار و نحو ذلک.

و قال أیضا: و العجب من بعض الشیعه کیف مال إلی هذه الطریقه مع اطلاعه علی أنّها مخالفه لطریقه أهل البیت علیهم السّلام اعتقادا و عملا.

أمّا الاعتقاد فقد قالوا بالحلول و هو أنّ اللّه سبحانه قد حلّ بکلّ مخلوقاته حتّی بالقاذورات، تعالی اللّه عمّا یقول الکافرون علوّا کبیرا، و قد مثّلوا حلول اللّه بهذه المخلوقات بالبحر وقت اضطراب أمواجه، فانّ الأمواج و إن کان متعدّدا إلّا أنّ کلّه ماء واحد فی بحر واحد قد کثره التّموّج، فهی واحده بالحقیقه متعدّده بالاعتبار، و المخلوقات کلّها عین اللّه سبحانه و هو عینها و التّعدّد إنّما جاء من هذه العوارض الخارجیّه و التشخصات العارضه للمادّه.

و کان من أعظم مشایخهم عندهم الشیخ العطار، لمّا سمع سلطان ذلک الزّمان بکفره و إغوائه المسلمین أرسل إلیه جلادا یأخذ رأسه، فلمّا أتی إلیه

الجلاد و أخبره بما أتى به فقال له الشيخ العطار: أنت ربّى بأىّ صوره شئت فتصوّر فان أردت قتلى فأنا هذا ثمّ قتله.

و قال: و من اعتقاداتهم الباطله و أعمالهم الفاسده أنّهم تركوا العبادات المأثوره عن أهل البيت عليهم السّلام و دوّنها الشيعه فى كتبهم، و أقبلوا على اختراع عبادات و أذكار لم تذكر فى الشريعه، و ليس هذا إلّا لقصد الخلاف على علماء أهل البيت حتّى يكونوا فى طرف النّقيض فلا يقال لهم إنّهم مقلّدو العلماء فيزدا دون بذلك اعتبارا من عوام النّاس و غثائهم.

و ما علموا أنّ اللّه سبحانه لا يقبل من العبادات إلّا ما أرسل حججه و قاله على ألسنتهم، و إلّا فقد مرّ سابقا أنّ الشيطان لم يتكبّر على السّجود للّه تعالى لكنّه قال: أنا أسجد لك يا ربّ و لا أسجد لادم و ذلك أنّ اللّه سبحانه يجب أن يطاع من حيث أمركما قال: و أتوا البيوت من أبوابها و قد كان فى زماننا رجل من الصّوفيّه و يزعم أنّه من علماء الشيعه و كان يخطب أصحابه يوما فقال و هو على المنبر: إنى كتبت الاصول الأربعه يعنى الكافى و التهذيب و الاستبصار و الفقيه و قرأتها و صحّحتها، و لمّا رأيتها عديم الفايده بعتها بدرهم واحد و رميت ذلك الدّرهم بالماء.

فانظر إلى إيمان ذلك الرّجل عليه لعنه اللّه و الملائكه و الناس أجمعين، و قد كان مع أصحابه فى حضره مولينا الرّضا عليه السّلام مشغولين بذكرهم الجلى و هو ما اشتمل على الغناء و الرّقص و الترنّم و الوجد، فهوى بعضهم على محجر القبر الشريف فشجّ رأسه و سال دمه و بلغ إلى المحجر، فاحتال الخدمه إلى إزاله تلك الدّم فقال شيخ الصوفيّه: لا تحتالوا بهذه الحيل لازاله هذا الدّم لأنّ هذا من دم العشّاق و دم العشّاق طاهر.

ثمّ لمّا لم يسمع الناس هذا منه موّه على الناس كلاما آخر و قال: إنّ الشمس ذكروا أنّها من المطهرات فكيف لا يكون شمس الرّضا مطهره لهذا الدّم، فقبل منه هذا الكلام بعض البهايم من أتباعه ثمّ بعد زمان قليل خذله اللّه سبحانه

و سقط عن درجه و اعتبار و سيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون.

و رأيت فى شيراز رجلا- صوفيّا عليه لعنه اللّه، و كان صاحب ذكر و حلقه و أتباع، و كان كلّ ليله جمعه يأتى إلى قبّه السّيد الأجلّ السّيد أحمد بن الامام موسى الكاظم عليه السّلام فيصنع الذّكر المعهود و قد كان عزبا لم يتزوّج نعم كان عنده ولد مقبول من أولاد شيراز و كان ذلك الرّجل صاحب تحصيل لحطام الدنيا، و كلّما يحصل فى نهاره يعطيه لذلك الولد و يبقى لنفسه شيئا يسع قوت الشّعير، و كان إذا خرج من البلاد ثمّ دخل إليها يسأله بعض خواصّه أين كنت؟ فيقول: كنت أذرع الادميين.

و قد استمرّ على هذا الحال برهه من الزّمان فظهر عليه و على أصحابه أنّهم أرادوا الخروج و ادّعى واحد منهم أنّه الرّب، و آخر أنّه النّبى، و ثالث أنّه الامام إلى غير ذلك، فأخذهم حاكم تلك البلاد و أمر بقتلهم و كنت مع الحاضرين فى ذلك الوقت.

فلمّا أتوا لشيخهم إلى الميدان ليقتلوه كانت اخته فوق سطح جدار تنتظر إلى ما يصنع بأخيها و تضحك، فقيل لها: لم تضحكين؟ فقالت: إنّ أخى هذا رجل شائب فاذا قتلوه يجىء بعد أربعين يوما بصوره شاب حسن الوجه قوىّ البدن، فظهر أنّهم كانوا قائلين بالتّناسخ أيضا، و قد رأينا منهم فى شيراز وقايع غريبه و أطوار عجيبه لا توافق إلّا مذهب الملاحده و الزّنادقه.

و منهم المحدّث الفاضل ملا- محسن الفيض القاسانى فى محكى كلامه من المجلّد الخامس من الوافى فى صدر أبواب صفه الصّلاه و أذكارها و تعقيبها و آدابها و عللها بعد ذكر الايات الوارده فيها من قوله تعالى: «وَ أَنَّ الْمَساجِدَ » الايه، و قوله: «اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَهً » إلى آخره، و قوله: «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَهً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ » الايه قال:

المساجد فسّرت تاره بالأعضاء السّبعه، و أخرى بالمساجد المعروفه، و أخرى ببقاع الأرض كلّها، و على التقديرات أنّها خلقت لأن يعبد اللّه بها أو فيها، فلا تشركوا معه غيره فى سجودكم و عبادتكم، و الأمر بالدّعاء و الذّكر

تضرّعا و خفيه و خيفه يشمل ساير أذكار الصّلاه و غير الصلاه، و دون الجهر من القول يدلّ على لزوم الاقتصاد فيها جميعا و كراهه الاعتداء، فما يفعله المتصوّفه فى حلقهم من الجهر بالذكر و الاعتداء بالنداء ممنوع منه بمقتضى هذه الايات، و يأتى تمام الكلام فيه فى صدر أبواب الذّكر إنشاء اللّه تعالى.

و قال فى أبواب الذّكر و الدّعاء و فضايلهما من المجلد المذكور بعد ذكر الايات الّتى وردت فيها كقوله تعالى: «اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَ خُفْيَهً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ لا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها وَ ادْعُوهُ خَوْفاً وَ طَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ».

فى هذه الايه دلاله على كراهه ما يفعله المتصوّفه من رفعهم الأصوات بكلمه التوحيد و إظهارهم المواجيد، فانّه اعتداء و مجاوزه عن حدّ ما و سمه الشرع فى الذّكر و العباده، هذا إن اقتصروا على الاجهار بالذّكر، و أمّا ساير ما يفعلونه من التّغنّى بالأشعار فى أثناء الأذكار و التواجد بالسّماع و استماله الأبصار و الأسماع بالشهيق و النهيق و الرّقص و التصفيق و الهبوط و السقوط فلا شكّ أنّه بدع فى الدّين، بل كاد يكون استهزاء بالشرع المبين، أعاذنا اللّه من شرّ الشياطين.

و قال فى كتابه المسمّى بمنهاج النّجاه: لا تحضر فى الجامع الحلق و لا مجالس القصّاص، بل مجلس العلم النافع، و هو الّذى يزيد فى خوفك من اللّه و ينقص من رغبتك فى الدّنيا.

و قال فى المقاله الرابعه و السّتين من الكلمات الطريفه:

«داهيه» و من الناس من يدّعى علم المعرفه و مشاهده المعبود، و مجاوزه المقام المحمود، و الملازمه فى عين الشهود، و لا يعرف من هذه الامور إلاّ الأسماء و لكنّه تلقّف من المطامات كلّما يردّدها لدى الأغنياء كأنّه يتكلّم عن الوحى و يخبر عن السّماء، ينظر إلى أصناف العباد و العلماء بعين الازدراء يقول فى العباد:

إنّهم اجراء متعبون، و فى العلماء: إنّهم بالحديث عن اللّه محجوبون، و يدّعى

لنفسه من الكرامات ما لا يدّعيه نبيّ مقرّب، و لا علما أحكم و لا عملا هذّب، يأتى إليه الرّعاع الهمج من كلّ فجّ أكثر من إتيانهم مكّه للحجّ، يزدحم عليه الجمع و يلقون إليه السّمع و ربّما يخرّون له سجدا كأنّهم اتّخذوه معبودا، يقبلون يديه و يتهافتون على قدميه، يأذن لهم فى الشهوات، و يرخّص لهم فى الشبهات، يأكل و يأكلون كما تأكل الأنعام، و لا يبالون أمن حلال أصابوا أم حرام، و هو لحلوائهم هاضم و لدينه و أديانهم حاطم «لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ مِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ ». «وَ لَيَحْمِلُنَّ أَثْقالَهُمْ وَ أَثْقالاً مَعَ أَثْقالِهِمْ وَ لَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيامَهِ عَمّا كانُوا يَفْتَرُونَ ». «وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً يَدْعُونَ إِلَى النّارِ وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ لا يُنْصَرُونَ وَ أَتْبَعْناهُمْ فِى هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَهً وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ » «أُولئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَهَ بِالْهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَ ما كانُوا مُهْتَدِينَ ».

و قال فى المقاله الخامسه و السّتين منها:

و من هؤلاء من طوى بساط الأحكام، و رفض الفصل بين الحلال و الحرام، و حلّ قيود الشرع من عنقه و أطلق، لا يحرّمون ما حرّم اللّه و رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا يدينون دين الحقّ، متعلّلين تاره بأنّ اللّه غنىّ عن الأعمال، و اخرى بأنّ التكليف إنّما هو لتطهير القلب من الشهوات و هو أمر محال، و اخرى بأنّ أعمال الجوارح لا وزن لها عند اللّه و إنّما النظر إلى القلوب و قلوبنا والهه إلى حبّ اللّه، واصله إلى معرفه اللّه، و إنّما نخوض فى الدنيا بأبداننا، فلا يصدّنا عن سبيل اللّه عصياننا، كلّا سيعلمون ثمّ كلّا سيعلمون، إنّ أعمالك لنفسك احتسبت، لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت، و ليس التكليف بقلع الشهوات، بل بانقيادها لحكم العقل و الشرع بالرّياضات، و الأبدان تابعه للقلوب، و الشهادات شايعه للغيوب، أيّها المغرور.

ف «اِذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجِلِكَ وَ شارِكْهُمْ فِى الْأَمْوالِ وَ الْأَوْلادِ وَ عِدْهُمْ وَ ما يَعِدُهُمُ الشَّيْطانُ إِلّا غُرُوراً ».

و قال فى المقاله الثانيه و السّتين:

و من النـاس من يزعم أنّه بلغ فى التصوّف و التأله حـدّا يقـدر معه أن يفعل ما يريـد بالتوجّه، و أنّه يسـمع دعاؤه فى الملكوت، و يسـتجاب نداؤه فى الجبروت تسـمّى بالشـيخ و الدرويش، و أوقع الناس بذلك فى التشويش، فيفرطون فيه أو يفرّطون فمنهم من يتجـاوز به حـدّ البشـر، و آخر يقع فيه بـالسوء و الشـرّ، يحكى من وقايعه و مناماته ما يوقع الناس فى الرّيب، و يأتى فى اخباره بما ينزل منزله الغيب، و ربّمـا تسـمعه يقول: قتلت البارحه ملك الروم، و نصـرت فئه العراق، و هزمت سـلطان الهنـد، و قلبت عسـكر النّفاق، أو صـرعت فلانا يعنى به شـيخا آخر نظيره، أو أفنيت بهمانا يريـد به من لا يعتقد فيه إنّه لكبيره، و ربّما تراه يقعد فى بيت مظلم يسـرج فيه أربعين يومـا، يزعم أنّه يصوم صوما، و لا يأكل فيه حيوانا و لا ينام نوما، و قـد يلازم مقاما، يردّد فيه تلاوه سوره أيّاما، يحسب أنّه يؤدّى بذلك دين أحد من معتقديه، أو يقضـى حاجه من حوائج أخيه، و ربّما يدّعى أنه سـخر طايفه من الجنّه، و وقى نفسه أو غيره بهذه الجنّه «أَفْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ » انتهى كلامه.

أقول: هذه الكلمات كما ترى تنادى بأعلا صوتها على طهاره ذيل هذا الفاضل البارع من دنس التصنّع و التصوّف، و براءه ساحته من الانحراف و التصلّف، و مثلها كلمات له اخرى تركنا حكايتها حذرا من الاطناب.

إلاّ أنّـه فى أكـثر كتبه سـلك مسـلك الصـوفيه و جرى على قواعـدهم لاـ سـيّما فى كتـابه المسـمّى باللّئـالى، و ذكر فيه تفصـيل الحضـرات الخمسه الّتى هى من مصـطلحات الصوفيّه و مخترعـاتهم، و أوّل بعض الأخبـار و الأـدعيه إلى مـا أوردها هناك، و لا حاجه بنا إلى ايرادها.

و من أجل كون كلامه و حـديثه ذا فنون و شـجون اختلف العلماء المعاصـرون له و المتأخّرون عنه فى مدحه و قدحه و تعديله و جرحه، حتّى أفرط بعضهم فنسبه إلى الكفر أو ما يشارف الكفر.

منهم الشيخ علىّ المعاصر له سبط الشهيد الثانى «قد» فقد نسب إليه فى ذيل

رسالته فی تحریم الغناء کثیرا من الأقاویل الفاسده و الاراء الباطله الّتی تفوح منها رائحه الکفر المضادّه بضروریات الدّین.

قال فی روضات الجنات: و لو أردنا تأویل جمله منها بمحامل وجیهه صحیحه لما أمکننا ذلک بالنسبه إلی ما یدّل علیه ألفاظه الظاهره بل الصریحه من منافیات اصول هذه الشریعه و فروع مذهب الشیعه، مثل قوله بوحده الوجود، و بعدم خلود الکفار فی عذاب النار، و عدم نجاه أهل الاجتهاد من النار و إن کانوا من أجلائنا الکبار، و قوله بعدم منجّسیه المتنجّس لغیره مثل الجنس، و بعدم انفعال الماء القلیل بمحض ملاقاته للنجس، و ان وافقه فی هذه المسأله العمانی.

و منهم صاحب لؤلؤه البحرین الشیخ یوسف البحرانی قال فی ترجمته:

و هذا الشیخ کان فاضلا محدّثا أخباریّا صلبا کثیر الطعن علی المجتهدین و لا سیّما فی رسالته سفینه النجاه حتّی أنه یفهم منه نسبه جمله من العلماء إلی الکفر فضلا عن الفسق، مثل ایراده الایه: «یا بُنَیَّ ارْکَبْ مَعَنا »، أی و لا تکن مع الکافرین و هو تفریط و غلوّ بحت، مع أنّ له من المقالات التی جری فیها علی مذهب الصوفیّه و الفلاسفه ما یکاد یوجب الکفر و العیاذ باللّه، مثل ما یدلّ فی کلامه علی القول بوحده الوجود.

و قد وقفت له علی رساله قبیحه صریحه فی القول بذلک، و قد جری فیها علی عقاید ابن عربی الزّندیق و أکثر فیها من النقل عنه و إن عبّر عنه ببعض العارفین و قد نقلنا جمله من کلامه فی تلک الرّساله و غیرها فی رسالتنا الّتی فی الرّد علی الصوفیه المسمّاه بالنفحات الملکوتیّه، نعوذ باللّه من طغیان الأفهام و زلل الأقدام.

و قد تلمذ فی الحدیث علی السّید ماجد البحرانی فی بلاد شیراز، و فی الحکمه و الاصول علی صدر الدین محمّد بن إبراهیم الشیرازی الشهیر بصدرا، و کان صهره علی ابنته و لذا تری أنّ کتبه فی الاصول کلّها علی قواعد الصوفیّه و الفلاسفه، و لاشتهار مذهب التصوّف فی دیار العجم و میلهم إلیه بل غلوّهم فیه صارت له المرتبه العلیا فی

زمانه، و الغايه القصوى فى أوانه، وفاق عند الناس جمله أقرانه، حتى جاء على أثره شيخنا المجلسى «قد» فسعى غايه السعى فى سدّ تلك الشقاشق الفاغره، و إطفاء نائره تلك البدع البائره انتهى.

و العجب من صاحب روضات الجنات حيث أراد تزكيه الرّجل فجرحه، و تطهيره فدّنسه، و تبرئته فلوّثه، قال بعد تفصيل كلام له فيه:

ثمّ ليعلم أنّ ظنّى فى نسبه التصوّف الباطل إليه أنّها فريه بلا مريه، و الباعث عليه اقتداؤه بهذه الطريقه فى الموالاه مع الغلاه و الملحدين، و إظهار البراءه من أجلائنا المجتهدين، و عدم اعتنائه بالمخالفه لاجماع المسلمين، و الانكار لبعض ضروريات هذا الدين المبين، و إلّا فبين ما يقوله و يقولونه مع قطع النظر عن هذا القدر المشترك بون بعيد، و إنكاره على أطوار هذه الطايفه فى حدود ذواتها انكار بليغ شديد، ثمّ نقل عنه ما قدّمنا نقله من المقالات.

و أنت خبير بأنّه إذا كان موافقا للصوفيه فى أصل مذهبهم الفاسد و هو القول بوحده الوجود على ما عزّاه إليه غير واحد من العلماء، فكلّ الصّيد فى جوف الفراء، فضلا عما نسب إليه من انكاره لبعض ضروريات الدين و خلافاته لاجماع المسلمين، و احتذائه حذو الغلاه و الملحدين، و هذا مقام ما قيل و يقال:

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه و كلّ قرين بالمقارن يقتدى

و اللّه العالم بالسّرائر و الخبير بالضّمایر من كلّ برّ و فاجر.

و منهم محمود بن عمر بن محمّد بن أحمد الزّمخشرى المعروف بجار اللّه المجاور فى حرم اللّه، قال فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِى » ما لفظه:

و عن الحسن زعم أقوام على عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّهم يحبّون اللّه فأراد أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل، فمن ادّعى محبّته و خالف سنّه رسوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فهو كذّاب، و كتاب اللّه يكذّبه، و إذا رأيت من يذكر محبّه اللّه و يصفق بيديه مع ذكرها و يطرب و ينعر و يصعق فلا شكّ فى أنّه لا يعرف اللّه و لا يدرى ما محبّه اللّه

و ما تصفيقه و نعرته و صعقته إلاّ أنّه تصوّر فی نفسه الخبيثه صوره مستملحه معشقه، فسمّيها اللّه بجهله و ذعارته ثمّ صفق و طرب و نعر و صعق علی تصوّرها و ربّما رأيت المنی قد ملاء إزار ذلک المحبّ عند صعقته، و حمقی العامّه حواليه قد ملاؤا أردانهم بالدّموع لما رقّقهم من حاله.

و قال فی کتابه المسمّی بأطواق الذهب:

يا رافع اليد بالدّعاء، و يا داعی الحقّ بالنّداء، إنّه لا يسمع بالصّماخ فاقصر من الصراخ، أتنادی باعدا، أم توقظ راقدا تعالی اللّه الملک لا تأخذه السّنه و لا تغلّطه الألسنه، يعلم رموز البکم و الخرس، کما يعرف لغه التّرک و الفرس، يسمع دبيب النمله الخرساء علی الصّخره الملساء، کما يسمع بغام الظبيه(۱) الجيداء علی صحن البيداء، ألا إنّ رفع اليد بالدّعاء سمعه، و رفع الصّوت بالشکايه شنعه، ما هذه الشهقه و النّداء، و ما هذه الصّيحه الشنعاء، أمن الضرب تتألّم؟ أم مع أکفائک تتکلّم؟ أ تحسبه قسّاما نسی قسمک؟ أم رزّاقا جهل اسمک؟ أنام من خلق الأنام؟ أرقد من أنشأ الذئب و النقد(۲) معاشر الضعفه أتظنّون أن لا تأکلوا أقواتکم دون أن ترفعوا أصواتکم لا تدعوا اليوم ثبورا لقد ظننتم باللّه ظنّ السوء و کنتم قوما بورا.

و منهم الفاضل البارع المحقّق السيد علیّ بن محمّد الحسينی الجرجانیّ المشتهر بالسيد الشريف شارح المواقف، قال فی حاشيته علی شرح التجريد للاصفهانی فی المسأله الثالثه فی أنّ الوجود زايد علی المهيّه و ليس نفسها عند ما يعنون قول الشّارح: فيلزم أن يکون المهيّات متّحده و ليس کذلک قيل عليه ذهب جماعه من الصوفيّه إلی أن ليس فی الواقع إلاّ ذات واحده لا ترکيب فيها أصلا بل لها صفات هی عينها و حقيقه الوجود المنتزعه فی حدّ ذاتها عن شوائب العدم و سمات نقصان الامکان، و لها تقيّدات بقيود اعتباريّه بحسب ذلک يتراءی موجودات متمايزه فيتوهّم من ذلک تعدّد حقيقیّ، فما لم يقم برهان علی بطلان ذلک لم

۱- (۱) - ای صوتها، م.

۲- (۲) - النقد من الغنم قصار الأرجل، کذا فی الصحاح.

يتمّ ما ذكروه من عدم اتّحاد المهيّات، و لا يتمّ أيضا اشتراك الوجود بل لا يثبت وجود ممكن أصلا:

أقول: هذا خروج عن طور العقل، فانّ بداهته شاهده بتعدّد الموجودات تعدّدا حقيقيا و أنّها ذوات و حقايق مختلفه بالحقيقه دون الاعتبار فقط و الذّاهبون إلى تلك المقاله يدّعون استنادها إلى مكاشفاتهم و مشاهداتهم و أنّه لا يمكن الوصول إليها بمباحث العقل و دلالته، بل هو معزول هناك كالحسّ فى إدراك المعقولات.

و أمّا المتقيّدون بدرجات العقل و القائلون بأنّ ما يشهد به العقل فمقبول و ما شهد عليه فمردود و أنّه لا طور وراءه، فيزعمون أنّ تلك المكاشفات و المشاهدات على تقدير صحّتها مؤوّله بما يوافق العقل، فهم بشهاده بديهته عندهم مستغنون من إقامه برهان على إبطال أمثال ذلك، و يعدّون تجويزها مكابره لا يلتفت إليها.

و قال فى شرح المواقف فى المقصد الخامس من المرصد الثانى من الموقف الخامس منه:

اعلم أنّ المخالف فى هذين الأصلين يعنى عدم الاتّحاد و عدم الحلول طوايف ثلاثه: الاولى النّصارى، الطايفه الثّانيه النصيريه و الاسحاقيّه من غلاه الشّيعه الطايفه الثالثه بعض المتصوّفه، و كلامهم مخبط بين الحلول و الاتّحاد و الضبط ما ذكرناه فى قول النصارى، و الكلّ باطل سوى أنّه تعالى خصّ أولياءه بخوارق عادات كرامه لهم.

و رأيت من الصوفيّه الوجوديّه من ينكره و يقول لا- حلول و لا- اتّحاد إذ كلّ ذلك يشعر بالغيريّه و نحن لا نقول بها بل نقول: ليس فى الدّار الوجود غيره ديّار، و هذا العذر أشدّ قبحا و بطلانا من ذلك الجرم. إذ يلزم تلك المخالطه التى لا يجترى على القول بها عاقل و لا مميّز أدنى تمييز و قال فى المقصد الثالث من المرصد الأوّل من الموقف السادس:

لبعض الصوفيّه من أهل الاباحه أنّ التّكليف بالأفعال الشاقّه البدنيّه يشغل الباطن عن التفكر فى معرفه اللّه و ما يجب له من الصفات و يجوز و يمتنع عليه من الأفعال، و لا شكّ أنّ المصلحه المتوّقعه من هذا الغايب و هو النظر فيما ذكر تربى أى تزيد و تفضل على ما يتوّقع ممّا كلّف به فكان ممتنعا عقلا.

و الجواب أنّ ذلك أى التفكر فى معرفه اللّه و صفاته و أفعاله أحد أغراض التّكليف بل هو العمده الكبرى منها و ساير التّكاليف معينه عليه داعيه إليه و وسيله إلى اصلاح المعاش المعين على صفاء الأوقات عن المشوّشات الّتى تربى شغلها عن شغل التكاليف و قال فى المقصد السادس من المرصد الخامس من الموقف الأوّل منه:

ان قلت: لا نسلّم أنّ المعرفه لا تتمّ إلاّ بالنظر كما ادّعيتم بل قد تحصل بالتصفيه فانّ رياضه النفس بالمجاهدات و تجريدها عن الكدورات البشريّه و العوائق الجسديه و التوجّه إلى الحضره الصّمديه و التزام الخلوه و المواظبه على الذّكر و الطاعه تفيد العقائد الحقّه الّتى لا يحوم حولها شائبه رائبه، و أما أصحاب النظر فيعرض لهم فى عقايدهم الشّكوك و الشّبهات النّاشئه من أدلّه الخصم.

قلنا: هى يحتاج إلى معونه النظر ألا ترى أنّ رياضه المبطلين من اليهود و النصارى يؤدّيهم إلى عقايد باطله، فلابدّ من الاستعانه بالنظر أو قلنا المراد أنّه لا مقدور لنا من طرق المعرفه إلاّ النظر فانّ التّصفيه كما هو حقّها تحتاج إلى مجاهدات شاقّه و مخاطرات كثيره قلّما يفى من المزاج فهى فى حكم ما لا يكون مقدورا.

و منهم الفخر الرازى فى المسأله الحاديه و الثلاثين فى النّبوّه من كتابه المسمّى بالأربعين قال:

اعلم أنّ الّذين ينكرون نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طوايف، ثمّ تعرّض لذكرها إلى أن قال: الطايفه السادسه جمع من الصوفيّه يقولون: الاشتغال بغير اللّه حجاب عن

معرفه اللّه تعالى، و الأنبياء يدعون الخلق إلى الطاعات و التكاليف، فهم يشتغلون الخلق بغير اللّه و يمنعونهم عن الاشتغال باللّه فوجب أن لا يكون حقا و صدقا.

و منهم الدّميرى فى كتاب حياه الحيوان فى باب العين المهمله عند ذكر العجل قال:

«فايده» نقل القرطبى عن أبى بكر الطرطوشى أنّه سئل عن قوم يجتمعون فى مكان يقرءون شيئا من القرآن ثمّ ينشد لهم منشد شيئا من الشعر فيرقصون و يطربون و يضربون بالدّف و الشبابه هل الحضور معهم حلال أم لا؟ فقال: مذهب الصوفيه بطاله و جهاله و ضلاله، و ما الاسلام إلّا كتاب اللّه و سنّه رسول اللّه، و أما الرّقص و التواجد فأوّل من أحدثه أصحاب السامرى لما اتّخذ لهم عجلا- جسدا له خوار، قاموا يرقصون حوله و يتواجدون، فهو دين الكفار و عبّاد العجل، و إنما كان مجلس النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مع أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير من الوقار فينبغى للسلطان و نوّابه أن يمنعوهم من الحضور فى المساجد و غيرها و لا- يحلّ لأحد يؤمن باللّه و اليوم الاخر أن يحضر معهم و لا يعينهم على باطلهم، هذا مذهب مالك و الشافعى و أبى حنيفه و أحمد و غيرهم من أئمه المسلمين.

و منهم محمّد بن محمّد بن محمّد المحدّث البخارى المعروف فى كتابه الذى سماه فاضحه الملحدين و ناصحه الموحّدين، قال:

ثمّ إن اولئك الملحدين الّذين هم إخوان الشياطين يخدعون الجاهلين بتمسّكهم فى ذلك الضلال المبين بقوله تعالى: «وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ »، و بقوله تعالى: «وَ قَضى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ ».

و يلحدون فى الايه الأولى بتفسيرهم وجه اللّه ههنا بذات اللّه موافقا لرأيهم لا بالجهه الّتى امر بها و رضيها على ما هو الحقّ المبين و المطابق لقواعد الدّين و لاجماع علماء الاسلام و المسلمين، و لما يدلّ صدر هذه الايه أيضا و هو قوله تعالى:

«وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ » فانّه يدلّ على أنّ جهات المشرق و المغرب للّه تعالى، لا أنّها هو اللّه تعالى و إلّا يوجب أن يكون النظم و اللّه المشرق و المغرب لا و للّه المشرق و المغرب

و أنت خبير بـأنّ ثمه للمكان و أنّ اللّه تعالى منزّه عن الجهه و المكان و أنّ كون الشـيء الواحـد فى آن واحـد فى أمكنه مختلفه بـديهىّ البطلان. و أنّ تفسـير هـذه الايه بما فسّـره الملاحـده مسـتلزم لكون اللّه تعالى فى مكان و جهه بل كونه فى آن واحد فى أمكنه الجهات المختلفه عند اختلاف أماكن المتوجهين و ذلك محال على محال و مع ذلك كفر صريح و ضلال.

و يلحـدون فى الايه الثانيه حيث يفسّـرون قضـى بحكم و قدّر مخالفا لقواعد الدّين و لاجماع المفسّـرين لا بأوجب و أمر على ما هو مطابق لقواعد الاسـلام و لاجماع الرّسل و الأنبياء عليهم السّـلام و منهم الشـيخ المتبحرّ البصير و المتتبّع الخبير الشيخ علىّ ابن الشـيخ محمّد ابن الشـيخ حسن ابن الشـيخ زين الدّين الشهيد الثانى «قد»، فقد ألف رساله مستقلّه فى الرّد على الصّوفيّه و سمّاها: السّـهام المارقه من أغراض الزّنادقه، و قـد حكينا عنه فى المقام الثالث من كتابه المسـمّى بالـدّر المنثور من المأثور و غير المأثور كلاما مبسوطا متضمّنا لمطاعنهم فليراجع هناك.

و منهم الشـيخ المحدّث محمّد بن الحسن بن علىّ بن محمّد الحرّ العاملى صاحب كتاب وسايل الشّـيعه، فقد ألّف فى الرّد عليهم رساله كما صرّح به فى خاتمه الكتاب المذكور عند تعداد كتبه.

و منهم السّـيد الأعظم قـدوه اولى الألباب أبو تراب مرتضـى ابن الدّاعى الحسن الرّازى «قد» فقد جمع فى بيان مذاهب الصّوفيّه و ما يتضمّن من مطاعنهم كتابا بالعجميّه و سمّاه: تبصره العوام، و آخر بالعربيّه و سمّاه: الفصول التّامّه فى هدايه العامّه.

و منهم الشّـيخ نصـير الدّين علىّ بن حمزه بن الحسن الطوسـى، فقد ألف كتاب ايجاز المطالب فى ابراز المذاهب و ضـمّنه جمله من مطاعن الصوفيّه حسبما نقل عنه مولينا المقدّس الأردبيلى «قد» فى كتاب حديقه الشّيعه.

إلى غير ذلك ممّا صدر من علماء الاسلام من الخاصّه و العامّه من مطاعن

هـذه الطايفه تصـريحا و تعريضا إجمالا و تفصـيلا، و لنقتصـر فى المقام بذلك و لنعقّبه بما يجب التّنبيه عليه دفعا لبعض تلبيسات هؤلاء، و ابطالا لتمويهاتهم، فأقول مستعينا باللّه و متوكلا عليه:

تنبيه و هدايه

قد رأيت فى بعض كتب المتصوّفه ممّن يدّعى التشيّع نسبه التّصوف إلى جماعه من علماء الاماميّه مثل السيّد علىّ بن طاوس، و ابن فهد الحلّى، و الشـهيد الثانى، و المجلسـىّ الأوّل بل الثانى أيضا، و شـيخنا البهائى و نظرائهم، و هى فريه بيّنه و بهتان عظيم، و غرضـهم من هـذا الاختلاق تكثير السواد و اصـلاح ما ذهبوا اليه من مـذهب الفساد، و لعا بترويج متاعهم الكاسد، و شـعفا بتلفيق سلعتهم الفاسـد، فانّ العاده جاريه و الطبيعه مايله إلى أنّ كلّ من عمل عملا حقّا أو باطلا يطلب له فيه مشاركا، و كلّ من سـلك سبيلا برّا أو فاجرا يشـعف بمن كان معه فيه سالكا، لا سيّما إذا كان من أهل البدعه و الضلاله يكون سعيه فى تحصيل الموافق له أشدّ و آكد، و فرحه و انبساطه اليها بوجدانه أعظم و أكثر.

و هؤلاء لزيغهم عن قصـد السبيل، و شـعفهم بكلام بدعه و دعاء ضـلاله، و كونهم فتنه لمن افتتن بهم، ضالّين عن هدى من كان قبلهم، مضـلّين لمن اقتدى بهم فى حياتهم و بعد وفاتهم، نسـبوا تلك الطريقه الفاسده إلى أساطين العلماء تفتينا للهمج الرّعاع، و خداعا للجاهليّه الجهلاء، و العوام الّذين هم كالأنعام.

و قد علمت تفصـيلا عند نقل كلام الشـهيدين و المجلسيين طهاره لوح خواطرهم من هذا الدّنس و الرّين، و ظهر لك هناك أنّ تلك النسبه اليهم افك فاحش و بين.

و منه يعلم أيضا نزاهه ساحه ابنى فهد و طاوس من ذلك الرّجس و قد أشار إليه المحدّث العلامه المجلسـى «قد» أيضا فى كتاب عين الحياه حيث قال ما ترجمته:

قد كان بين أهل الحقّ دائما عبّاد و زهّاد ثابته على الصّراط المستقيم، مواظبه على سـلوك طريق القرب و الزّلفى و المباحات و العباده و العبوديه خارجه،

من سلسله الصوفيّه لم يعدهم أحد منهم مثل سلطان العلماء و المحقّقين الشيخ صفى الدّين، و سيّد الافاضل ابن طاوس، و زبده المتعبّدين ابن فهد الحلّى، و الشهيد السعيد الشيخ زين الدّين رضوان اللّه عليهم أجمعين و غيرهم من الزّهاد الّذين أخذوا طريقه الرّياضه و العباده و العبوديه بقانون الشريعه المقدّسه.

و بعد فراغهم من العلوم الشرعيه توجّهوا إلى العباده و الرّياضه، و هدايه الخلق و تدريس العلوم الحقّه، و لم يؤثر عن أحد منهم بدعه و ضلاله.

و لأجل ذلك لم يعدّ المتصوّف الجامى فى النّفحات أحدا منهم من الصّوفيه، و لم يدخلهم فى زمرتهم مع غايه اشتهارهم و صيتهم شهره الشمس فى رابعه النهار.

و قد أشرق وجه الأرض بأنوارهم و تصانيفهم و آثارهم، و صارت الدّنيا معموره بميامن بركاتهم، و راج دين الاماميّه و الشيعه الاثنى عشريه بمساعيهم الجميله حتى بذلوا فى طريق الشريعه مهجهم الزّكيه و أنفسهم القدسيه.

بخلاف أهل الباطل من الصوفيه، فقد بالغوا فى تخريب الدّين و هدم أساس الشّرع المبين، و قد سمعت معارضات السفيان الثورى و عباد البصرى و أضرابهما من الصوفيه مع أئمه اليقين و تعارضهم دائما مع علماء الشيعه بعد زمن الأئمه عليهم السّلام، هدانا اللّه و اياكم إلى الحقّ المبين بمحمد و آله الطاهرين سلام اللّه عليهم أجمعين، انتهى كلامه رفع مقامه.

و قد ظهر منه و مما قدّمنا نقله عنه من اعتقاداته أنّ نسبه تلك الطريقه الباطله إلى هؤلاء العلماء العظام و الأساطين الأعيان بيّنه الفساد و البطلان.

و أما الشيخ البهائى فربما عزى إليه القول بالتصوّف و طعن عليه بذلك لما يتراءى من بعض كلماته و أشعاره، إلّا أنّ الظاهر أنّ صدور تلك الكلمات منه مداراه للخلق، و منازله إلى أذواقهم، و معاشره معهم.

كما أفاده السّيد المحدّث نعمه اللّه الجزائرى حيث قال فى ما حكى عنه فى لؤلؤه البحرين: إنّ الشّيخ المذكور كان يعاشر كلّ فرقه و ملّه بمقتضى طريقتهم و دينهم و ملتهم و ما هم عليه، حتّى أنّ بعض علماء العامّه ادّعى أنّه منهم،

قال السّيد: فأظهرت له كتاب مفتاح الفلاح و كان معى فتعجّب من ذلك و ذكر جمله من المؤيّدات لما ذكره، ثمّ استدلّ بقوله قدّس سرّه فى قصيدته الّتى فى مدح القائم عليه السّلام:

و إنّى امرء لا يدرك الدهر غايتى و لا تصل الأيدى إلى سير أغوارى

اخالط أبناء الزّمان بمقتضى عقولهم كيلا تفوهوا بانكارى

و اظهر أنّى مثلهم يستفزّنى صروف الليالى باختلاء و امرار

. انتهى و قال السّيد أيضا فى محكى كلامه فى روضات الجنّات: كانت كلّ طائفه من طوائف المسلمين ينسبه إليها، و سمعت الشّيخ الفاضل الشّيخ عمر من علماء البصره يقول: إنّ بهاء الدّين محمّدا من أهل السّنه و الجماعه إلّا انّه كان يتّقى من سلطان الرّافضه، و كذلك الملاحده و الصّوفيّه و العشّاق سمعت كلّ هؤلاء يقولون:

إنّه من أهل نحلتنا، و من هذا كان شيخنا المعاصر يعنى به العلامه المجلسى يزدرى عليه بهذا و أمثاله، و فيض اللّه التفريشى لم يوثقه فى كتاب الرّجال و إن أثنى عليه فى العلم و الحفظ و غير ذلك، و الحقّ أنّه ثقه معتمد عليه فى النقل و الفتوى انتهى.

فقد ظهر بذلك عدم ثبوت تصوّف هذا العالم البارع النحرير، كثبوت عدم تصوّف من تقدّم ذكره من العلماء.

و بعد الغضّ عن ذلك و تسليم اتّصافهم به و قبول أنّهم من الصوفيه فأقول:

إنّ التصوّف الذى لهم ليس على حذو ما عليه ساير الصوفيه على ما توهّمه هؤلاء الجهله الذين نسبوه اليهم ابتهاجا بمشاركتهم معهم فى المذاق و موافقتهم لهم فى المذهب.

و ذلك لأنّ تصوّف هؤلاء الأجلّه عباره عن العمل بالأوامر و النواهى الشرعيه، و ترك الشبهات و الزهد و القشف و الرّياضه، و التحلّى بالفضائل و التخلّى عن الرذائل و ملازمه المروّه و التقوى، و الاعراض عن ملاذ الدّنيا و اخلاص العبادات و مواظبه التضرّع و الابتهال و المناجاه و إقامه الصلوات المكتوبات و التعقيبات المأثورات و الاذكار و الأدعيات الموظفات فى الأوقات المرسومات، و الاشتغال بالتعليم

و التدريس و تأليف كتب الفقه و الأخبار و الروايات و ساير العلوم الشرعيه.

و تصوّف تلك الجهله عباره عن المداومه على العبادات المبتدعه و الأذكار المخترعه، و دعوى الكرامات الكاذبه و الصّلائف الباطله، و ترك أحكام الشريعه و أخذ مراسم الطريقه على زعمهم، و الوصول إلى معارج الحقيقه على حسبانهم و إن لم يقع، و ادّعاء الكشف و الشهود و القول بالحلول و الاتحاد و وحده الوجود إلى غير هذه من أطوار الفريقين الّتى بينهما بعد المشرقين.

نعم قد وجدت من علماء الشيعه رجلا واحدا لا ريب فى تصوّفه و موافقته للصّوفيّه فى أكثر أقوالهم الفاسده، و لذلك اهبط قدره عن درجه الاعتبار، و اسقط قوله عن نظر علمائنا الأبرار، و هذا الرّجل هو محمّد بن الحسن بن علىّ بن أبى جمهور الاحسائى صاحب كتاب غوالى اللّئالى.

قال الشيخ يوسف البحرانى فى لؤلؤه البحرين: و الشيخ محمّد بن أبى جمهور كان فاضلا مجتهدا متكلّما له كتاب غوالى اللئالى جمع فيه جمله من الأحاديث إلاّ أنّه خلط الغثّ فيه بالسّمين و أكثر فيه من أحاديث العامّه، و لهذا أنّ بعض مشايخنا لم يعتمد عليه، و له كتاب شرح زاد المسافرين و كتاب المجلى على مذاق الصّوفيّه.

و قال المحدّث النّيسابورى فى ترجمته: متكلّم فقيه صوفىّ له كتب: منها كتاب المجلى جمع فيه بين الكلام و التصوّف، و نقل فى روضات الجنات من أواخر كتاب وسائل الشيعه كون كتابى حديثه و هو كتاب غوالى اللئالى و نثر اللئالى خارجين عن درجه الاعتماد و الاعتبار، مع أنّ صاحب الوسائل من جمله مشاهير الأخباريه و الأخباريه لا يعتنون بشىء من التصحيحات الاجتهاديه و التنويعات الاصطلاحيه.

و قال المحدّث العلامه المجلسىّ فى مقدّمات البحار: كتاب غوالى اللئالى و ان كان مشهورا و مؤلفه فى الفضل معروفا لكنه لم يميّز القشر من اللباب و أدخل أخبار متعصّبى المخالفين فى روايات الأصحاب، فلذا اقتصرنا على نقل بعضها، و مثله كتاب نثر اللئالى، انتهى.

أقول: و من جمله الأخبار العاميه التی رواها فی الغوالی ما رواه عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنه قال: صلّوا خلف کلّ برّ و فاجر، و من جمله أحادیث الصوفیه التی نقلها فیه ما رواه فیه عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قیل له: یا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أین کان ربنا قبل أن یخلق الخلق؟ قال: کان فی عماء ما فوقه هواء و لا تحته هواء.

و هذا الحدیث من موضوعات الصوفیه حسبما أشرنا الیه فیما تقدّم، و قد رواه أکثر الصوفیه فی کتبهم حتی محیی الدّین فی الفصوص و أکثر شرّاح الفصوص أیضا.

و من جمله ما رواه أیضا فیه ما نقله عن علیّ علیه السّلام قال: و روی عنه و قد سئل عن معنی التصوّف و التصوّف مشتقّ من الصوف و هو ثلاثه أحرف: ص، و، ف. فالصاد صبر و صدق و صفاء، و الواو ودّ و ردّو و وفاء، و الفاء فقر و فرد و فناء.

و آثار الوضع علی هذا الحدیث غیر خفیه کما یعرف ذلک مما ذکرناه فی المقام الثانی، فانّ بدو ظهور الصوفیه و استعمال هذا الاسم فیهم و تسمیتهم بها کان فی زمان أبی هاشم الکوفی فی عصر الصادق علیه السّلام و لم یکن فی عصر أمیر المؤمنین علیه السّلام أحد یسمّی بهذا الاسم.

و کم له فی کتبه من أخبار الصوفیه و أحادیثهم الموضوعه و أقوالهم الردیه حسبما نقلها عنه أصحابنا فی کتبهم إزراء علیه بذلک.

قال بعض تلامذه العلامه المجلسی فی کتابه الذی ألفه فی الرّد علی الصوفیه فی تفصیل خرقه هذه الطایفه ما هذه عبارته:

فمرّه قال شیخ شیوخ الصوفی اعنی ابن أبی جمهور الاحسائی فی کتاب مجلی مرآت المنجی أنّ شیخ طائفتهم الشیخ الجنید لبس الخرقه من ید خاله الشیخ السری السقطی، و السّری لبسها من معروف الکرخی، و المعروف الکرخی لبسها من الامام علیّ بن موسی الرّضا علیه السّلام.

و مرّه قال: إنّ معروف لبس من داود الطائی و أخذ هذه الطریقه منه، و هو من حبیب الأعجمی، و هو من الحسن البصری، و هو من أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و تاره اخری ذکر أنّ الامام أبا علیّ شقیق البلخی أخذها عن الامام أبی عمرو

موسی بن زهد الفراعی عن اویس القرنی ره عن أمیر المؤمنین علیّ علیه السّلام.

و کتب فی الحاشیه أنّ سلسلتهم تنتهی إلی ذی النون المصری، و شیخ ذو النون کان من تلامذه مولینا و سیدنا الحسن الأخیر العسکری علیه و علی ابنه الحجّه و آبائه السلام، انتهی.

أقول: فانظروا إلی هذا الاحسائی الشیعی باعتقاده کیف هبت به ریح الهوی إلی قبّه هذه الفئه، فضلّ و جار عن قصد السبیل، و قال غیر الجمیل، و سار بغیر دلیل، و تاه متاه بنی اسرائیل، و لم یفهم مضادّه الحسن البصری السامری مع أئمّتنا لا سیّما مولانا أمیر المؤمنین علیه الصلاه و السلام، و لم یعلم أنّ هذه الاختلافات فی الرّوایات العامیه الملاحده من أعظم القوادح فیها کیف و لم یذکر ما دونه هذا الرّجل فی کتابه شیخ الطایفه المحقّه فمن دونه، و لو کان له أصل لذکروه و لیس فلیس إلی أن قال:

نعم ذکر الجامی فی ترجمه الشیخ محیی الدین المغربی من کتاب النفحات أنّ نسبه خرقته فی التصوّف تصل إلی الشیخ محیی الدّین عبد القادر الجیلانی بواسطه واحده.

و بالجمله للجامی فی الکتاب المذکور، و السهروردی فی کتاب العوارف، و هبه اللّه الاصفهانی فی کتاب الخمسین، و شمس الدین محمّد بن محمّد ابن الجزری الشافعی فی خاتمه عوالیه، و غیرهم من علماء العامّه المتصوّفه هذیان طویل فی أمر الخرقه و أحکامها.

و الفاضل الاحسائی سرقه منها و أسرف فی تزیینه و تشهیره و لا جناح علیهم فی هذا الاجماع منهم، فانّ من الأمثال المشتهره: عند الخنازیر تنفق العذره.

قال ذکر السیّد نظام أحمد فی خاتمه أربعینه عند ذکره الأسانید الّتی کانت له فی المصافحه و المصاحبه و لبس الخرقه ما هذه عبارته:

لبس الشیخ حاتم الأصم من الشیخ شقیق البلخی، و هو من الشیخ ابراهیم بن أدهم، و هو من موسی بن یزید الرّاعی، و هو من مقدم التابعین اویس القرنی، و هو

من أمير المؤمنين أبى حفص عمرو أبى الحسن رضى اللّه عنهما، و هما من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و قال فى موضع آخر منه: قال الشيخ العارف الربّانى أبو بكر الهوارا: رأيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى المنام و طلبت لبس الخرقه منه، فأشار صلوات اللّه و سلامه عليه إلى أبى بكر الصديق، فألبسنيها.

و فى موضع آخر منه قال شيخ الاسلام أبو البيان الدّمشقى القرشى الشافعى لبستها من سيدنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و من الخضر المعمّر عليه السّلام و ذلك فى اليقظه الّتى لا شكّ فيها و لا ريب عند أهل الايمان بالغيب.

قال: أقول: و لكن ليس هذا بأعجب من ساير ما يقوله فى ذلك الكتاب بلا شك و لا ارتياب مثل أنّه كتب فى مبحث السّلوك منه أنه قال أمير المؤمنين عليه السّلام إنّ للّه تعالى شرابا إذا شربوا سكروا، و إذا سكروا طابوا، و إذا طابوا ذابوا، و إذا ذابوا خلصوا، و إذا خلصوا طلبوا، و إذا طلبوا وجدوا، و إذا وجدوا وصلوا، و إذا وصلوا اتّصلوا، و إذا اتّصلوا لا فرق بينهم و بين حبيبهم انتهى.

قال: أقول: جاء هذا الخبر من طريقنا معاشر الشيعه الاماميّه الموحّده هكذا و فى شرح مختصر العضدى للحاجبى قال علىّ عليه السّلام: إذا شرب سكر، و إذا سكر هذى، و إذا هذى افترى، فارى عليه حدّ المفترى، انتهى.

و ممّا يضحك منه العبوس القمطرير أنّ الطبيب الجيلانى المدعوّ بالمؤمن ذكر فى رساله الملعونه أنّ هذا الحديث مذكور فى كتاب صحيفه الرّضا عليه السّلام و كتب فى مبحث الكشف منه أنه نقل أنّه عليه السّلام قال: رأيت ربّى ليله المعراج فى أحسن صوره فوضع يده بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعلمت علوم الأولين و الاخرين(۱) انتهى كلامه رفع مقامه.

۱- (۱) هذا الحديث من مجعولات العامه كما يشعر به ما نقله القيصرى فى الفصل السابع من ديباجه شرح الفصوص هكذا، عبد الرحمن بن عوف عن عايشه قالت قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله): رأيت ربّى تبارك و تعالى فى أحسن صوره، فقال: فيما يختصم الملاء الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أى ربّى مرّتين قال: فوضع اللّه كفّه بين كتفى فوجدت بردها بين ثدبى فعلمت ما فى السماوات و ما فى الأرض، ثمّ تلى هذه الايه: «وَ كَذلِكَ نُرِى إِبْراهِيمَ مَلَكُوتَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»، انتهى، منه.

و قـد أطنبت بنقله تنبيها لک على اعتماد الاحسائى على أحاديث المخالفين و ركونه إلى أخبار الناصبين، و ليته قنع بـذلک و لم يسع فى تخريب قواعد الدّين حيث انحرف عن مناهج المتشرّعين، و ولع بترويج طريقه المتصوّفين، و تشهير مزخرفات المبتدعين جزاه اللّه ما يستحقّه يوم حشر الأولين و الاخرين.

هنا آخر المجلد الثالث عشـر من هذه الطبعه النفيسه و تمّ تصحيحه و تهذيبه بيد العبد - السيد ابراهيم الميانجى - عفى عنه و عن والديه فى - ٢٢ - من شهر محرم الحرام - ١٣٨٣ - و يليه انشاء اللّه المجلد الرابع عشـر و أوله: «المقام الثامن فى الاخبار الوارده فى ذمّ الصوفيه» و الحمد للّه رب العالمين.

اسـتدراک تقدم حديث شريف فى ص ٣٢ نقلا عن عقاب الأعمال مضـطرب الألفاظ غير مسـتقيم المعنى و لم يحضرنى العقاب عنـد الطبع حتى اراجعه فأثبتناه بعينه على ما فى الطبعه الاولى حفظا للأمانه فى النقل، و بعد الطبع راجعنا العقاب فوجدنا الحديث فيه ص ٢٠٧ هكذا: محوت المحكم من كتاب اللّه. و فيه: محيط لو طلع منه. و فيه: أهل ذلک الوادى من حرّ ذلک الوادى و نتنه و قذره و ما أعدّ اللّه فيه لأهله، و انّ فى ذلک الوادى لجبلا يتعوّذون أهل ذلک الوادى من حرّ ذلک الجبل.

و فيه: لقليبا يتعوّذ أهل ذلک الشعب. و فيه: بولس.

أيضا ص ٢٩١ س ٩ و من مواعظ عيسـى عليه السّـلام «إلـخ» هـذا الحديث مذكور فى تحف العقول إلاّ أنّه زاد فيه بعد قوله: فى حيره كلمه: لفعل. و ذكر بدل قوله:

تنفع و لا يؤكل: ينفع و يؤكل.

أيضا ص ٣٠٦ س ۴ قول المصنف: و أمّا الأخبار فمنها «إلخ» هذا الحديث مذكور فى الكافى إلاّ أنّ فيه: ولىّ الضلاله، بدل اولى الضلاله و سأل، بدل سئل.

فليكن على ذكر منک المصحح.

درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که مـا را در دستیـابی به این هـدف یـاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادنـد تقـدیر و تشـکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصـفهان -خیابان عبـدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شـهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

مرکز تحقیقات رایانه‌ای
قائمیه
اصفهان
www
برای داشتن کتابخانه های‌تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹